المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا
التاريخية والحضارية

التنافس الاستعماري بين بريطانيا وإيطاليا

في منطقتي العالم العربي وشرق أفريقيا

(١٣٥٤هـ/١٩٣٥م ـ ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م)

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر

المجلد الأول

إعداد

هدى بنت محمد عبده أحمد عثمان

إشراف

أ.د. يوسف بن علي بن رابح الثقفي

العام الجامعي

١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى والديّ حفظهما الله تعالى ...

إلى عائلتي الكريمة...

إلى زوجي العزيز...

و إلى أولادي الأحباء...

أُهدي هذا العمل،

هدى محمد عثمان

ملخص

عنوان البحث" التنافس الاستعماري بين بريطانيا وإيطاليا في منطقتي العالم العربي وشرق إفريقيا ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م – ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م ".

تم تقسيم الدراسة إلى تمهيد وأربعة فصول وخاتمة، تناول التمهيد مقدمة عن الاستعمار وأطماعه في المنطقة، والأطماع الاستعمارية لبريطانيا وإيطاليا في البلاد العربية وشرق إفريقيا حتى غزو إيطاليا للحبشة عام ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م، ثم جاء الفصل الأول ليوضح السياسة البريطانية والإيطالية تجاه المنطقة، وأثر هذا التنافس على العالم العربي وشرق إفريقيا ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م – ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م، بعد تكوين الإمبراطورية الإيطالية في شرق إفريقيا، ثم جاء الفصل الثاني ليتناول سياسة التهدئة التي اتبعتها بريطانيا تجاه إيطاليا، وأدت إلى الاتفاقية البريطانية – الإيطالية ١٣٥٧هـ – ١٩٣٨م، موضحاً أسبابها وبنود الاتفاق، والنتائج التي ترتبت عليها وموقف القوى العربية منها، ثم جاء الفصل الثالث موضحاً أثر قيام الحرب العالمية الثانية على التنافس البريطاني – الإيطالي في منطقة العالم العربي(المشرق العربي) ١٣٥٩هـ /١٩٤٠م – ١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م، ليتناول الصراع بين بريطانيا وإيطاليا في المنطقة في أثناء الحرب، ثم جاء الفصل الرابع موضحاً أثر قيام الحرب العالمية الثانية على التنافس البريطاني – الإيطالي في شرق و شمال إفريقيا ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م-١٣٦٥هـ/١٩٤٥م، الذي أدى إلى التدخل العسكري البريطاني ضد إيطاليا بعد إعلانها دخول الحرب إلى جانب ألمانيا، وتناول مصير المستعمرات الإيطالية بعد هزيمة إيطاليا في الحرب.

وتتركز أساسيات الدراسة على: إيضاح مدى التنافس الاستعماري بين بريطانيا وإيطاليا الفاشية في منطقتي العالم العربي وشرق إفريقيا منذ ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م – ١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م. وإيضاح ما كشفت عنه الوثائق البريطانية والإيطالية من اتجاهات سياسية لكلتا الدولتين الاستعماريتين للمحافظة على نفوذهما وهيمنتهما في المنطقة، من خلال أطماعهما ومصالحهما الاستعمارية قبل و في أثناء الحرب العالمية الثانية، حيث أخفقت سياسة التهدئة والمهادنة التي اتبعتها بريطانيا تجاه إيطاليا وطموحاتها في البحر المتوسط وفي شرق وشمال إفريقيا، وأخفقت معاهدة إبريل / ١٩٣٨م في استبعاد المجابهة العسكرية بين بريطانيا وإيطاليا ومحاولتهم تحويل إيطاليا إلى حليف لهم وإنهاء التحالف المحوري بينها وبين ألمانيا، وأعلنت إيطاليا دخول الحرب إلى جانب ألمانيا، واتضح من خلال الوثائق الإيطالية مدى العلاقات المتميزة بين بعض القوميين العرب و دولتي المحور أمثال رشيد عالي الكيلاني والمفتي الحاج محمد أمين الحسيني، الذين اعتقدوا أن بإمكان الإيطاليين والألمانيين تقديم المساعدة لهم للتخلص من الاستعمار البريطاني والفرنسي وضمان استقلال البلاد العربية، وهو ما كان يتعارض والمخططات الاستعمارية لإيطاليا الفاشية في البلاد العربية. وأصبح العالم العربي (العراق – مصر – ليبيا) وشرق إفريقيا (إريتريا – الحبشة – الصومال) إحدى الجبهات الحساسة التي كان لها دور حاسم في تقرير مصير الحرب العالمية الثانية، وشكلت الدعاية الإعلامية التي انتهجتها دول المحور تهديداً قوياً مضاداً لنفوذ البريطانيين خاصة بعد هزيمة فرنسا، وجاء التدخل العسكري في شرق وشمال إفريقيا لينهي الإمبراطورية الإيطالية في شرق إفريقيا، ولتحقق بريطانيا وحلفائها انتصارها العسكري الحاسم في العلمين، ومطاردة قوات المحور في ليبيا وتونس حتى هزيمتهم في مايو ١٩٤٣م. وكان ذلك إيذاناً بهزيمة إيطاليا وانتهاء الحكم الفاشي في إيطاليا، وكان من أهم النتائج الرئيسية للحرب العالمية الثانية هو سقوط النظام الاستعماري، فخرجت بريطانيا من الحرب بخسائر جسيمة في بريطانيا وإمبراطوريتها التي لا تغيب عنها الشمس، وبدأ العالم العربي وشرق إفريقيا في النضال لنيل الاستقلال من خلال تشكيل الجامعة العربية، ومن خلال المجتمع الدولي في إطار هيئة الأمم المتحدة.

والله الموفق.

الباحثة	المشرف	عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
هدى بنت محمد عبده أحمد عثمان	أ.د. يوسف بن علي رابع الثقفي	فضيلة الدكتور:سعود بن إبراهيم الشريم

المحتـــــــويات

قائمة المختصرات

F .o : Foreign office.

وثائق وزارة الخارجية البريطانية .

Cab : Cabinet office.

وثائق مجلس الوزراء البريطاني.

W .o : War office.

وثائق وزارة الحرب

A.S.M.A.E : Archivo Storico del Ministro degli Affari Esteri .

وثائق الأرشيف التاريخي في وزارة الخارجية الإيطالية .

M.A.E : Ministero degli Affari Esteri.

وثائق وزارة الخارجية الإيطالية .

D.D.I : Idocumenti Diplomatici Italiani.

الوثائق الدبلوماسية الإيطالية .

المقدمة

الحمد لله نحمده ونشكره، و نستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد.

يعتبر التنافس الاستعماري بين بريطانيا وإيطاليا في العالم العربي وشرق إفريقيا في الفترة من ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م / ١٣٦٥هـ - ١٩٤٥م، مرحلة هامة من مراحل التاريخ العربي الحديث، ونتيجة من نتائج الصراع الأوروبي لتحقيق السيطرة والهيمنة على العالم العربي وشرق إفريقيا، وقد أدت سياسة إيطاليا الفاشية وأطماعها في منطقة البحر المتوسط والقرن الإفريقي إلى مواجهة خصم قوي كالإمبراطورية البريطانية التي سعت إلى المحافظة على طرق مواصلاتها آمنة عبر المتوسط والبحر الأحمر وصولاً للهند والشرق الأقصى. وقد اتخذ الطرفان كافة السبل السياسية للتفاهم لتحقيق مصالحهما حتى إعلان إيطاليا دخول الحرب العالمية الثانية ضد بريطانيا في ١٣٥٩هـ - يونيو ١٩٤٠م، تطوراً لتغيير الموقف السياسي إلى مواجهات عسكرية في شرق وشمال إفريقيا انتهت بهزيمة قوات المحور في تونس وإخراجهم من شمال إفريقيا في ١٣٦٢هـ - مايو ١٩٤٣م.

وهذا الموضوع جدير بالدراسة نظراً لجدته وارتباطه بالعلاقات العربية-الأوروبية، حيث أقبل الباحثون على دراسة تاريخ العالم العربي وشرق إفريقيا، ومطامع السياسات الاستعمارية الأوروبية تجاه منطقتي الدراسة، بصفة عامة. ونظراً لإدراكي بأهمية الموضوع وأهمية دراسة الأطماع البريطانية والإيطالية في العالم العربي وشرق إفريقيا، قمت باختيار هذا الموضوع، ثم أيد ذلك سعادة مشرفي الأستاذ الدكتور يوسف الثقفي نظراً لجدة الموضوع وارتباطه بالعلاقات العربية - الأروبية خاصة بعد تولي بنيتو موسوليني قيادة إيطاليا الفاشية، وسياسته لتحقيق المطامع الإيطالية في شرق إفريقيا بالقوة، مما أنذر بريطانيا بخطر مركزها في العالم العربي وشرق إفريقيا، واصطدمت

الأطماع والخطط الإيطالية تجاه المنطقة بأطماع بريطانيا العظمى وبتاريخها الاستعماري الطويل. والحريصة على أن يكون ميزان القوى السياسي والعسكري في المنطقة لصالحها، فوقفت أمام الخطط الاستعمارية مدافعة عن مواطن نفوذها حتى تصاعدت الأحداث الدولية بقيام الحرب العالمية الثانية ودخول إيطاليا الحرب ضدها فحسمت العمليات الحربية ميزان التنافس بمساعدة قوات الحلفاء لتحقق بريطانيا النصر على قوى المحور في شرق وشمال إفريقيا.

وكان لزاماً علي لمعرفة وجهات نظر جميع الأطراف المعنية من دول العالم العربي وشرق إفريقيا، بالإضافة إلى أهداف ومطامع الاستعمار الأوربي في المنطقة، والاتجاهات السياسية والعسكرية لكلٍ من بريطانيا وإيطاليا، والتي لا يمكن معرفتها إلا عن طريق الوثائق. التي هي المصدر الأساسي، خاصة وأن الدراسات العربية عن المطامع الإيطالية في الوطن العربي وشرق إفريقيا لم تبرز حقيقة اتجاهات السياسة الفاشية، ومدى التهديد الذي شكلته قواتها العسكرية في شرق وشمال إفريقيا إلى نهاية الحرب العالمية الثانية.

وقد تطلب الأمر البحث في الوثائق الإيطالية عن طبيعة العلاقات الإيطالية– العربية، ودراسة مدى تأثر السياسة الإيطالية بالأوضاع في العالم العربي للعمل ضد بريطانيا.

ونظراً لأهمية الوثائق البريطانية والإيطالية، فقد قمت برحلات علمية داخل وخارج المملكة للحصول عليها، فكانت رحلتي العلمية إلى روما للإطلاع على الوثائق المحفوظة في أرشيف وزارة الخارجية الإيطالية، وبحمد الله تمكنت من الحصول على أغلب الوثائق التي تناولت العلاقات الإيطالية – العربية في فترة الدراسة، وعكست مراسلات وزارة الخارجية الإيطالية لسفرائها وقناصلها في العواصم العربية مدى اهتمام إيطاليا بتحسين صورتها الاستعمارية أمام الحكومات العربية والوطنيين والقوميين العرب، واستطاعت بأسلوب الدعاية المضادة لبريطانيا في جذب الوطنيين العرب إلى ما يمكن أن

تضمنه إيطاليا ومن ورائها ألمانيا في دعم استقلال البلاد العربية، والتي كانت الحكومة الإيطالية تسعى بالاتفاق مع ألمانيا على أن تكون هذه المناطق ضمن مصالح إيطاليا عند انتصار المحور في الحرب العالمية الثانية.

وحصلت في أثناء رحلتي على وثائق إيطالية منشورة وغير منشورة، وهي متيسرة للباحثين وتنتظر محافظها المليئة بالوثائق الهامة العديد من الدارسين للعمل على دراستها لإثراء المكتبة العربية بما ينقصها من دراسات جادة.

وأرجو أن تلقى الدراسات للعلاقات الإيطالية - العربية مزيداً من الاهتمام لدى الباحثين لمعرفة أثر الأطماع الخارجية على السياسات الدولية وتاريخ الشعوب. على أن هذه الوثائق تحتاج إلى معرفة وثيقة باللغة الإيطالية، وأرجو أن يتمكن الباحثون من تخطي عقبة اللغة التي اعتبرت لغة نادرة وصعبة حينما بدأت بترجمة الوثائق، فأخذت الكثير من الوقت والجهد.

وعكست الوثائق البريطانية المنشورة وغير المنشورة الاتجاهات الاستعمارية لبريطانيا بحكوماتها المتعاقبة على ترسيخ النفوذ البريطاني في المنطقة، واعتبارها مناطق نفوذ بريطانية، وكان التهديد الإيطالي لنفوذها أمر بعيد الاحتمال حتى عهد إيطاليا الفاشية التي عمدت إلى القوة لتحقيق أطماعها، وكشفت الوثائق عن حرص وزارة الخارجية البريطانية على تتبع السياسة المحورية تجاه العالم العربي وشرق إفريقيا في فترة الدراسة، وخاصة بعد أن أصبح للمحور نشاط دعائي وسياسي ودبلوماسي في المنطقة.

وعملتُ جاهدة في أثناء رحلتي العلمية إلى القاهرة للاطلاع على وثائق وزارة الخارجية المصرية ووثائق وزارة الدفاع الوطني -محافظ المشير-، بدار الوثائق القومية، الملحقة بالهيئة العامة للكتاب، على معرفة سياسة الحكومة المصرية تجاه بريـــطانيا وإيطاليا، من خلال المراسلات والتقارير لسفرائها وقناصلها، وتقارير المخابرات العسكرية للعمليات الحربية في شمال وشرق إفريقيا في أثناء الحرب العالمية الثانية، والوثائق

التي توضح أهمية المساعدات التي بذلتها مصر لبريطانيا وحلفائها لتحقيق النصر في الحرب. وحصلت على بعض الوثائق البريطانية الخاصة بالعلاقات المصرية- البريطانية في فترة الدراسة والمحفوظة في مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة عين شمس.

كما حصلت في أثناء تواجدي بدارة الملك عبد العزيز آل سعود في الرياض على المزيد من الوثائق البريطانية المنشورة وغير المنشورة، التي تخص علاقة المملكة العربية السعودية ببريطانيا وإيطاليا في فترة الدراسة، واطلعت على الوثائق الإيطالية والألمانية التي تقوم الداره بتصنيفها وترجمتها لإتاحتها للباحثين.

وقد استندت الدراسة على الوثائق البريطانية المنشورة وغير المنشورة الموجودة بالمكتبة المركزية في جامعة الملك عبد العزيز و المحفوظة على ميكروفيلم، وعلى الكتب الموجودة بالمكـــتبة المركزية بالجامعة، بالإضافة إلى التي حصلت عليها من دارة الملك عبد العزيز و مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية في الرياض، ومركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة عين شمس في القاهرة، والكثير من الكتب والمراجع التي حصلت عليها في أثناء رحلتي العلمية إلى روما والقاهرة والرياض وبيروت ودمشق.

وقد استفدت من الوثائق البريطانية والإيطالية والمصرية لإثراء البحث بالكثير من المعلومات التي أغفلتها كثير من الدراسات والأبحاث خاصة فيما يتناول العلاقات العربية – الإيطالية، وهي قليلة.

كذلك استفدت من كثير من المراجع العربية والمعربة والأجنبية الإنجليزية والإيطالية وضمنتها قائمة المراجع.

وعلى الرغم من غزارة المادة العلمية في كثير من جوانب البحث، إلا أن دراسة سياسة إيطاليا الخارجية وأساليبها السياسية والدبلوماسية والعسكرية كانت من أبرز الصعوبات التي واجهتني خاصة فيما يتناول شرق إفريقيا لقلة الدراسات التي أولت اهتمامها لتغطية تاريخ المنطقة واستعمارها دون أن تُفصل الأساليب الإيطالية

الاستعمارية فيها، ولعل الاهتمام بذلك قد أظهرته مطبوعات مركز دراسات جهاد الليبيين في ليبيا، والتي تناولت بالدراسة والتحليل لكثير من جوانب العلاقات الليبية – الإيطالية، وسياسة إيطاليا الاستعمارية تجاهها، وهو جهد كبير لتغطية التاريخ الليبي.

وقد حاولت جاهدة تغطية الاتجاهات السياسية لكلا الدولتين الاستعماريتين من خلال علاقاتهما بالعالم العربي وشرق إفريقيا، وأوضحت مراحل التنافس السياسي والعسكري لتحقيق المكاسب الاستعمارية.

وقد قمت بتقسيم البحث إلى تمهيد وأربعة فصول وخاتمة على النحو التالي:

تناولت في التمهيد، مفهوم الاستعمار وأطماع الدول الأوربية في العام العربي وشرق إفريقيا، وثم استعرضت الأطماع الاستعمارية البريطانية والإيطالية في العالم العربي وشرق إفريقيا، منذ الاستكشافات الجغرافية وحتى عقب الحرب العالمية الأولى، وأثر المتغيرات الأوربية، وظهور الفاشية في إيطاليا على تطور الأطماع الاستعمارية الإيطالية لمواجهة المصالح البريطانية في المنطقة لتصل بها إلى مرحلة الاحتكاك والتنافس.

وجاء الفصل الأول بعنوان سياسة بريطانيا و إيطاليا في منطقتي شرق إفريقيا والعالم العربي في الفترة من ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م / ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م، وهو مفصل إلى مبحثين، المبحث الأول: يتناول منطقة شرق إفريقيا وهي المنطقة التي رأت فيها إيطاليا الفاشية المرتكز الأساسي للتوسع لتشكيل إمبراطورية إيطالية في شرق إفريقيا للقيام بالتوسع وغزو الحبشة، ونجحت في تكوين إمبراطوريتها باختيار الحل العسكري لتنفيذ مخططاتها دون اهتمام بالشرعية الدولية أو حقوق شعوب المنطقة، وخلقت بذلك التهديد المباشر للنفوذ البريطاني ومصالحها في شرق إفريقيا والعالم العربي، أما المبحث الثاني: فتمت دراسة أوضاع العالم العربي، وعلاقته ببريطانيا وإيطاليا، في شبه الجزيرة العربية في المملكة العربية السعودية واليمن اللتين تميزتا بالاستقلال، وعدن ومحميات جنوب الجزيرة العربية الذي كان محتلاً من قبل بريطانيا، ومنطقة الخليج العربي التي

ارتبطت بمعاهدات سياسية مع بريطانيا، والعراق وشرق الأردن وفلسطين الخاضعين للانتداب البريطاني، وحيث أن التنافس شمل جميع المناطق التي رأت فيها إيطاليا مرتكزاً للدعاية والتنافس فقد تتبعت هذا التنافس. في سورية ولبنان الخاضعتين للانتداب الفرنسي.

ثم تناولت التنافس بين بريطانيا وإيطاليا في مصر والسودان كأخطر منطقة صراع لأهميتها السياسية والاستراتيجية بما يشكله من أهمية لوجود قناة السويس الممر البحري الذي يصل إيطاليا بإمبراطوريتها في شرق إفريقيا، لقربها من إمبراطوريتها جنوباً ومن مستعمراتها في ليبيا غرباً، وأخيراً: تناولت استعمار إيطاليا لليبيا أهدافه ووسائله والتهديد المباشر لليبيا تحت النفوذ الفاشي على مصالح بريطانيا ومصر وشرق وغرب المتوسط وإفريقيا والبحر الأحمر، خاصة بعد تحقيق الحلم الإيطالي في وجود إمبراطورية شرق إفريقيا الإيطالية.

أما الفصل الثاني: بعنوان سياسة التهدئة، الاتفاقية البريطانية — الإيطالية (١٣٥٧هـ ١٩٣٨م / ١٣٥٩هـ - ١٩٣٩م)، وهو مفصل إلى مبحثين: الأول يتناول أسباب سياسة التهدئة التي أدت إلى الاتفاقية على صعيد التنافس في أوربا والعالم العربي وشرق إفريقيا، وبنود الاتفاقية، والتركيز على ما يخص منطقة العالم العربي وشرق إفريقيا من الاتفاقية.

أما المبحث الثاني: فيتناول نتائج الاتفاقية على الصعيدين الأوربي والعربي، وموقف القوى العربية من هذه الاتفاقية الذي يُعد تدخلاً سافراً في شئون العالم العربي، ويحدد مفهوماً حول مصالح كلتا الدولتين الاستعماريتين في المنطقة العربية وشرق إفريقيا.

أما الفصل الثالث: بعنوان أثر قيام الحرب العالمية الثانية على التنافس البريطاني- الإيطالي في منطقة العالم العربي (المشرق العربي) ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م / ١٣٦٥هـ- ١٩٤٥م، وتم تقسيمه إلى مبحثين، تناول المبحث الأول: الصراع بين بريطانيا وإيطاليا

في منطقة العالم العربي في أثناء الحرب، ويتناول موقف الدول العربية من الحرب، وأثر التنافس البريطاني – الإيطالي على المنطقة في فترة الحرب العالمية الثانية، في المملكة العربية السعودية والخليج العربي واليمن، وفي عدن ومحميات جنوب الجزيرة العربية، أما المبحث الثاني: بعنوان الصراع بين بريطانيا و إيطاليا في منطقة العالم العربي في أثناء الحرب و تناول موقف العراق وسورية ولبنان و إمارة شرق الأردن وفلسطين من الحرب، حيث شهدت المنطقة توتراً سياسياً وصل إلى مرحلة حرجة نتيجة لظروف الحرب، وانتقال مرحلة التنافس إلى صراع ما بين بريطانيا وإيطاليا انعكس على أحداث المنطقة السياسية والعسكرية والاقتصادية.

أما الفصل الرابع: بعنوان أثر قيام الحرب العالمية الثانية على التنافس البريطاني – الإيطالي في شرق و شمال أفريقيا، و مصير المستعمرات الإيطالية ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م - ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م، و تم تقسيمه إلى مبحثين تناول المبحث الأول: بعنوان التدخل العسكري البريطاني ضد إيطاليا في شرق إفريقيا، ومصير المستعمرات الإيطالية، ويتناول الأحداث السياسية والعسكرية في منطقة شرق إفريقيا والتهديد العسكري للإمبراطورية الإيطالية في شرق إفريقيا للنفوذ البريطاني في شرق إفريقيا والبحر الأحمر، ويتناول أهم المعارك الحربية الفاصلة في هذا الصراع، أما المبحث الثاني: بعنوان التدخل العسكري البريطاني ضد إيطاليا في شمال إفريقيا، ومصير المستعمرات الإيطالية، فيتناول الأحداث السياسية و العسكرية في منطقة شمال إفريقيا و البحر الأبيض المتوسط، وما شكله المحور من قوة عسكرية مجابهة للقوة العسكرية والسياسية لبريطانيا والمنطقة العربية في شمال إفريقيا، في مصر والسودان وليبيا وتونس ومصير المستعمرات الإيطالية في ليبيا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية باندحار المحور.

وأخيراً الخاتمة، وفيها توضيح لأهم نتائج هذه الدراسة كوحدة موضوعية لتوضيح التنافس الاستعماري الإيطالي- البريطاني في منطقتي العالم العربي وشرق إفريقيا في فترة

الدراسة، حيث تبين الدراسة أثر الأطماع الاستعمارية لكلتا الدولتين في تطور الأحداث السياسية والاقتصادية والعسكرية نتيجة للأهمية الاستراتيجية والسياسية لهاتين المنطقتين وكونهما مرتكزاً للأطماع الاستعمارية وموضعاً للتنافس إلى نهاية الحرب العالمية الثانية بانتهاء النظام الدكتاتوري الفاشي الإيطالي ودخول المنطقة إلى مرحلة أخرى من تاريخها للنضال ضد الاستعمار.

وفي نهاية الرسالة تم إيراد عدد من الملاحق من وثائق وخرائط مما له أهمية فيما ورد في ثنايا البحث.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتقدم بوافر الشكر لله تعالى على نعمه وفضله علي لإتمام هذا البحث، ثم بعده إلى أستاذي المشرف على الرسالة أ.د. يوسف بن علي بن رابع الثقفي، الذي بذل جهده في متابعة هذا العمل، منذ مرحلة جمع المادة العلمية من الوثائق البريطانية والإيطالية والمصرية المنشورة وغير المنشورة، وساندني بإعطائه جل وقته لقراءة فصول الرسالة وإبداء توجيهاته السديدة حيالها. وكنت أجد لديه كل ترحيب وسعة للمناقشة وإبداء الرأي، فله كل الجزاء والشكر.

وأتوجه بالشكر إلى سفارة المملكة العربية السعودية في روما، وأخص بالشكر الدكتور / طلال بن عبد المجيد يوسف الملحق الثقافي بالسفارة على المساعدة القيمة التي بذلها في أثناء رحلتي العلمية في روما لتيسير حصولي على الوثائق من وزارة الخارجية الإيطالية، ولم يبخل بجهده في تذليل كل الصعاب التي واجهتني في أثناء وجودي في روما. فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما أتوجه بالشكر إلى المسئولين في وزارة الخارجية الإيطالية بروما الذين بذلوا جهدهم لتيسير الحصول على الوثائق الإيطالية الخاصة بالبحث، والمساعدة القيمة التي بذلتها السيدة المى سالم، والآنسة غادة دعيبس في تصنيف وترجمة الوثائق الإيطالية كما أشكر جميع المسؤولين في دارة الملك عبد العزيز بالرياض، وأخص منهم د. فهد

السماري أمين الدارة، الذي بذل شاكراً جهده لتيسير الحصول على عدد كبير من الوثائق البريطانية والاطلاع على الوثائق الإيطالية والألمانية غير المنشورة التي تعدها الدارة بالتصنيف والترجمة.

وأتوجه بالشكر والتقدير إلى أ.د. إسماعيل ياغي للمساعدة التي بذلها لي، وأ.د. شوقي الجمل وأ.د. عبد الله عبد الرازق بمعهد الدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة، ومدير مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة عين شمس لتيسير حصولي على الوثائق المحفوظة لدى المركز، وللسيدة آمال راشد مديرة قاعة البحث بدار الوثائق المصرية على المساعدة القيمة للحصول على وثائق وزارة الخارجية ووزارة الدفاع الوطني في أثناء رحلتي العلمية للقاهرة.

كما أشكر جميع المسؤولين في مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية والبحوث بالرياض على المساعدة القيمة التي بذلوها.

والشكر موصول إلى قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية بجامعة أم القرى برئاسة سعادة الأستاذ الدكتور عبد الله بن سعيد الغامدي ومنسوبي القسم على جهودهم العلمية في خدمة طلاب وطالبات الدراسات العليا، وإلى المسؤولين في قسم التاريخ وإدارة الابتعاث بجامعة الملك عبد العزيز على الجهد المبذول في أثناء فترة ابتعاثي لجامعة أم القرى.

والله من وراء القصد..،

التمهيد

أ- الاستعمار وأطماعه في البلاد العربية وشرق أفريقيا.

ب- الأطماع الاستعمارية لبريطانيا وإيطاليا في البلاد العربية وشرق أفريقيا حتى غزو إيطاليا للحبشة عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م.

أ - الاستعمار وأطماعه في البلاد العربية وشرق أفريقيا:

يحمل مفهوم الاستعمار الكثير من الأبعاد، فهو يثير الكثير من الأحاسيس والانفعالات من الناحية العاطفية، خاصة عند الشعوب التي وقعت فريسة له، والاتهامات بممارسة الاستعمار أو محاولة ممارسته متداولة بين الدول المتنازعة والمتنافسة في العالم، كل منها تصم به الأخرى.

وتبتعد الدلالة اللغوية للاستعمار عن الدلالة السياسية، فتأتي الأولى بمعنى التعمير والأعمار، والثانية تعني التخريب والاستتراف. وتتضمن الهدم لا البناء والإصلاح: الهدم للشعوب المخضعة والبناء (إن وجد) فهو لصالح من يمارس السياسة الاستعمارية(١).

ولا يخرج الاستعمار في حقيقته عن كونه أحد مظاهر التسلط السياسي والاقتصادي أو العسكري أو الثقافي أو الحضاري الذي تمارسه دولة على غيرها، ويهدف غالبا إلى الاستغلال الاقتصادي للدولة الخاضعة للسيطرة الاستعمارية، وتسخير كافة إمكاناتها الطبيعية ومواردها البشرية لرفع مستوى الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية للدول صاحبة النفوذ الاستعماري(٢).

وقد أجمع الكثير من المؤرخين والباحثين على أن الاستعمار ظاهرة قديمة قدم الإنسان، وحاولوا إبراز دوافعه وأسبابه فلم تخرج عن كونها دوافع دينية واقتصادية وسياسية واستراتيجية(٣). للمحافظة على توازن القوة. بينما أضاف بعضهم بعض العوامل المتصلة بالدول الأوربية ذاتها وأوضاعها الداخلية، وأثر الثورة الصناعية في أوربا في إيجاد حوافز قوية جديدة دفعت عجلة الاستعمار الأوربي حيث إن الانقلاب الصناعي أدى للإنتاج الكبير الذي فاض عن استهلاك الشعوب المنتجة بدرجة كبيرة مما جعله يسعى لإيجاد أسواق جديدة للتصريف، بالإضافة إلى خلق حاجة ماسة للمواد الخام المتوفرة في البلاد المستعمرة في أفريقيا وآسيا(٤).

١- حورية توفيق مجاهد: الاستعمار كظاهرة عالمية (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٥م)، ص١٧.

٢- إسماعيل صبري مقلد: العلاقات السياسية الدولية، ط٥، (الكويت: ذات السلاسل، ١٩٨٧م)، ص٥٤٥.

٣- جمال حمدان: إستراتيجية الاستعمار والتحرير (بيروت: دار الشروق، ١٩٨٣م) ص١٢، حورية توفيق مجاهد: الاستعمار كظاهرة عالمية، ص ص٤٠، ٤١.

٤- شوقي الجمل: تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها (القاهرة: الانجلو المصرية، ١٩٧١م)، ص ص١٣٧، ١٣٨.

وتعتبر حركة الكشوف الجغرافية التي بدأت في القرن التاسع الهجري - الخامس عشر الميلادي فاتحة الاستعمار الأوربي، بدء من نشاط المستكشفين الاستعماريين البرتغاليين والأسبان إلى أن دخلت فرنسا وبريطانيا وألمانيا وبلجيكا وإيطاليا وهولندا الميدان الاستعماري[١]. فتميز القرن الثالث عشر الهجري - التاسع عشر الميلادي بتسابق استعماري ظاهر بين الدول الأوربية خاصة في أفريقيا وآسيا. وشهد العالم العربي في آسيا وأفريقيا تنافسا كبيرا من هذه الدول*.

يضم **العالم العربي**** كل الشعب العربي الذي تجمعه وحدة لغوية وهي اللغة العربية الواحدة مع اختلاف اللهجات المحلية ووحدة الدين وهو الدين الإسلامي بين أقطار العالم العربي، إلى جانب الوحدة الثقافية المستندة إلى شرائع الدين الإسلامي، ووحدة الجنس والأرض والتاريخ المشترك وقد تعرض الوطن العربي لعدة انقسامات داخلية بعد ضعف الدولة العباسية ومن ثم سقوطها حتى دخلت البلاد العربية تحت حكم الدولة العثمانية في أوائل القرن العاشر الهجري - السادس عشر الميلادي[٢].

ويضم العالم العربي جغرافيا جزءاً كبيراً من غرب آسيا وشمال أفريقيا، ويتمتع بمركز جغرافي هام إذ أنه ملتقى ثلاث قارات هي آسيا وأوربا وأفريقيا، فربط بذلك الغرب والشرق. وهو يضم بلاد واسعة بين الخليج العربي شرقا والمحيط الأطلنطي غربا وجبال طوروس وزاغروس والبحر الأبيض المتوسط شمالا والمحيط الهندي والصحراء الاستوائية جنوباً. وتشكل الدول الآسيوية من الوطن العربي الهلال الخصيب. وهي العراق سوريا لبنان الأردن وفلسطين ومن منطقة الجزيرة العربية وتضم المملكة العربية السعودية واليمن والكويت وقطر والبحرين والإمارات العربية المتحدة وعمان. بينما تشكل الدول

١- غنيمي الشيخ: أفريقيا في التاريخ المعاصر (القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٢م)، ص ص١٥، ٣٣.

* انظر الخريطة رقم (١)، ص ٥٣٢.

** انظر الخريطة رقم (٢)، ص ٥٢٩.

٢- غنيمي الشيخ: التاريخ المعاصر للأمة العربية والإسلامية (القاهرة: دار الثقافة، ١٩٩٢م)، ص٣١.

الأفريقية من الوطن العربي كل من مصر والسودان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا والصومال وجيبوتي[١].

عرفت منطقة العالم العربي عند الغرب الأوربي بعدة مسميات أطلقتها الدول الأوربية خاصة إنجلترا وفرنسا – تعبيراً عن مصالح كل منهما في المنطقة، فكانت تسمية الشرق الأدنى* Near East يستخدم للدلالة على بلاد الشام والعراق وتركيا وإيران وأفغانستان[٢].

وأطلق عليه الليفانت Levant وهو مصطلح تجاري على منطقة الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط[٣]. وعرفت الجزيرة العربية كمنطقة تضم كل من المملكة العربية السعودية واليمن وإمارات الخليج العربي، أما بلاد المغرب العربي وتضم ليبيا وتونس والجزائر ومراكش فعرفت ببلاد شمال أفريقيا North Africa[٤]. واستخدم مصطلح الشرق الأوسط Middle East للدلالة على منطقة العالم العربي مجتمعة. وقد استخدم للتعريف بمنطقة جغرافية أوسع مما تمثله الشرق الأدنى. وقد استخدم اللورد كيرزون حاكم الهند البريطاني في عام ١٩١١م/١٣٣٠هـ عبارة الشرق الأوسط للإشارة إلى مناطق تركيا والخليج العربي وإيران في آسيا باعتبارها تمثل الطريق إلى الهند. وعرفت المنطقة الواقعة بين الشرق الأدنى Near East والشرق الأقصى Far East بالشرق الأوسط.

كما أنشأ ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطانية في عام ١٩٢١م/ ١٣٤٠هـ بعد الحرب العالمية الأولى ما عرف "بإدارة الشرق الأوسط" لتشرف على شئون فلسطين وشرق الأردن والعراق. وفي ١٩٣٢م/١٣٥١هـ تم إدماج القيادة الشرق أوسطية للقوات الجوية الملكية البريطانية (ومقرها العراق) مع قيادة القوات

١- إسماعيل ياغي: العالم العربي في التاريخ الحديث (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٩٩٧م)، ص ص٧، ٨.

* اختلف حول تحديد منطقة الشرق الأدنى جغرافياً وتاريخياً.

٢- عاصم الدسوقي: في تاريخ العرب الحديث والمعاصر (القاهرة: مطبعة الجبلاوي، ١٩٩٥م)، ص٥.

٣- محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي (القاهرة: الأنجلو المصرية، ١٩٨٥م)، ص٥.

٤- عاصم الدسوقي: في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ص ٦.

البريطانية في مصر، واحتفظت القيادة الجديدة باسم: "قيادة الشرق الأوسط" فاستخدم هذا المسمى البريطانيون والفرنسيون والسوفيت للإشارة إلى المنطقة العربية وتأكد ذلك في أثناء الحرب العالمية الثانية حين أنشئ "مركز الشرق الأوسط وقيادة الشرق الأوسط التي تشرف على المنطقة العربية وضمت مناطق أخرى أضيفت إليها كتركيا وإيران وأفغانستان حسب ظروف الحرب"*(١). وذاع استخدام هذا المصطلح بعد الحرب العالمية الثانية.

وبذلك يكون العالم العربي باختلاف مسميا ته يشكل أهمية كبيرة من وجهة النظر العالمية مما جعل منه مكانا تتصارع فيه مصالح الدول الاستعمارية مدفوعة بالاعتبارات الاستراتيجية المنبعثة من موقعه الجغرافي أو بالمصالح الاقتصادية المستمدة من وفرة موارده الطبيعية التي أصبحت قبل قيام الحرب العالمية الثانية ترتكز أساسا على البترول(٢).

وكان من أهم المخططات الاستعمارية الأوربية لتجزئة العالم العربي منذ مطلع القرن العشرين المؤتمر الذي عقد في عام ١٩٠٧م وشاركت فيه بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وبلجيكا وهولندة والبرتغال وأسبانيا، عندما قدم رئيس وزراء بريطانيا كامبل بنرمان** تقرير إلى المؤتمر باقتراح من الحكومة البريطانية لدراسة مستقبل الاستعمار والأسباب التي أدت إلى انهيار الإمبراطوريات الاستعمارية القديمة، والأخطار التي تتعرض لها الإمبراطوريات الاستعمارية الحديثة، وذكر تقرير بنرمان أن الخطر الحقيقي على الاستعمار العالمي يكمن في منطقة شرق البحر المتوسط. ففي هذه المنطقة وعلى امتدادها الطويل أمة واحدة هي الأمة العربية تتوفر لها كل مقومات الوحدة من لغة وحضارة وتاريخ واستقرار، وتوصل المؤتمرون إلى أنه إذا تجمعت مقومات الوحدة هذه وتفاعلت مع نزعة الشعب العربي إلى التحرر، فإنه ينتج عنه قيام دولة الوحدة العربية

---

* شهد استخدام اسم الشرق الأوسط خلافات عديدة حول تحديد نطاق المنطقة التي يشار إليها بهذا المصطلح وضم أحياء كثيرة إلى جانب الوطن العربي من تركيا وإيران قبرص وأفغانستان إلى جانب دول شمال أفريقيا ومصر والسودان.

١- ممدوح محمود، مصطفي منصور: الصراع الأمريكي السوفيتي في الشرق الأوسط (القاهرة: مكتبة مدبولي، (د.ت))، ص ص٣٩،٤٠.

٢- أ. بونية: الدولة والنظم الاقتصادية في الشرق الأوسط، ترجمة: د. راشد البروي (القاهرة: النهضة المصرية، ١٩٥٠م)، ص٥.

** سير هنري بانرمان كامبل (١٨٣٦-١٩٠٨م) :سياسي بريطاني من حزب الأحرار، ترأس الوزارة البريطانية (١٩٠٥-١٩٠٨م) - الموسوعة العربية الميسرة، ص١٤٢٣.

وسيكون ذلك الخطر الحقيقي على الوجود الاستعماري، وأوصى المؤتمر بالإبقاء على تجزئة العالم العربي والحرص على تخلفه ومحاربة قيام الوحدة العربية[١].

وتعتبر منطقة **شرق أفريقيا*** جزءاً من العالم العربي وتضم كل من وجيبوتي والصومال (الفرنسي والبريطاني والإيطالي) وقد أدرك المستعمرون الأوربيون أهمية الساحل الأفريقي الشرقي والأقاليم الواقعة خلفه كجزء من اهتمامهم باستعمار القارة الأفريقية[٢]. وتعتبر إريتريا و الحبشة** (أثيوبيا) جزءاً من شرق أفريقيا، حيث ارتبط تاريخ الحبشة بمنطقة إريتريا والصومال ارتباطاً وثيقاً فبينما احتل الإيطاليون إريتريا تطلعوا دائما لاحتلال الحبشة منذ عهد إمبراطورها منليك الثاني***، واعتبرت امتدادا طبيعيا لتوسع الإيطاليين في مستعمرتهم إريتريا والصومال[٣]. لذلك شكلت منطقة شرق أفريقيا ميدانا لتنافس الدول الأوربية**** بريطانيا وفرنسا وإيطاليا.

ب - الأطماع الاستعمارية لبريطانيا وإيطاليا في البلاد العربية وشرق أفريقيا حتى غزو إيطاليا للحبشة عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م:

تعتبر بريطانيا من أسبق الدول الاستعمارية الأوربية التي تطلعت نحو العالم العربي كمنطقة هامة للنفوذ البريطاني السياسي والعسكري والاقتصادي وكانت تعرف ببريطانيا العظمى أو بالإمبراطورية التي لا تغيب عن أراضيها الشمس، فامتد نفوذها إلى ما وراء البحار وأصبح الأسطول الإنجليزي سيد البحار لفترة طويلة من الزمن لتحقيق الدفاع عن الجزر البريطانية في أوربا وللحفاظ على مستعمراتها وتأمين ارتباطها بالجزر البريطانية وبذلك كان لها النفوذ على إمبراطورية مترامية الأطراف[٤].

١- عاصم الدسوقي: في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ص١٩٤.

* انظر الخريطة رقم (٣)، ص ٥٣٠.

٢- شوقي الجمل: تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها، ص٦٨٩.

** الحبشة: تمتد هضبة الحبشة من جنوب السودان إلى شمال الصومال أكثرية سكانها من المسلمين ثم المسيحيين الأرثوذكس.

*** الإمبراطور منليك الثاني (١٨٤٤-١٩١٣): تولى منصبه كإمبراطور في ١٨٨٦م، عقد مع الإيطاليين معاهدة ١٨٨٩م، غزا الإيطاليون بلاده، ولكنه انتصر عليهم في معركة عدوة ١٨٩٦م – الموسوعة العربية الميسرة، ص١٧٦٢.

٣- محمود شاكر: اريتريا والحبشة (الأردن: مكتبة الأقصى (د: ت))، ص٢٢.

**** انظر الخريطة رقم (٤)، ص ٥٣٤.

٤- رياض الصمد: تطور الأحداث الدولية في القرن العشرين (بيروت: المؤسسة الجامعية للنشر، ١٩٩٩م)، ص١٨.

ومع ازدياد عوامل ضعف الدولة العثمانية منذ القرن الثامن عشر الميلادي، ازدادت أطماع بعض الدول الأوربية وعلى رأسها بريطانيا لتثبيت نفوذها الاستعماري على الأقطار العربية ذات الأهمية الكبرى لها والخاضعة لنفوذ الدولة العثمانية التي أصبحت منذ القرن التاسع عشر الميلادي رجل أوربا المريض، فتركز الاهتمام البريطاني على كل من مصر والسودان والصومال والعراق ومنطقة الخليج العربي وعدن والجنوب العربي وفلسطين والأردن. فارتبطت المصالح الاستعمارية البريطانية في الهند بالمناطق الهامة ذات النفوذ العربي كالخليج العربي والبحر العربي والبحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط وشكل مضيق هرمز وباب المندب وقناة السويس الأهمية الاستراتيجية الكبرى للمصالح البريطانية[١].

ولتحقق بريطانيا أطماعها في البلاد العربية الخاضعة للحكم العثماني استغلت رغبة العرب في التخلص من الحكم العثماني حينما قامت الحرب العالمية الأولى فشجعت الشريف الحسين بن علي* في الحجاز للقيام بالثورة ضد الدولة العثمانية عام ١٩١٦م/١٣٣٥هـ مقدمه له الوعود لاستقلال البلاد العربية المتفق عليها في مراسلات تمت بين الشريف الحسين علي متحدثا باسم العرب والسير هنري مكماهون المندوب السامي في مصر عام ١٩١٥م/١٣٣٤هـ. وهكذا قام العرب بالثورة وسخروا جهودهم ومواردهم لنصر الحلفاء في أثناء الحرب العالمية الأولى[٢].

إلا أن البريطانيين لم يفوا بوعدهم للعرب، إذ أبرمت اتفاقيات سرية بين كل من بريطانيا وحلفائها على حساب العرب والبلاد العربية ومن أهم ما أبرمه الحلفاء من اتفاقيات لتقسيم أملاك الدولة العثمانية، ومن بينها البلاد العربية التابعة لها كان اتفاق

١- رأفت غنيمي الشيخ: التاريخ المعاصر. ص ص٤٧، ٥١.

* الشريف حسين بن علي (١٨٥٤-١٩٣١م): ملك الحجاز ومؤسس الأسرة الهاشمية المالكة في العراق سابقاً وفي الأردن وآخر من حكم مكة، تولى إمارة مكة من قبل العثمانيين، اتصل به البريطانيين ووعدوه بمساندة فكرة استقلال العرب وإقامة دولة واحدة تضم الحجاز والمشرق العربي فيما عرف بمراسلات حسين مكماهون، أعلن الثورة والجهاد ضد العثمانيين في ١٩١٦م، قاد ابنه الأمير فيصل الحرب مع الضباط الأحرار في المشرق العربي والجيش العربي في سورية، وفرض الإنجليز احتلالهم على فلسطين، خلافاً لوعودهم عملوا على تنفيذ سياسة الوطن القومي في فلسطين، و رفض الشريف التنازل عنها، تنازل عن العرش لابنه الأمير علي عام ١٩٢٤م، غادر الحجاز وتوفي في منفاه في قبرص ودفن بالقدس. - الموسوعة السياسية، جـ٢، ص٥٤٢.

٢- حسين فوزي النجار: الشرق العربي بين حربين (القاهرة:(د. ن)، (د. ت))، ص١٩.

سايكس بيكو Sykes –Picot Agreement بين كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا. أهــم ما نصت عليه هذه الاتفاقية كان تحديد مصالح كل من بريطانيا وفرنسا في البلاد العربية، حصلت على أثرها فرنسا على كل من سوريا ولبنان ومنطقة الموصل في العراق ويكون لبريطانيا منطقة تمتد من العراق إلى كل من حيفا وعكا على البحر الأبيض المتوسط، وأن تكون فلسطين تحت إدارة دولية بسبب وجود الأماكن المقدسة فيهـا ونالـت روسـيا مبتغاها في الأناضول والمضايق(١). وتلت هذه المعاهدة وعد قطعة السيد جيمس أرثـر بلفور* وزير الخارجية البريطانية في ١٩١٧م/١٣٣٦هـ لليهود بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين وعرف ذلك بـ "وعد بلفور"(٢).

وقد تمخضت الاتفاقيات الدولية التي جرت في أعقاب الحرب العالمية الأولى بشـأن بلاد المشرق العربي عن انفراد كل من بريطانيا وفرنسا بمناطق النفوذ فيها حيث كان لهما النفوذ القوي في السياسة العالمية توجهاها الوجهة التي تتفق ومصـالحها. فجـاء نظـام الانتداب Mandate System** الذي أعلنه ميثاق عصبة الأمم بهدف معلن وهو: التقـدم بأوضاع المناطق الخاضعة للاستعمار أي مرحلة النضج السياسي الذي يؤهلـها لتحمـل تبعات الحكم الذاتي وممارسة مسؤولياته بينما كان هدفه الحقيقـي: تثبيـت السـيطرة الاستعمارية واختلاق المبرر لاستمرارها في مواجهه ضغط الحركات القومية الناميـة(٣). وجاءت المناطق العربية من القسم الأول من نظام الانتداب، وبذلك حظيـت بريطانيـا بالانتداب على العراق والأردن وفلسطين بينما كان لفرنسا الانتداب على سوريا ولبنان وأعلن ذلك في مؤتمر سان ريمو عام ١٩٢٠م/١٣٣٩هـ(٤). لتحقق بـذلك كلتاهمـا

١- جورج أنطونيوس: يقظة العرب، ترجمة: د. ناصر الدين الأسد، د. حسان عباس، ط٨، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م)، ص ص٣٤٨، ٣٧٠.

* جيمس آرثر بلفور (١٨٤٨-١٩٣٠م): سياسي بريطاني محافظ وصهيوني مسيحي صاحب تصريح بلفور الصادر عن الحكومة البريطانية عام ١٩١٧م، عين وزير للخارجية عام ١٩١٦م، اعتزل السياسة عام ١٩٢٢م. - الموسوعة السياسية، جـ١، ص٥٦٠.

٢- عبد العزيز الشناوي، جلال يحي: وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٩م)، ص١٤٥.

** تبلور نظام الانتداب في المادة الثانية والعشرون من ميثاق عصبة الأمم.

٣- إسماعيل مقلد: العلاقات السياسية الدولية، ص٥٧٨.

٤- Lenczoloski, George, The Middle East in World Affairs, (New York; Cornell University Press, 1952), P. 9.

مطامعها الاستعمارية تحت ستار من الشرعية الدولية واعتبر الانتداب لون من ألوان النفوذ الاستعماري المقنع.

فأصبحت منطقة الشرق العربي مجزأة إلى عدة دول ووحدات سياسية منفصلة بعضها عن بعض مع خضوعها لسيطرة غربية مباشرة أو غير مباشرة[١].

وذلك لخدمة استراتيجية الاستعمار الأوربي بعد نهاية الحرب العالمية الأولى. إلا أن الشعوب العربية واجهت الوجود الاستعماري في أوطانها بمقاومة عنيفة تباينت من قطر عربي لأخر لتفاوت مستويات التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي فيها[٢].

ولولا هذه المقاومة العنيفة التي واجهها الاستعمار البريطاني والفرنسي والإيطالي والثورات العربية التي تواترت خلال فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية ضد الاستعمار والانتداب لغدا الحكم الاستعماري مباشراً دون إشراك الشعوب العربية فيه وإن كانت سياسة دولتي الانتداب البريطانية والفرنسية تتركز على تحقيق مصالحها وأهدافها الاستعمارية[٣].

وقد حرصت بريطانيا على حماية مصالحها الاستعمارية في البلاد العربية التي نمت نفوذها إما بمسمى الانتداب أو بمعاهدة، وقد تركزت هذه المصالح في مصر والسودان والعراق وشرق الأردن وفلسطين ومنطقة الخليج العربي والمملكة العربية السعودية وعدن ومحميات الجنوب والصومال البريطاني، ففي **مصر** قام البريطانيون باحتلال مصر عام ١٨٨٢م/١٣٠٠هـ والحقوا السودان بها بعد اتفاقية الحكم الثنائي عام ١٨٩٩م/١٣١٧هـ فدخل السودان الحكم الثنائي دون أن يعتبر مستعمرة من مستعمراتها[٤].

وعلى إثر دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى ضد بريطانيا وحليفتها فرنسا وروسيا، أعلنت بريطانيا الحماية على مصر، وحين انتهت الحرب وخرجت بريطانيا منتصرة أرادت تثبيت نفوذها في مصر فثار الشعب المصري عام ١٩١٩م/١٣٣٨هـ

١- محمود منسي: الشرق العربي المعاصر، القسم الأول الهلال الخصيب، ((د.ن)، ١٩٩٥م)، ص أ.

٢- عاصم الدسوقي: في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ص١٩٥.

٣- حسين فوزي النجار: المشرق العربي، ص٣٦.

٤- شوقي الجمل: تاريخ أفريقيا واستعمارها، ص ص٦١٨، ٦١٩.

فاضطرت الحكومة البريطانية إلى إعلان تصريح ٢٨ فبراير عـام ١٩٢٢م/١٣٤١هـ، أعلنت فيه انتهاء الحماية البريطانية على مصر بعدة تحفظات سياسية وعسكرية وإدارية حتى تنتهي مفاوضات الحكومة البريطانية والحكومة المصرية لاتفاق يحقق لمصر الاستقلال التام، وقد استمرت المفاوضات بين الطرفين في ظل علاقات غير مستقرة بين المندوب السامي البريطاني والملكين فؤاد ثم فاروق والحكومة المصرية إلى أن عقدت معاهدة التحالف المصرية البريطانية عام ١٩٣٦م/١٣٥٥هـ(١).

أما في **العراق** فيرجع الاهتمام البريطاني به إلى الفترة التي تلت بسط النفوذ الاستعماري البريطاني على الهند، حيث اهتمت بريطانيا بالعراق في إطار اهتمامها بمنطقة الخليج العربي الهامة لطريق مواصلاتها بين مستعمراتها في الهند وبريطانيا وتطور هذا الاهتمام في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى حينما ظهر اهتمام السياسة الألمانية بالمنطقة، فما إن أعلنت الحرب العالمية الأولى حتى قامت القوات البريطانية باحتلال بغداد والبصرة عام ١٩١٧م/١٣٣٦هـ(٢).

وكان العراق ضمن المناطق التي أكدت بريطانيا نفوذها فيها في اتفاق سايكس- بيكو، وفي مؤتمر سان ريمو تقرر وضع العراق تحت الوصاية البريطانية، مما كان له رد فعل قوي لدى الشعب العراقي الذي قام بالثورة ١٩٢٠م/١٣٣٩هـ، وفي ١٩٢١م/١٣٤٠هـ عقد مؤتمر القاهرة ورشح الأمير فيصل بن الشريف حسين* ملكاً على العراق. وقد قام الملك فيصل بمهماته لتحقيق إنهاء الانتداب على العراق بالتعاون مع الحركة الوطنية العراقية ببدء المفاوضات بين العراق وبريطانيا فعقدت المعاهدة البريطانية العراقية لعام ١٩٢٢م/١٣٤١هـ ثم معاهدة ١٩٢٦م/١٣٤٥هـ ومعاهدة ١٩٢٧م/١٣٤٦هـ ومعاهدة ١٩٣٠م/١٣٤٩هـ التي نصت على دخول العـراق لعصبة الأمم ١٩٣٢م/١٣٥١هـ. وبعدها بدأ العراق يمر بمرحلة جديدة من تاريخه، إلا أن الملك فيصل توفي في ٨ سبتمبر ١٩٣٣م/١٣٥٢هـ فاعتلى

١- عبد العظيم رمضان: تطور الحركة الوطنية في مصر من سنة ١٩١٨ إلى ١٩٣٦م، ط٢ (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٨٣م)، ص ص٥٧، ١٣٠، ٣٤٣، ٧٩٣.

٢- هنري فوستر: نشأة العراق الحديث، ترجمة: سليم طه التكريتي (بغداد: دار الفجر للنشر، ١٩٨٩م)، ص ص٧٥، ٩٢، ٩٧.

* الملك فيصل الأول (١٨٨٥-١٩٣٣م): ابن الشريف حسين بن علي أمير مكة، تلقى تعليمه في الأستانة وانتخب عضواً في مجلس المبعوثان العثماني، لعب دوراً أبان الحرب العالمية الأولى من خلال اتصاله بالجمعيات السرية العربية في المشرق العربي، رأس الجيش العربي الذي دخل دمشق حتى سقطت دمشق بيد الفرنسيين، مثل العرب في مؤتمرات السلم بعد الحرب العالمية الأولى، ولاه الإنجليز مُلك العراق بعد سقوط حكمه في دمشق (١٩٢١-١٩٣٣م) - الموسوعة السياسية، جـ٤، ص٦٨٠.

عرش العراق ابنه الملك غازي الأول* الذي وقع على كاهله تحقيق أماني العراقيين الوطنية والقومية للتخلص من سيطرة النفوذ البريطاني عليه[١]. في ظل ظروف داخلية ودولية حرجه.

وفي **شرق الأردن**، أنشئت إمارة شرق الأردن في المنطقة الممتدة إلى الشرق من نهر الأردن وكانت هذه المنطقة ضمن مناطق النفوذ البريطانية في معاهدة سايكس – بيكو وفي مؤتمر سان ريمو ١٩٢٠م/١٣٣٩هـ أعطيت لبريطانيا حق الانتداب عليها. وبذلك حققت بريطانيا الوحدة الاستراتيجية التي تنشدها وأصبح لها الإشراف الكامل على الطريق البري الذي يصل بين الخليج العربي والبحر الأبيض المتوسط وفي مؤتمر القاهرة ١٩٢٠م رشح الأمير عبد الله بن الشريف الحسين** ليتولى إمارة شرق الأردن[٢].

ثم صدر قرار عصبة الأمم بالموافقة على وثيقة انتداب بريطانيا على فلسطين بما فيها شرق الأردن في يوليه ١٩٢٢م/١٣٤١هـ وقامت فيها حكومة دستورية دخلت في صراع مع سلطات الانتداب البريطاني للتخفيف من تدخل المندوب السامي البريطاني بكمان في الشئون الأردنية الإدارية والمالية والعسكرية، وبدأت مفاوضات مع السلطة البريطانية حول عقد اتفاق بين الطرفين وتم ذلك عام ١٩٢٨م/١٣٤٧هـ، إلا أنه لم يف بمطالب الأردنيين فسعوا لتعديل المعاهدة، وتم ذلك بعد زيارة الأمير عبد الله للملك جورج الخامس*** في لندن عام ١٩٣٤م/١٣٥٣هـ وتباحثه مع الحكومة البريطانية في ملحق لاتفاق ١٩٢٨م/١٣٤٧هـ وأبرم الاتفاق في ١٩٣٥م/١٣٥٤هـ[٣].

...

* الملك غازي بن فيصل (١٩١٢-١٩٣٩م): ملك العراق، ابن الملك فيصل وأبو الملك فيصل الثاني، ولد ونشأ في مكة، قصد بغداد عام ١٩٢٤م بعد تسميته ولياً لعهد المملكة العراقية، أوفد إلى هارو في إنجلترا للدراسة فأقام فيها سنتين عاد بعدها إلى العراق، نودي ملكاً إثر وفاة والده، شجع بكر صدقي في انقلابه ١٩٣٦-١٩٣٧، قتل إثر حادث على اصطدام لسيارته. – الموسوعة السياسية، جـ٤، ص٢٨٣.

١-عبدالرحمن البزاز: العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، ط٤، (لندن: دار البراق، ١٩٩٧م)، ص ص٧٧، ١٧٥.

** الملك عبدالله بن الحسين (١٨٨٢-١٩٥١م): ملك الأردن، ولد بمكة، والده الشريف حسين بن علي، قاد حملات من الجزيرة العربية لمساعدة البريطانيين في الحرب العالمية الأولى، اختارته بريطانيا أميراً على شرق الأردن عام ١٩١٩م، مُنح استقلالاً ذاتياً في ١٩٢٣م، لقب بملك المملكة الأردنية الهاشمية عام ١٩٤٦م، اغتيل عام ١٩٥١م.- الموسوعة العربية الميسرة، ص١١٧٨.

٢- كامل محمود خله: التطور السياسي لشرق الأردن ١٩٢١-١٩٤٨م (طرابلس: المنشأة العامة للنشر، ١٩٨٣م)، ص ص٣٧، ٨٦.

*** جورج الخامس (١٨٦٥-١٩٣٦م)George V: ملك وإمبراطور بريطاني، ابن الملك إدوارد السابع، خدم في سلاح البحرية (١٨٧٧-١٨٩٢) وعندما اعتلى العرش، أبدى احتراماً للنظام البرلماني فقام بوظيفته كملك دستوري وحسب، أبدى اهتماماً خاصاً بالإمبراطورية الهندية التابعة لبريطانيا، وكان الإمبراطور الوحيد الذي زارها أثناء تربعه على العرش. – الموسوعة السياسية، جـ٢، ص١١٧.

٣- منيب الماضي، سليمان موسى: تاريخ الأردن في القرن العشرين ((د.ن)، ١٩٥٩م)، ص ص٢٧٩، ٣٥٤.

وفي **فلسطين**، شرعت بريطانيا بتنفيذ مخططها الاستعماري الذي يحقق أهداف الصهيونية ووفاء لوعد بلفور بدخول القوات البريطانية واحتلال فلسطين عام ١٩١٨م/١٣٣٧هـ وأقاموا فيها إدارة بريطانية عسكرية، ثم أصدرت عصبة الأمم الموافقة على وثيقة انتداب على فلسطين أدمجت فيها الانتداب بوعد بلفور فاستبدلت بالإدارة العسكرية إدارة مدنية يرأسها السير هربرت صموئيل* كمندوب سامي بريطاني في القدس ومن خلال الانتداب نفذت بريطانيا التزاماتها مع اليهود؛ ففتحت باب الهجرة إلى فلسطين وعملت على تهويد فلسطين، فقام الفلسطينيون بالاحتجاج و المعارضة السلمية ثم الثورة ضد الدولة المنتدبة وسياسة الصهيونية مما دفع الحكومة البريطانية إلى قمع هذه الثورات المسلحة، وبدأت تشكيل عدة لجان** للنظر في المسألة الفلسطينية وتهدئة مشاعر الفلسطينيين والعرب خارج فلسطين(١).

أما في **الخليج العربي**، فقد كانت المنطقة قاعدة أساسية من قواعد سياسة بريطانيا الإمبراطورية، وحلْقة هامة من حلقات استراتيجيتها العامة، وازدادت هذه الأهمية بعد كشف البترول. لذلك سعت لحماية الخليج والسيطرة عليه، فعقدت عدة معاهدات حماية مع مشائخها، فعقدتها مع الكويت عام ١٨٩٨م/١٣١٦هـ، ومع عمان و مسقط عام ١٨٩١م/١٣٠٩هـ، ومع مشيخات الخليج العربي (الإمارات لاحقا) عام ١٨٩٢م/١٣١٠هـ، و مع البحرين*** عام ١٨٨٠م/١٢٩٨هـ، ومع قطر عام ١٩١٦م/١٣٣٥هـ. وبذلك قاومت بريطانيا أية محاولة من جانب أية دولة أوروبية**** لمد نفوذها على المنطقة بشكل يتعارض مع المصالح البريطانية وأحكمت سيطرتها على المنطقة(٢).

---

* هربرت صموئيل (١٨٧٠-١٩٦٣م): سياسي بريطاني يهودي صهيوني، أول مندوب سام بريطاني في فلسطين، اتبع سياسة مؤيده للصهيونية رغم المعارضة العربية القوية لتعينه ولسياسته. - الموسوعة السياسية، جـ٣، ص٦٤٥.

** من أبرزها لجنة هيكرافت عام ١٩٢١م ولجنة شو ١٩٣٠م.

١- كامل محمود خله: فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢-١٩٣٩م (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٧٤م)، ص ص١٧٩، ٢٠٠.

*** أصبحت البحرين مقر المعتمد البريطاني في الخليج يقيم في المنامة وفيها مطار تديره شركة الخطوط الجوية البريطانية لما وراء البحار وهي بذلك مركزاً للطيران العسكري والمدني البريطاني.

**** روسيا، فرنسا، ألمانيا، بالإضافة إلى إيران.

٢- جمال زكريا قاسم: الخليج العربي ١٩١٤-١٩٤٥م (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٣م)، ص ص١، ٤٠.

المملكة العربية السعودية، ارتبطت بريطانيا بعلاقات صداقة مع الملك عبد العزيز آل سعود* قبل إعلان المملكة العربية السعودية (التي شملت نجد والحجاز و الأحساء وعسير) في ١٨ سبتمبر ١٩٣٢م/١٣٥١هـ، وكانت تعرف من قبل بمملكة الحجاز ونجد وملحقاتها وكانت من الدول العربية المستقلة استقلالاً كاملاً، زادت أهميتها لبريطانيا بعد اكتشاف البترول في الثلاثينيات، عقدت معها بريطانيا معاهدة القطيف عام ١٩١٥م/١٣٣٤هـ، واستبدلتها بمعاهدة جدة عام ١٩٢٧م/١٣٤٦هـ، واعتبرت هذه المعاهدة اعترافا من بريطانيا بمكانة الملك عبد العزيز أل سعود السياسية واستقلاله التام. واهتمت الحكومة البريطانية بالحصول على امتيازات تنقيب واستغلال الموارد المعدنية والبترولية للمملكة العربية السعودية[١]. وقد حمى الملك عبد العزيز مملكته من كل أطماع استعمارية.

وفي **اليمن**، حرصت بريطانيا على إقامة علاقات ودية مع الإمام يحي بن حميد الدين** ملك المملكة المتوكلية اليمنية، الذي كانت سياسته الخارجية تعتمد على مبدأ العزلة، إلا أن مطالب الإمام يحي في النواحي التسع المحمية المتاخمة لعدن و إصراره على أنها جزء لا يتجزأ من اليمن كان له أثر كبير في فشل أية مفاوضات بينه و بين البريطانيين، وقد تشدد معه البريطانيين بعد تقربه من الإيطاليين الذين عقد معهم معاهدة صداقة عام ١٩٢٦م/١٣٤٥هـ[٢]. وتحول الأمر إلى قيام الحرب بينهما في عام ١٩٢٨م/١٣٤٧هـ، ونتيجة لازدياد أطماع إيطاليا في الحبشة ولرغبة بريطانيا في تهدئة الأحوال في المنطقة، قامت بريطانيا بمفاوضة الإمام يحي ونجح الطرفان في التوصل إلى

---

* الملك عبدالعزيز آل سعود (١٨٨٠-١٩٥٣م): مؤسس المملكة العربية السعودية، بدأ حياته السياسية باستعادة الرياض ١٩٠٠م، أعلن في ١٩٣٢م إقامة المملكة العربية السعودية، توفي عام ١٩٥٣م. - الموسوعة العربية الميسرة، ص١١٨٣.

١- أمين سعيد: تاريخ الدولة السعودية (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، (د. ت))، جـ٢، ص١٩٥.

** الإمام يحي بن حميد الدين (١٨٦٨-١٩٤٨): ملك اليمن، ولد بصنعاء، تولى بعد وفاة والده عام ١٩٠٤م، بعد استسلام حامية صنعاء العثمانية، أنهى حكم العثمانيين في اليمن، وحكم المملكة المتوكليه اليمنية حتى مقتله. - الموسوعة العربية الميسرة، ص١٩٧٩.

٢- مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث (القاهرة: مكتبة سعيد رأفت، ١٩٧١م)، ص٢٩٦.

عقد معاهدة صداقة وتعاون متبادل في فبراير عام ١٩٣٢م[١]. إلا أن المعاهدة لم تتوصل لحل مسألة الحدود الجنوبية لليمن.

وقد اهتم البريطانيون بالسيطرة على منطقة **الجنوب العربي**، فعقدوا معاهدة تجارية مع سلطان لحج وعدن عام ١٢١٧هـ/١٨٠٢م، ثم احتلوا ميناء عدن عام ١٨٣٩م/١٢٥٥هـ[٢]. وتتكون مستعمرة عدن من ميناء عدن و جزيرة بريم (التي أعادوا احتلالها عام ١٨٥٧م/١٢٧٤هـ) وجزر كوريا موريا* (التي استولوا عليها عام ١٨٥٤م/١٢٧١هـ) وتتبعها من الناحية الإدارية جزر كمران شمال جزيرة بريم (التي استولوا عليها عام ١٩١٥م/١٣٣٤هـ)[٣]. كما عمدت بريطانيا إلى بسط نفوذها على منطقة المحميات الجنوبية وإلى عقد معاهدات متتالية مع شيوخ المنطقة عام ١٨٣٨م/١٢٥٤هـ، ١٨٤٨م/١٢٦٥هـ، ١٨٨٠م/١٢٩٨هـ، ١٨٨١م/١٢٩٩هـ[٤]. مكنتها من مد نفوذها عليها، وخاضت بريطانيا مع الأمام يحي حرباً في ١٩٢٨م/١٣٤٧هـ بسبب الاختلاف حول الحدود بين المحميات وأملاك اليمن. وكانت عدن تتبع في إدارتها حكومة الهند عام ١٩٣٢م/١٣٥١هـ وأصبحت عدن قاعدة بحرية وجوية هامة للنفوذ البريطاني، وفي عام ١٩٣٧م/١٣٥٦هـ أصبحت تحت إشراف حاكم الهند العام مباشرة. ومنذ أول أبريل ١٩٣٧م أصبحت إحدى مستعمرات التاج البريطاني[٥]. وعقدت بريطانيا مع سلاطين وأمراء ومشايخ المحميات** ميثاق التضامن عام ١٩٣٠م/١٣٤٩هـ لتأكيد سيطرتها وإعادة الهدوء إلى المحميات وذلك على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتشكيل مجلس تحكيم لحل مشكلات المحميات بصورة ودية[٦].

١- سيتون وليمز: بريطانيا والدول العربية، ترجمة: أحمد عبد الرحيم مصطفى (القاهرة: الانجلو المصرية، ١٩٥٢م)، ص ص٢٠٣، ٢٠٤.

٢- أحمد فضل العبدلي: هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن (بيروت: دار العودة، ١٩٨٠م)، ص ص١٣٦، ١٤٥.

* تتبع جزر كوريا موريا في إدارتها للمقيم الإنجليزي في الخليج العربي.

٣- حسين فوزي النجار: بريطانيا والجنوب العربي (القاهرة: المكتبة الثقافية، ١٩٦٧م)، ص٣٧.

٤- أحمد فضل العبدلي: هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، ص ص١٤٨، ١٥٢، ١٦٦، ١٧٤.

٥- حسين فوزي النجار: بريطانيا والجنوب العربي، ص٤١.

** سلاطين وأمراء ومشايخ و الحواشب وردفان ويافع وأبين وأحور والعوالق العليا والضالع والظاهر.

٦- أحمد فضل العبدلي: هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، ص٢٨٨.

وكذلك اتجهت بريطانيا إلى مد نفوذها في منطقة شرق أفريقيا[*]، فبسطت نفوذها على جزء من **الصومال**، وسيطرت على كل من بربره وبلهار وزيلع[١]. وكونت منها ما سمى بالصومال البريطاني. وبذلك سيطرت بريطانيا على الساحل الأفريقي المواجه لميناء عدن، وقامت بالتفاهم مع كل من إيطاليا وفرنسا لتحديد نفوذ كل منهم في أقسام الصومال. إلا أن أبناء الشعب الصومالي[**]. لم يستسلم لهذا التقسيم الاستعماري في أراضيه فثار في سبيل الحرية والوحدة[٢]. وانتقلت الحركة الوطنية التي قام بها محمد عبدالله حسن من طور الحركات الانفرادية القبلية إلى مرحلة الحركة التعاونية الحديثة[***] عام ١٩٢٨م/١٣٤٧هـ[٣]. لمقاومة الاستعمار في الصومال، وبذلك أكدت بريطانيا نفوذها في العالم العربي وسعت لحمايته من أي قوى منافسه تؤدي إلى تهديد مصالحها، ومن أهم هذه القوى إيطاليا التي تركزت مصالحها الاستعمارية في الوطن العربي في منطقتي شمال وشرق أفريقيا.

ولقد تأخر نزول الإيطاليين إلى ميدان الاستعمار أسوة بباقي دول أوربا كبريطانيا وفرنسا إلى ما بعد توحيد إيطاليا تحت تاج مملكة بيدمونت في فبراير عام ١٨٦١م/١٢٧٨هـ واكتمال الوحدة الإيطالية بضم البندقية وروما لهذه المملكة عام ١٨٧١م حيث تطلعت إلى بسط نفوذها فيما وراء البحار لتؤسس مستعمرات تتبوأ بها مكانتها كدولة كبرى لتعيد مجد روما القديم[****]. وسعت إلى تحقيق ذلك في مؤتمر برلين حيث طمعت في أن يكون لها نصيب في أملاك الإمبراطورية العثمانية في البحر المتوسط متمثلة في تونس إلا أن قيام فرنسا بسبقها في احتلال تونس دفع الإيطاليين إلى توجيه سياستهم الاستعمارية إلى ساحل أفريقيا الشرقي[٤].

---

[*] سيطرت بريطانيا على شرق أفريقيا وتشمل على (زنجبار وكينيا وأوغندة) وسميت بأفريقيا الشرقية البريطانية.

١- جلال يحي: التنافس الدولي في بلاد الصومال (القاهرة: دار المعرفة، ١٩٥٩م)، ص ص١٠٣، ١٣٩، ١٩٥.

[**] قامت عدة ثورات ضد البريطانيين من أهمها الحركة التي تزعمها السيد محمد عبد الله حسن استمرت ١٨٩٩-١٩٢٠م.

٢- راشد البراوي: الصومال الكبير (القاهرة: الانجلو المصرية، ١٩٦١م)، ص ص٤٣، ٤٦.

[***] تأسست عدة جمعيات سياسية ثقافية تحت اسم الجمعيات الخيرية وعملوا في الخفاء على قيادة الحركة الوطنية لمقاومة النفوذ البريطاني في الصومال.

٣- أحمد برخت ماح: وثائق عن الصومال والحبشة وإريتريا (القاهرة: شركة الطوبجي للنشر، (د. ت))، ص٢١٣.

[****] انظر الخريطة رقم (٥)، ص ٥٣١.

٤- السيد رجب حراز: التوسع الإيطالي في شرق أفريقيا وتأسيس مستعمري إريتريا والصومال (القاهرة: مطبعة جامعة القاهرة،١٩٦٠م)، ص ص١٩، ٣٠.

وقد بدأ الاهتمام الإيطالي الاستعماري قبيل قيام الوحدة الإيطالية سواء عن طريق رجال التنصير* أو المستكشفين الجغرافيين** ، ومن أهم العوامل التي أدت إلى إثارة اهتمام الساسة الإيطاليين هو فتح قناة السويس فبدءوا بتنفيذ سياستهم الاستعمارية في ساحل شرق أفريقيا(١).

وكان السينور مانشيني Senior Mancini وزير الخارجية الإيطالي من أبرز رجال الحكومة الإيطالية اهتماما بتنفيذ المشروعات الاستعمارية وكان مشروعه يهدف إلى: "الاستيلاء على مفاتيح البحر المتوسط في البحر الأحمر".

"The Keyes of the Mediterranean are in the Red Sea"(٢).

وقد اعتمد مانشيني على مساعدة بريطانيا وتأييدها لتنفيذ هذا المشروع خاصة بعد احتلال البريطانيين لمصر، حيث تحولت بريطانيا إلى تشجيع النفوذ الإيطالي لمواجهة الأطماع الفرنسية في المنطقة فكان ميناء عصب أول نواة للنفوذ الإيطالي في الساحل الأفريقي ومنطلقا للتوسع فيها وتحولت إلى مستعمرة عصب Colonia De Assab عام ١٨٨٢م/١٣٠٠هـ ، كما قامت إيطاليا باحتلال مصوع في عام ١٨٨٥م/١٣٠٣هـ ورفعت عليها العلم الإيطالي وكان ذلك الخطوة الأولى لتنفيذ مشروع مانشيني الاستعماري(٣).

كما استولت القوات الإيطالية على شريط ساحلي ضيق يصل بين عصب و مصوع، استولوا على أسمره وجعلوها قاعدة لمستعمره جديدة هي مستعمرة إريتريا Eritrea عام ١٨٩٠م/١٣٠٨هـ(٤). واستمر الزحف الإيطالي في عام ١٨٨٤م/١٣٠٢هـ لاحتلال بقية الساحل الجنوبي لخليج عدن بعد نهاية حدود

---

* من أشهر المنصرين الإيطاليين الذين كان لهم دور بارز في وضع نواة الاستعمار الإيطالي في شرق أفريقيا القس جوزيف سابيتو ويرجع له الفضل في تأسيس مستعمرة عصب.

** من أهم رواد الاستكشافات الإيطاليين كارلو بياجا Carlo Piaggia الذي زار تونس ومصر، والرحالة رومو لو جيسي Romulo Gessi الذي زار السودان.

١- Marston. E. Thomas: Bretatin's Imperial Role In the Red Sea Area 1800-1878, (U.S.A: The Shoe String Press Inc/ Hamed. Counectient (N.d)). P. 393.

٢- Lowe. C.J Marzari, Italian Foreign Policy 1870 – 1940 (London: Rouledge and Kegan Paul, 1975) PP. 28,35.

٣- السيد رجب حراز: التوسع الإيطالي في شرق أفريقيا، ص ص٤٤، ١٥٢، ١٧١.

٤- زاهر رياض: استعمار أفريقيا، (القاهرة: الدار القومية للنشر، ١٩٦٥م)، ص٢٢٦.

الصومال البريطاني عند نقطة بنادر زيادة والساحل الصومال إلى نهر جوبا وفي عام ١٨٨٩م/١٣٠٧هـ سيطروا على سلطنة أوبيا ثم سلطنة ميجورتين. وعقدت عدة اتفاقيات بين الإيطاليين والبريطانيين لتحديد منطقة حدود النفوذ الإيطالي والبريطاني في منطقة الصومال عام ١٨٩١م و ١٨٩٤م/ ١٣٠٩و١٣١٢هـ(١).

وبعد أن ثبتت إيطاليا نفوذها على الساحل الأفريقي اتجهت إلى الحبشة حيث حدث صدام بينها والأحباش عام ١٨٨٧م/ ١٣٠٥هـ هزم على أثرها الإيطاليون عند دوجالي. فعقد على أثرها الصلح بينها بواسطة البريطانيين، واحتل الإيطاليون معظم مقاطعة تيجري فتحكموا في الطريق الجبلية المؤدية إلى الحبشة. وكذلك عقدت بينهما معاهدة صداقة هي معاهدة أوتشالي Uccialli عام ١٨٨٩م/١٣٠٧هـ وكان لهذه المعاهدة دور كبير في تاريخ العلاقات الإيطالية الحبشية لفترة طويلة من الزمن وذلك لاختلاف الطرفين في تفسيرها ،وإن كانت تؤكد أطماع إيطاليا الاستعمارية في الحبشة. وقد شهدت الحبشة ما بين عامي١٨٩٥–١٨٩٦م/ ١٣١٣ -١٣١٤هـ حرباً بين الطرفين سميت بـ "الحرب الإيطالية - الحبشية" حيث اصطدمت القوتان العسكريتان في موقعة أمبا الاجي عام ١٨٩٥م انتهت بهزيمة الإيطاليين، ثم هزموا في موقعه "عدوه" عام ١٨٩٦م/ ١٣١٤هـ. وتعتبر هذه الموقعة من المواقع الفاصلة في الحرب الإيطالية الحبشية وانتهت الحرب بتوقيع معاهدة في أديس أبابا عام ١٨٩٦م(٢).

ومن أهم نتائج هزيمة الإيطاليين في عدوه توقف التوسع الاستعماري الإيطالي في الحبشة في الفترة الباقية من القرن التاسع عشر الميلادي، حيث انصرف الإيطاليون إلى دعم سيطرتهم في مستعمرتي إرتريا والصومال(٣).

وبذلك تكون بريطانيا ساعدت على تمكين النفوذ الإيطالي في الساحل الأفريقي الشرقي وعلى ساحل الصومال المطل على المحيط الهندي، واعترفت بهذا النفوذ لأنه يحقق

١- محمد فؤاد شكري: مصر والسودان تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر ١٨٢٠م – ١٨٩٩م، ط٣، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٣م)، ص ص٤٠٢، ٤٠٣.

٢- فتحي غيث: الإسلام والحبشة عبر التاريخ، (القاهرة: النهضة المصرية، (د.ت))، ص ص٢٤٧، ٢٥٠.

٣- السيد رجب حراز: التوسع الإيطالي في شرق أفريقيا، ص٤٧٧.

لها أغراضها السياسية التي ترتكز على ثلاثة أهداف: **أولها**: وقوف الإيطاليين سدا قويا أمام المهدي في الشمال، **وثانيهما**: وقوفهم حاجزاً منيعاً أمام حركة الفرنسيين نحو السودان، **وثالثهما**: الإفادة من الصراع بين الإيطاليين والدراويش والأحباش في توطيد أقدامها في أفريقيا[١]. ولعل هذه الأهداف متجمعة قد خدمت تطور النفوذ الاستعماري الإيطالي لتثبيت أقدامه في المنطقة لوقت طويل.

و قبيل قيام الحرب العالمية الأولى سعت إيطاليا إلى تحقيق مطامعها الاستعمارية في البحر المتوسط وتركزت على ليبيا، وذلك بعد أن حققت كل من بريطانيا وفرنسا نفوذهما الاستعماري في مصر وتونس. فبدأت الحكومة الإيطالية منذ عام ١٩٠٠م/١٣١٨هـ بالتفاهم مع فرنسا لتعين مصالحهما في البحر المتوسط، وأبدت إيطاليا رفضها لكل تدخل أجنبي في شؤون مراكش مقابل تنازل فرنسا عن أي أطماع لها في ليبيا، وكذلك توصلت إيطاليا إلى تفاهم مع بريطانيا على مسائل البحر المتوسط. وتأكد التقارب الإيطالي – الفرنسي في مؤتمر الجزيرة، وأخذت اعترافا من بريطانيا بالمصالح الإيطالية في ليبيا. وفي ١٣ ديسمبر ١٩٠٦م/١٣٢٤هـ تم عقد الاتفاق الثلاثي الإيطالي الفرنسي – البريطاني لتعين مناطق النفوذ الاقتصادي لهذه الدول في البحر الأحمر إنجلترا في وادي النيل، وفرنسا فيما وراء الساحل الصومال، وإيطاليا في إريتريا والصومال والمنطقة التي تربط هاتين المستعمرتين بأديس أبابا[٢].

وبعد أن ضمنت إيطاليا موقف الدول الأوربية المؤيد لنفوذها في ليبيا وبتعزيز مؤسساتها الاقتصادية والثقافية في ليبيا، قامت باحتلال ليبيا عام ١٩١١م/١٣٢٩هـ فيما عرف" بالحرب الطرابلسيه" ضد الدول العثمانية فيمابين١٩١١-١٩١٢م وكان من أهم نتائجها توقيع الإيطاليين والعثمانيين معاهدة أوشي Oushy ١٩١٢م/١٣٣١هـ سحبت على أثرها الدولة العثمانية قواتها من ليبيا ومنحتها الاستقلال الداخلي. فسيطرت القوات الإيطالية على طرابلس

---

١ – عاطف السيد: البحر الأحمر والعالم المعاصر، ط٢، (القاهرة: دار عطوة، ١٩٨٣م)، ص٩٣.

٢ – على محافظة: موقف الدول الكبرى من الوحدة العربية، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية ١٩١٩–١٩٥٦م (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٨م) ص٢٧.

وسعت إلى فرض نفوذها في أنحاء الأراضي الليبية، ووقفت أمام جهاد الليبيين والحركة السنوسية بقيادة السيد أحمد الشريف السنوسي* ضد الاستعمار(١).

وعند قيام الحرب العالمية الأولى اتخذت إيطاليا موقفا حياديا من الحرب إلا أنها ما لبثت أن دخلت الحرب إلى جانب فرنسا وبريطانيا في ٢٣ مايو ١٩١٥م/١٣٣٤هـ على أثر توقيعها اتفاقية لندن السرية** في ٢٦ أبريل ١٩١٥م التي عينت شروط دخول إيطاليا الحرب. حيث حددت المادة الثالثة عشرة المطالب الإيطالية الاستعمارية في أفريقيا في حالة توسيع الممتلكات الاستعمارية لفرنسا وبريطانيا في أفريقيا على حساب ألمانيا، وستعترف هاتان الدولتان مبدئيا بحق إيطاليا بتعويضات مماثلة، وبخاصة تسوية المسائل المتعلقة بحدود المستعمرات المجاورة لممتلكات فرنسا وبريطانيا العظمى — في إريتريا والصومال — لصالحها(٢).

إلا أن الإيطاليين لم يحصلوا عقب نهاية الحرب العالمية الأولى على كافة مطالبهم التي تضمنتها اتفاقية لندن أو غيرها*** فعلى الرغم من تمسكهم خلال مؤتمر الصلح باتفاقية لندن وبالتعويضات الاستعمارية لإيطاليا بضم الصومال الفرنسي والصومال الإنجليزي فإنهم حصلوا على وعود من فرنسا وبريطانيا بشأن الحدود الليبية مع مصر وتونس وتشاد، ووافق المندوب البريطاني على التنازل عن واحة جغبوب عند تعديل الحدود الليبية المصرية، وحصلت على بعض التنازلات المحدودة من قبل بريطانيا وفرنسا على حدود الصومال الفرنسي البريطاني — الإيطالي.

---

* أسس السيد محمد بن علي السنوسي في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي في بلاد الجزائر بغية إصلاح حال المسلمين ومقاومة الاستعمار الأوربي في العالم الإسلامي صادفت دعوته نجاحا وفي عام ١٨٥٦م انتقل السنوسي الكبير إلى واحة جغبوب واستقر فيها وأسس زاويته الأولى في مدينة البيضاء بالجبل الأخضر، وفي عام ١٩٠٢ تولى السيد أحمد الشريف السنوسي الكبير بصفته وصيا على السيد محمد إدريس فأضطر إلى توجيه نشاطه ضد الغزو الإيطالي لليبيا.

١ ـ حسن سليمان محمود: ليبيا بين الماضي والحاضر، (القاهرة: مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٢م)، ص ص٢١٩، ٢٢٧.

** تضمنت الاتفاقية مطالب إيطاليا الاستعمارية في أفريقيا وآسيا الصغرى ومنطقة دلماسيا على بحر الإدرياتيك وظلت المعاهدة سرية كشف البلاقنة الروس عنها في أواخر عام ١٩١٧م ضمن باقي الاتفاقيات السرية التي عقدت وتختص بالسياسيات الاستعمارية في أملاك الدولة العثمانية لكل من فرنسا وروسيا.

٢- Hurewitz j.c. Diplomacy in The Near and Middle East a Documentary Record 1535-1956 Archive Editions. (England: Gerrards Gross, 1987), Volume I, P.P. 11, 12.

*** فاتفاقية سان جان دي موريان Saint- Jean- De- Maurienne عام ١٩١٧م التي تضمنت مطالب إيطاليا في منطقة أضاليا في جنوب الأناضول.

وعلى الرغم من أن الوفد الإيطالي أثار في مؤتمر الصلح العلاقات التي تربط إيطاليا بالعالم الإسلامي وممتلكات إيطاليا الإسلامية في ليبيا وعلى البحر الأحمر واهتمامها الخاص بالمنطقة العربية لتبرر أطماعها فيها كعملها التنصيري والاقتصادي وإقامة الكثير من مواطنيها فيها. إلا أن بريطانيا وفرنسا لم تبد اهتمامها بهذه المطالب الإيطالية حتى عندما تحفظت إيطاليا على الأماكن المقدسة في فلسطين مما جعل الإيطاليون يركزون على مطالبهم في آسيا الصغرى وأوربا*. وفي مؤتمر الصلح أيضا لم تحصل إيطاليا عند توزيع مناطق الانتداب -على الرغم من احتجاج وفدها – على أي منطقة انتداب فيما حظيت كل من بريطانيا وفرنسا بالنصيب الأكبر(١). فأثار ذلك ردود فعل سلبية داخل إيطاليا ضد الحكومة، مما مهد إلى نجاح الحركة الفاشية لاستلام الحكم في إيطاليا والتي اعتبرها الكثيرون مُنقذاً لإيطاليا.

فقد أحسن بينتو موسوليني** استغلال الاضطرابات الداخلية في إيطاليا وأسس "الحزب الفاشستي"*** وأعلن هجومه على نظم الماضي بهدف القيام بالتجديد وأعلن إرادته في الدفاع عن المصالح القومية في حقل السياسة الخارجية وذلك حتى تستطيع إيطاليا- على حد قوله – الحصول على ما أسماه بـ "الثمرات التامة للنصر الذي ساهمت به". فطلب منه الملك الإيطالي فيكتور عمانويل الثالث Victor Emmanual III تشكيل الحكومة، فكان ذلك انتقالا لموسوليني من ميلانو إلى روما عام ١٩٢٢م/١٣٤١هـ، فسعى موسوليني إلى توطيد النظام الفاشي في إيطاليا وجمع كل

---

* حصلت على بعض جزر الدوديكانيز وبعض الامتيازات في أضاليا، وجزيرة رودس وكاستللوريزو.

١- علي محافظة: موقف الدول الكبرى، ص ص١٠٠، ١٠٢.

** بينتو موسوليني (١٨٨٣-١٩٤٥م): دكتاتور إيطالي، وزعيم الحزب الفاشستي في إيطاليا، أنشأ الحزب الفاشي الوطني المتطرف بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وحول حكومته إلى دكتاتورية، أدت سياسته الاستعمارية العدوانية إلى إعلانه الحرب على إثيوبيا وغزوها (١٩٣٥-١٩٣٦م) والتدخل في الحرب الأهلية الأسبانية ١٩٣٦-١٩٣٧م)، انضم إلى ألمانيا ١٩٣٩م، دخل الحرب العالمية الثانية إلى جانب هتلر، فشلت مغامراته الحربية بسقوطه فقبض عليه في يوليو ١٩٤٣م، أنشأ حكومة شمال إيطاليا بمساعدة ألمانيا، أعدم رمياً بالرصاص، وبذلك انتهت محاولته لإعادة الإمبراطورية الرومانية. – الموسوعة العربية الميسرة، ص١٧٨١.

*** تحولت الحركة الفاشية التي أنشئت عام ١٩١٩م إلى حزب سياسي عام ١٩٢١م.

السلطات بيده فأصبح ينادي بالدوتشي II Duci* ووضع دعائم دولة دكتاتورية جعلت غايتها توطيد القوة الإيطالية في أوربا والعالم(١).

ويقسم بعض المؤرخين فترة حكم الفاشية بقيادة موسوليني لإيطاليا بثلاث مراحل:

الفترة الفاشية الأولى: عام ١٩٢٢-١٩٢٦م/١٣٤١-١٣٤٥هـ وهي الفترة التي تولى فيها موسوليني الحكم في إيطاليا وبدأ فيها بتقوية جبهته الداخلية و تنظيمها من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

والفترة الفاشية الثانية: من عام ١٩٢٦-١٩٣٦م/١٣٤٥-١٣٥٥هـ وهي الفترة التي نظم فيها موسوليني نظام النقابات الداخلية لتقوية نفوذه داخل إيطاليا، وعقد اتفاقيات اللاتيران Lateran Treaties في فبراير عام ١٩٢٩م/١٣٤٨هـ فأقام بذلك علاقات يسودها السلام والوئام مع الفاتيكان، وجاءت شروطها مرضيه جدا للفاتيكان وهي المناسبة التي قال فيها البابا بيوس الحادي عشر: "إن ألد وَتشي رجل أرسله القدر"(٢).

وبمقتضى هذه الاتفاقية اعترفت الحكومة الإيطالية بالفاتيكان كدولة لها منفذ إلى البحر وأقرت بالبابا كشخصية دولية وأعطت للكنيسة حقوقا وامتيازات داخل إيطاليا وهو أمر كانت ترفضه الحكومات السابقة منذ عام ١٨٦٠م/١٢٧٧هـ، وكان لهذا الأمر أثره في إقامة علاقات جيدة بين البابوية و موسوليني لفترة حكمه التي قال عنها موسوليني: "يستطيع المرء في النهاية أن يكون في الوقت نفسه إيطاليا صالحا (أي فاشيا) أو كاثوليكيا صالحا"(٣).

أما الفترة الفاشية الثالثة: من عام ١٩٣٦-١٩٤٥م/١٣٥٥-١٣٦٥هـ، هي الفترة التي صبغت فيها إيطاليا الفاشية بالصبغة النازية التي بدأت بنجاح حملة موسوليني

---

* الدوتشي كلمة مشتقة في الأصل اللاتيني Dux ومعناها الزعيم، ومنها أيضاً جاءت كلمة الدوق والدوج.

١- بيير رنوفن: تاريخ القرن العشرين، ترجمة:د. نورالدين حاطوم، ط٢، (القاهرة: دار الفكر، ١٩٨٠م)، ص ص٢١٧، ٢٣١.

٢- جون كلارك ادمز، بالو باريلي: جمهورية إيطاليا، ترجمة: أحمد نجيب هاشم (القاهرة: الانجلو المصرية، ١٩٦٤م) ص ص٨٧، ٩٢، بالميرو تولياتي: محاضرات في الفاشية، ترجمة: أنطوان صيداوي، ط٢، (بيروت: دار الفارابي، ١٩٨١م)، ص ص٥٨، ٦٤.

٣- جرانت أ، ح، تمبرلي، هارولد: أوروبا في القرنيين التاسع عشر والعشرون ١٧٨٩-١٩٥٠م، ترجمة: محمد على أبودره، لويس اسكندر (القاهرة: مؤسسة سجل العرب، ١٩٧٨م)، جـ٢، ص٣٥١.

ضد الحبشة، وهي مرحلة طغيان الفاشية واستبدادها وتقاربها مع النازية الألمانية، وأدى بها ذلك إلى دخول إيطاليا الحرب العالمية الثانية إلى جانب ألمانيا ومن ثم انهيار موسوليني وإعدامه[١].

وقد تركزت سياسة موسوليني الخارجية على العمل في ثلاثة اتجاهات:

أ/ باتجاه الدانوب: بمعارضته وجود أي نفوذ لأية دولة كبرى خاصة لألمانيا وفرنسا في هذه المنطقة.

ب/ باتجاه البحر الأبيض المتوسط والوطن العربي: لتنفيذ سياستها التي تحقق أطماعها في البحر الأبيض المتوسط وتحويله إلى بحيرة إيطالية في غربي المتوسط عن طريق مد نفوذها إلى طنجة* حيث إن بريطانيا وفرنسا سعتا بعد فرض الإدارة الدولية لطنجة أن تستبعد إيطاليا عن المشاركة في هذه الإدارة، فما كان من إيطاليا إلا أن حرضت أسبانيا للوقوف إلى جانبها للضغط على كل من فرنسا وبريطانيا للحصول على تعديل حصة الدول في إدارة مدينة طنجة، فتحقق لها المشاركة في الإدارة الدولية لها عام ١٩٢٨م، بحجة الوقوف أمام هيمنة فرنسا على النظام الدولي لطنجة. كذلك عن طريق تثبيت نفوذها في ليبيا للقضاء على المقاومة الوطنية ضدها من الشعب الليبي والحركة السنوسية كما حاولت تنفيذ سياستها التوسعية في البحرين المتوسط والأحمر عن طريق مد نفوذها إلى بعض أجراء أثيوبيا ووصل مستعمراتها إريتريا بالصومال الإيطالي عبر الأراضي الأثيوبية[٢].

وواصلت إيطاليا تحت قيادة موسوليني السعي لتحل محل فرنسا في تونس وفرض الحماية عليها بإدعاء أن تونس امتداد طبيعي لروما. مما أثار فرنسا وجعلها تحاول التقارب مع الحكومة الإيطالية لإيقاف الحملة الإيطالية ضدها من داخل تونس وخارجها وكمحاولة لإبعاد إيطاليا عن ألمانيا، فاتفق الطرفان في عام ١٩٣٤م/١٣٥٣هـ على

١- جون كلارك ادامز، بالو باريلي: جمهورية إيطاليا، ص ص٩٢، ٩٣.

* طنجة، مدينة مغربية تقع على مدخل البحر المتوسط لجهة الغرب عند مدخل مضيق جبل طارق تتولى الإدارة الدولية فيها كل من بريطانيا وفرنسا وأسبانيا وإيطاليا، بالإضافة إلى ممثل لسلطان المغرب.

٢- رياض الصمد: تطور الأحداث الدولية، ص ص٢١٨، ٢١٩، ٢٤٦.

تنازل فرنسا عن بعض أراضيها في الصومال الفرنسي وضمها إلى ليبيا، وكذلك عن بعض الأراضي الواقعة على ساحل البحر الأحمر لصالح إيطاليا والتنازل عن بعض أسهم شركة، سكة حديد جيبوتي "لإيطاليا، وتفاهم الطرفان حول المسائل المتعلقة بالإيطاليين المقيمين في تونس[١].

وفي شرقي البحر المتوسط حصلت إيطاليا على بعض جزر الدوديكانيز وعلى جزيرتي رودس* وكاستللوريزو Castello Rizo بموجب اتفاقية لوزان عام ١٩٢٣م/١٣٤٢هـ، وعمل موسوليني على تأسيس قواعد بحرية وجوية فيها لتستطيع إيطاليا أن تقف أمام القواعد البريطانية في هذه المنطقة وهي قبرص وحيفا والإسكندرية ولوضع حد أمام التفوق الفرنسي – البريطاني في البحر المتوسط[٢].

وقد تكررت المطالب الإيطالية في فترة حكم موسوليني من الحكومتين البريطانية والفرنسية بإعادة توزيع الانتدابات بحيث تحصل إيطاليا على نصيبها منها. إلا أن الجهود الإيطالية باءت بالفشل مما دفع إيطاليا إلى بذل جهودها لتعزيز نفوذها في سوريا ولبنان على أمل أن تحل محل فرنسا في الانتداب عليها فقامت بحماية البعثات التنصيرية الكاثوليكية في كل من سوريا ولبنان، وبذلت جهودا في تمويل بعض المؤسسات التعليمية والخيرية والصحية الإيطالية في الشرق العربي، وامتد النشاط الإيطالي إلى الميدان الاقتصادي حيث فتح بنك روما Banco di Roma فرعاً له في بيروت منذ عام ١٩١٩م/١٣٣٨هـ وفروعا متعددة في دمشق وحلب وطرابلس الشام فنافست المصارف الإيطالية نظيرتها الفرنسية. وكذلك افتتحت شركة الملاحة الإيطالية خطوطا بحرية إلى بيروت كالشركة الإيطالية للملاحة البحرية Societa Italiara Di Servizi Maritime Simar.

١- علي محافظة: موقف الدول الكبرى، ص ص٤٣٩، ٤٤٢.

* احتل الإيطاليون الجزيرتين في عام ١٩١٢م، وتأكدت هذه السيطرة عام ١٩٢٣م بعد أن فشلت إيطاليا في الحصول على أي مستعمرات جديدة شرق البحر المتوسط عقب الحرب العالمية الأولى.

٢- بيير رنوفن: تاريخ القرن العشرين، ص٢٧١.

وقد سعت الحكومة الإيطالية للمطالعة بإعادة النظر في الانتداب على سوريا ولبنان منذ عام ١٩٣٢م/١٣٥١هـ ووقف مندوب إيطاليا في لجنة الانتدابات العامة إلى جانب المطالب الوطنية السورية واللبنانية ضد الانتداب الفرنسي. كما عارض رئيس الوفد الإيطالي لدى عصبة الأمم مشروع المعاهدة السورية- الفرنسية عندما عرض على مجلس عصبة الأمم في مايو ١٩٣٤م/١٣٥٣هـ، وأكد على ضرورة بقاء سورية موحدة وإلغاء التجزئة القائمة ورفع الانتداب الفرنسي عليها. كما نددت الصحف الإيطالية بالسياسة الفرنسية في سوريا، مما أثار مخاوف فرنسا من المواقف الإيطالية ضدها و لم تتردد سلطات الانتداب الفرنسية في اتهام الوطنيين السوريين واللبنانيين بالاتصال بالإيطاليين والعمل ضدها. كذلك عمدت إيطاليا إلى تركيز نشاطها في فلسطين وطالبت بضرورة تخلي بريطانيا عن انتدابها في فلسطين ومنحه لإيطاليا وقام ولي عهد إيطاليا بزيارة فلسطين وشرقي الأردن في بداية شهر إبريل عام ١٩٢٨م/١٣٤٧هـ(١). مما عد محاولة إيطالية لإيجاد موطئ قدم لها في بلاد الشام.

جـ/ باتجاه المستعمرات: فقد سعت إيطاليا بأن تحقق بعض مطالبها الاستعمارية عقب الحرب العالمية الأولى ولكنها لم تحقق إلا القليل في البحر المتوسط مما جعل موسوليني يركز جهوده نحو المستعمرات بحجة أن "لديها -أي لإيطاليا- شعبا يتكاثر بسرعة ويحب البقاء". فأجرت الحكومة الإيطالية مفاوضتها مع بريطانيا لاقتسام أثيوبيا بينهما عام ١٩٢٦م/١٣٤٥هـ ومحاولة ربط مستعمراتها في إريتريا بالصومال الإيطالي عبر الأراضي الأثيوبية، إلا أن تردد بريطانيا في التفاهم مع الإيطاليين و أمام معارضة فرنسا و موقف أثيوبيا التي رفضت أطماع إيطاليا في الأراضي الأثيوبية ورفعت شكواها إلى عصبة الأمم دفع الإيطاليون إلى تأجيل هذه الأطماع الاستعمارية بانتظار بناء قوتها الداخلية والعسكرية التي تحقق لها هذه الأطماع ووقعت إيطاليا اتفاقية صداقة وتعاون مع أثيوبيا عام ١٩٢٨م(٢).

١- علي محافظة: موقف الدول الكبرى، ص ص٤٤٩، ٤٥٤.

٢- رياض الصمد: تطور الأحداث الدولية، ص ص٢٢٣، ٢٢٤.

وبذلك نجح موسوليني نسبياً في تحقيق بعض المطامع الإيطاليــة في منطقــة البحــر المتوسط في ليبيا وأثيوبيا وتونس و طنجة، إلا أنة فشل في مواجهة الانتــداب وتأجلــت المشاريع الاستعمارية الفاشية إلى مرحلة مقبلة.

ويلاحظ بأن اتجاه سياسة موسوليني الخارجية لتحقيق أهدافها الاســتعمارية كــان في بدايته على النهج السلمي حيث كتب موسوليني قبيل تــوليه الســلطة في أغســطس عــام ١٩٢٢م/١٣٤١هـ حول التوسع الإيطالي خارج إيطاليا: قائلاً: "لا يعني ذلك غزو الأراضي وإنما يعني توسعاً طبيعياً يؤدي إلى التعاون بين إيطاليا والشعوب الأفريقية وبينهما وبين أمــم الشرقيين الأوسط والأقصى"، وأكد موسوليني بعد توليه السلطة على انتهاج السياسة السلمية في مايو ١٩٢٦م/١٣٤٥هـ: "نحن بحاجة للتوسع فإمبرياليتنا ليست عدوانية الاتجــاه. ولا تعد للحرب...إنها تقوم على السياسة السلمية وحماية مصالحنا..."[١].

وأخذت فترة الاستعداد للجوء إلى القوة تسيطر على موسوليني تــدريجيا، وظهــر ذلك في الخطاب الذي ألقاه في عام ١٩٢٧م قال: "يجب على إيطاليا أن تستعد وتنشــئ قواها العسكرية والبحرية والجوية". وأضاف: "عندما نبلغ بين ١٩٣٥م و١٩٤٠م نقطة الذروة في التاريخ الأوربي نستطيع أن نسمع صوتنا ونجعل الآخرين يعترفون بحقوقنا"[٢]. ويظهر أسلوب اللجوء إلى القوة لتحقيق الأهداف الفاشية الاســتعمارية منــذ بدايــة الثلاثينات وتأكد ذلك في خطاب ألقاه موسوليني في ١٧مايو ١٩٣٠م/١٣٤٩هـ قال: "الكلمات أشياء جميلة جداً ولكن البنادق و الرشاشات والبوارج والطــائرات والمــدافع أجمل..بكثير".

ومنذ وصول الحكومة الفاشية إلى السلطة اهتمت بالمسألة الاستعمارية، وتشكل في وزارة المســتعمرات الإيطاليــة "المكتــب الخــاص بالدراســات والدعايــة" في ٢٣/١٠/١٩٢٢م/١٣٤١هـ للإشراف على الجمعيــات والمعاهــد ذات الأهــداف الاستعمارية والاشتراك في المعارض وتطوير المتاحف التي لها صلة بها، ونشر الدراســات

١- على محافظة: موقف الدول الكبرى، ص٤٣٥.

٢- بيير روفن: تاريخ القرن العشرين، ص٦٧٢.

والكتب الخاصة بالاستعمار، وتعاون هذا المكتب مع المعهد الاستعماري الفاشي الذي اتسع نشاطه خارج إيطاليا وأصبحت له فروع في كل من تونس وبنغازي وطرابلس والإسكندرية والدار البيضاء و ليما و كراكاس ونيويورك وغيرها، كما اهتمت الصحف الفاشية بإصدار مجلات علمية ودعائية التي تؤيد الاستعمار، كما لجئوا إلى التظاهرات لتكوين وعي استعماري لدى الجماهير الإيطالية وإقناع الرأي العام بالمطالب الاستعمارية الفاشية. ومن أبرز هذه التظاهرات تلك التي نُظمت في ٢١ أبريل عام ١٩٢٦م/١٣٤٥هـ بروما على يد وزارة المستعمرات والجمعيات الاستعمارية بمناسبة "يوم الاستعمار"[١]. وقد خدمت هذه الاهتمامات الاستعمارية الأطماع الفاشية لتنفيذ سياستها في الوطن العربي.

وإذ كانت بريطانيا قد سمحت للنفوذ الإيطالي لمد نفوذه في منطقة البحر المتوسط أو شجعته في شرق أفريقيا في الفترة السابقة لحكم موسوليني، إلا أنها بدأت تراقب تطور الأوضاع الداخلية والسياسة الخارجية الاستعمارية الفاشية الإيطالية خاصة بعد أن طالب موسوليني بنصيب إيطاليا من الانتداب والمناطق الاستعمارية، ويلاحظ بأن المطالب الإيطالية ظلت متجهة بقوة نحو فرنسا بينما حرصت إيطاليا على الاحتفاظ بصداقتها مع بريطانيا حتى عام ١٩٢٨م/١٣٤٧هـ، وهو ما أكده وزير الشئون الخارجية البريطاني المستر أوستن تشمبرلن*، ونادى به موسوليني في مجلس الشيوخ الإيطالي في حزيران ١٩٢٨م، وصرح بأن ذلك: "نقطة من النقاط الأصلية لسياسته الخارجية"[٢]. واستمر ذلك حتى بداية الثلاثينيات.

وقد حصلت إيطاليا من الحكومة البريطانية على التنازل عن واحة جغبوب** لصالحها عام ١٩٢٥م/١٣٤٤هـ وتفاهم الطرفان حول مصالحهما في شرق

١- علي محافظة: موقف الدول الكبرى، ص ص٤٣٥، ٤٣٦.

* جوزيف تشمبرلن (١٨٣٦-١٩١٤م) Joseph Shamberlain، سياسي ورجل دولة إمبريالي بريطاني، عمل في الصناعة، انتخب وزيراً للتجارة (١٨٨٠-١٨٨٥)، عين وزيراً للمستعمرات في ١٨٩٥، حيث أولى التوسع الإمبريالي البريطاني في أفريقيا اهتماماً خاصاً. - الموسوعة السياسية، جـ١، ص٧٤٣.

٢- بيير رنوفن: تاريخ القرن العشرين، ص٦٧٢.

** تقع واحة جغبوب إلى الجنوب الغربي من الحدود الليبية المصرية وكان الإيطاليون يصرون على الاستيلاء عليها باعتبارها قاعدة الحركة السنوسية لمقاومة النفوذ الإيطالي في ليبيا.

أفريقيا[١]. إلا أن النفوذ الإيطالي في اليمن قوبل من جانب البريطانيين بالقلق حيث أن النجاح الإيطالي في اليمن شكل مساساً مباشراً بالمصالح البريطانية جنوب الجزيرة العربية. ففيما كانت الحكومة البريطانية تسعى إلى التفاهم مع الإمام يحي عقب الحرب العالمية الأولى[٢]. كان السنيور جاكوبو جاسباريني* Gasparini والي إريتريا قد نجح بزيارته لصنعاء في إيجاد تقارب تجاري سياسي مع الأمام يحي في اليمن، وعقد الطرفان معاهدة ثنائية عام ١٩٢٦م/١٣٤٥هـ[٣]. اعتبرت تتويجا لجهودات إيطاليا في مجال التنافس الاستعماري لبريطانيا ومقدمة مرحلة جديدة من التنافس لتثبيت أقدامها في اليمن ومن ثم في منطقة البحر الأحمر وشرق أفريقيا.

ويعتبر تزايد النفوذ الإيطالي في جنوب الجزيرة العربية تهديدا للنفوذ البريطاني فيها خاصة وأن بريطانيا كانت تعتبر الجزيرة العربية مجالاً خاصاً لنفوذها وتدعي عليه ما يشبه مبدأ "مونرو بريطانيا"، وبرز ذلك بعد جلاء العثمانيين من الجزيرة العربية بعد نهاية الحرب العالمية الأولى[٤]. فأثر ذلك على تشدد بريطانيا إزاء الأمام يحي ومطالبه في محميات جنوب اليمن التي كانت تحت النفوذ البريطاني فقامت الحرب بينهما في فبراير عام ١٩٣٨م/١٣٥٧هـ، وبدأت مباحثات إيطالية – بريطانية للنظر في نفوذ كل منهما في اليمن واتفقا على أن تكون اليمن منطقة نفوذ اقتصادي للإيطاليين لا يزاحم فيها البريطانيون، وعد ذلك فوزاً للسياسة الإيطالية[٥].

بدأت إيطاليا باتخاذ إجراءات لتهدئة البريطانيين إزاء نفوذها في اليمن خاصة بعد فشل محاولاتها لإيجاد موضع قدم لها في جزيرتي كمران وفرسان التي تسيطر عليهما بريطانيا وعقدت محادثات بين الحكومتين في روما عام ١٩٢٧م/١٣٤٦هـ لتحديد مصالح كل منهما في المنطقة وفي البيان المشترك للحكومتين أكدتا على التعاون السياسي

١- عبد الرحمن الرافعي: في أعقاب الثورة المصرية، ط٤، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٧م)، جـ١، ص٣٠٦.

٢- مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث، ص٢٩٩.

* هو أول حاكم فاشستي في إريتريا أوفدته الحكومة الإيطالية لتنفيذ السياسة الاستعمارية في البحر الأحمر بعد أن وطدت مركزها في شرقي البحر المتوسط باحتلال ليبيا.

٣- Hurewitz, OP. Cit., P.P. 146, 147.

٤- LenCzwski, OP. Cit., P. 359.

٥- أمين سعيد: اليمن، تاريخه السياسي منذ استقلاله في القرن الثالث الهجري (بيروت: دار أحياء الكتب العربية، ١٩٥٩م)، ص٤٧.

بينهما في كافة المجالات ولرأب الصدع بين الأطراف المتنازعة الملك عبد العزيز آل سعود والحسن الإدريسي من جانب* والأمام يحي بن حميد الدين من جانب أخر، وكذلك أكدتا على مراعاة مصالح الطرفين في البحر الأحمر وجنوبي الجزيرة العربية وألا يسمحا بأن تقيم أي دولة أوربية لنفسها وجودا على شاطئ البحر الأحمر في الجزيرة العربية، وعلى ضمان الحرية التجارية والاقتصادية على ساحل الجزيرة العربية وجزر البحر الأحمر لكل من مواطني ورعايا الدولتين، وأخيرا اتفق الطرفان على الاحتفاظ بالصلات الودية الوثيقة بينهما في كافة المصالح المتعلقة بالبحر الأحمر وجنوبي الجزيرة العربية وتجنب الخلافات السياسية فيما بينهما أو سوء الفهم من جانب الرؤساء العرب بالنسبة للأمور السياسية التي دعت الحكومتان لإتباعها حيال المناطق المذكورة(١).

وعند اجتياح دول العالم الأزمة الاقتصادية منذ عام ١٩٢٩م/١٣٤٨هـ وتفاقمت في الفترة من ١٩٣٠م إلى ١٩٣٣م/١٣٤٩-١٣٥٢هـ، كان من أهم نتائجها قيام بعض الأنظمة الديكتاتورية في أوربا وغيرها من دول العالم، وذلك بوصول أدولف هتلر** إلى السلطة في ألمانيا وتدعيم بينتو موسوليني لسلطته في إيطاليا اللذين سعيا إلى تغيير الأوضاع القائمة في أوربا بما يخدم مصالح كل منهما. مما أدى في نهاية الأمر إلى قيام صراعات دولية انتهت بقيام حرب عالمية ثانية(٢).

وكان لتسليم هتلر السلطة في يناير عام ١٩٣٣م أثر كبير على الحكومة الإيطالية التي رأت في ذلك دليلا على عودة ألمانيا كقوة عالمية مؤثرة في العلاقات الدولية. وفي استطاعة إيطاليا أن تجعل بريطانيا وفرنسا تقبلان بإعادة النظر في اتفاقيات مؤتمر الصلح،

---

* كان الملك عبد العزيز آل سعود وبناء على معاهدة مكة عام ١٩٢٦م قد أعلن بأن عسير وجزر فرسان تحت الحماية السعودية وبذلك حمت المنطقة من أي محاولة لإيطاليا للسيطرة عليه.

١- Leatherdale. Clive: Britian and Saudi Arabia 1925–1939 (frank Cass. (n. d). P. 144.

** ادولف هتلر (١٨٨٩-١٩٤٥م) دكتاتور ألماني، وزعيم (الفوهرر) الحزب النازي، ومؤسسة الريخ الثالث، ولد في براونا و بالنمسا العليا، انخرط في الجيش البافاري في الحرب العالمية الأولى، أسس وبعض زملائه في ميونخ حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني (الحزب النازي)حاول إحداث انقلاب في حكومة بافاريا وسجن، كتب مؤلفه الشهير (كفاحي)، عينه هندنبورج رئيساً للوزارة الألمانية عام ١٩٣٣م، فأقام حكومة ديكتاتورية صارمة، قادت سياسته الخارجية إلى الحرب العالمية الثانية، أعلن الحرب على الحنفاء ونصب نفسه قائداً للجيش الألماني، بعد هزيمته ألمانيا في الحرب انتحر في برلين، وعين الأميرال دونتز خلفاً له، فسلم للحنفاء دون قيد أو شرط. - الموسوعة العربية الميسرة، ص١٨٩١.

٢- بيير نوفن: تاريخ القرن العشرين، ص٣٣٥.

وقد تجلى ذلك في الاجتماع الذي تم في روما في ١٩ آذار عام ١٩٣٣م بين موسوليني ورمزي مكدونالد* بحجة أن أية اتفاقية لا يمكن أن تدوم فعاليتها إلى الأبد، وأوضح بأن هذا التعديل يجب أن يتفق عليه فيما بين الدول الأوروبية الأربع إيطاليا وفرنسا وألمانيا وبريطانيا، وقد تحفظت فرنسا على مطالب إيطاليا في بداية الأمر، ثم عادت وقبلت بعد أن أضافت الحكومة الإيطالية بعض تعديلات هامة على مطالبها. ونتج عن ذلك توقيع (ميثاق روما) أو (ميثاق الأربعة)** في ٧ يونيو ١٩٣٣م، تعهدت فيه الدول بتطبيق سياسة تعاون فعلي للحفاظ على السلام، واحترام حقوق كل دولة، واحترام ميثاق عصبة الأمم، إلا أن هذا الميثاق باء بالفشل بسبب الغموض الذي رافق بنوده حيث فُسر بعدة أراء متباينة وفشل موسوليني في تعديل اتفاقية الصلح(١).

ونتج عن ذلك أن اتجه موسوليني بعد إخفاق سياسته السلمية لتنفيذ سياسته الفاشية للاعتماد على القوة لتحقيق مطالب إيطاليا عن طريق تقوية جبهته الداخلية، فعمد إلى تطوير برامج إيطاليا الحربية وتسليح الجيش الإيطالي ليكون مستعدا لتحقيق أطماع إيطاليا التوسعية. وقد أعلن موسوليني عن ذلك في أغسطس عام ١٩٣٤م فقال: "على إيطاليا أن تبقى مستعدة للحرب، وأن تسعى لأن تصبح أمة محاربة"(٢).

وبذلك سعى موسوليني في فترة الثلاثينيات بعزم لتصبح لإيطاليا القوة السياسية والعسكرية، ليحقق لبلاده نفوذاً كبيراً داخل أوربا وخارجها لإعادة إحياء الإمبراطورية الرومانية القديمة وتجديد مجد روما، واتجهت أنظار إيطاليا نحو الحبشة لتحقيق هذه المطامع، فيما أقلق بريطانيا تطور نمو القوة الإيطالية في أوربا وانعكاسات ذلك على مصالح كل منهما في البلاد العربية وشرق أفريقيا.

---

* جيمس رامزي مكدونلد (١٨٦٦-١٩٣٧م) سياسي بريطاني، مؤسس حزب العمال، وكان زعيمه في مجلس العموم (١٩١١-١٩١٤م) حتى سحبت عنه الثقة لموقفه المسالم، أول رئيس للوزراء عن حزب العمال ١٩٢٤م، تولى رئاسته الثانية ١٩٢٩م. - الموسوعة العربية الميسرة، ص١٧٣٥.

** فسر نص الميثاق بأشكال متباينة في أوربا من الجانب الإيطالي والفرنسي والبريطاني والألمانية، كما احتجت بعض الدول الأوربية وعلى رأسها بولونيا على عدم أحقية الدول العظمى التصرف دون استشارة باق دول أوربا.

١- بيير رنوفن: تاريخ القرن العشرين، ص ص٣٩٩، ٤٠٢.

٢- رياض الصمد: تطور الأحداث الدولية، ص٢٤٨.

الفصل الأول

سياسة بريطانيا و إيطاليا
في منطقتي شرق أفريقيا والعالم العربي
١٣٥٤هـ-١٩٣٥م / ١٣٥٦هـ-١٩٣٧م

المبحث الأول: شرق أفريقيا و تكوين الإمبراطورية الإيطالية(الحبشة – الصومال – إريتريا).

المبحث الثاني: العالم العربي : شبه الجزيرة العربية (المملكة العربية السعودية-اليمن – عدن و محميات الجنوب – الخليج العربي)، العراق، بلاد الشام(إمارة شرق الأردن – فلسطين – سورية و لبنان)، مصر، السودان، ليبيا.

المبحث الأول

شرق أفريقيا
و تكوين الإمبراطورية الإيطالية
(الحبشة- الصومال- إريتريا).

اتجهت السياسة الخارجية الإيطالية تجاه تحقيق المطامع الإيطالية الاستعمارية بعد أن فشلت سياستها السليمة لتعديل معاهدة الصلح التي عقدت بعد الحرب العالمية الأولى. وفي ظل المتغيرات الدولية في أوربا وتزايد قوة ألمانيا الهتلرية، سعى بنيتو موسوليني إلى تحقيق أطماعه في الحبشة بالقوة بعد أن أتجه منذ بداية الثلاثينات إلى الاستعداد لتحقيقها من اتجاهين.

الأول: بالاستعداد العسكري وتجهيز مستعمرتاه في إريتريا والصومال لاتخاذهما نقطة انطلاق نحو الحبشة.

والثاني: من جهة أوربا ليضمن عدم إعاقة الدول الأوربية لسياسة إيطاليا في الحبشة. خاصة وأن الاهتمام في هذه المرحلة كان يرتكز على رغبة كل من فرنسا وبريطانيا للوقوف أمام تزايد الخطر الألماني في أوربا وأرادوا أن يضمنوا موقف موسوليني إلى جانبهم فكانت الحبشة ثمنا لذلك.

وقد تعددت دوافع إيطاليا لغزو الحبشة، فالإيطاليون لم ينسوا هزيمتهم في "عدوه" أمام الجيش الأثيوبي عام ١٨٩٦م/١٣١٤هـ. وأثر هذه الهزيمة على وقف. نشاطهم الاستعماري في شرق أفريقيا فأرادوا أن يستعيدوا هيبتهم وسمعتهم العسكرية التي تأثرت بها إيطاليا على يد جيش أفريقي لم يستخدم سوى أساليب قتالية اعتبرت قديمة جدا بمقارنتها بالقوات الإيطالية آنذاك(١).

كما أن الفاشيين عندما وصلوا إلى السلطة في إيطاليا في عام ١٩٢٢م/١٣٤١هـ، تطلعوا إلى أن تستعيد إيطاليا أمجاد الدولة الرومانية القديمة، ومن ثم زادت النزعة الاستعمارية داخل الحكومة الإيطالية وعلى رأسها موسوليني فكانت الحبشة هي محط أنظارهم لتحقيق مطامعهم الاستعمارية(٢).

كذلك كان للدوافع الاقتصادية تأثير كبير على سياسة إيطاليا العدوانية تجاه الحبشة، فدفعتها ظروفها الداخلية تجاه الحبشة، فهي تعاني من أزمة اقتصادية ومالية

١- ممتاز العارف: الأحباش بين مأرب وأكسوم، (بيروت: المكتبة العصرية (د.ت))، ص٢٥٨.

٢- بالميرو تولياتي: محاضرات في الفاشية، ص٥١.

وصناعية خاصة بعد الأزمة الاقتصادية العالمية. فتطلعت للحصول على أرض جديدة يمكن استغلال مواردها للمساعدة بالخروج من الأزمة بأقل تكلفة، كذلك يمكن الاستفادة من ذلك في توجيه أنظار الشعب الإيطالي نحو مغامرة استعمارية تصرفه عن التفكير بمتاعبه الداخلية[١].

فالتطلع الإيطالي إلى تأسيس مستعمرات لحل مشكلات إيطاليا السكانية وتلبية حاجاتها إلى المواد الخام والمواد الغذائية كان مطلبا إيطاليا ملحا حيث أنها لم تكن موفقة في توسعها الاستعماري للحصول على مستعمرات غنية بالثروات الطبيعية والزراعية في كل من إريتريا والصومال وليبيا.

ففي ليبيا استغلت إيطاليا شريطا ساحليا ضيقا من الأراضي الزراعية والجبل الأخضر في ولاية برقة يمكن استغلالها للاستيطان الزراعي، وما تبقى من الأراضي فهي صحراء لا تصلح إلا للرعي اعتبرت ميزتها الأساسية هو قربها من الأراضي الإيطالية.

أما الصومال الإيطالي فهو أرض صحراوية فقيرة قليلة الأمطار إلا في جزئها الجنوبي، وذلك ينطبق أيضا على إريتريا التي لم تحقق لإيطاليا ما كانت تتمناه من مستعمرات غنية لتمد إيطاليا بالثروات. فتطلعت إيطاليا تجاه هضبة الحبشة المجاورة لمستعمرتها في إريتريا، حيث تعتبر أراض خضر خصبة اعتبرها الإيطاليون الأمل المنقذ لإيطاليا للتخلص من ضائقتها الاقتصادية، ويوفر لها تحقيق أطماعها الاستعمارية في تكوين إمبراطورية رومانية استعمارية في شرق أفريقيا، تضم ربط الحبشة بإريتريا والصومال دون الحاجة إلى ممر أرضي ضيق سعت إليه إيطاليا من خلال تحديد مناطق نفوذ مع كل من بريطانيا وإيطاليا في سنوات سابقة[٢].

وبذلك أرادت إيطاليا تحقيق مكاسب اقتصادية عديدة من وراء توسعها في الحبشة للتخفيف من الانفجار السكاني جنوب إيطاليا، ولتحتكر الأسواق الأثيوبية فتصدر إليها الفائض من إنتاجها ومواطنيها على حد سواء، ولتأمن المواد الأولية الضرورية للصناعة

١- راشد البراوي: الحبشة بين الإقطاع والعصر الحديث، (القاهرة: النهضة العربية، ١٩٦١ م)، ص٦٦.

٢- ممتاز العارف: الأحباش بين مأرب وأكسيوم، ص٢٥٩.

الإيطالية بأسعار زهيدة، ولإيجاد مركز قوي لها على ضفاف أهم طريق للمواصلات العالمية وهو البحر الأحمر[١].

وإذا كانت إيطاليا نظرت إلى الحبشة على أنها المنطقة الموعودة في أفريقيا للاستغلال السياسي والاقتصادي لإيطاليا، فإنها لم تكتف بالنفوذ في الحبشة، بل إنها كانت تسعى لاتخاذ إمبراطوريتها في شرق أفريقيا – المزمع تكوينها – منطلقا لتحقيق أطماعها في الساحل الشرقي للبحر الأحمر في المملكة العربية السعودية واليمن، حيث أنها خالية من الوجود الاستعماري الأمر الذي يحول دون حدوث مواجهة مع الدول الأوربية الأخرى الموجودة في المنطقة، وكذلك ما ستحققه إيطاليا عند سيطرتها على هذا الجزء من سواحل البحر الأحمر من وضع إستراتيجي مميز يمنحها تهديدا لبريطانيا وشريان مواصلاتها الحيوي مع الشرق، وما يمنحه ذلك لإيطاليا من قوة سياسية وعسكرية يمكنها من أن يكون لها نفوذ أكبر في أوروبا[٢].

وبذلك تكون إيطاليا قد اتجهت لتنفيذ أطماعها الاستعمارية في الحبشة لأسباب سياسية وعسكرية واقتصادية وإستراتيجية؛ فبدأت إيطاليا مرحلة التنفيذ لاستعمال القوة ضد أثيوبيا لتحقيق هذه المطامع.

وقد وضع المارشال اميليو دي بونو De Bono وزير المستعمرات الإيطالي دراسة عن الحبشة، تضمنت خطته للعمليات العسكرية التي ستحقق السيطرة على الحبشة[٣]. وكشف بونو في كتابه (Anno XIII) عن أنه قد تلقى أوامره من موسوليني في خريف ١٩٣٣م/١٣٥٢هـ، تتضمن الإعداد لغزو الحبشة في مده أقصاها ثلاث سنوات تنتهي في عام ١٩٣٦م/١٣٥٥هـ وكان لابد أن يسبق الغزو العسكري على الحبشة العمل على تفتيت الحبشة سياسيا من الداخل، لتسهيل مهمة الجيش الإيطالي فيما بعد[٤].

١- رياض الصمد: تطور الأحداث الدولية، ص٣٢٢.

٢- وليد محمد جرادات: الأهمية الإستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر (قطر: دار الثقافة، (د.ت))، ص٢١٣.

٣- رياض الصمد: تطور الأحداث الدولية، ص٣٥٦.

٤- فتحي غيث: الإسلام في الحبشة، ص٢٧٠.

فأتبع موسوليني أساليب التسرب وإثارة الاضطرابات الداخلية، حيث عمل على إثارة القبائل على الحكومة الأثيوبية ليختل الأمن ويتخذ من ذلك ذريعة للتدخل لحماية المصالح الإيطالية[١]. وبلغت عدد القنصليات الإيطالية في المنطقة حوالي ٤٠ قنصلية في طول البلاد وعرضها حتى المناطق التي لم يكن فيها رعايا إيطاليين، وكانت هذه القنصليات مراكز لبث الدعاية الفاشستية ضد الإمبراطور هيلاسلاسي* وحرضت عدد من العناصر المناوئة لحكمه[٢]. ورغم النجاح الذي حققه الإيطاليون إلا أن الإمبراطور هيلاسلاسي استطاع الوقوف أمام الخارجين على النظام الحبشي والمتآمرين ضده[٣].

كذلك بدأت أعمال التحضير لاجتياح الحبشة حسب الخطة التي وضعها دي بونو، وتمثلت في حشد القوات في إريتريا والصومال الإيطالي، وبناء المحطات والسكك الحديدية وأنشئت أرصفة الترول والطرق الضرورية لاستقبال القوات العسكرية الإيطالية، وبذلك تستطيع إريتريا أن تنقل الجيوش الإيطالية نحو الأراضي الحبشية[٤].

وقد اجتمع موسوليني مع رئيس أركان حرب الجيش الإيطالي ووزير المستعمرات ووزير الدولة في ٣١ مايو عام ١٩٣٤م/١٣٥٣هـ، وذلك لبحث شئون الدفاع في إريتريا وبحث الموقف الأثيوبي، وقد توصل المجتمعون إلى ضرورة إنشاء وسائل دفاعية في إريتريا في أقرب وقت ممكن، واستخدام معاهدة الصداقة مع الحبشة عام ١٩٢٨م/١٣٤٧هـ لتجنب ما يمكن أن يعوق الاستعدادات العسكرية أو يعرقلها، وأن يبدأ الإيطاليون في مضايقة الأحباش بطرق غير مباشرة، وذلك لدفعهم للحرب بعد اكتمال وسائل الدفاع والإعداد للحرب، وأخيراً الاحتفاظ بالسرية التامة المطلقة لكافة التجهيزات العسكرية، والتحذير من أن تصل أخبار ذلك إلى كل من فرنسا وبريطانيا بصفة خاصة[٥].

١- راشد البراوي: الحبشة، ص٦٧.

* الإمبراطور هيلاسلاسي، تعني بالأمهرية قوة الثالوث، إمبراطور أثيوبيا عام ١٩٣٠م، قاد جيشه في حربه ضد إيطاليا عام (١٩٣٥ – ١٩٣٦ م) فر إلى إنجلترا بعد هزيمته، ولكنه عاد إلى وطنه ١٩٤١م، واسترجع عرشه بمساعدة بريطانيا، – الموسوعة العربية الميسرة، ص١٩٣٠.

٢- ممتاز العارف: الأحباش بين مأرب و أكسوم، ص٢٥٩.

٣- راشد البراوي: الحبشة، ص٦٧.

٤- رياض الصمد: تطور الأحداث الدولية، ص ص٣٢٢، ٣٢٣.

٥- عبد العزيز عبد الغني: الاستعمار الإيطالي وأثره على العروبة والإسلام في أفريقيا، العلاقات العربية الإفريقية، دراسة تاريخية للآثار السلبية للاستعمار، (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية بجامعة الدول العربية، ١٩٧٧م)، ص٣٦٤.

وفي ظل الاستعدادات العسكرية أخذ دي بونو ببحث عن مبرر لبدء هجومه وسنحت له الفرصة عندما وقع اشتباك بين القوات الحبشية وبعض القوات الإيطالية على الحدود بين الحبشة والصومال الإيطالي(١). بالقرب من وال – وال Wal Wal* في ٤ ديسمبر ١٩٣٤م /١٣٥٣هـ فكان هذا الحادث هو الفرصة التي ينتظرها الإيطاليون لاستغلالها كذريعة لغزو الحبشة، فقامت الحكومة الإيطالية بالاحتجاج على الحادث وطالبت بالاعتذار و معاقبة الجناة ودفع غرامة، فردت الحكومة الحبشية بأن منطقة وال – وال تابعة للأراضي الحبشية وأنه ليس هناك عدوان، وعرضت الحبشة التحكيم على إيطاليا بناء على الاتفاقية المبرمة بين الطرفين الإيطالي والحبشي عام ١٩٢٨م/١٣٤٧هـ، إلا أن إيطاليا رفضت التحكيم وأكد موسوليني في ٧ يناير عام ١٩٣٥م/١٣٥٤هـ، بأنه إذا لم يحل الحادث بشكل يرضي إيطاليا فإن الحكومة الإيطالية ستتخذ التدابير الضرورية للحفاظ على هيبتها(٢). فلما شعرت الحبشة بأن إيطاليا تستعد للعدوان عليها رفعت شكواها في مارس ١٩٣٥ م إلى عصبة الأمم بجنيف** ضد إيطاليا للمطالبة بحفظ السلام في أراضيها(٣)، وكان ذلك إيذانا بتصعيد المواقف السياسية والعسكرية الإيطالية للبدء في مخططها الاستعماري لغزو الحبشة.

وكان لتطور المواقف في الحبشة عظيم الأثر في أوربا إذ أن تقديم الحبشة الشكوى ضد إيطاليا في عصبة الأمم أحرج كلا من فرنسا وبريطانيا اللتين كانتا بحاجة إلى المساندة الإيطالية ضد هتلر في ألمانيا، فسعت فرنسا للتقرب إلى الحكومة الإيطالية لكسب صداقتها ولتنضم إلى الجبهة المعادية لألمانيا، فيما كانت إيطاليا تتطلع لتحقيق بعض الإطماع داخل أوربا وخارجها من خلال التفاهم مع الحكومة الفرنسية(٤).

١- Lowe, OP.Cit, P. 254.

* هي منطقة على حدود الصومال الإيطالي والأراضي الحبشية غنية بآبار المياه تقع ضمن نطاق إقليم اوجادين، تحتله حامية من أبناء البلاد يقودها ضابط إيطالي، جاء بعض الجنود الأحباش لتعين الحدود بينهما وبين الصومال الإيطالي، وجدوا بأنها أراضي تابعة للحبشة وأرادوا احتلال الموقع، إلا أن الإيطاليين دافعو عن الموقع وتبادلوا إطلاق النار، وبلغ عدد الخسائر في هذا الاشتباك ثلاثين من القتلى ومائة من الجرحى من الجانب الإيطالي ومائة وثلاثة من القتلى وخمس وأربعون من الجانب الحبشي.

٢- بيير رنوفن: تاريخ القرن العشرين، ص٤١٣.

** أصبحت الحبشة عضوا في عصبة الأمم عام ١٩٢٣، بمساعدة إيطاليا.

٣- راشد البراوي: الحبشة، ص٦٨.

٤- بيير رنوفن: تاريخ القرن العشرين، ص٤٠٦.

فقام وزير خارجية فرنسا بيير لافال* Pierre Laval بزيارة لروما لمقابلة موسوليني في يناير ١٩٣٥م /١٣٥٤هـ وتباحث الطرفان حول عدة موضوعات في أوربا و في أفريقيا، ثم عقدت اتفاقية: فرنسية – إيطالية في ٧ يناير ١٩٣٥م تضمنت عدة محاور من أهمها:

تعهد الطرفان على الوقوف أمام المحاولات الألمانية التي تهدف إلى ضم النمسا إلى أراضيها، وتنازلت فرنسا لإيطاليا عن بعض الأراضي في تونس قدرت ١١٤ ألف كم^2 في جنوب منطقة تبستي على الحدود الصحراوية التونسية الليبية، وكذلك تنازلت عن قسم من الصومال الفرنسي قدر بـ ٨٠٠ كم^2 على ساحل البحر الأحمر لإيطاليا، وأخيرا تنازلت عن(٢٥٠٠) سهما من أسهم شركة سكة حديد جيبوتي – أديس أبابا التي تبلغ مجموعها بـ (٣٥) ألف سهم. وفي مقابل ذلك تنازلت إيطاليا لفرنسا تدريجيا عن الامتيازات التي كان يتمتع بها السكان الإيطاليون في تونس، وقد حددت مدة الاتفاقية بعشر سنوات(١).

ومن المؤكد بأن السنيور موسوليني في أثناء محادثاته مع المسيو لآفال أراد التأكد من موقف فرنسا إزاء سياسة إيطاليا في الحبشة، وقد أشار المسيو لافال بأن فرنسا لن تعيق سياسة إيطاليا في الحبشة(٢)، وقد اعترف لآفال أنه تحدث مع موسوليني في قضية الحبشة ولكنه قال: "لقد اعترفت لإيطاليا بالحق الذي يخولها امتيازات الخطوط الحديدية والأشغال العامة ...الخ، وفي كل الحبشة، وبالمقابل لم أقبل بمشروع عسكري، وأنه لا شيء في المحادثات التي جرت بيني وبين موسوليني يمكن أن يؤول بأنه، لا أقول يبرر، بل يشجع مبادرة إيطاليا إلى الحرب لتبدي شكواها وحقوقها بما يناقض الحبشة"(٣).

---

* بيير لافال (١٨٨٣-١٩٤٥م): سياسي فرنسي، بدأ حياته اشتراكياً، ثم أصبح محافظاً، تولى رئاسة الوزارة مرتين (١٩٣١-١٩٣٢ و ١٩٣٥-١٩٣٦م) وضع مشروع مع صمويل هور وزير خارجية بريطانيا لمصلحة إيطاليا، سبب نشر المشروع سقوط وزارته، جعله المارشال بيتان وزيراً للخارجية ١٩٤٠م، قدم لافال للمحاكمة بتهمة الخيانة والتعامل مع الألمان، وأعدم شنقاً، – الموسوعة العربية الميسرة، ص١٥٤٠.

١- Hurewitz,J.C. The Middle East and North Africa in World Politics, Second Edition, (London: Yale University Press, 1979), Vol 2, P.P. 466,470.

٢- أ. ج. ب تيلور: أصول الحرب العالمية الثانية، ترجمة: مصطفى كمال خميس، مراجعة: د.محمد أنيس، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م)، ص١١٢.

٣- Hardy ,G.M.Gathorne, Ashort History of International Affairs 1920 – 1939, Fourth Edition, (London: Oxford University Press, (N.D)), P.P.393,394.

غير أنه كان واضحا بأن الاتفاق الفرنسي – الإيطالي الذي تم عقده في ١٩٣٥م كان من وجهة نظر إيطاليا مرتبطا بالموقف الذي ستتخذه فرنسا إزاء نيات إيطاليا الاستعمارية تجاه الحبشة، لذلك اعتبرت هذه الاتفاقية لصالح فرنسا إذ أنها تنازلت عن منطقة صحراوية في تونس وجزءاً من الصومال الفرنسي، كذلك حصلت على إلغاء الامتيازات التي كانت للإيطاليين في تونس، إذ كانت مستعمراتها في تونس وسوريا ولبنان أكثر أهمية من الصومال الفرنسي في مقابل ما كسبته من وقوف إيطاليا إلى جانبها ضد الجبهة الألمانية.

وفي أبريل من عام ١٩٣٥م بذلت الحكومة الفرنسية كافة جهودها لإنشاء جبهة مشتركة بينها وبين بريطانيا وإيطاليا للوقوف أمام الخطر الألماني المتزايد في أوربا. فاجتمعت الأطراف في ستريزا Stresa في الفترة من ١١- ١٤ أبريل ١٩٣٥م* /١٣٥٤هـ. وقد اتفقت كافة الأطراف على رفض قرار هتلر بإعادة تسلح جيش ألمانيا**، وإنشاء جبهة للرد على أي محاولة تهدف إلى نقض المعاهدات أو تهديد أي من الشعوب، والعمل على المحافظة على السلام في أوربا(١).

وقد ألقى موسوليني في ثاني أيام المؤتمر خطابا عن سلام أوربا أعلن فيه معارضة عدوان أية دولة على دولة أخرى وقال: "أن الدول الثلاث التي اتخذت هدفها المحافظة على السلام في نطاق عصبة الأمم تجد نفسها متفقة تماماً، في معارضة أي طرف للمعاهدات من جانب واحد بسائر الوسائل العملية، لما في هذا من تهديد للسلام في أوربا. وستعمل متعاونة في ود وثيق لتحقيق هذه الغاية". وقد توقف موسوليني في خطابه بعد كلمة "أوربا" بصورة واضحة أثارت انتباه ممثلي وزارة الخارجية البريطانية والفرنسية، حيث كان موسوليني يعد بالعمل مع كل من فرنسا وبريطانيا لمنع ألمانيا من التسلح، في الوقت الذي يبيح لنفسه حق القيام بأي إجراء في أفريقيا ضد الحبشة، إلا أن مندوبي بريطانيا كانوا يرغبون آنذاك في الحصول على تأييد موسوليني ضد ألمانيا فتجاوزا عن ذلك، فشعر موسوليني بأنهم لن

---

* استكملت جبهة ستريزا بعقد ميثاقين ضم الأول فرنسي – سوفيتي، والثاني سوفيتي- تشيكي ينصان على التشاور والتعاون عند وقوع عدوان، لويس دللو: التاريخ الدبلوماسي، ترجمة: د. سموحي فوق العادة، ط٣، (بيروت: عويدات للنشر، ١٩٩٩م)، ص٩١.

** لم يلزم المؤتمر هتلر بالحد من التسلح، بل استمر هتلر في بناء دولة ألمانية قوية عسكرياً وسياسياً.

١- Hardy, G.M. Gathorne, Ibid. P .P. 397, 398.

يعارضوا، في الوقت الذي لزم فيه الفرنسيون الصمت[١]. وكان ذلك إشارة واضحة من وجهة نظر موسوليني بالموقف البريطاني الفرنسي.

وقد ألقى موسوليني خطابا في مجلس النواب الإيطالي في ٢٥ مايو ١٩٣٥م/١٣٥٤هـ، عبر فيه عن أهمية الدور الذي يجب أن تقوم به ايطاليا في أوربا وخارجها ومعرفة سياسة الدول الأوربية تجاه السياسة الإيطالية، وأختتم حديثه قائلاً: "يجب أن نتصور مجموع قضايا السياسة الخارجية الإيطالية تبعا لكل ما يمكن أن يحدث في أفريقيا الشرقية (أي الحبشة)، وبما له علاقة بالموقف الذي تتبناه مختلف الدول الأوربية وتتيح لنا الفرصة في إظهار صداقتها العميقة والعملية".

وعبرت جريدة "شعب إيطاليا" Popolo d Italia عن هذه الفكرة في ٢٤ يونيو عام ١٩٣٥م، بقولها: "إن قضية الحبشة ستكون فرصة مناسبة لنرى سياسة الدول الأخرى حيالنا، وتبعا لهذا الموقف سيتحدد سلوك إيطاليا كدولة كبرى"[٢].

وفيما وصف التقارب الفرنسي – الإيطالي بالضعف، كان الموقف البريطاني تجاه سياسة إيطاليا الاستعمارية في الحبشة بالمتناقض، إذ أنها وقفت موقف المتفرج بينما كان الجنود والأسلحة والمعدات الإيطالية تتدفق عبر قناة السويس إلى شرق أفريقيا دون أن تتخذ موقفا حاسما، رغم ما يعنيه ذلك على الوضع السياسي والعسكري مما ساعد إيطاليا على تحقيق أهدافها السياسية والعسكرية في الحبشة ويؤكد ذلك رسالة دي بونو إلى موسوليني حيث ذكر: "أن سلوك بريطانيا نحو الحبشة قد ساعدنا و لم يعرقلنا في شيء". كذلك لم تستخدم بريطانيا أسطولها المتمركز في قاعدة الإسكندرية للتصدي للحملة الإيطالية المتجهة نحو الحبشة ومنعت هذه السفن المحملة بالجند والأسلحة من عبور قناة السويس[٣].

واكتفت بحل المسألة على ثلاثة محاور، أولاً: بواسطة عصبة الأمم لمساندة الحبشة، ثم بمواقفها في أوربا بالتفاهم مع الحكومة الإيطالية في ظل تفاهم الأوضاع السياسية

١- ونستون تشرشل: المذكرات، ترجمة: خيري حماد، (بيروت: مطابع لبنان للنشر، ١٩٦١م)، جـ١، ص ص٨٩، ٩٠.

٢- بيير رنوفن: تاريخ القرن العشرين، ص٤١٠.

٣- ونستون تشرشل: المذكرات، جـ١، ص١٠١.

والعسكرية في أوربا ثانياً، وثالثاً: بالمسارعة إلى الوقوف أمام الضرر الذي قـد يصـيب المصالح البريطانية من جراء الاحتلال الإيطالي المتوقع للحبشة وتزايد الأطماع الاسـتعمارية لموسوليني في شرق أفريقيا. وقد تداخلت هذه المحاور لرسم السياسة البريطانية تجاه إيطاليـا والحبشة في السنوات السابقة للحرب العالمية الثانية. فقد وقفت الحكومـة البريطانيـة والفرنسية إلى جانب الحبشة عندما قدمت شكواها إلى عصبة الأمـم بمـا لا يتعـارض وموقفها من جبهة ستيرزا، إذ أن وقوفها ضد إيطاليا قد يؤدي إلى انهيار الجبهـة ضـد ألمانيا، ويعطي إيطاليا مبرراً لإقامة تحالف مع ألمانيا ضد كل من بريطانيا وفرنسا(١).

فقام انطوني إيدن* Mr. Anthony Eden الوزير المفوض لشئون عصبة الأمم بزيارة إلى روما في يونيو عام ١٩٣٥م، كمحاولة لإيجاد حل للمشكلة الحبشية أولاً، ولـدعم نفوذ عصبة الأمم التي كان عليها المحافظة على السلام بين دول العالم ثانيـاً(٢). وقـدم إيدن في هذه الزيارة عرض بريطاني إلى موسوليني، حيث تعطي بريطانيا الحبشـة منفـذاً على البحر الأحمر عبر الصومال البريطاني وهو ميناء زيلع، مقابل تنازل الحبشة عن بعض أقاليمها النائية إلى إيطاليا تمثلت في جزء من منطقة الأوجادين، وقـام ايـدن بتحـذير موسوليني لئلا يكون موقفه تحد فاشل لميثاق عصبة الأمم(٣)، إلا أن موسوليني رفض هذا العرض بشدة وتمسك بمشروعه لغزو الحبشة وتأكيد رغبته في بناء إمبراطورية في شـرق أفريقيا(٤). فكانت هذه أول محاولة مباشرة بريطانية لمهادنة إيطاليا قال عنها موسـوليني بأنه "عرض تافه"(٥).

١- رياض الصمد: تطور الأحداث الدولية، ص٣٢٤.

* أنطوني روبرت إيدن (١٨٩٧-١٩٧٧م): سياسي ورجل دولة بريطاني استعماري، عمل كضابط أركان حرب في الحرب العالمية الأولى، بدأ حياته السياسية سنة ١٩٢٣م، عين وزيراً للخارجية سنة ١٩٣٥م، استقال احتجاجاً على سياسة تشمبر لن المهادنة لهتلر عام ١٩٣٨م. عينه تشرشل وزيراً للخارجية (١٩٤٠-١٩٤٥م)، عين للمرة الثالثة وزيراً للخارجية (١٩٥١-١٩٥٥م) - الموسوعة السياسية، جـ١، ص٤٢١.

٢- D.D. I. Ottave Serie, Volume I, Secondo, Colloquio Del Capo Del Governo E Ministro Degl Esteri, Musslini, Con IL Ministro Per Gli Affair Della S. D. N. Britannico, E Den(1), N: 431,Roma, 24 Giugno 1935.

٣- D. D. I. Ottave Serie, Volume I, IL Sotto Segre Torio Agil Esteri, Suvich, Agli Ambasciatori A Londra, Grandi, E A Parigi, Pignatti, N: 437, Roma, 26 Giugno 1935.

٤- Medicott, W. N, British Foreign Policy Since Versailles 1919–1963, Second Edition, (London: Metnuen & Co.ltd.1986, & Pierre Milza: Mussolini (Roma: Corocci Editore, 2000), P. 721.

٥- بيير رونوفن: تاريخ القرن العشرين، ص٤١٤.

عمدت الحكومة البريطانية بالاتفاق مع الحكومة الفرنسية إلى القيام بمحاولة مشتركة لإقناع الحكومة الإيطالية بالعدول عن غزو الحبشة، نظراً لما قد يسببه ذلك من ضرر كبير على المصالح البريطانية والفرنسية على حد سواء في المنطقة، ومحاولة من الحكومتين للإبقاء على جبهة ستيرزا، فتقدمت الحكومتان بمشروع بريطاني– فرنسي إلى الحكومة الإيطالية في الفترة من ١٥–١٨ أغسطس يتضمن وضع الحبشة تحت انتداب ثلاثي: فرنسي – بريطاني – وإيطالي، إلا أن موسوليني رفض المشروع الذي يتيح لبريطانيا وفرنسا مشاركته النفوذ في الحبشة، ويمنح إيطاليا امتيازات عسكرية واقتصادية كبيرة في الأراضي الحبشية. ونتيجة لذلك عمدت بريطانيا إلى تكثيف جهودها للوقوف أمام تنفيذ مطامعه في الحبشة بشكل منفرد(١).

فقامت بريطانيا بتشكيل لجنة سرية هي لجنة جون مافي The Maffey Committee في ٦ مارس ١٩٣٥م، لمحاولة تحديد حجم المصالح البريطانية الرئيسية في أثيوبيا، ومعرفة مدى تأثر هذه المصالح في حالة سقوط أثيوبيا في أيدي الإيطاليين. وقد رفعت اللجنة تقريرها للحكومة البريطانية في يونيو عام ١٩٣٥م والذي رأى بعدم تأثر المصالح البريطانية في أثيوبيا والمناطق المحيطة بها، في حال ما إذا قررت إيطاليا غزو الحبشة، ولم يحدد التقرير مدى تهديد هذه المصالح في حالة العدوان، وإن تشككت اللجنة في أن تكون الحرب في غير صالح بريطانيا في الشرق الأوسط بل قد تكون ذا فائدة لها. وقد أخفت الحكومة البريطانية أمر هذه اللجنة، إلا أن إيطاليا استطاعت الحصول على التقرير(٢). ونشرته جريدة الجورنالي دي إيطاليا في ١٩ فبراير من عام ١٩٣٦م/١٣٥٥هـ بناء على رغبة موسوليني في كشف بريطانيا أمام العالم(٣).

ولمناقشة الوضع القائم عقدت لجنة الدفاع البريطاني لما وراء البحار اجتماعاً برئاسة سير جون مافي Sir John, L. Maffey وبمشاركة وزير البحرية ووزير الطيران، ومكتب

١– رياض الصمد: تطور الأحداث الدولية، ص٣٢٤.

٢– Low, OP. Cit, P. P 269 , 270.

٣– Cab ,2I, 564 .The Italo –Abyssinian Dispute Diary of Events August 1935, To July 1936, Wednesday, 19th February, 1936, P. 9I.

الهند ومكتب المخابرات والمستعمرات والمالية والخزانة، في ١٩ سبتمبر عام ١٩٣٥م لمناقشة الوضع الخاص بخطط الدفاع عن الأراضي التي قد تتناثر بسبب اندلاع الحرب. ووجدت اللجنة أن مسألة استخدام إيطاليا الغازات السامة في أثيوبيا هي التي سيكون لها التأثير الكبير في حالة إذا ما نشبت حرب بين بريطانيا وإيطاليا، فكان لزاما توفير المعدات المضادة لهذه الغازات في مالطا ومصر وعدن وقبرص والصومال البريطاني(١).

وفيما توالي إيطاليا حشد قواها ومعداها العسكرية على الحدود الشرقية لأثيوبيا عن طريق قناة السويس، أعلنت الحكومة البريطانية في ٢٤ سبتمبر ١٩٣٥م أن بريطانيا ستقف إلى جانب التزاماها طبقا للمعاهدات ولميثاق عصبة الأمم، وأخذت تجمع تأييد الدول الأعضاء في العصبة لسياسة فرض العقوبات على إيطاليا إذا قامت بغزو الحبشة، وتأكد هذا الموقف في الخطاب الذي ألقاه السير صموئيل هور Sir Samuel Hoare وزير الخارجية البريطانية في ١١ سبتمبر في اجتماع الجمعية العامة للعصبة بجنيف(٢).

وبدأت المحادثات في جنيف بين السير صموئيل هور* وزير خارجية بريطانيا وبيير لافال وزير خارجية فرنسا لمناقشة الوضع، ومحاولة الوصول للمصالحة بين الأطراف المتنازعة مع تفادي القيام بأي استفزاز أو إثارة للإيطاليين، وأن يكون ذلك ضمن لإطار مبادئ عصبة الأمم. وتضمنت المناقشات محاولة قفل قناة السويس أمام السفن الإيطالية وفرض العقوبات العسكرية، والقيام بحصار بحري على إيطاليا. وقد رفض مستر لافال تأييد بريطانيا في ذلك، وإن كان قد قبل على مضض عقوبات اقتصادية محددة في حالة الهجوم الإيطالي على الحبشة(٣). كما أكد الطرفان البريطاني والفرنسي خلال

١- Cab, 2I, 411. Committee of Imperial Defence Over Sea Defence Committee Mintues of 345th, Meeting Held at No. 2. Whitehall Gardens, S.W I. on Thursday, 19th, September 1935.

٢- ونستون تشرشل: المذكرات، جـ١، ص١٠١.

* تكونت حكومة بريطانية جديدة في يونيه١٩٣٥م لتتولى الحكومة في ظل الظروف الدولية، فتولى ستا نلي بلدوين Stanley Baldwin كرئيس للوزراء، وسير صموئيل هور الخارجية.

٣- Cab, 2I,411. J4769/1/I. Sir Samuel Hore, Geneva to Foreign Office, 14 September 1935, No. 85, Enclosure: Record of Anglo – French Conversation, Held at The Bean Rivage Hotel, Geneva, at 7 PM on Tuesday, 10, September 1935.

اجتماعهما على اتفاقهما حول الخطوط العامة (أو أغلبها) لسياستهما إزاء إيطاليا، و أنه في حال تحدث لافال مع موسوليني فإن هذا سيتم باسم كلتا الحكومتين الفرنسية والبريطانية[١].

وعلى الرغم من اتفاق وجهتي النظر البريطانية والفرنسية حول علاقتهما نحو إيطاليا والأزمة الإيطالية – الحبشية، إلا أن كل دولة منهما لم تكن تريد إثارة استفزاز إيطاليا وإنما تهدئة الأحوال لتلافي وقوع الحرب، فأبلغ لافال في ١٦ سبتمبر عام ١٩٣٥م ممثل موسوليني في جنيف بأن الحكومة الفرنسية لا تنوي الموافقة على إغلاق قناة السويس أمام إيطاليا[٢]. فيما أبلغ السير صموئيل هور من خلال سير إيرك دريموند - Sir Erick Drummond سفير بريطانيا في روما. في رسالته الشخصية إلى موسوليني أن بريطانيا لن تقوم بإغلاق قناة السويس أمام إيطاليا، ولن تطبق العقوبات العسكرية ضدها، وذلك في إطار علاقة الصداقة البريطانية – الإيطالية القديمة التي تربطهما[٣].

وعلى الرغم من سياسة التهدئة التي اتخذها الحكومتان البريطانية والفرنسية من الصراع الإيطالي- الأثيوبي، إلا أن الحكومة الإيطالية أبلغت لافال عدم قبولها بأي إعلان لموقف موحد بريطاني- فرنسي بخصوص القضية الأثيوبية، قد يضر علاقتهما في أثناء اجتماعات عصبة الأمم في جنيف[٤].

وفيما استمرت الحكومتان الفرنسية والبريطانية في مباحثاتهما بجنيف لمناقشة مسألة العقوبات ضد إيطاليا في حالة أقدمت على غزو الحبشة نجد بأن الحكومتين كانتا متفقتين على عدم استعمال القوة ضد إيطاليا، وعدم فرض عقوبات-عسكرية عليها، وعدم إقفال قناة السويس أمام إيطاليا، إلا أنهما تمسكتا بنفوذهما في عصبة الأمم للوقوف أمام إيطاليا

١- Cab, 21/411 J 4818/I/I United Kingdom Delegater, Geneva, to Foreign Office, 16 September, 1935 Nor 88, Enclosure: Record of Anglo- French Conversation, Held at the Hotl Des Bergues, Geneva, Tuesday, 10 September, 1935.

٢- عاطف السيد: البحر الأحمر و العالم المعاصر، ص١٠٠.

٣- Cab, 21/ 411 , J 5280 – 1-1 (No. 1122), Sir E. Drummond to Sir Samuel Hoar, Rome, 23 September 1935.

٤- D. D. I. Ottava Serie, Volume II. IL Capo Di Gabinetto, Aloisi, Al Capo Del Governo E Ministro Degli Esteri, Mussolini, N: 31, Ginevra, 4 Settembre 1935.

إذا نفذت تهديداتها بغزو الحبشة مما يعد تعارضا في حقيقة الموقف لكلا الحكومتين الموجه نحو سياسة موسوليني داخل أوربا وفي شرق أفريقيا، وكان الخوف البريطـاني يرتكـز أساساً على ما يمكن أن يعنيه إخلال توازن القوى في شرق أفريقيـا إذا مـا اسـتطاع موسوليني ضم الحبشة وتنفيذ مطامعه السياسية والعسكرية على نفوذ بريطانيا في شـرق أفريقيا والعالم العربي. إلا أنه من وجهة النظر البريطانية كان عليها حل هذه المسـألة في إطار التفاهم وعدم اللجوء للقوة.

قرر مجلس العصبة تأليف لجنة من خمسة أعضاء* سميـت بـــ COMMITTE OF FIVE للقيام بمحاولة لتسوية النزاع بين الطرفين المتنازعين وهما الحبشة وإيطاليا، فقـدم المندوب الدائم للمملكة المتحدة لدى عصبة الأمم، تقرير اللجنة المتعلقة بالحبشـة وهـو يتألف من مقدمة وبروتوكول ومشروع للمساعدة في خمسة أقسام، تضمن الأول: قول اللجنة أنها حاولت الاهتداء إلى وسيلة للمفاوضة بين الحبشة وإيطاليـا يحـافظ علـى استقلال الحبشة ووحدة أراضيها وأمن جميع أعضاء العصـبة أولاً، وضـرورة ضـمان علاقات حسن الجوار والصداقة بين دول أعضاء العصبة ثانياً، والثاني: وجـوب حـل المشكلات بين الحبشة وإيطاليا بالطرق السلمية، ومعالجة مشـكلات تجـارة الرقيـق وانتهاكات الجيش، وأن يبلغ الأمين العام للعصبة بكل ما يحدث وتؤخذ نصيحته فيمـا يطرأ بين البلدين. والثالث: أوضحت خطبة مندوب أثيوبيـا في اجتمـاع العصـبة في ١١سبتمبر عام ١٩٣٥م، حيث أعرب المندوب عن رغبة حكومته في دراسة أي اقتـراح خاص برفع المستوى الاقتصادي والمالي والسياسي في بلاده. والرابع: أوضح اقتراحـات اللجنة لمد يد المساعدة لأثيوبيا لوضع حد للنزاع مع جيرانها (يقصـد بـه الإيطـاليين)، واقترحوا في أربعة أقسام عدة مجـالات للمسـاعدة في الخـدمات المدنيـة والتطـوير الاقتصادي، والشئون المالية، وتنفيذ إصلاحات في الخدمات المركزية في مجـال القضـاء

* تألفت لجنة الخمسة من مندوبي كل من بريطانيا وفرنسا وتركيا وبولونيا وأسبانيا.

والمحاكم والصحة العامة والتعليم. كما اقترحت اللجنة أن يشارك الأجانب في تطوير البلاد في جميع هذه المجالات[١].

وفرضت لجنة الخمسة على الممثل الخصوصي لعصبة الأمم عرض تقرير مرة واحدة في العام على الأقل على عصبة الأمم، وأن يطلع عليه الإمبراطور قبل عرضه على العصبة لتضيف حكومة الحبشة طلب ما تريد من أراء، وأن تكون مدة تنفيذ المشروع خمس سنوات، ويمكن أن يعدل مشروع اللجنة حسب ما يستجد من الأحوال[٢].

وبعد صدور مقترحات لجنة الخمسة قبلتها الحبشة في حين رفضتها إيطاليا، حيث اجتمع مجلس الوزراء الإيطالي برئاسة السنيور موسوليني في ٢١ سبتمبر ١٩٣٥م. أعلن عن بلاغ، أرسل نسخة منه إلى الممثليات الدبلوماسية في الخارج تضمن الآتي: "أخذ مجلس الوزراء علما بالمقترحات التي تضمنها تقرير لجنة الخمسة، فالمجلس يرى أن الشروط المعروضة غير مقبولة، لأن هذه المقترحات لا تعطي أساساً أدنى كافيا لتحقيق مصالح إيطاليا الحيوية وحقوقها"[٣]. وفي ٢٨ سبتمبر عقد مجلس الوزراء الإيطالي اجتماعاً جديداً جاء في بلاغه الرسمي الذي نشر الآتي: "إن أعضاء لجنة الخمسة لم يقيموا وزناً لما تشعر به إيطاليا من ضرورة التوسع وطلب الأمن". وأكد البلاغ "أن إيطاليا لم تضع نصب عينها سراً ولا جهراً معارضة مصالح بريطانيا ولا حاولت ذلك. كما أن الحكومة الإيطالية تعلن رسميا أنها ستتجنب كل عمل من شأنه أن يؤدي إلى توسيع نطاق الخلاف بينها وبين الحبشة". وفي الختام أكد البلاغ: "أن بريطانيا ستعبئ قريبا تعبئة مدنية لم يسبق لها مثيل في التاريخ". وأكد أن مجلس الوزراء قرر "أن لا تنفصل إيطاليا عن عصبة الأمم مادامت لم تتخذ تدابير ضدها"[٤].

١- Cab, 2I /411, (J4969/I/I) no. 98, Encl, Report of The Five, September 18, 1935.

٢- عبدالله حسين: المسألة الحبشية (مصر: المطبعة الرحمانية، ١٩٣٥م)، ص ص١١٢، ١١٣.

٣- D. D. I. Ottava Serie, Volume II, IL Capo Del Governo E Ministro Degli Esteri, Mussolini, Alle Reppresentanze Diplomatiche All' Estero, N: 156, Roma, 21 Settembre 1935.

٤- عبدالله حسين: المسألة الحبشية، ص ص٨٢، ١٢١، ١٢٢.

وفي الوقت الذي سعت فيه الدول الأعضاء في عصبة الأمم إلى إيجاد حل للتراع بين إيطاليا والحبشة، والذي تكثف في شهر سبتمبر حسب المادة الخامسة عشرة من عهد عصبة الأمم دون أن يتوصل إلى قرار يرضي الحكومتين المتنازعتين، أصدر موسوليني في ٣ أكتوبر عام ١٩٣٥م أوامره لقواته بقيادة الجنرال دي بونو قائد القوات الإيطالية في شرق أفريقيا بغزو أثيوبيا دون إعلان الحرب ولا سابق إنذار، و احتشدت القوات الإيطالية على الجهتين الشمالية والجنوبية للحبشة رأس الجبهة الشمالية المارشال دي بونو من ناحية إريتريا، والجهة الجنوبية الجنرال جرازياني* من ناحية الصومال الإيطالي. ومنذ بداية الحرب ظهرت قوة الجيش الإيطالي في عتاده الحربي من حيث الأسلحة والطائرات والدبابات، حيث استخدمت إيطاليا الغازات السامة. في حين كان الجيش الأثيوبي** غير منظم وليس لديه الأساليب الحربية الحديثة، ولهذا تفوق الجيش الإيطالي وتمكن من هزيمة الجيش الأثيوبي في عدة مواقع حربية(١) وبذلك فشلت عصبة الأمم في إيجاد حل للمشكلة وبدأت إيطاليا الغزو.

و يذكر محمد لطفي جمعة في كتابة: (بين الأسد الأفريقي والنمر الإيطالي)، بأن اليابان كانت لها مصالح اقتصادية في الحبشة، و أنها كانت تزود إمبراطور الحبشة بالأسلحة والذخائر خاصة الأسياف اليابانية، مما أدى إلى احتجاج إيطاليا على مسلك اليابان وأدى إلى قيام مظاهرات في طوكيو ضد إيطاليا مسانده للموقف الحبشي(٢).

وفي ١٢ نوفمبر عام ١٩٣٥م أصدر موسوليني قرارا بتعين المارشال بترو بادوليو Marshal Petro Bdoglio خلفا لدي بونو وقائداً للقوات المسلحة الإيطالية العاملة في شرق أفريقيا مزوداً بتعليمات تقتضي ضرورة التحرك السريع على جميع الجبهات

---

* رود لفوجراتسياني (١٨٨٢–١٩٥٥م): مارشال إيطالي، نائب الملك في أثيوبيا (١٩٣٦–١٩٣٧م)، وحاكم عام ليبيا (١٩٤٠–١٩٤١م)، عين رئيس هيئة أركان حرب الجيش الإيطالي، وقائداً للحملة الإيطالية على مصر، ولكن هزم هزيمة نكراء، واضطر إلى الاستقالة من منصبه، قبض عليه ١٩٤٥م، واتهم بالخيانة العظمى، بدأت محاكمته ١٩٤٨م، ولكن أوقفت المحاكمة ١٩٤٩م،- الموسوعة العربية الميسرة، ص٦١٧.

** شارك العديد من المتطوعين العرب اللذين خدموا في الجيوش الإيطالية والبريطانية والتركية من دمشق وفلسطين ومصر وليبيا إلى جانب الحبشة في حربها ضد الإيطاليون في إطار تأييدهم للحبشة ورغبتهم في مساعدتها للوقوف أمام التهديد الإيطالي لأراضيها وكان قائد هم محمد طارق الأفريقي، وهو ضابط أفريقي خريج مدرسة أركان الحرب في تركيا اشترك في عدة حروب من أهمها حرب البلقان والحرب العالمية الأولى كعضو في هيئة أركان الحرب للجيش التركي ساهم في الحرب الحبشية الإيطالية على ساحة القتال وفي جمع التبرعات لصالح القضية الحبشية.

١- محمد طارق الأفريقي: مذكراتي في الحرب الإيطالية ١٩٣٥–١٩٣٦م (دمشق: مطبعة جريدة الإنشاء، ١٩٣٧م)، ص ص٦٥، ٦٦.

٢- بين الأسد الأفريقي والنمر الإيطالي، ص ص٤٢، ٤٥.

العسكرية لإحراز نصر عسكري شامل وساحق، حتى يتمكن من الاستيلاء على الحبشة بالكامل في أقصر وقت ممكن[١].

وعند بدء إيطاليا غزوها للحبشة اتخذت عصبة الأمن بعد مناقشات عديدة قرارهـا في ٨ أكتوبر ١٩٣٥م باتفاق خمسين دولة ينص على: "أن إيطاليا دولة معتدية على دولة مستقلة وعضو في عصبة الأمم" ولذلك قرر المجلس فرض العقوبات على إيطاليا، وبعد دراسة مختلف الاقتراحات والتوصيات، استبعدت العقوبات العسكرية، وفرضت عقوبات اقتصادية فقط، وذلك تنفيذا للمادة السادسة عشرة من ميثاق عصبة الأمم الذي ينص على:

"أن تقوم الدول بقطع كل تجارة أو علاقة مالية مع الدولة التي تخرج عن ميثاق عصبة الأمم"[٢]. وعلى الرغم ومن أن المقصود بهذه المادة في واقع الأمر يعني التمهيد لقيام كل أعضاء العصبة لعمل عسكري ضد الدولة المعتدية، إلا أن ذلك لم يتم حيث كان وقوع حرب مع إيطاليا آنذاك أمر بعيد الاحتمال.

وبالرغم من فرض العقوبات الاقتصادية على إيطاليا، إلا أنها وصفت بأنها مهزلة كبيرة، حيث رفضت أغلبية الدول الأعضاء بعصبة الأمم أن تدخل العقوبات المحظورة على إيطاليا عدة مواد ضرورية للنشاط الحربي كالحديد والصلب والألمونيوم والبترول، الذي اعتبر الأداة الحقيقية للحرب الإيطالية — الأثيوبية، مما أضعف من نفوذ العصبة الأدبي وسلطانها القانوني[٣].

كذلك كانت مسألة ضرورة إغلاق قناة السويس* أمام الإيطاليين الذي كان مطروحا في مناقشات العصبة، أمرا غير ضروري من وجهة النظر البريطانية وأكده السير صموئيل هور كعقوبة أمام الإيطاليين لإجبارهم على وقف الحرب، بل اكتفت بريطانيا

١- عمر محرم أحمد عبدالرحمن: جرازياني ودوره في نفوذ إيطاليا الاستعماري في ليبيا والقرن الأفريقي، رسالة دكتوراه غير منشورة، (القاهرة: معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٩م)، ص٢٩٣.

٢- جرانت و تمبرلي: أوروبا في القرنين التاسع عشر و العشرون، جـ٢، ص٣٩٥.

٣- هـ. ا. ل فيشر: تاريخ أوربا في العصر الحديث ١٧٨٩-١٩٥٠م تعريب: أحمد نجيب هاشم وديع الضبع، ط٧، (القاهرة: دار المعارف، (د.ت))، ص٦٤٦.

* كانت الحكومة البريطانية مقيدة باتفاق القسطنطينية عام ١٨٨٨ م، والذي يقضي بعدم إغلاق قناة السويس في زمن السلام وزمن الحرب أمام جميع السفن الحربية والتجارية.

بتطبيق العقوبات الاقتصادية والمالية في حين رفضت كل من فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية أمر حظر البترول عن إيطاليا تحاشيا لوقوع الحرب، حيث إن اقتراح ذلك كان سببا في تهديد إيطاليا في نوفمبر عام ١٩٣٥م بالقيام بالهجوم على الأسطول البريطاني في البحر المتوسط[١]، في الوقت الذي هدد موسوليني بغزو مالطا ومصر[٢].

وعقب إعلان مجلس عصبة الأمم عن قراره بفرض العقوبات على إيطاليا أعلن موسوليني: "بأن إيطاليا ستواجهها بالنظام والاقتصاد والتضحيات "وأضاف "بأنه لا يتسامح في فرض عقوبات تعرقل غزو الحبشة، وإذا تعرض مشروعه للخطر فإنه يغامر بالحرب مع من يقف في سبيله" ثم استرسل يقول: "خمسون دولة أجل خمسون دولة، وتقودها دولة واحدة."[٣].

أما الولايات المتحدة الأمريكية التي لم تكن عضوا في عصبة الأمم، وكانت سياستها الخارجية ترتكز على سياسة الحياد، إلا أنها كانت آنذاك من أكبر الدول المصدرة للبترول، فكانت من الدول المعارضة لوضع البترول ضمن المواد المحظورة في العقوبات الاقتصادية المفروضة على إيطاليا[٤]. وقد قام الإمبراطور هيلاسلاسي بتوجيه بيان إلى الولايات المتحدة الأمريكية والشعب الأمريكي في مقر الإذاعة في أديس أبابا، تولى ترجمة هذا الخطاب السير جوزيف إسرائيل الثاني Israel II Josef مراسل النيويورك تايمز، ناشد هيلاسلاسي في بيانه الولايات المتحدة الأمريكية وأعضاء عصبة الأمم في فرض العقوبات ضد إيطاليا. وعلى الرغم من تأثر الشعب الأمريكي بهذا البيان، إلا أن الحكومة الأمريكية لم ترد على البيان والتزمت الصمت[٥]. وقد شارك الشعب الأمريكي الشعب البريطاني والفرنسي سخطه على غزو إيطاليا لأثيوبيا، فتكونت عدة جمعيات من الزنوج الأمريكيين لإرسال عدة معونات إلى أثيوبيا[٦].

١- عاطف السيد: البحر الأحمر و العالم المعاصر، ص١١١.

٢- زاهر رياض: تاريخ أثيوبيا، (القاهرة: الانجلو المصرية، ١٩٦٦م)، ص١٤٤.

٣- ونستون تشرشل: المذكرات، جـ١، ص١٠٥.

٤- رياض الصمد: تطور الأحداث الدولية، ص٣٦٢.

٥- Cab, 21/ 421, J. 7910 – 1- 1 (No. 1212), Sir. R. Lindsey to Sir Samuel Hoare, Washington, 8 November, 1935.

٦- زاهر رياض: تاريخ أثيوبيا، ص١٤٥.

كذلك وجهت حكومة الاتحاد السوفيتي احتجاجاً لعصبة الأمم في ١١ نوفمبر عام ١٩٣٥م على توقيع العقوبات الاقتصادية والمالية ضد إيطاليا، إلا أنها وفي ٢٢ نوفمبر ١٩٣٥م عادت موضحة بأن الاحتجاج السوفيتي ينصب على أن تطبيق العقوبات قد استثنت الحبشة من الانتفاع بالحقوق المقررة للأعضاء المشتركين في العصبة، وكان الاتحاد السوفيتي من الدول التي اعتبرت مادة البترول من ضمن المواد التي يجب أن يشملها قرار العقوبات الاقتصادية إلى إيطاليا(١).

ويلاحظ بأن العقوبات التي اتخذها مجلس عصبة الأمم ضد إيطاليا باعتبارها دولة معتدية كانت شكلية، لأن المواد التي منحها القرار لم تشمل المواد الضرورية للنشاط. أما بالنسبة للمواد التي تضمنها الحظر كالحديد والألمونيوم فقد كانت إيطاليا تنتجها بوفرة فلم يكن لهما أثر في العقوبات، ولم تحظر العقوبات مادة الصلب والذي يعتبر من المواد الهامة بالنسبة لإيطاليا، لذلك لم يؤثر المنع في مجهود إيطاليا الحربي، كذلك رفضت بريطانيا إغلاق قناة السويس أمام السفن الإيطالية المحملة بالعتاد الحربي المساند لقواتها في غزو الحبشة مما ساعد الإيطاليين على سهولة انتقال كل الدعم العسكري لحملتها لتحقيق الهدف المنشود(٢).

كذلك يلاحظ بأن الصحافة العالمية قد شاركت في أثناء هذه المرحلة في تضليل الرأي العام العالمي إذ بالغت في تصوير صرامة العقوبات الاقتصادية كسلاح رادع ضد إيطاليا على الرغم من هزالتها وعدم جدواها(٣).

وبذلك لم تؤثر العقوبات الاقتصادية على عمل إيطاليا العسكري في أثيوبيا، بل ساعد موقف دول عصبة الأمم إيطاليا على تنفيذ أطماعها الاستعمارية، وأكد ذلك فشل عصبة الأمم في الوقوف أمام إيطاليا لأن العقوبات العسكرية كانت تعني الحرب.

١- مصطفى الحفناوي: قناة السويس مشكلاتها المعاصرة، الجزء الثاني النزاع المصري البريطاني، (القاهرة: (د.ن)، ١٩٥٢م)، ص٣٧٣.

٢- ونستون تشرشل: المذكرات، جـ١، ص١٠٤.

٣- عاطف السيد: البحر الأحمر و العالم المعاصر، ص١٠٩.

ولعل التأييد القوي الوحيد الذي حصل عليه موسوليني جاء من هتلر الذي انتهز فرصة وضع إيطاليا الدولي الحرج بسبب الحرب الحبشية، فأيد موسوليني في تحديه قرارات عصبة الأمم، وعدم اكتراثه بالتزاماته للمعاهدات والقانون الدوليين. وأراد هتلر بذلك أن يستقطب موسوليني إلى جانبه خاصة وأن ألمانيا كانت تسعى إلى تنفيذ توسعات إقليمية خاصة بها في أوربا وقد عمل هتلر على دعم إيطاليا بتزويد مصانعها بالفحم الحجري لإذكاء الخلاف بين أعضاء جبهة ستريزا في أثناء العقوبات الاقتصادية[(١)].

وعلى الرغم من أن موقف كل من بريطانيا وفرنسا كان واضحا، في استتراف كل مواقفهما السياسة والدولية للمحافظة على سياسة التفاهم مع إيطاليا، وعدم اتخاذ سياسة صارمة يتطلبها الموقف الأوربي والدولي بما يشكله تحقيق أطماع موسوليني في الحبشة من تهديد لمصالحهما في شرق أفريقيا، إلا أنهم سعوا لمساندة جبهة ستريزا ضد ألمانيا النازية التي ما لبثت أن هُددت عندما أعلنت إيطاليا انسحابها من الجبهة ونقضها لاتفاقية روما مع فرنسا، وبذلك حصدت بريطانيا وفرنسا نتائج سياستهما[(٢)].

واستدعى ذلك منهما محاولة إيجاد سبل جديدة للتفاهم فاجتمع الطرفان للتشاور السياسي في باريس، اتفق فيها الطرفان على عرض مشروع جديد على موسوليني يقضي بإنهاء الحرب الإيطالية – الأثيوبية، سمي المشروع بـ "هور لافال" في ٧ ديسمبر ١٩٣٥م، نسبة إلى صموئيل هور وزير الخارجية البريطانية وبيير لافال وزير الخارجية الفرنسي. وينص المشروع: على أن تحتل إيطاليا السهول التي غزتها في الحبشة أخيراً، وأن يتحفظ الإمبراطور هيلاسلاسي بمملكته القديمة في الجبال، وسوف تمنحه بريطانيا منفذا إلى البحر عبر الصومال البريطاني[(٣)].

١- بشرى قبيسي، موسى مخول: الحروب والأزمات الإقليمية في القرن العشرين أوربا وآسيا (بيروت: بيسان للنشر، ١٩٩٧م)، ص٩٢.

٢- رياض الصمد: تطور الأحداث الدولية، ص٣٢٦.

٣- Cab, 23/564, The Italo – Abyssinian Disput Diary of Events, OP. Cit, Sunday, 8th, December 1935, P. 61.

ويعتبر هذا المشروع جزءاً من عرض قدمه إيدن إلى موسوليني في يونيو ١٩٣٥م والذي رفضه موسوليني، إلا أن مشروع هور – لافال يمنح إيطاليا أراضي جديدة لم تكن حتى قواته المحاربة في أثيوبيا قد احتلتها بعد، وكانت الخطوة التالية لذلك هي تقديم المشروع إلى عصبة الأمم في جنيف، إلا أن هذا المشروع فُضح أمره للرأي العام حيث نشر في الصحف الفرنسية. مما أدى إلى انفجار في الرأي العام البريطاني والفرنسي وقوبل بالسخط، وقد اعترف بلدوين في أول الأمر بموافقة الحكومة البريطانية على المشروع، ولكنه عاد وتنكر للمشروع ولسير صموئيل هور[١].

وأدى ذلك إلى تقديم صموئيل هور استقالته بعد أن اعتمد سياسة التفاهم مع إيطاليا بالتعاون مع فرنسا لحفظ السلام في أوربا، ولحماية المصالح البريطانية في أوربا وخارجها على حساب الحبشة، وبذل جهدا كبيرا لتفادي الحرب مع إيطاليا، إلا أنه دفع مستقبله السياسي ثمناً لهذه السياسة، فخلفه المستر إنطوني إيدن في وزارة الخارجية في ٢٢ ديسمبر ١٩٣٥م[٢].

وعلى الرغم من حصول حكومة بير لافال في فرنسا على الأغلبية في البرلمان، إلا أنه اضطر للاستقالة وحل محله البرت سرو ALbert Sarraut وبذلك اختفى مشروع هور – لافال وفشلت مساعي كل من بريطانيا وفرنسا إلى إرضاء إيطاليا وإعادتها إلى جبهة ستيريزا[٣].

وقد عمد هتلر على إفشال مشروع هور – لافال عن طريق الإيماء إلى وسائل الأعلام الألمانية بمهاجمة المشروع، ليحول بذلك بشكل نهائي دون عودة إيطاليا إلى جبهة ستريزا[٤]. وبذلك فشلت كل المبادرات الرامية إلى حل المسألة الإيطالية – الحبشية بالطرق السليمة وعن طريق عصبة الأمم لإرضاء إيطاليا.

١- تايلور: أصول الحرب العالمية الثانية، ص ص١١٨، ١١٩.

٢- Cab. 23/564, The Italio – Abyssinian Dispute Diary of Events, OP. Cit, Wednesday, 18th December, 1935, P. 73. & Sunday, 22nd, December 1935, P. 76.

٣- رياض الصمد: تطور الأحداث الدولية، ص٣٦١.

٤- Thomas. M. Verich, The European Power and The Italo- Ethiopian War 1935. 1936. (U. S. A. Documentary Publications, 1980), Vol, IV. P. 138.

وعلى الرغم من إعلان أكثر الخبراء بأن حرب إيطاليا في الحبشة ستكون طويلة وإن الإيطاليين سيلاقون الكثير من المصاعب في إخضاع الأحباش بسبب ظـروف الحبشـة الجغرافية والإقليمية إلا أن العمليات العسكرية في أثيوبيا كانت سريعة جدا مـع بدايـة الغزو وكانت أوامر موسوليني بتحقيق نصر شامل وفي وقت قصير*. فتغلغلت الجيـوش العسكرية داخل أثيوبيا وواصلت زحفها منتصرة في كثير من المواقع العسـكرية، بينمـا كانت الطائرات الحربية تدمر كافة المناطق والمدن وواصلوا تقدمهم نحو العاصمة أديـس أبابا رغم استبسال القوات الحبشية في الدفاع عن أراضيهم. وتعتـبر معركـة "بحيرة أشانكي" في ١إبريل١٩٣٦م/١٣٥٥هـ، من المواقع الفاصلة حيث كـان الإمبراطـور هيلاسلاسي يرأس إدارة الحرب في جيشه، وأصيب الإمبراطور وجيشه بخسـائر فادحـة وإصابات بليغة من القذائف والغازات السامة، عانى منها الإمبراطور نفسه، وبذلك دُمر الجيش الحبشي، فترك الإمبراطور ميدان القتال إلى ديسبي ومنها إلى أديـس أبابـا. وفي ٥ مايو ١٩٣٦م استقل الإمبراطور وعائلته وبعض أفراد حاشيته القطـار متجهـا إلى مينـاء جيبوتي في الصومال الفرنسي ومنها غادر إلى القدس على طراده بريطانية فوصلها ومـن ثم أبحر إلى بريطانيا[١].

وقد كان لأنباء هروب الإمبراطور هيلاسلاسي أثر سيئ على قادة الجيش والشعب الأثيوبي، مما أدى إلى انهيار المقاومة ودخلت القوات الإيطالية أديس أبابا بقيادة المارشـال بادوليو بعد ظهر الخامس من مايو عام ١٩٣٦م[٢].

وبسقوط أديس أبابا صدق حدس الوزير المفوض الجديد-فيها مسـتر مـايرز Mr. Mayers إذ تنبأ قبل مغادرته بريطانيا متوجها إلى أديس أبابا في حديث لـه مـع وزيـر الخارجية البريطانية في ٢٩ أبريل عام ١٩٣٦م "بأن العاصمة الأثيوبية ستسـقط في ظـرف أسبوع (ما يقارب ٥ مايو)" وذلك بناءاً على مستجدات الوضع العسكري في أثيوبيا والقتال

---

* لمزيد من التفاصيل أنظر ص ٣٤.

١- محمد طارق الأفريقي: مذكراتي في الحرب الحبشية- الإيطالية، ص ص٩٢، ٩٥.

٢- Cab. 21/564. The Italo – Abyssinian Dispute Diary of Event, OP. Cit Tuesday 5th, May 1935, P. 115.

الدائر هناك بين القوات الإيطالية والأثيوبية[١]. وبذلك أثبتت نهاية الحرب السريعة خطأ الخبراء العسكريين البريطانيين، الذين أكدوا بأن غزوا إيطاليا لأثيوبيا سيستغرق وقتا طويلا[٢].

فعلى الرغم من أن نتيجة الحرب كانت متوقعة بين الكثيرين بانتصار إيطاليا وذلك لعدم التكافؤ الحربي بين القوات الإيطالية في الأسلحة والعتاد والرجال المدربين في الجو والبر، وبين القوات الأثيوبية التي كانت أساليب قتالها قديمة رغم المساعدة التي قدمها لها المتطوعون من العرب والمسلمين*[٣]. غير أنه كانت للسياسة الإيطالية الداخلية تجاه الحبشة في الدعاية وتقديم الرشاوى من الأسباب الهامة للهزيمة الحبشية[٤].

كذلك أثر على نتيجة الحرب الموقف السلمي السلبي لعصبة الأمم أمام تهديد موسوليني للأراضي الأثيوبية منذ بدء الأزمة عام ١٩٣٤م وبدء الغزو عام ١٩٣٥م وحتى سقوط أديس أبابا في عام ١٩٣٦م، وأخفقت العقوبات الاقتصادية في إيقاف موسوليني، وأمام رغبة كل من فرنسا وبريطانيا في التفاهم مع إيطاليا سلمياً نظراً لظروف أوربا وتزايد خطر ألمانيا النازية. ففقد الأثيوبيون ثقتهم في عصبة الأمم وأنهار النظام الكامل للأمن الجماعي، وكذلك أدى نجاح موسوليني في تنفيذ أطماعه في الحبشة إلى فتح الطريق أمام سياسة القوة لتنفيذ الأغراض السياسية والاستراتيجية والعسكرية للدول الديكتاتورية الأوربية مثل إيطاليا وألمانيا وأسبانيا. وأثرت سياسة بريطانيا المتخاذلة أمام إيطاليا، ففشلت في حماية الحبشة والاحتفاظ بصداقة إيطاليا، بل شكل وجود القوات الإيطالية في إريتريا والحبشة بهذه القوة إلى تهديد كبير للمصالح البريطانية وخطوط مواصلاتها إلى الهند، كما إن الإعلان عن قيام إمبراطورية استعمارية إيطالية في شرق أفريقيا أدى إلى سيطرة الإمبراطورية الإيطالية الجديدة على منابع النيل الأزرق وطوقت مضيق باب المندب من مصوع وعصب، وهددت أمن عدن، وبذلك أصبحت قناة

١- Cab. 22/421, J 8718/45/1, Conversation Between The Secretary of State for Foreign Affairs and The Oriental Secretary to his Majesty's Legation at Addis Ababa on 29 April, 1936.

٢- تايلور: أصول الحرب العالمية الثانية، ص١١٦.

* أنظر حاشية **، ص٤٦.

٣- محمد طارق الأفريقي: مذكراتي في الحرب الحبشية - الإيطالية، ص ص١٠٢، ١١٢.

٤- الأهرام: العدد ١٨٤٦٨، ١٣ مايو، ١٩٣٦م، ص٥.

السويس طريقا استعماريا عبر البحار مشتركا بين إيطاليا وبريطانيا، وأعطى لها ذلك موقفا مهددا للمصالح البريطانية في مصر والسودان والصومال البريطاني وعدن(١).

وعند انتهاء الحرب الحبشية – الإيطالية أعلن موسوليني انتهاء الحرب في ٥ مايو ١٩٣٦م /١٣٥٥هـ وخطب قائلاً: "إن الحبشة أصبحت إيطالية، إيطالية فعلاً لأن جيوشنا المنتصرة تحتلها، إيطاليا حقا لأن قوة روما هي قوة الحضارة التي تفوز الآن على الهمجية والعدل على الاستبداد..."، وذكر بأنه قد وفى بوعده في ٣ أكتوبر "بأن أبذل كل ما في وسعي لكيلا تتحول الحرب الأفريقية إلى حرب أوربية، وها أنا قمت بهذا الوعد، ولا أزال اليوم أكثر اقتناعاً من ذي قبل بأن تعكير صفو السلم في أوربا يعني خراب أوربا"(٢). وعلى إثر ذلك بلغت الحكومة الإيطالية دول العالم رسمياً بضم الحبشة لإيطاليا، وفي ١٢ مايو ١٩٣٦م سلم سفير إيطاليا في لندن السنيور جراندي مرسوم بذلك إلى وزارة الخارجية البريطانية، إلا أن الحكومة البريطانية اتخذت موقفا متحفظا، حيث صدرت الأوامر إلى السير سدني باتون الوزير البريطاني بأن يسير في أعماله على أساس أن السلطات العسكرية الإيطالية يجب أن يُعترف بها الاعتراف الذي يحق أن تناله الجيوش المحتلة لأراضي أعدائها بحسب مبادئ القانون الدولي، وأكد مستر بلدوين أن وزير الحبشة المفوض في لندن مُعترف به كممثل معتمد يستمد سلطته من الإمبراطور. وبدأ موسوليني باتخاذ تدابير سريعة في ١٢ مايو لاستثمار الحبشة من الوجهة الاقتصادية، وطلب إلى الكونت فولبي منيروراتا رئيس اتحاد الصناعات أن يباشر البحث للتحقق من موارد البلاد، والنية المتجهة لاستثمار ثرواتها الزراعية والمعدنية(٣).

وفي ١٦ مايو ١٩٣٦م وافق مجلس الشيوخ الإيطالي على ضم الحبشة وتقليد ملك إيطاليا فكتور عمانوئيل الثالث إمبراطوراً على الحبشة وتعين المارشال بادوليو نائبا للملك في أديس أبابا وحاكما على إمبراطورية شرق أفريقيا الإيطالية ووافق مجلس النواب

١- عاطف السيد: البحر الأحمر و العالم المعاصر، ص ص١٢٢، ١٢٣.

٢- الأهرام: العدد ١٨٤٦١، ٦-مايو- ١٩٣٦م، ص٧.

٣- الأهرام: العدد ١٨٤٦٨، ١٧- مايو- ١٩٣٦م، ص٥.

الإيطالي على مشروعي القانونيين الخاصين بإنشاء الإمبراطورية الإيطالية[١]. وقد ضمت الإمبراطورية الإيطالية كل من إريتريا وأثيوبيا والصومال الإيطالي في إمبراطورية واحدة، ووضعت لها تنظيمات وترتيبات إدارة مقاليدها بيد نائب ملك إيطاليا في أديس أبابا[٢].

وبذلك استطاعت إيطاليا احتلال أثيوبيا بعد حرب استمرت لمدة ثمانية أشهر منذ ٣ أكتوبر عام ١٩٣٥م إلى ٥ مايو عام ١٩٣٦م، ونجحت في تكوين إمبراطورية استعمارية إيطالية في شرق أفريقيا* تخدم أغراضها الحيوية، وتزيد في إمكاناتها الاقتصادية وتخفف عنها حدة أزماتها الداخلية. فبدأت بتقوية نفوذها في الحبشة ليكون منطلقا لها للتوسع وتحقيق مطامع موسوليني الفاشية مهددة بذلك النفوذ الفرنسي في الصومال الفرنسي (جيبوتي)، والنفوذ البريطاني في السودان والصومال البريطاني[٣].

وقد تبعت المستعمرات الإيطالية في شرق أفريقيا وزارة المستعمرات، وحكم الإيطاليون المستعمرة حكما مباشراً، فكان الحاكم العام في ليبيا ثم نائب الملك في شرق أفريقيا هو رئيس المستعمرة. وقسمت كل مستعمرة إلى عدد من الوحدات الإدارية ترأسها العسكريون لا المدنيون، واستعانت وزارة المستعمرات بالأخصائيين من مختلف الوزارات في الدولة لخدمة الأغراض الاستعمارية، وتركزت جميع السلطات الإدارية والتشريعية والقضائية في يد الحاكم العام ويرجع إليه في كافة الأمور، وانتشرت المراكز الحربية في مختلف أجزاء البلاد المحتلة في إريتريا والحبشة والصومال الإيطالي[٤].

وقد تولى جرازياني مهام وسلطات نائب ملك إيطاليا بصورة غير رسمية عندما طلب بادوليو العودة إلى روما، فغادر ميناء مصوع في ٢٨ مايو ١٩٣٦م، ووصل روما مستقبلاً كالأبطال[٥]. وفي ٢٣ يونيو ١٩٣٦م أصدر موسوليني قرارا بترقية جرازياني

١- Denis Mack Smith, Mussolini, (Milano: Superbur Saggi, 2000), P. 324.

٢- رجب حراز: إريتريا الحديثة ١٥٥٧ –١٩١٤م (د.ن)، ١٩٧٤ م)، ص٢٣٢.

* انظر الخريطة رقم (٦)، ص٥٣٣.

٣- على عمر جابر: النزاع الإيطالي – الأثيوبي ١٨٩٦ – ١٩٣٦، رسالة دكتوراه غير منشورة (تونس: جامعة تونس الأولى، ١٩٩٣م)، ص ص٥٦٩، ٥٧١.

٤- زاهر رياض: استعمار أفريقيا، ص٢٢٩.

٥- Cab.21/564. The Italia – Abyssinian Dispute Diary of Events, OP. Cit, Thursday, May 21st, 1935, P. 119.

إلى مارشال وتوليه منصب نائب الملك والقائد الأعلى للقوات المسلحة الإيطالية العاملة في الحبشة بصفة رسمية، وذلك تقديراً لماضيه ومجهوداته العسكرية[١].

وقد وضع الفاشيون عدة أسس لحكم البلاد التي تتكون منها إمبراطورية شرق أفريقيا الإيطالية:

أ- صبغ البلاد بالصبغة الفاشية: فلم يمض على دخول الإيطاليين العاصمة أديس أبابا أسبوع حتى افتتحوا مراكز الحزب الفاشي التي رفعت العلم الإيطالي أمام المباني الحكومية وفرضت التحية الفاشية (برفع اليد اليمنى إلى أعلى) وبدأت بالدعوة إلى الفاشية بين الأثيوبيين.

ب- انتهاج سياسة فرق تسد بين السكان من المسيحيين والمسلمين، حيث تعرض الاثنان للاضطهاد الفاشي فمثلا طرد المسيحيون من وظائف الدولة واستبدل بهم مسلمون في المناطق ذات الأغلبية المسلمة، وحدث العكس في المناطق ذات الأغلبية المسيحية لإحداث الفرقة بين المسلمين والمسيحيين الأثيوبيين.

جـ- عملوا على القضاء على التعليم والمتعلمين، فجعلت اللغة الإيطالية لغة التعليم وحرم الإثيوبيون من الالتحاق بالمدارس، وأغلقت جميع المدارس قبيل دخول الإيطاليين للعاصمة، وفتحت مدارس جديدة، وعزل جميع الموظفين الأثيوبيين من وظائفهم.

د- جعل أثيوبيا جزءاً من الوطن الإيطالي، فألغيت الرسوم الجمركية على المصنوعات الإيطالية وخفضت الرسوم البريدية إلى إيطاليا، واستولت الحكومة على الأراضي الزراعية التي كانت ملكاً للحكومة الإثيوبية سابقاً أو أفراد أسرتها الحاكمة الذين هاجروا، أو التي كانت ملكا للأهالي الذين قتلوا، كما هاجر عدد من الفلاحين الإيطاليين للعمل في تلك الأراضي، التي قسمت ووزعت عليهم.

هـ- التفرقة العنصرية بين البيض والملونين، بين السكان الأصليين والإيطاليين الذي هاجروا للاستيطان في الحبشة وأراضي الإمبراطورية في شرق أفريقيا.

١- ممتاز العارف: الأحباش بين مأرب و أكسوم، ص٢٧٢.

و- القضاء على العناصر الوطنية، التي عملت على التخلص من الاحتلال الإيطـالي وقامت بالثورات والغارات الانتقامية من الإيطاليين[١].

وقد وضع موسوليني مشروع الست سنوات لزيادة الإنتاج في الحبشة، إذ كان من المنتظر أن تمد الحبشة إيطاليا بكميات كبيرة من القطـن والـبن واللحـوم والصـوف والأخشاب والمعادن، وظل ذلك الأمل يراوده حتى دهمته الحرب العالميـة الثانيـة عـام ١٩٣٩م / ١٣٥٨هـ[٢]. وبذلك جهدت إيطاليا في جعـل إمبراطوريتـها في شـرق أفريقيا مستعمرة إيطالية تمدها بكل إمكاناتهـا السياسـية والعسـكرية والإسـتراتيجية والاقتصادية لتخدم احتياجات إيطاليا كدولة مستعمره.

وقد أجبر انتصار إيطاليا في الحبشة في فرض الإدارة الإيطالية على المجتمع الـدولي فرفعت عصبة الأمم العقوبات الاقتصادية، وقرر اجتماع مجلس العصـبة* المنعقـد في ٤ يوليو ١٩٣٦م رفع العقوبات عن إيطاليا[٣]. واضطرت كل من فرنسا وبريطانيـا إلى رفع العقوبات الاقتصادية واتخاذ سياسة تناسب تغير الأوضاع السياسية في شرق أفريقيـا وأوربا، واعتبر ذلك إخفاقاً ذريعاً للدول العظمى ولعصبة الأمم. وكان للأزمة الحبشـية الأهمية الكبرى في العلاقات الدولية[٤].

حيث إن هتلر ومع فشل كل المبادرات الهادفة إلى حل القضية الأثيوبيـة بـالطرق السلمية، وجد بأن الظروف الدولية أصبحت مواتية للسير في تنفيذ أولى خطوات برنامجه النازي. وقد أعجب الرأي العام الألماني بالطريقة الإيطالية السريعة والناجحة التي أنهـت فيها إيطاليا حملتها على أثيوبيا وشمل ذلك الإعجاب العناصر الألمانية التي لم تكن توافـق على سياسة موسوليني في السابق[٥].

١- زاهر رياض: تاريخ أثيوبيا، ص ص١٤٩، ١٥٢.

٢- عبد الحميد البطريق: التيارات السياسية المعاصرة ١٨١٥ – ١٩٧٠م (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٦م)، ص٢٩٣.

* تم رفع العقوبات نهائيا في منتصف عام ١٩٣٧. – فيشر: تاريخ أوروبا، ص٤٤٧.

٣- Cab. 21/564. The Italo – Abyssinian Dispute Diary of Events, OP.Cit, Saturday, July 4th, 1935, P. 122.

٤- بشرى قبيسي، موسى مخول: الحروب والأزمات الإقليمية في القرن العشرين أوربا وآسيا، ص٧٥.

٥- ونستون تشرشل: المذكرات، جـ١، ص١١٠.

فقام هتلر بإعلان نقضه لاتفاق لوكا رنو، وأرسل قواته إلى رينا نيا (إقليم الراين)، مما دفع بالدول الأوربية بشكل عام وفرنسا وبريطانيا بشكل خاص إلى صرف النظر عن القضية الأثيوبية، وإعطاء الأفضلية في الاهتمام بمعالجة تطور السياسة الألمانية في أوربا. وأدى ذلك إلى انتهاج إيطاليا سياسة متقاربة مع ألمانيا، وذلك أمام الضغوطات الفرنسية-البريطانية عليها وتضارب المصالح بينهما وهو الأمر الذي كانت فيه الدولتان تسعيان إلى تحاشيه في الفترة الماضية. مما جعل الحكومتين الفرنسية والبريطانية تسعى لاحتواء الموقف.

وقد تقاربت الحكومتان الإيطالية والألمانية في كثير من المواقف السياسية التي تخدم أغراضهما، ومنها الحرب الأهلية الأسبانية* التي بدأت في يوليو ١٩٣٦م واستمرت إلى مارس ١٩٣٩م، فقد تدخلا قبل إعلان الحرب الأهلية منذ عام ١٩٣٤م، وتركزت المصالح الإيطالية لمساعدة الجنرال فرانكو** Franco آنذاك لأنها كانت تأمل أن تؤمن نفوذها في أسبانيا، وأن حكومة فرا نكو ستتخلى لها مقابل دعمها عن قواعد بحرية أو جوية في جزر البليار BALEARES للأهمية الاستراتيجية لهذه الجزيرة بالنسبة لإيطاليا، كما أن تفيد من ذلك وتهدد بالحرب من أجل مضيق جبل طارق، بل يمكن أن تمكن إيطاليا أن تحاول فتح ملف القضية المراكشية باعتبار أسبانيا تملك مراكش. فلم تتردد إيطاليا من إرسال جنودها مسلحين بقيادة إيطالية، كما أن الصحافة الإيطالية احتفلت بالاستيلاء على بيلباوه Bilbao وسانتا ندر Santander كانتصارين إيطاليين قويين. كما أن الحكومة الألمانية اعتبرت بأن الأهداف الإيطالية من الحرب مفيدة لها أيضا وإن كانت تؤمل بفوائد اقتصادية هامة في مناجم أسبانيا، فقدمت كلتا الحكومتين الإيطالية والألمانية دعمهما العسكري والمادي والمعنوي لفرانكو(١).

---

* هي حرب عسكرية ضد الحكم الجمهوري في أسبانيا، قامت بدعم من العناصر المحافظة في البلاد، انطلقت العمليات العسكرية من الريف المراكشي عام ١٩٣٦ بقيادة اللواء سان جورج، وبعد مقتله في حادثة طائرة حل محله اللواء فرا نكو رئيس الأركان الأسباني السابق، تعتبر حربا أهلية أسبانية وشاركت فيها كبريات الدول مثل ألمانيا وإيطاليا و كذلك بريطانيا وفرنسا وروسيا. - فردريك معتوق: معجم الحروب (لبنان: جروس برس، ١٩٩٦ م)، ص٢٢٨.

** فرنشسكو فرانكو، ديكتاتور أسبانيا والقائد الأعلى لجيشها، انضم للثوار في الحرب الأهلية ١٩٣٦-١٩٣٩ م، صار رئيساً للحكومة ١٩٣٦ م، وزعيماً ١٩٣٧م، رئيساً للوزراء ١٩٣٩ م، ووصياً على أسبانيا انتظاراً لتنصيب ملك عام ١٩٤٧م، - الموسوعة العربية الميسرة، ص١٢٨١.

١- بيير رونوفن: تاريخ القرن العشرين، ص ص٤٥٠، ٤٥٢.

وهو الأمر الذي كان يتعارض مع مصلحة كلا من بريطانيا وفرنسا اللتين كانتا تخشيان من تسارع شقة الخلاف العسكري والحربي فيمتد إلى أوربا بأسرها، كذلك كان من مصلحتها ألا يتبدل نظام التوازن القائم في نظام البحر المتوسط الغربي لأن لهما التفوق فيه، و اعتبرت السياسة الإيطالية والألمانية إزاء الجنرال فرا نكو، عاملاً مرجحا لتمكن الفاشية من تحقيق النصر في أسبانيا[١].

وازداد التقارب الإيطالي- الألماني في أكتوبر عام ١٩٣٦ م عندما زار الكونت جاليزو تشانو Galeazzo Ciano وزير خارجية إيطاليا برلين، واجتمع مع نظيره الألماني فون نوارث Von Neurath، ونتج عن ذلك توقيع برتوكول سري في ٢١ أكتوبر ١٩٣٦م، حدد سياسة مشتركة لألمانيا وإيطاليا في الشئون الخارجية[٢]. حيث تضمنت اعتراف الحكومة الإيطالية بالنفوذ الألماني في الدانوب، مقابل اعتراف ألمانيا بالنفوذ الإيطالي في البحر المتوسط[٣]. وهكذا نشأ محور روما – برلين The Rom- Berlin Axis، واعترف هتلر رسميا بسيادة إيطاليا في الحبشة[٤].

فكان على كل من بريطانيا وفرنسا اتخاذ سياسة جديدة تناسب تطور الأوضاع التي تؤكد انزلاق الوضع الدولي إلى الهاوية، فقد اعتبرت كل من الحرب الحبشية – الإيطالية والحرب الأهلية – الأسبانية و إخفاق عصبة الأمم في وقف العدوان وإعادة السلام إلى أوربا والعالم، وكذلك قيام محور برلين – روما من أهم أسباب التوتر الدولي الذي أدى إلى قيام الحرب العالمية الثانية.

١- فيشر: تاريخ أوروبا، ص٦٥٣.

٢- وليام شيرر: تاريخ ألمانيا الهتلرية، ترجمة:خيري حماد (بغداد: مكتبة المثني، ١٩٦٢م) جـ٢، ص ص٤٣، ٤٤.

٣- رياض الصمد: تطور الأحداث الدولية، ص٣٠٢.

٤- محمد كمال الدسوقي: تاريخ ألمانيا، (القاهرة: دار العارف، (د.ن))، ص ١٤١.

المبحث الثاني

العالم العربي

- شبة الجزيرة العربية: (المملكة العربية السعودية – اليمن – عدن ومحميات الجنوب – الخليج العربي).
- العراق.
- بلاد الشام: (إمارة شرق الأردن – فلسطين – سورية ولبنان).
- مصر – السودان – ليبيا.

شبة الجزيرة العربية:

ظلت الجزيرة العربية بعيدة عن اهتمام الدول الاستعمارية، إلا أن سواحلها الطويلة لم تنج من النفوذ الاستعماري الذي سيطرت عليه بريطانيا على سواحل الخليج العربي الغربية وسواحل بحر العرب (المحيط الهندي) في جنوب الجزيرة العربية[١].

المملكة العربية السعودية:

وفي داخل شبه الجزيرة العربية سيطر الملك عبدالعزيز آل سعود على المنطقة الممتدة من جنوب العراق وشرق الأردن إلى شمال اليمن جنوباً إلى سواحل الخليج العربي شرقاً وسواحل البحر الأحمر غرباً، وأصدر جلالته مرسوماً ملكياً في ١٧ جمادى الأولى ١٣٥١هـ - الموافق ١٨ سبتمبر ١٩٣٢م، أمر فيه بتحويل مسمى مملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها إلى مسمى المملكة العربية السعودية وذلك ابتداء من يوم الخميس ٢١ جمادى الأولى ١٣٥١هـ (الأول من برج الميزان)- الموافق ٢٢ سبتمبر ١٩٣٢[٢].

وقد سعى جلالته إلى تحسين الأوضاع الداخلية لدولته، وإلى إقامة علاقات ودية تُجاه الحكومات العربية والأجنبية، فقامت سياسته نحو الحكومات العربية للتعاون الصادق في جميع الميادين، ومد يد المساعدة لهم. فعقد عدة معاهدات صداقة وود، ففي ٧ مايو ١٩٣٦م/١٣٥٥هـ عقد معاهدة صداقة مع مصر، وكانت المحادثات بشأنها قد بدأت في عهد الملك فؤاد، واستكملت ووقعت في عهد الملك فاروق، وأكدت المعاهدة على اعتراف كل منهما بالأخرى دولة حرة ذات سيادة استقلالا مطلقا، وأكدت على أواصر الأخوة والسلام الدائمين. وقد سعت الحكومة البريطانية التي كانت تفرض انتدابها على العراق والأردن على إنهاء الاضطرابات التي تقع غالبا على الحدود، وعلى إنهاء أسباب الخلاف بين الملك عبدالعزيز آل سعود والملك فيصل ملك العراق والأمير عبدالله أمير شرق الأردن أبناء الشريف الحسين بن علي، ووقع الطرفان العراقي والسعودي في ١٧أبريل عام ١٩٣١م/١٣٥٠هـ اتفاقية صداقة وحسن جوار،

١- حسين فوزي النجار: السياسة الإستراتيجية في الشرق الأوسط (القاهرة: مكتبة النهضة العصرية، ١٩٥٣م)، جـ١، ص٦١٨.

٢- صلاح الدين المختار: تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها (بيروت: دار مكتبة الحياة، (د.ت))، جـ٢، ص٤٥٩.

وبرتوكول تحكيم واتفاق تسليم المجرمين بين الطرفين. وفي ٢٧ يوليو ١٩٣٢م وقعت معاهدة صداقة وحسن جوار بين الطرفين الأردني والسعودي وبرتوكول تحكيم، كما قام الأمير سعود* ولي عهد المملكة العربية السعودية بزيارة إلى عمان في أغسطس عام ١٩٣٦م في طريق عودته من أوربا، وذلك تأكيداً لأواصر الصداقة بين البلدين، كما قام الملك عبدالعزيز آل سعود بعقد "معاهدة الطائف" في عام ١٩٣٤م/١٣٥٣هـ مع الإمام يحي بن حميد الدين ملك المملكة المتوكليه اليمنية لإنهاء التراع على الحدود الجنوبية للمملكة العربية السعودية وألحقت بملحق لتحديد الحدود وعهد للتحكيم بين الطرفين(١).

ولم تكتف الحكومة السعودية بتصفية الخلافات الحدودية وتأكيد أواصر الصداقة والمودة بينها وبين الحكومات العربية، بل إنها اتفقت مع الحكومة العراقية على عقد تحالف سعودي – عراقي في إبريل ١٩٣٦م/١٣٥٥هـ، أكد على مزيد من التحالف والترابط بين الدولتين، وقد انضمت اليمن إلى هذا الحلف في عام ١٩٣٨م/١٣٥٧هـ(٢).

وكما سعت بريطانيا للتوصل لتسوية الخلافات الحدودية الشمالية للمملكة العربية السعودية، فإنها سعت كذلك لتسوية مسائل الحدود الشرقية في منطقة الخليج العربي مع الكويت والإمارات العربية (مشيخات الخليج العربي) وعمان وقطر فيما بين عامي ١٩٣٢م–١٩٣٧م/١٣٥١–١٣٥٦هـ مراعاة منها لمصالحها في المنطقة ولحماية نفوذها أمام تزايد الاهتمام الأمريكي بالمنطقة بعد منح المملكة العربية السعودية للشركات الأمريكية حق امتيازات التنقيب عن النفط في المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية(٣).

---

* الأمير سعود بن عبدالعزيز (١٩٠٢–١٩٦٩م): تولى العرش عقب وفاة والده الملك عبدالعزيز آل سعود عام ١٩٥٣م، سار على منهج والده في الحكم، شهد عهد الكثير من الإنجازات الحضارية، أهتم بالأمور ذات الصلة بالمسائل الإسلامية والعربية، توفي بأثينا في اليونان عام ١٩٦٩م، دفن بالرياض. – الموسوعة السياسية، جـ٣، ص١٦٩.

١– وزارة الخارجية: مكة المكرمة: مجموعة المعاهدات من ١٩٢٢–١٩٥١م، جـ١، ص ص١٦١، ١٩٨.

٢– نفس المرجع، ص ص٢٢٠، ٢٢٤.

٣– فاروق أباظه: دراسة تاريخية لقضايا الحدود السياسية للدولة السعودية بين الحربين العالميتين (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٧م)، ص ص٦٧، ٧٣.

وفيما أكدت سياسة المملكة العربية السعودية تجاه الدول العربية رغبتها التي التقت مع اتجاه الدول العربية نحو الترابط والوَحدة وإزالة الخلافات فيما بينهم أمام ما تعرضت له البلاد العربية من انقسام وتجزئة جراء تزايد النفوذ البريطاني والفرنسي والإيطالي بعد الحرب العالمية الأولى تحت ستار من الشرعية الدولية كانتداب أو معاهدة أو فرض سيطرة، وتفاقم الأوضاع السياسية والعسكرية في الأراضي الفلسطينية لمقاومة العرب الفلسطينيين تزايد الهجرة اليهودية، والاعتداءات اليهودية على عرب فلسطين لإنشاء الوطن القومي الموعود في فلسطين تحت ستار الانتداب البريطاني لفلسطين. فكان لذلك تأثير كبير على العرب خارج فلسطين دفعتهم للتمسك بروابط الأخوة والوحدة العربية فيما بينهم[١].

وفي المجال الخارجي، اهتمت الحكومة السعودية بتطوير علاقاتها تجاه الدول الأجنبية أشرف على تنظيمها وزارة الخارجية التي تم إنشاؤها في ١٩٣١م/١٣٥٠هـ وتولاها الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود*، وعقدت المملكة العربية السعودية علاقات صداقة تقوم على التعامل مع جميع الدول الأجنبية على قاعدة المساواة المطلقة والمقابلة بالمثل في إطار الأحوال الدولية الحاضرة مع الصداقة والمودة والسلام، فعقدت معاهدات سياسية وتجارية متتالية مع كل من الاتحاد السوفيتي عام ١٩٢٦م/١٣٤٥هـ، وألمانيا عام ١٩٢٩م/١٣٤٨هـ، ومع إيطاليا عام ١٩٣٢م-١٣٥١هـ، وفرنسا ١٩٣١م/١٣٥٠هـ، والولايات المتحدة الأمريكية ١٩٣٣م/١٣٥٢هـ[٢]. وكانت جدة هي المدينة التي يوجد فيها موظفو المفوضيات والقنصليات وغيرها من الهيئات شبه الدبلوماسية التي كانت على علاقات سياسية بالحكومة السعودية، كذلك يوجد عدد من البيوت التجارية الأوربية المشتغلة بالنقل البحري وبالأعمال التجارية الأخرى في البلاد،

١- أمين السعيد: تاريخ الدولة السعودية، جـ٢، ص ص٢٣١، ٢٣٠.

* الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود: ملك المملكة العربية السعودية، ولد بالرياض، ساند والده في توحيد المملكة العربية السعودية، قاد حملة تهامة ١٩٣٤م، أسندت إليه رئاسة حكومة الحجاز ١٩٢٦م، عين رئيساً لمجلس الشورى، ووزيراً للخارجية عام ١٩٣٠م، مثل بلاده في عدة مؤتمرات دولية، وزار عدة أقطار عربية وأجنبية، تولى الحكم في عام ١٩٦٤م. - الموسوعة العربية الميسرة، ص١٣٤٩.

٢- فؤاد حمزة: البلاد العربية السعودية، ط٢، (الرياض: مكتبة النصر الحديثة، ١٩٦٨م)، ص ص١١٧، ١٣٢، ١٣٤.

ومن أهمها البيوت البريطانية والهولندية والإيطالية، إلى جانب الروس والألمان والبولنديين[١].

وقد اهتمت الحكومة السعودية بتطوير علاقاتها مع الحكومة البريطانية، فعقد اجتماع في ٣ أكتوبر ١٩٣٦م/١٣٥٥هـ - بمكتب الخارجية بجدة بين سعادة الشيخ يوسف ياسين وبعض موظفي وزارة الخارجية السعودية، وسعادة ريد وليم بولارد الوزير المفوض البريطاني في جدة، وتبادل الطرفان مذكرات حكومتيهما بشأن تمديد مفعول "معاهدة جدة" التي عقدت في عام ١٩٢٧م/١٣٤٦هـ لمدة ٧سنوات، بعد تعديل بعض الأحكام الواردة فيها، وهي خاصة بمخلفات الحجاج التابعين للحكومة البريطانية الآتين لأداء فريضة الحج في الأراضي المقدسة، وتضمنت تحفظ حكومة المملكة العربية السعودية بحقها في منطقة العقبة ومعان، وتمسكت الحكومة البريطانية بموقعها السابق فيها، وتضمنت السماح لحكومة المملكة العربية السعودية شراء أسلحة من البلاد البريطانية طبقا للأنظمة المحلية لتصدير الأسلحة المعمول بها في بريطانيا وقت التصدير[٢].

وقد حَرص الملك عبدالعزيز آل سعود على إيجاد توازن في علاقاته الخارجية مع أهم الدول الكبرى التي كان لها تأثير في مجريات الأحداث الدولية آنذاك، ففي الوقت الذي كان لبريطانيا النفوذ الأقوى في المنطقة العربية، حرصت إيطاليا على منافسة النفوذ البريطاني في جنوب الجزيرة العربية و البحر الأحمر[٣]. وفيما حرصت إيطاليا على تقوية نفوذها في اليمن والحبشة وإريتريا، اهتمت بعقد معاهدة صداقة بينها وبين السعودية في ١٠ فبراير عام ١٩٣٢م/١٣٥١هـ، اعترفت فيها بالملك عبدالعزيز آل سعود، و اتفقا على إنشاء علاقات دبلوماسية وقنصلية بين البلدين، والتفاهم حول حقوق الرعايا الإيطاليين الذين يدينون بدين الإسلام ويقصدون الحجاز لأداء فريضة الحج[٤].

١- عبدالله فلبي: الذكرى العربية الذهبية، ترجمة: دكتور مصطفى كمال فايد، (القاهرة: مطبعة الاعتماد، ١٩٥٣م)، ص٢٢٩.

٢- وزارة الخارجية: مكة المكرمة، مجموعة المعاهدات، جـ١، ص ص٢٣٦، ٢٤٠. &
F.O 361/ 20059, Prince Feysal, Minister for Foreign Affairs, 6/1/47, 3rd Oct,1936 Mr. W Bullard, British Consulate, Jeddah, No 145 (1728/430/143) 3rd, Oct, 1936.

٣- عبدالله القباع: السياسة الخارجية السعودية، ص٣٥٤.

٤- وزارة الخارجية: مكة المكرمة، مجموعة المعاهدات، جـ١، ص ص١٠٣، ١٠٥.

وفي أثناء زيارة الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود إلى روما، قام الأمير بمقابلة ملك إيطاليا فكتور أمانويل وموسوليني. وقد تحسنت إثر الزيارة العلاقات التجارية بين البلدين وعرض الجانب السعودي على إيطاليا إمكانية المساهمة في التنقيب عن النفط في الأراضي السعودية ولكن الحظ لم يحالف الإيطاليين في ذلك. وفي عام ١٩٣٤م/١٣٥٣هـ قام الشيخ فؤاد حمزة* وكيل وزارة الخارجية السعودية بزيارة إلى إيطاليا قابل خلالها موسوليني الذي أبدى رغبته في أن تقف السعودية مع إيطاليا في حالة نشوب حرب بينهما وبين أثيوبيا. وفي هذا اللقاء طلب الشيخ فؤاد حمزة مساعدة إيطاليا في دعم استقلال سوريا ولبنان، والمساهمة في حل النزاع الحدودي بين العراق وإيران(١).

وقد ظهر التنافس الإيطالي والبريطاني واضحا في أثناء الحرب السعودية – اليمنية عام ١٩٣٤م، عندما دخلت القوات السعودية تحت قيادة الأمير فيصل آل سعود الحديده في ٢١ محرم ١٣٥٣هـ** حيثُ تحرك البريطانيون والإيطاليون والفرنسيون للمنطقة(٢). فظهرت قطع من الأسطول البحري الإيطالي قرب ميناء الحديده، حيث ظهرت الطراده (بيزانس) البريطانية قرب الحديده، فيما أرسل البريطانيون طائرة مائية إلى جزيرة كمران باسم المحافظة على رعاياهم في الحديده(٣).

وقد رست قطع البحرية الإيطالية في الميناء، وحاول القائد الإيطالي إنزال بعض جنوده إلى البر فمنعته القوات السعودية، و أرسل الأمير فيصل إلى القائد الإيطالي رسولا يرجوه أن يمنع نزول جنوده إلى البحر حرصا على السلام والمودة، فاستجاب القائد الإيطالي، وتفاهم الطرفان. حيث تعهد الأمير فيصل بضمان سلامة كل رعايا وممتلكات الدول الأجنبية في الحديده، وبذلك استطاع الأمير فيصل بحكمته احتواء الموقف وأن يمنع

---

* فؤاد حمزة (١٨٩٩-١٩٥١): سياسي وباحث عربي، ولد وتعلم في لبنان، عين مترجماً خاصاً للملك عبدالعزيز آل سعود بالرياض ١٩٢٦م، ثم جعله وكيلاً للشؤون الخارجية، فوزيراً مفوضاً بباريس فأنقرة، عمل مستشاراً للملك عبدالعزيز، توفي ببيروت. - الموسوعة العربية الميسرة، ص١٣٢٨.

١- عبدالله القباع: السياسة الخارجية السعودية، ص٣٥٦.

** وجهت وزارة الخارجية السعودية مذكرة إلى ممثلي الدول الأجنبية في جدة بمستجدات الوضع في الحديده، وضمنت سلامة رعايا الدول الأجنبية في الحديده وغيرها. - أحمد عبد الغفور عطار: صقر الجزيرة، جـ٦، ص١١٦٣.

٢- عبدالله فلبي: الذكرى العربية الذهبية، ص٢٦٤.

٣- أمين السعيد: تاريخ الدولة السعودية، جـ٢، ص٣٧٨.

أي تدخل إيطالي أو بريطاني في الحديده. ولما انتهت الحرب وتخلت القوات السعودية عن الأراضي اليمنية التي دخلتها لم يعد هناك حاجة لأي تدخل من قبل بريطانيا وإيطاليا في المنطقة، وبذلك استطاع السعوديون أن يمنعوا محاولة الإيطاليين التدخل في اليمن. إذ أن الإيطاليين اعتبروا أنفسهم أصدقاء الإمام يحي بن حميد الدين مدافعين عن الأراضي اليمنية فيما هم في الحقيقة طامعون للتدخل في اليمن، وخافوا أن يسبقهم النفوذ السعودي فيخسروا أطماعهم في اليمن كما ضاعت في منطقة عسير التي أصبحت جزءاً من أملاك المملكة العربية السعودية[١].

وقد كان للتدخل السعودي في شمال اليمن أثره على الجانب البريطاني الذي كان يراقب الموقف حماية لمصالحه الخاصة في المنطقة، فحاول المندوب السامي البريطاني في عدن إزالة مظاهر العداء بين السعودية واليمن خوفاً من تأثير العمليات العسكرية في قبائل محمية عدن مما قد ينعكس سلبا على المصالح البريطانية[٢]. وعندما أثيرت القضية في مجلس النواب البريطاني في ٨ أبريل عام ١٩٣٤م أعلن وزير الخارجية "بأن بريطانيا تحافظ على الحياد التام في جزيرة العرب وأنها على علاقة حسنة مع الفريقين"[٣].

وأدلى وزير الخارجية البريطانية في ٧ مايو ١٩٣٤م بياناً في مجلس العموم البريطاني فقال: "إن الحكومة البريطانية تراعي في خطتها الحياد الدقيق إزاء النزاع القائم بين الملك عبدالعزيز آل سعود وإمام اليمن اللذين تربطهما بالحكومة البريطانية روابط المودة والصداقة، وهو النزاع الذي من أجله تتخذ الحكومة البريطانية التدابير التي تراها ضرورية لحماية أرواح الرعايا البريطانيين وأملاكهم والأشخاص الذين تحت حمايتها في المنطقة التي يتناولها القتال"[٤].

١- أحمد عبدالغفور عطار: صقر الجزيرة، جـ٦، ص ص١١٦٢، ١١٦٤.

٢- (2) 7 N 2833 ،تقرير عن عدن والمملكة العربية السعودية مؤرخ في ١٩٣٤م، الملك عبدالعزيز آل سعود وسيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية: (الرياض: دار الدائرة، ١٩٩٩م) الوثائق الفرنسية جـ١٩، ص٣٤٧.

٣- أمين السعيد: تاريخ الدولة السعودية، جـ٢، ص٣٧٩.

٤- الأهرام: العدد ١٧٧٤٨، في ٨-٥-١٩٣٤م، ص٤.

بينما أكدت إيطاليا بأنها لا توافق على سقوط اليمن في أيد أخرى، وأنها تنظر إلى الحالة بعين القلق، ولاسيما إذا طال أمد الحرب أو اشتدت وطأتها. وأوضحت بأنها أرسلت بوارجها الحربية الثلاث إلى ميناء الحديده بسبب وجود كثير من الإيطاليين في هذه المنطقة، حيث توجد مستودعات كثيرة للبن وعدد من المستشفيات الإيطالية، ورأت إيطاليا أنها لا يمكن أن تقف موقفا من شأنه إيجاد سوء تفاهم مع إنجلترا التي لها هي أيضا مصالح عظيمة في تلك المنطقة، وأنه يحسن بالدول العظمى أن تتفق على انتهاج خطه واحدة بإزاء الأحوال الحاضرة في جزيرة العرب[١].

ويبرر التدخل الفرنسي إثر دخول القوات السعودية الحديده، بأن الفرنسيين حرصوا على مراقبة نشاط كل من البريطانيين والإيطاليين في هذه المنطقة، خشية أن يفوزا بمكاسب استعمارية جديدة فيها، وخوفا على مصالحها في جيبوتي، وجنوب غرب الجزيرة العربية، فأرسلوا بارجة حربية فرنسية[٢].

وبذلك اتسم موقف الدول الكبرى بريطانيا وإيطاليا وفرنسا بالحياد، إلا أن سرعة إرسالهم للسفن الحربية إلى المنطقة تدل على حرصهم الشديد لحماية مصالحهم، وتدل على مدى التنافس بين بريطانيا وإيطاليا في المنطقة رغم عدم اتفاقهم على الإجراءات التي يجب أن تتخذ لإيجاد توازن سياسي وعسكري في جنوب الجزيرة العربية[٣]. إلا أن توصل الطرفين السعودي واليمني إلى عقد معاهدة الطائف عام ١٩٣٤م/١٣٥٣هـ، أنهى الحرب وكافة التكهنات السياسية وأي محاولة للتدخل الأجنبي في المنطقة.

وفي عام ١٩٣٥م/١٣٥٤هـ قام ولي العهد السعودي الأمير سعود بن عبدالعزيز بزيارة لإيطاليا في أثناء جولته الأوربية — العربية وبصحبته الشيخ فؤاد حمزة وبعض الدبلوماسيين السعوديين، وتم التباحث في أثناء الزيارة مع المسئولين الإيطاليين وعلى رأسهم موسوليني حول مجموعة من القضايا في مقدمتها العلاقات الإيطالية — الأثيوبية

١- الأهرام، العدد ١٧٧٤٦، في ٦-٥-١٩٣٤م، ص٤.

٢- الأهرام، العدد ١٧٧٤٨، في ٨-٥-١٩٣٤م، ص٤.

٣- سلفاتور أبونتي: هذه هي اليمن السعيدة، ترجمة: طه فوزي، ص١٤٥.

وقضية فلسطين والتراع بين العراق وإيران وتزويد السعودية بالأسلحة وبعض المساعدات الفنية[١].

ونجحت إيطاليا في هذه الزيارة في الحصول على موافقة الحكومة السعودية لتنظيم وتدريب دفعة أخرى من القوات الجوية السعودية، وأوفد عشرة من الشبان السعوديين في بعثة إلى إيطاليا لتعلم قيادة الطائرات[٢]. مما اعتبرته إيطاليا نصراً لجهوداتها لتحقيق نفوذ ينافس الوجود البريطاني في المنطقة.

وفي ظل توتر الأوضاع السياسية في المنطقة حيث بدأ التراع الإيطالي - الحبشي يأخذ مرحلة عسكرية حاسمة لتحقيق الأطماع الإيطالية في الحبشة، انعكس ذلك على موقف المملكة العربية السعودية الرافض للتعدي الإيطالي رغم اتخاذها موقف الحياد حتى تسفر الجهود المبذولة في عصبة الأمم الرامية إلى إيجاد تسوية للتراع[٣]. إلا أنه سرعان ما نجحت إيطاليا في دخول أديس أبابا في ١٩٣٦م/١٣٥٥هـ، وأعلنت تكوين إمبراطورية شرق أفريقيا الإيطالية.

وفي مايو ١٩٣٦م قام وزير إيطاليا المفوض في جدة بمقابلة الملك عبدالعزيز آل سعود وأخبره رسميا بنجاح حملة الإيطاليين على الحبشة، وقدم له هدية وهي عبارة عن ست طائرات لستة من الطيارين السعودية الذين أتموا تدريباتهم حديثا في إيطاليا. وفي هذه الزيارة أكد الوزير الإيطالي المفوض للملك عبدالعزيز آل سعود بأنه ليس لإيطاليا أية أغراض عدوانية تجاه الجزيرة العربية. وأن إيطاليا تنوي تجديد معاهدتها مع الأمام يحي، وحاول الدفاع عن موقف إيطاليا إزاء عصبة الأمم وتحديها لها، وأتهمها بأنها ((عصبة إنجليزية))[٤].

١- Prof. Vincenzo Strika, The Relation between Italy and Saudi Arabia up to The Second World War, "International Conference on The History of King Abdul Aziz (Riyadh: University of Imam Mohamed Bin Saud, 1985), P. 9.

٢- فؤاد حمزة: البلاد العربية السعودية، ص٢٥٨.

٣- نفس المرجع، ص١٣٨. D.D.I. Ottava Serie, Volume II, IL Ministro A Gedda, Persico, AL Capo Ael Governo & E Ministro Degli Esteri, Mussolini, N: 900, Gedda, 22 Dicembre 1935.

٤- F.O 407/174, E- 3322/56/25/, No. 27. Sir. A. Ryan to Mr. Eden, Jedda, May 17, 1936.

وعلى الرغم من ترحيب الملك عبدالعزيز بالصداقة والعروض العسكرية الإيطالية، إلا أن ذلك لم يمس صداقته مع بريطانيا[١]. واستمرت العروض الإيطالية لتزويد المملكة باحتياجاتها العسكرية في عام ١٩٣٧م/١٣٥٦هـ[٢]. فأبدت الحكومة الإيطالية استعدادها بتلبية المطالب السعودية بتزويدها بالمعدات الحربية التي تحتاجها[٣]. وعندما نجحت إيطاليا في تجديد المعاهدة الإيطالية – اليمنية في أكتوبر ١٩٣٧م، اهتمت بإبلاغ الحكومة السعودية بهذا التجديد، وأوضحت بأن المعاهدة تدخل ضمن السياسة الإيطالية لإبقاء السلام و الوضع القائم في البلاد العربية حول البحر الأحمر[٤].

ارتبطت المملكة العربية السعودية بعلاقات اقتصادية مع الدولة الثانية في المحور وهي ألمانيا. حيث عملت كثير من الشركات الألمانية في المملكة، وكان لألمانيا ممثل رسمي في جدة حتى عام ١٩٣٣م/١٣٥٢هـ. كما حصلت بعض الشركات السعودية على وكالات وتمثيل تجاري لبعض الصناعات الألمانية في المملكة[٥].

كذلك قامت الحكومة السعودية بالاتصال بألمانيا للحصول على الأسلحة اللازمة للدفاع عن أراضي المملكة العربية السعودية، ويرجع سبب لجوء الملك عبدالعزيز إلى ألمانيا وإيطاليا للحصول على أسلحة وطائرات لتقوية وتدريب قواته الجوية، إلى أن الحكومة البريطانية لم تقدم المساعدة اللازمة للملك عبدالعزيز في هذا الاتجاه سواء لسد حاجة بلاده للأسلحة أو لتقوية جيشه أو قواته الجوية حيث كانوا يعتقدون خطأً بأن الدولة السعودية لم تتهيأ لذلك بعد[٦].

١- F.O 371/19978, E- 7648, from A. Clarkkerr to Mr. Rendel, Bagdad, 25th November, 1936.

٢- F.O 371/20843 ,E-4025, from Foreign Office, Minute Mr. Rendel, 10th July, 1937.

٣- D. D. I. Ottava Serie, Volume VII, IL Ministro Degli Esteri, Ciano. All' Incaricato D' Affari A Gedda, Paveri, N: 493, Roma, 30 Ottobre 1937.

٤- D. D. I. Ottava Serie, Volume VII, IL Ministro Degli Esteri, Ciano. Al Ministro A Gedda, Sillitti, N: 297, Roma, 7 Seppembre 1937.

٥- D.D.I. Ottava Serie, Volume VII, IL Ministero Degli Esteri Ciano, All' Incaricato D' Affari A Gedda, Paveri, N: 493, Roma, 30 Ottobre 1937.

٦- F.O 371/20843, E- 4454/815/25, July 28, 1937.

فيما أبدت إيطاليا استعداداً جيداً للمطالب السعودية، وإن صاحبها دوافع سياسية[١]. مما جعل الملك عبدالعزيز يتجه إلى غيرها من الدول كألمانيا منذ عام ١٩٣٧م[٢]. وهو الوقت الذي كانت فيه صناعات السلاح الألمانية قد استعادت مكانتها في السوق العالمي، بالإضافة إلى تزايد اهتمام ألمانيا النازية بتطوير نفوذها في المشرق العربي، وهو ما قابله الملك عبدالعزيز بالكثير من الحذر في اتصالاته مع أعضاء مكتب للشؤون الخارجية للحزب النازي[٣]. وهكذا اتسمت علاقات المملكة العربية السعودية بالتوازن وعمد الملك عبدالعزيز إلى التقليل من اعتماده على جهة دون أخرى.

الخليج العربي:

اتجهت بريطانيا إلى حماية نفوذها في منطقة الخليج العربي في هذه الفترة ١٩٣٥-١٩٣٧م، وواجهت أطماع إيران في منطقة الخليج العربي، حيث قررت اللجنة الفرعية للشرق الأوسط المتفرعة من لجنة الدفاع الإمبراطوري Committee Of Imperial Defense عام ١٩٣٤م/١٣٥٣هـ، بوجوب استعمال الأسطول البريطاني في الخليج العربي القوة لمقاومة أي محاولة من جانب إيران ضد مصالحها[٤].

ونتيجة للموقف الدولي المتوتر في أواخر الثلاثينات، اهتمت بريطانيا بتنظيم قواعدها العسكرية في الخليج العربي، فأنشأت قاعدة بحرية في البحرين عام ١٩٣٥م/١٣٥٤هـ ومطاراً حربياً في الشارقة عام ١٩٣٧م/١٣٥٦هـ، وقاعدتين جويتين في صلاله بسلطنة مسقط والأخرى في جزيرة مصيره بمحاذاة الساحل الجنوبي الشرقي لعمان[٥]. ولم يشهد الخليج العربي خلال هذه الفترة محاولة إيطاليا لمنافسة النفوذ البريطاني حيث تركزت الجهود الإيطالية نحو منطقة البحر الأحمر.

١- F.O 371/20843, E- 4025/815/25, July 10,1937.

٢- F.O 371/20842, E- 244/25, Jeddah Report for October 1937.

٣- فهد السماري: الملك عبدالعزيز وألمانيا، ص ص١٣٨، ١٤٥.

٤- مصطفى النجار، وآخرون: تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر (البصره: جامعة البصره، ١٩٨٤م)، ص٢٠٧.

٥- صلاح العقاد: التيارات السياسية الخليج العربي (القاهرة: الأنجلو المصرية، ١٩٧٤م)، ص٣٧٤.

وفي اليمن:

ازدادت حدة التنافس البريطاني – الإيطالي في جنوب الجزيرة العربية والبحر الأحمر، وذلك للتقارب الذي شهدته العلاقات اليمنية- الإيطالية منذ معاهدة ١٩٢٦م/١٣٤٥هـ. واعتبرت بريطانيا أن نجاحها في عقد اتفاقية فبراير ١٩٣٤م/١٣٥٣هـ مع اليمن، كانت نقطة تحول هامة في تاريخ العلاقات البريطانية – اليمنية. وما إن لبث الوضع السياسي في التحسن بعد انتهاء الحرب السعودية اليمنية*. حتى بدأ التوتر من جديد، بعد أن تمكن الإيطاليون من الهجوم على الحبشة عام ١٩٣٥م، وتوقع كثير من المحللين السياسيين بأن هدف إيطاليا التالي هو مهاجمة اليمن والسيطرة عليها في إطار توسعها الاستعماري(١).

أعلن الإمام يحيى في ١٨ نوفمبر ١٩٣٥م/١٣٥٤هـ موقفه الحيادي من الحرب الإيطالية – الحبشية، وأن "اليمن كان وسيبقى دولة محايدة"، وأنه لن يُرسل إلى الجانب الإيطالي "حتى برصاصة واحدة أو رجل واحد". وامتنع إبان الحرب ٣٥-١٩٣٦م/١٣٥٤-١٣٥٥هـ من تأجير العمال لإيطاليا لشق الطرق الحربية، ولم يسمح بنقل المصابين الإيطاليين من أثيوبيا عبر الأراضي اليمنية(٢).

وقد حرصت الحكومة الإيطالية على طمأنة الإمام يحيى بشأن التحركات الإيطالية الحربية في البحر الأحمر، نتيجة لتدخلها العسكري في الحبشة(٣)، للوقوف أمام المحاولات البريطانية لإثارة اليمن حول محاولات إيطالية لاحتلال جزء من الشواطئ اليمنية(٤)، ومزاعم حول نية إيطاليا احتلال منطقة الشيخ سعيد(٥).

---

* لمزيد من التفصيل أنظر ص٦٥.

١- مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث، ص٤٥١.

٢- مجموعة من المؤلفين السوفيت: تاريخ اليمن المعاصر ١٩١٧-١٩٨٢م، ترجمة: محمد علي البحر، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩١م)، ص٥٧.

٣- D. D. I. Ottava Serie, Volume II, IL Sottosegretario Agil Esteri, Suvish, Al Dottor Dubbiosi, A Sanaa, N: 439, Roma, 21 Ottobre 1935.

٤- D. D. I. Ottava Serie, Volume II, IL dotter Dubbiosi, Al Capo Del Goberno E Ministro Degli Esteri, Mussolini, n: 442, Sanaa, 21 Ottobre 1935.

٥- D. D. I. Ottava Serie, Volume II, IL Sottosegretaro Agli Esteri, Suvich, Al Dottor Dubbiosi, A Sanaa, N: 583, Roma, 8 Noverbre 1935.

وقد حذر الجنرال وهيب باشا* من ذلك في حديث له عن الحبشة واليمن نشر في مجلة (الرابطة العربية)في عددها ٣٠ بتاريخ ٢٠ ديسمبر ١٩٣٦م، قال فيه: ولقد كنت على اتصال دائم بالإمام يحي عندما كنت في الحبشة وبعثت إليه بعد مغادرتي لها بكتاب قلت فيه ما نصه: "لقد كان هيلا سلاسي أخر ملك في الحبشة فحاذر أن تكون آخر ملك في اليمن إن عليك أن تحفظ القرش الأبيض لليوم الأسود، ويجب أن يكون لديك جيش نظامي، وفي إمكانك الاستعانة بالضباط السوريين فهم ذو خبرة اكتسبوها في الجيش التركي."، وبالفعل تمت الاستعانة بالعراق لإمداد اليمن بالسلاح والتدريب العسكري، وبوساطة تركية وصلت إلى بغداد أواخر عام ١٩٣٦م بعثه من الضباط اليمنيين ألحقت بالمدرسة الحربية العراقية، أتمت دراستها عام ١٩٣٨م /١٣٥٧هـ[١]. وكان ذلك بداية للتعاون العسكري بين اليمن والعراق، وإخراج اليمن من دائرة التعاون العسكري الإيطالي.

وفي وسط الثلاثينات بلغت المصالح الإيطالية في اليمن مستوى عاليا، حيث كان موسوليني يوطد نفوذه في المنطقة، واتجه إلى اليمن خاصة بعد نشر كتاب سلفاتور أبونتي عن اليمن في روما عام ١٩٣٦م/١٣٥٥هـ[٢]. وما لبث العلاقات أن توترت بين اليمن وإيطاليا بنجاح حملة الإيطاليين العسكرية في الحبشة ودخولهم أديس أبابا، وإعلان إمبراطوريتهم في شرق أفريقيا، فسعت الحكومة الإيطالية إلى طمأنة اليمن لرغبتها بالمحافظة على علاقة الصداقة معها[٣]، وطلب تشانو تمديد معاهدة الصداقة مع اليمن حتى نوفمبر ١٩٣٧م/١٣٥٦هـ[٤]، وتردد الأمام يحي حميد الدين طويلا قبل أن يجدد المعاهدة الإيطالية – اليمنية التي عقدت في سبتمبر ١٩٢٦م/١٣٤٥هـ بعد مدة العشر سنوات المتفق عليها. وقد حاول الأمام يحي تعديل مواد المعاهدة، فيما أصر الإيطاليون

---

* أحد كبار قواد الترك تطوع في الجيش الحبشي خلال الحرب الإيطالية – الحبشية وعين رئيساً لهيئة أركان حربه.

١ – أمين سعيد: اليمن تاريخه السياسي من استقلاله في القرن الثالث الهجري (بيروت: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٩م)، ص ص٤٨، ٤٩.

٢ – اريك ماكرو: اليمن والغرب ١٥٧١–١٩٦٢ م، نقله إلى العربية وعلق عليه: حسين عبد الله العمري ((د. ن) (د .ت))، ص١٣٧.

٣- D. D. I. Ottava Serie, Volume IV, IL Sotlsegretario Agli Esteri, Suvich, Al Dottor Dubbiosi, A Sanaa, N: 2, Roma, 10 Maggio 1936.

٤- D. D. I. Ottava Serie, Volume IV, I Ministro Degli Esteri, Caino, Al Dotor Dubbiosi, Asanaa, N: 324, Roma, 19 Giugmo 1936.

على إبقائها كما كانت، وبعد مفاوضات طويلة استعان الإيطاليون بالسنيور غاسـباريني الذي مثل المعاهدة الأولى، وكان السنيور قد نقل من منصبه في إريتريا وعين في مجلـس الشيوخ الإيطالي تقديراً لخدماته.

فأرسل إلى صنعاء في إطار مناوره دبلوماسية قام بها الوزير الإيطالي المفوض في جدة لتوطيد علاقات بلاده مع كل من المملكة العربية السعودية واليمن. وفي صيف ١٩٣٧م زار السنيور غاسباريني صنعاء محملاً بالكثير من الهدايا تضمنت دبابتين حربيتين للجـيش اليمني، وعشرين ألف بندقية، وأربعة مدافع لمقاومة الطائرات وآلات سلكية، وبالفعل تم تجديد المعاهدة في أكتوبر عام ١٩٣٧م/١٣٥٦هـ، التي أكدت على الصداقة والتبـادل التجاري بين الدولتين، وتكون مدتها ٢٥ سنة، وتضمنت الاعتراف الضمني "بصـاحب الجلالة ملك إيطاليا وإمبراطور أثيوبيا" أي شرعية السيادة الإيطالية على الحبشـة، كمـا تضمنت وعودا بإمداد اليمن بالمعدات الحربية وآلات فنية[١].

وفي أعقاب المعاهدة تم إرسال الكثيرين من الأطباء والفنيين الإيطاليين إلى الـيمن، رغم أنهم كانوا مكروهين من الشعب اليمني بسبب عجرفتـهم، وإن كـان الطبيـب الشخصي للإمام هو الطبيب الإيطالي اميليو دو بيوسي Du Bbiosi يعاونه حـوالي اثنـا عشر طبيبا إيطاليا، واعتبر الأطباء هم أقوى الشخصيات الإيطالية نفـوذاً و قـوة بـين الإيطاليين، إلى جانب عدد من الدبلوماسيين والتجار والمهندسين[٢].

وعلى الرغم من أن الأمام يحيى خص إيطاليا بالكثير من الامتيازات عن غيرها مـن البلاد الأجنبية تماشيا مع سياسة العزلة التي اتبعها في سياسته الخارجية للمحافظـة علـى استقلال بلاده وأمنها، إلا أن الإيطاليين الذين اعتبروا أنفسهم حلفاء الأمام المخلصـين كانوا يشعرون بالغربة والخوف في أثناء وجودهم في اليمن، لذلك كانوا لا يتجولـون في اليمن إلا في الأماكن التي يسمح لهم فيها الإمام يحيى بناء على خطاب منه. لذلك تعتبر استعانة الإمام بإيطاليا ذات صفة سياسية في المقام الأول، فقد تحالف معها من أجـل أن

---

١ - أمين سعيد: اليمن، ص٥٠.

٢ - اريك ماكرو: اليمن والمغرب، ص١٣٧.

تسانده ضد أطماع بريطانيا الاستعمارية، بالرغم أن لإيطاليا هي الأخرى أغراض استعمارية وإن كانت تحت اسم الصداقة[١].

وقد أثار نجاح إيطاليا في تجديد المعاهدة مع الإمام يحيى بريطانيا، وكانت الدعاية العدوانية بين البلدين على أشدها، فرأت بريطانيا وجوب اتخاذ سياسة تقارب مع إيطاليا خاصة بعد تطور الأحداث الدولية ومحاولة ألمانيا التحالف مع إيطاليا ضد كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا. ساعد على ذلك استقالة وزارة المستر بلدوين في أبريل ١٩٣٧م. إثر تنازل الملك إدوارد الثامن عن العرش وإسناده إلى أخيه جورج السادس* الذي اختار المستر تشمبرلن لرئاسة الوزارة الجديدة، فأوفد أرملة شقيقة (نيفيل تشمبرلن) — التي لديها أصدقاء مع بعض عائلات روما الكبرى — لزيارة روما، فساعد ذلك على بدء محادثات إيطالية — بريطانية للتوصل إلى تسوية لإنهاء الخلافات بين الجانبين خاصة التنافس بينهما في جنوب الجزيرة العربية والبحر الأحمر[٢].

وفي عدن ومحميات الجنوب:

وفرت المعاهدة البريطانية — اليمنية عام ١٩٣٤م/١٣٥٣هـ نوعاً من السلام والاستقرار على الحدود لعدة أعوام، وإن كانت المعاهدة لم تحل مسألة الحدود الجنوبية الفاصلة بين عدن ومحميات الجنوب واليمن، وتضمنت بقاء مشكلة الحدود مجمدة لمدة أربعين عاما تنتهي في ١٩٧٤م/ ١٣٩٤هـ. مما أعطى لبريطانيا فرصة جيدة لتثبيت أقدامها في المحميات دون أن يكون لليمن حق التدخل أو المساس بالوجود البريطاني بها[٣].

١- نزيه العظم: رحله في بلاد العربية السعيدة، ط٢، (بيروت: منشورات المدينة، ١٩٨٦م)، ص٢٣١.

* جورج السادس (١٨٩٥-١٩٥٢م) George vi: ملك وإمبراطور بريطاني، ابن جورج الخامس ووالد اليزابث الثانية، اعتلى العرش إثر استقالة أخيه إدوراد الثامن عام ١٩٣٦م، خدم في سلاح البحرية (١٩٠٩-١٩١٦م)، ثم في سلاح الطيران، أبدى اهتماماً بالمشاريع الخيرية الاجتماعية، تمتع بشعبية واسعة في بريطانيا زار الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٣٩م، وكان بذلك أول عاهل بريطاني يزورها. - الموسوعة السياسية، جـ٢، ص١١٨.

٢- أمين سعيد: اليمن، ص ص٥٢، ٥٣.

٣- R. J. Gavin, Aden Under British Rule 1939–1967. (London: C. Hurst & Company, 1975), P. 301.

فبدأت بريطانيا بتنفيذ مخطط لإحكام قبضتها على المحميات ففي إبريل عام ١٩٣٧م/١٣٥٦هـ أصبحت عدن إحدى مستعمرات التاج وتحت الإدارة المباشرة لوزارة المستعمرات، يعين لها حاكم مسئول أمام البرلمان ووزارة المستعمرات مباشرة. يعاونه مجلس تنفيذي[١]، أعضاؤه من البريطانيين ومجلس تشريعي أعضاؤه من العرب والإنجليز وباقي العناصر، وتعتبر عدن ميناء حر خالٍ من الضرائب الجمركية[٢].

وقد قامت بريطانيا بهذا الإجراء لأنها شعرت بأن حكمها في الهند آنذاك على وشك الانتهاء، وأن الهند على أبواب الاستقلال، فكان لابد من هذا التحويل لتستمر بريطانيا مسيطرة على هذه النقطة الإستراتيجية بين الشرق والغرب، فكان هذا هو السبب الرئيسي لانتقال السلطة الإدارية في عدن من حكومة الهند إلى وزارة المستعمرات[٣]. وقيل إن العرب في عدن قد طالبوا بريطانيا بأن تتبع عدن لوزارة المستعمرات مباشرة، فكان لهم ما أرادوا[٤].

وقد اهتمت بريطانيا باتخاذ تدابير دفاعية في عدن وباب المندب أثر توتر الأوضاع بين إيطاليا والحبشة، فاهتمت بتحصين جزر مينائي عدن والشيخ عثمان ومنطقة باب المندب، واتخذت وسائل دفاعية بحرية وبرية للدفاع عن عدن والجزر المتحكمة في باب المندب وأهمها جزيرة بريم لمواجهة أي توتر قد ينشأ بينها وبين إيطاليا قد يؤدي إلى الحرب[٥].

أما فيما يخص المحميات المتعددة الإدارات نتيجة لتعدد السلطات فقد اتجهت بريطانيا إلى تنظيمها وربطها بمستعمرة عدن لما يعكسه ذلك من فوائد سياسية وإستراتيجية واقتصادية، فتشكلت محمية عدن في ١٨ مارس ١٩٣٧م بمرسوم ملكي بتحويل السلطنات و المشيخات والإمارات في جنوب اليمن إلى محمية غربية ومحمية

١- Gillian King, Imperial Out Post- Aden, (London: Oxford University Press, 1964) P. 47.

٢- صلاح البكري: حضرموت وعدن وإمارات الجنوب العربي (مصر: مطبعة المدينة، ١٩٦٠م)، ص٢٦٥.

٣- جاد طه: سياسة بريطانيا في جنوب الجزيرة العربية ١٧٩٨-١٩٦٣م (القاهرة: دار الفكر العربي، (د.ت))، ص٧.

٤- Gillian King, Imperial Out Post- Aden, P. 46.

٥- الأهرام: العدد رقم ١٨٢٥٧، بتاريخ ٨-١٠-١٩٣٥م، ص١.

شرقية، واحتفظت بريطانيا لنفسها بموجب هذا المرسوم بحق التشـريع والإدارة في كـل أنحاء المحميات، وأصبحت عدن العاصمة الإدارية والاقتصادية للمنطقة كلها[١].

وعلى الرغم من نقل السلطات الإدارية في عدن إلى وزارة المستعمرات منـذ عـام ١٩٣٧م/١٣٥٦هـ من الهند، إلا أن التأثير الهندي ظل مسيطرا عليها لعـدة سـنوات، حتى إن العملة المتداولة كانت الروبية الهندية حتى عام ١٩٥١م/١٣٧١هـ، وعكـس ذلك حرص التجار الهنود على مصالحهم التجارية[٢].

وقد أبدى بعض الأعضاء البارزين وغير الرسميين في الحكومة البريطانية عند تحويـل عدن من إدارة حكومة الهند إلى إدارة وزارة المستعمرات قلقهم من أن تكـون النتـائج المترتبة على هذا التحويل أن يطلب منها تحمل جزء من الأعباء الماليـة أو جميـع هـذه الأعباء لمساعدة البريطانية، فبادرت الحكومة البريطانية إلى تقديم ضـمانات وتأكيـدات تؤكد على أنها لا تنوي أن تحمل عدن تلك الأعباء[٣].

ولنقل مستعمرة عدن دستوريا إلى الحكم الذاتي نص مرسـوم عـدن الصـادر في ١٩٣٦م/١٣٥٥هـ، على أن يتولى حاكم عدن برئاسة المجلس التنفيذي الـذي يضـم السكرتير السياسي للحكومة والسكرتير المدني، وعددا من الأشخاص الـذين يختـارهم ملك بريطانيا، إلى جانب محكمه عليا لها اختصاصات واسعة في القضايا المدنية والجزئية، كما نص المرسوم على: استئناف أحكام هذه المحكمة أمام المحكمة العليا في بومباي ثم إلى مجلس الملك في لندن. وقد أدى تحول عدن إلى تبعية وزارة المستعمرات في عام ١٩٣٧م أن تحولت تبعية جزيرة كمران بالتالي إلى وزارة المستعمرات[٤]. ممـا أدى إلى تـدعيم مركز بريطانيا في جزر جنوب البحر الأحمر أمام النفوذ الإيطالي.

وبهذه التغيرات الإدارية سعى البريطانيون إلى تقوية قبضتهم وتـدعيم نفـوذهم في شئون السلطنات والإمارات والمشيخات خاصة قبيل الحرب العالمية الثانية، وذلك لأهمية

١- جاد طه: سياسة بريطانيا في جنوب الجزيرة العربية، ص٣٥٨.

٢- Gillian King, Imperial Out Post- Aden, P. 47.

٣- دلال بنت مخلد الحربي: علاقة سلطنة لحج ببريطانيا ١٩١٨ – ١٩٥٩ (الرياض: (د.ن)، ١٩٩٧م)، ص٢٢٥.

٤- Gillian King, Imperial Out Post- Aden, P. 47.

تأمين ميناء عدن الاستراتيجي في ظل الظروف الدولية المتوترة، مما استدعى سيطرة بريطانية فعليه على هذه الوحدات السياسية، إلى جانب احتمالات وجود البترول في هذه المنطقة مما قوى دافع السيطرة البريطانية على المحميات، فعقدت بريطانيا "معاهدات الاستشارة" مع هذه المحميات وكان أولها معاهدة مع سلطان القعيطي عام ١٩٣٧م عندما تواترت الأنباء بوجود بترول في هذه السلطنة[١]. وأسند السيد برنارد رايلي Bernard Reilly- Governor of Aden حاكم عدن إلى هارولد انجرامز Harold Ingrams الضابط السياسي في حضرموت مهمة ترتيب وضع حكومي منظم فيها، واستطاع انجرامز توظيف كافة السبل والوسائل لإنهاء الفوضى القبلية، وعقد مع السلطان صالح بن غالب القعيطي معاهدة في ١٣ أغسطس ١٩٣٧[٢].

وسلمت للسلطان مذكرة توضح: بأن هدف بريطانيا من عقد المعاهدة ليس الإقلال من أهمية سلطة عظمته، وإن اختصاص تعيين حكومة بريطانيا للمستشار هارولد انجرامز مقيما للسلطان، تقديم الإرشادات والنصائح النافعة للبلاد، وإن هذه المعاهدة لا تخل بحق السلاطين في حكم كل الشؤون المحلية، وإن كان عليه استشارة المستشار البريطاني في الشؤون الخارجية، وأنه في حالة قيام الخلاف بين السلطان والمستشار، فإن للسلطان الحق أن يلجأ إلى حاكم عدن، وأخيرا فإن دفع مرتبات المستشار وموظفيه قد تكلفت بها الحكومة البريطانية[٣]. وكانت هذه المعاهدة بداية لمعاهدات مماثلة وقعتها الحكومة البريطانية مع بقية سلاطين ومشايخ المحميات لتوفير الأمن والسلام الداخلي لخدمة المصالح البريطانية.

وقد اهتم البريطانيون بالمناطق التي يوجد فيها البترول، فأصر الإنجليز على التدخل في شبوه، فكان رايلي يؤكد بأن "شبوه قطعاً جزء من محمية عدن وإن لم تدرها حكومة عدن قط بشكل مباشر". فأرسل الإمام يحي إلى ملك بريطانيا الإمبراطور جورج

١- جاد طه: سياسة بريطانيا في جنوب الجزيرة العربية، ص٣٥٩.

٢- Gillian King, Imperial Out Post- Aden, P. 56.

٣- صلاح البكري: حضرموت وعدن وإمارات الجنوب العربي، ص١٧٨.

السادس كتابين في عام ١٩٣٧م يطلب فيها عدم التدخل في شبوه باعتبارها أرض يمنية، وأنه لا صلة بين شبوه والمحميات، ويطلب وقف الاعتداءات البريطانية عليها، إلا أن هذه الخطاب لم يحظ برد من قبل بريطانيا[١].

وكانت هذه الاعتداءات بداية للتراع البريطاني – اليمني حول شبوه، وبذلك عززت بريطانيا دفاعاها في جنوب الجزيرة العربية للدفاع عن مصالحها في المنطقة وللوقوف أمام تزايد الأطماع الإيطالية فيها.

كما اهتم البريطانيون في عدن بإنشاء جيوش محلية من أبناء عدن والمحميات للاستعانة بهم في تدعيم سلطة السلاطين وقمع التمردات القبلية الداخلية بدءاً من إنشاء أول كتيبة يمنية في أثناء الحرب الأولى إلى إنشاء جيش محمية عدن (الليوي) بعد الحرب العالمية الأولى، ثم تبعوا ذلك إنشاء عدة قوات وجيوش أخرى في المحميات كالحرس الحكومي والحرس القبلي وجيش البادية الحضرمي، والجيش النظامي اللحجي وجيش المكلا النظامي والشرطة القعيطية وشرطة الكثيريه.

وكان لهذه الجيوش دور كبير في حماية المصالح البريطانية في مستعمرة عدن والمحميات، واستخدمت للدفاع عنها من أي خطر داخلي وخارجي، وإن كان هذا الدور يستخدم حسب رغبة بريطانيا وتحت إمرها وإشرافها. حيث كانت تعمل جنبا إلى جنب مع سلاح الطيران الملكي البريطاني، وكلاهما يعملان تحت إمرة أحد المعتمدين البريطانيين وضباطهما السياسيين في المحميتين الشرقية والغربية[٢]. وسيكون لهذه الجيوش المحلية دور كبير في حماية المصالح البريطانية في عدن والمحميات ضد الهجمات الايطالية في أثناء الحرب العالمية الثانية.

وقد اهتمت الحكومة الإيطالية بالتغيرات الإدارية والسياسية التي أقامتها الحكومة البريطانية في عدن والمحميات في عام ١٩٣٧م، ولم تعترف بالقرار البريطاني بتوسيع

١- أمين السعيد: اليمن. ص٢٥٢.

٢- سلطان ناجي: التاريخ العسكري لليمن ١٨٣٩–١٩٦٧م، (عدن: (د.ن)، ١٩٧٦م)، ص ص١٤١، ١٧٣.

حدود محمية عدن[١]، وتساءلت عن أهداف عبور القوات البريطانية في منطقة حضرموت، وأبدت تخوفها من هذا التوسع في حدود المحمية وسلطاتها، الذي يهدد نفوذ الإمام يحيى في اليمن ومصالحها في المنطقة[٢].

وفي العراق:

استمر الملك غازي الأول يحكم العراق من عام ١٩٣٣-١٩٣٩م/١٣٥٢-١٣٥٨هـ، وتعتبر هذه الفترة من أحرج فترات الحكم في العراق حيث تميزت باشتداد الحركات العشائرية وبدء الانقلابات العسكرية التي أدت إلى سيطرة الجيش العراقي على شؤون البلاد السياسية، انتهت في عام ١٩٤١م/١٣٦٠هـ[٣].

وقد واجه العراق عدة وزارات لم تستطع القيام بواجباتها نتيجة لاختلال القوى المسيطرة في الدولة العراقية الناشئة، والتي حصلت على استقلالها المقيد ببريطانيا بمعاهدة ١٩٣٠م/١٣٤٩هـ، والتي أصبحت أول دولة عربية قبلت عضواً في عصبة الأمم في ١٩٣٢م/١٣٥١هـ. حيث اختل سيطرة كل من البلاط الملكي والعشائر والبريطانيين والأحزاب وكتل الساسة والجيش، حيث أصبح الجيش هو القوة الحقيقية في العراق في فترة الثلاثينيات[٤].

وبعد أن استطاع الجيش إنهاء التحركات العشائرية العسكرية الداخلية، انتقد الكثيرون من ضباط الجيش النظام السياسي القائم في العراق، فقاد الفريق بكر صدقي* انقلاباً عسكرياً اعتبر أول انقلاب عسكري في تاريخ العراق في ٢٩ أكتوبر عام

١- D. D. I. Ottava Serie, Volume VII, IL Ministro Degli Esteri, Ciano, Al Dottor Dubbiosi, A Sanaa, N: 639, Roma, 1Dicember 1937.

٢- D. D. I. Ottava Serie, Volume VII, IL Ministro Degli Esteri, Ciano, Al Ministro A Gedda, Sillitti, N: 644, Roma, 3 Dicember 1937.

٣- عبدالرحمن البزاز: العراق، ص١٧٥.

٤- نفس المرجع، ص١٧٧.

* بكر صدقي (١٨٨٥-١٩٣٧م): عسكري ورجل دولة عراقي، تعلم ببغداد، والتحق بمدرسة أركان الحرب في استانبول، شارك مع الجيش العثماني في معارك الحرب العالمية الأولى، انتقل إلى الجيش العراقي برتبة رئيس عام ١٩٢١م ثم توصل إلى رتبة فريق، أقدم على أول انقلاب عسكري عربي حديث في أكتوبر ١٩٣٦م، لقي مصرعه في ١١ أغسطس ١٩٣٧م على يد أحد الجنود الأكراد من الموصل. - الموسوعة السياسية، جـ١، ص٥٤٩.

١٩٣٦م/١٣٥٥هـ[1]. فألف حكمت سليمان* الوزارة واستمر فيها حتى قتل بكر صدقي عام ١٩٣٧م، و لم يشهد العراق في هذه الفترة أي محاولات للتخلص من النفوذ البريطاني الذي قيد استقلال العراق في معاهدة ١٩٣٠م/١٣٤٩هـ.

وقد اتخذ الملك غازي سياسة تقارب بين العراق ودولتي المحور ألمانيا وإيطاليا، اتخذت طابعا شكليا تجسدت في بداية حكم الملك غازي وحقيقياً بعد انقلاب بكر صدقي وتشكيل وزارة حكمت سليمان ١٩٣٦م/١٣٥٥هـ. فكان للأطراف الثلاثة اتصالات شكلية رسمية لم تتعد حدود التعبير عن الافتتان والإعجاب وتقديم التهاني في المناسبات ومنها: تهنئة هتلر لذكرى تولي الملك غازي العرش عام ١٩٣٤م/١٣٥٣هـ، وتهنئة الملك غازي لهتلر بمناسبة توليه منصب الرئاسة في ألمانيا، وخطابات رسمية ودية بين الطرفين، وهدية قدمها موسوليني إلى الملك غازي عام ١٩٣٤م بمناسبة زواجه عبارة عن سيارة إيطالية[2].

أما الحقيقية فكانت على يد الفريق بكر صدقي، حيث يُنسب إليه جديه تحقيق القوة الحقيقية للجيش العراقي، فعمد إلى زيادة عدده، والعناية بتدريبه، واستطاع الحصول على عتاد من تركيا بعد أن تلكأت بريطانيا في إجابة طلبه وذلك حسب أحكام المعاهدة العراقية البريطانية، كما حصل العراق بعد موافقة الملك غازي على سرب من الطائرات الإيطالية التي كان لها آنذاك شهره عالمية، ساهمت في زيادة الاهتمام بالقوات الجوية العراقية[3]. فكانت هذه الحركة الانقلابية رد فعل عسكري لفشل السياسيين في بناء دولة العراق على أسس قوية تمكنها من الوقوف أمام النفوذ البريطاني، على الرغم مما اتهمت به من كراهية لكونها من النظم الديكتاتورية العسكرية، وجدير بالذكر بأن هذا الانقلاب لم يوجه ضد النظام الملكي.

١- حازم المفتي: العراق بين عهدين ياسين الهاشمي وبكر صدقي، (بغداد: مكتبة اليقظة العربية، ١٩٨٩م)، ص ص٩١، ١٧٤.

* حكمت سليمان: سياسي عراقي من العهد الملكي، تلقى دراسته العليا في جامعة استانبول، فنشط في مطلع شبابه في "حزب الإتحاد والترقي" العثماني، تسولى عدة وزارات عراقية. - الموسوعة السياسية، جـ٢، ص٥٦١.

٢- لطفي جعفر فرج: الملك غازي، (بغداد: مكتبة اليقظة العربية، ١٩٨٧م)، ص٢٢٩.

٣- عبدالرحمن البزاز: العراق، ص١٨٧.

وقد طلب الفريق بكر صدقي أسلحة مختلفة وطائرات من ألمانيا وإيطاليا، واتصل بشركات ألمانيا وإيطالية لذلك الغرض. وبالفعل تمكن المبعوث العراقي إلى روما من شراء أسلحة وعدد من الطائرات والدبابات من إيطاليا عام ١٩٣٧م/١٣٥٦هـ[١]، مما أدى إلى سخط بريطانيا التي اعتبرت أن شراء الأسلحة من ألمانيا وإيطاليا مخالف لنصوص ملحق معاهدة ١٩٣٠م، الذي تعهد ملك العراق بموجبه "بأن التجهيزات الأساسية لقوات جلالته وأسلحتها لا تختلف نوعها عن أسلحة وقوات صاحب الجلالة البريطانية وتجهيزاتها" غير أنهم لم يحملوا مسؤولية ذلك للملك غازي بقدر ما حملوها للمقدم بكر صدقي رئيس أركان الجيش العراقي.

وفي الوقت الذي كان فيه بكر صدقي يجهز خطة للاتصال بالألمان لعقد صفقة لتسليح الجيش العراقي بأحدث الأسلحة والمعدات، قتل في الموصل عام ١٩٣٧م. وقد عملت وزارة جميل المدفعي* التي تألفت في أغسطس ١٩٣٧م إلى سياسة الالتزام بشروط المعاهدة العراقية البريطانية ١٩٣٠م، فألغت صفقة الأسلحة الألمانية الايطالية بعد أن تزود العراق بقسم منها[٢].

وقد ارتبط الفريق بكر صدقي والدكتور فرتز جروبا Grobba** المبعوث الألماني في بغداد بعلاقة وطيدة، حيث كان لجروبا نشاط ملحوظ لألمانيا داخل العراق وخارجه، وكان صدقي يهاجم صراحة سياسة بريطانيا في العراق والشرق الأوسط عامة واعتبرها استعماراً، خاصة بعد إعلان توصية لجنة بيل عام ١٩٣٧م بتقسيم فلسطين، إذ كانت المشكلة الفلسطينية عنصراً هاماً في تعقيد العلاقات العربية مع بريطانيا. وعلى الرغم من

١- Foreign Office Annual Repouts from Arabia, Vol 2, 1935-1937, Iraq, Annual Report, 1937, [E- 794/794/98] No. 24, Mr. Morgan to Mr. Eden, Bagdad, janury 25, 1938.

* جميل المدفعي (١٨٩٠-١٩٥٨م): عسكري وسياسي عراقي تقليدي، التحق بالجيش الشريفي عندما اندلعت الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦م، عاد إلى العراق بعد سقوط الحكم العربي في سورية عام ١٩٢٠م، شارك في الثورات الوطنية ضد الحكم البريطاني، اضطر إلى اللجوء إلى شرق الأردن، لكنه عاد إلى العراق عام ١٩٢٣م بعد أن والى الإنجليز، تولى عدة مناصب إدارية ووزارية، ترأس الوزارة (٣٣-٣٤-١٩٣٥م) ثم (٣٧-٣٨)، (١٩٤١م، ١٩٥٣م). - الموسوعة السياسية، جـ١، ص٩٥.

٢- لطفي جعفر: الملك غازي، ص ص٣٢٠، ٢٣٢.

** قدم فرتز جروبا أوراق اعتماده إلى وزارة الخارجية العراقية في ٣٠ آذار ١٩٣٢م كقائم بأعمال الحكومة الألمانية، وفي ١٩٣٢م أصبح مندوبا فوق العادة ووزيرا مفوضا للحكومة الألمانية في بغداد، امتاز بإتقانه للغتين العربية والتركية، عدا معرفته بدول وشعوب الشرق الأوسط، مارس وزوجته إفراو جروبا نشاطات سياسية هامة في الأوساط العراقية السياسية والعسكرية.

ذلك ترك بكر صدقي عند البريطانيين انطباعا بأنه ليس معادياً لبريطانيا الـتي كـان في حاجة لمعونتها، وعبر عن رغبته في إقامة تعاون وثيق مع البعثة العسكرية البريطانية[١].

و لم يكن اتجاهه نحو ألمانيا وإيطاليا إلا درعاً ضد السيطرة البريطانية فيما ازداد الحذر البريطاني ضد توجهات ألمانيا في العراق، ومن أدوات الدعاية النازيـة الـتي أخذت تُدار بخفيه من قبل الوزير الألماني غروبا التي وجهتها ألمانيا نحو العراق والبلاد العربية المجاورة كالسعودية وبلاد الشام[٢].

و يرى لوكاز هيرزويز بأن قسم الشئون الخارجيـة بـالحزب النـازي عـام ١٩٣٧م/١٣٥٦هـ كان يرى بأن ضرب بريطانيا بإيطاليا أهم من تغلغـل ألمانيـا في العراق، ولذلك قامت إيطاليا بالتنسيق مع ألمانيا ببيع الأسلحة إلى العراق بدلا من ألمانيا، وذلك بسبب ما قد تؤديه مثل هذه الصفقة من تعكير للعلاقات الألمانية — البريطانية[٣]. وبذلك تستطيع ألمانيا أن تحقق بالعمل المشترك مع إيطاليا نفـس النتـائج دون أن تـثير بريطانيا.

ترتب على الهجوم الإيطالي على الحبشة الذي استنكرته العراق، أن شعرت تركيـا بالحاجة إلى تكوين ميثاق أمن إقليمي للشرق الأوسط خوفا من أن تصبح أقطاره ضـمن الإمبراطورية التي يحلم بها موسوليني مما أدى إلى توقيع ميثاق سعد أباد تضمن كل مـن العراق وتركيا وإيران وأفغانستان* في يوليو ١٩٣٧م[٤]. و لم تعترض بريطانيا على هـذا الميثاق لأن عام ١٩٣٧م .شهد تقارباً تدريجياً بين البريطانيين والأتراك نتيجة الوضع الخطر في أوربا[٥].

١- محمود منسي: الشرق العربي المعاصر، القسم الأول الهلال الخصيب ١٩١٦—١٩٩٥م، (د.ن)، ص٨٦.

٢- Stephen Lougrigg, Iraq 1900 to 1950, Third Impression, (Beirut: Libraairie Du Liban, 1968), P. 264.

٣- لوكاز هيرزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص٦١.

* لم ينتج عن هذا الميثاق فاعلية كبيره وذلك لقيام الحرب العالمية الثانية، فأعتبر محاولة للتضامن الإقليمي.

٤- ناجي شوكت: سيره وذكريات ثمانين عاما ١٨٩٤-١٩٧٤م، ط٢، (بغداد: مكتبة اليقظة العربية، (د.ت))، جـ١، ص٢٩٥.

٥- Lenczowski, The Middle East in World Affairs, P. 221.

بـــلاد الشام:

إمارة شرق الأردن:

فقد كانت بريطانيا قد منحت باتفاق عام ١٩٣٤م/١٣٥٣هـ إمارة شرق الأردن قدراً من مظاهر السيادة والاستقلال دون أن يمنع ذلك تدخل بريطانيا في شئون الإمارة المالية والعسكرية الذي يهيئ لها سيطرة كبيره على الإمارة و يضمن لها نفوذاً قوياً يساعد نفوذها في فلسطين. وقد سعى الأمير عبدالله بن الحسين لتعديل بعض مواد اتفاق فبراير١٩٢٨م/١٣٤٧هـ واتفاق يونيو ١٩٣٤م/١٣٥٣هـ بناء على مذكرة قدمها إليه أعضاء المجلس التنفيذي في ١٧ أبريل ١٩٣٧م، تتضمن تعديل الفقرة الأولى من اتفاق يونيو ١٩٣٤م "بشكل يخول الأمير حق تعين ممثل له لدى حكومة صاحب الجلالة البريطانية في لندن"، وأشارت بإلغاء ضرورة المشورة المتعلقة بالإشراف على ميزانية شرق الأردن، وإلغاء القسم الأول من الفقرة الثالثة من المادة السادسة من اتفاق عام ١٩٢٨م، التي تختص بفرض الأحكام العرفية في البلاد. وفي أثناء حضور الأمير عبد الله حفلات تتويج الملك جورج السادس في أواخر أبريل ١٩٣٧م/١٣٥٦هـ بحث مضمون المذكرة مع الحكومة البريطانية في لندن، إلا أنه لم ينجح في التوصل إلى حل بشأن المسائل المطروحة في المذكرة المقدمة من أعضاء المجلس التنفيذي[١].

وقد شارك الأردنيون عرب فلسطين في نضالهم ضد الاستعمار البريطاني والمطامع الصهيونية في فلسطين، وأمام تطورات الأحداث في فلسطين وقيام ثورة فلسطين الكبرى في أبريل عام ١٩٣٦م/١٣٥٥هـ تظاهر الأردنيون في عمان تأييداً للثورة، فكلما ازدادت الثورة في فلسطين حدةً كلما ازداد التأييد الشعبي لها، وجرت محاولات للإضراب في المدن الأردنية الرئيسية. وفي أواخر عام ١٩٣٧م/١٣٥٦هـ حاولت بعض العناصر الشعبية الوطنية الأردنية القيام بعمليات عسكرية في الأردن ولذلك لتخفيف الضغط البريطاني على الثورة الفلسطينية[٢].

١- منيب الماضي وسليمان موسى: تاريخ الأردن في القرن العشرين، ص ص٣٥٦، ٣٥٨.

٢- كامل محمود خلة: التطور السياسي لشرق الأردن ١٩٢١-١٩٤٨م (طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٨٣م)، ص٣٠٢.

وقد أثرت الانتفاضات العربية في فلسطين على العلاقات بين شرق الأردن والحكومة البريطانية، فزادت عدد قوات الجيش العربي[١]. وأثر اندلاع الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦م/١٣٥٥هـ تشكلت قوة احتياطية مقاتلة، تألفت من سريتي خياله ووحده من جنود البادية قوامها ٣٥٠ رجلاً، ينتقلون بالسيارات الكبيرة، و اطلق على هذه الوحدة اسم "قوة البادية الميكانيكية"[٢]. وسيكون لهذا الاهتمام بقوات الجيش العربي دور كبير في خدمة مصالح حكومات الانتداب البريطاني في المنطقة.

وفي فلسطين:

استمرت بريطانيا في سياستها الاستعمارية التي أثارت الفلسطينيين الذين وجدوا بأن كل مجهوداتهم لإقناع الحكومة البريطانية بتغيير سياستها لم تفلح. واستمر المندوب السامي الجنرال جرانفيل واكهوب* A.G. Wauchope في إتباع سياسة داخلية تحقق مصالح بريطانيا لمساندة اليهود[٣]. مما أدى إلى إضراب ١٩٣٦م الذي تحول إلى ثوره شعبية مسلحة، بذلت القوات البريطانية جهداً كبيراً لقمعها مستخدمة كل إمكاناتها العسكرية[٤].

وفي محاوله لإنهاء الثورة عمدت الحكومة البريطانية إلى إرسال لجنة تحقيق ملكية، وأيضا سعت للحصول على مساعدة الملوك والرؤساء العرب لتهدئة الأحوال في فلسطين الذين سعوا بدورهم للتفاهم مع الحكومة البريطانية. فوجه كل من الملك عبدالعزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية، والملك غازي الأول ملك العراق، والأمير عبدالله بن الحسين أمير شرق الأردن نداءاً في أكتوبر ١٩٣٦م عن طريق اللجنة العربية العليا

١- على محافظة: تاريخ الأردن المعاصر ١٩٢١-١٩٤٦م، ط٢، (عمان: مركز الكتب الأردني، ١٩٨٩م)، ص ص٨٦، ٨٧.

٢- منيب الماضي. وسليمان موسى: تاريخ شرق الأردن في القرن العشرين، ص٣٧.

* عين مندوباً سامياً في فلسطين، في ١٣ يوليو ١٩٣١م.

٣- عادل حسن غنيم: الحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة ١٩٣٦م حتى الحرب العالمية الثانية، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٠م)، ص٤٦.

٤-كامل خله: فلسطين والانتداب البريطاني، ص٢١٣.

تدعو فيه لإنهاء الثورة وإعادة الهدوء لإعطاء الفرصة للجنة الملكية البريطانية لإيجاد حلول تفي بالمطالب الفلسطينية[١].

واعتبر ذلك مرحلة أولى للثورة، حيث استطاعت الوساطة العربية إنهاء الثورة لعدة أشهر، وما إنْ أعلنت لجنة بيل الملكية تقريرها في ٧ يوليو ١٩٣٧م/١٣٥٦هـ الذي أعلن فكرة تقسيم فلسطين إلى ثلاثة أجزاء بين العرب واليهود والإنجليز حتى رفضه الفلسطينيون والعرب[٢]. مما أدى إلى تجدد الثورة لمواصلة النضال ضد الاستعمار البريطاني فاستؤنفت المرحلة الثانية في أكتوبر عام ١٩٣٧م.

ويلاحظ بأن ثورة فلسطين عام ١٩٣٦م قد تزامنت مع الاستعدادات العسكرية البريطانية في فلسطين ومصر بسبب الحرب الإيطالية – الحبشية. حيث إن بريطانيا عملت منذ عام ١٩٣٥م/١٣٥٤هـ إلى تحويل فلسطين إلى قاعدة عسكرية فأرسلت إليها تعزيزات عسكرية حيث حولت ميناء حيفا إلى قاعدة حربية، ورست في الميناء حوالي ١٤ بارجة حربية بريطانية. وكانت بريطانيا تقوم بمناورات بحرية وبرية في شهر سبتمبر١٩٣٥م. كما وصلت إلى حيفا في أواخر سبتمبر ١٩٣٥م ٢٠ قاطرة حديدية محملة بالأسلحة من مصر، وبدأ الجيش البريطاني بعملية حفر الخنادق في حيفا وذلك تحسبا لأي هجوم من الطائرات الإيطالية، واستمر وصول القوات والإمدادات العسكرية إلى فلسطين من مصر وإنجلترا. كما أجبرت الحكومة البريطانية حكومة فلسطين على تطبيق قرار ٢٥ أكتوبر عام ١٩٣٥ م والذي يقضي ببدء تطبيق العقوبات على إيطاليا، كما نصبت المدافع المضادة للطائرات في كل أنحاء فلسطين. وعينت الميجور جنرال ويفل* قائداً عسكرياً جديداً في فلسطين. وبذلك استطاعت بريطانيا بهذه الإمدادات العسكرية القوية القضاء على

١- صالح مسعود بويصير: جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، (القاهرة: دار بوبصير للنشر والأبحاث، ١٩٨٧م)، ص ص٢٢٥، ٢٢٧.

٢- عادل حسن غنيم: الحركة الوطنية الفلسطينية، ص ص ١٥١، ١٦٥.

* أرشيبلد بيرشيفال ويفل (١٨٨٣-١٩٥٠م): قائد بريطاني وحاكم عام الهند، تلقى علومه في ونشستر وساندهرست العسكرية، عمل تحت قيادة الجنرال اللنبي (١٩١٧-١٩١٨م) في عمليات فلسطين، فخبر استراتيجية الصحراء، عين قائداً للقوات البريطانية بفلسطين أثناء الصراع العربي اليهودي (١٩٣٧-١٩٣٨م)، ثم عين قائداً عاماً لقوات الشرق الأوسط أثناء الحرب العالمية الثانية، نصب قائداً عاماً في الهند عام ١٩٤١م، فقائداً عاماً لقوات الحلفاء في الشرق الأقصى، ثم عين حاكماً عاماً للهند ١٩٤٣م، تقاعد عام ١٩٤٧م. – الموسوعة العربية الميسرة، ص١٩٧٢.

ثورات الفلسطينيين سواء حركة عز الدين القسام* في نـــوفمبر ١٩٣٥م، أو مجابهة ثورة ١٩٣٦م[١].

وفيما كانت كل من ألمانيا وإيطاليا تقومان بالدعاية ضد بريطانيا، رأى قادة الحركة الوطنية الفلسطينية في قوتهما المتنامية حليفاً محتملاً يمكن الاعتماد عليه في نضـــالهم مـــن أجل الحرية والاستقلال والوحدة، كذلك دعمت ألمانيا قضية فلسطين كـــأبرز القضـــايا العربية التي تهم العرب، دون أن يكون ذلك موجهاً ضد النفـــوذ البريطـــاني في المنطقـــة بشكل مباشر. أما إيطاليا التي أنشئت إذاعة عربية في مدينة باري Bari الإيطاليـــة عـــام ١٩٣٤م/١٣٥٣هـــ، ركزت الإذاعة العربية على تمجيد قوة إيطاليا لدى المستمع العربي، و أيدت المطالب الوطنية في مصر وفلسطين وسوريا والمغرب العربي. وشنت هجومـــاً دعائياً على السياسة الاستعمارية البريطانية والفرنسية في الأقطار الواقعة تحت الانتـــداب والنفوذ البريطاني والفرنسي[٢].

وقد بذل الإيطاليون جهوداً دعائية مكثفة في فلسطين باعتبارها منطقة مهمة لطرق المواصلات الإستراتيجية لبريطانيا، ولأن أنابيب النفط الآتية من الموصل تصب في مينـــاء حيفا، واهتمت الصحف الإيطالية بالثورة الفلسطينية لعام ١٩٣٦م، وأكدت علـــى أن الانتفاضة الفلسطينية تُكمن بأساسها في السياسة البريطانية التي تختصر الصراع في عناصر ثلاثة داخلية هما: العرب واليهود والسلطة البريطانية، وجسد هـــذا الإلحـــاح الإيطـــالي المتواصل لأن يكون لهم دور فيما يجري من أحداث في هذه المنطقة، وهو ما عُبر عنـــه في أكتوبر ١٩٣٦م، عندما افتتح في ميلانو مؤتمراً لدرس الأحوال الخارجية برئاسة الكونت فولبي ديمز وراتا حيث قدم السينور بياغوش عضو البرلمان والأســتاذ في جامعـــة رومـــا مداخلة قال فيها: "إن ما يجري في فلسطين ليس أمراً داخلياً يتعلـــق بسياســـة بريطانيـــا

* الشيخ عز الدين القسام (١٨٨٢-١٩٣٥): من مواليد اللاذقية في سورية، قاد في سبيل الاستقلال في سورية، وجاهد ضد الانتداب البريطـــاني والاســتعماري الصـــهيوني بفلسطين، قاد ثورة المسلحة ضد البريطانيين والصهيونيين في عام ١٩٣٥م، استشهد في معركة مواجهة وطنية كبرى نادت بسقوط الإنجليز والوطن القومي اليهودي، أُعتبر شيخ ثوار فلسطين. - الموسوعة السياسية، جـــ٤، ص١٠١.

١- كامل محمود خله: فلسطين والانتداب البريطاني، ص ص٣٧٤، ٣٧٥.

٢- علي محافظة: موقف الدول الكبرى من الوحدة العربية، ص ص٣٢٦، ٤٥٣.

وحدها بل هو أمر دولي يتعلق بجميع الشعوب، أما إيطاليا فلها في فلسطين مصالح مادية وأدبية"[١].

وقد أرسل موسوليني تعليماته إلى الممثليات الدبلوماسية في الدول الإسلامية بعد إعلانه إمبراطورية شرق أفريقيا، بأن يتم التركيز في هذه الدول على القوانين الإمبراطورية الجديدة التي تناسب العناصر الإسلامية في إطار سياستها الدعائية[٢]، إلى جانب تأييدها لتناول وسائل الإعلام الإيطالية المشكلات السياسية في فلسطين وانتقاد السياسة البريطانية فيها[٣].

وفي أكتوبر ١٩٣٦م/١٣٥٥هـ أبلغت الحكومة الإيطالية ممثليها في العواصم العربية تعليماتها لتجميع إثباتات حول جرائم القوات البريطانية نحو العرب والمسلمين[٤]، في إطار سياستها المضادة لسياسات الحكومة البريطانية في المنطقة، مما آثار قلق بريطانيا من هذه النشاطات المعادية لها في البلاد العربية.

فكانت الحكومة البريطانية تراقب البث الإذاعي من مدينة باري والمضاد لبريطانيا في الشرق الأوسط بعامة، دون أن تتخذ موقفاً مضاداً له[٥]. بل إنها قد شككت من تأثير الدعاية الإيطالية على المصالح البريطانية في فلسطين[٦]. وأوضح تقرير قدم من ج. راندل في ٢٣ نوفمبر ١٩٣٦م، عن الدعاية الإيطالية في فلسطين والشرق الأوسط. بأن الحكومة البريطانية تراقب الاهتمام الإيطالي الثقافي والاقتصادي والسياسي في فلسطين دون أن يكون لذلك أي تأثير كبير على المصالح البريطانية فيها، كما أن الدعاية العسكرية المضادة لبريطانيا

١- علي عبد المنعم شعيب: الصراع الإيطالي الفرنسي في بلاد الشام ١٨٦٠-١٩٤١م، ص١١٧.

٢- D.D. I, Ottava Serie, Volume IV, IL Capo Del Governo E Ministro Degli Esteri, Mussolini, Alle Pappresentanze Diplomatiche Nel Paesi Islamici (I). N: 165, Roma, 2 Giugno 1936.

٣- D.D. I, Ottava Serie, VolumeIV, IL Ministri Degli Esteri, Ciano, All Lministro Perla Stampa E propaganda Al Fieri, N: 458, Roma, 6 Luglio 1936.

٤- D.D. I, Ottava Serie, VolumeV, IL Ministri Degli Esteri, Ciano, All Legazioni A Bgdad, Cairo, Gedda Kabul, Al Consolati Generali A Beirut E Gerusalemme,E Al Consolato Aden, N: 161, Roma, 6 Octtobre 1936.

٥- F.O 371/ 20018 ,E -4743 / 8/ 31, 24th July, 1936.

٦- F.O 371/ 20018, E- 75180 /36 , 24th , July, 1936.

التي تقوم بها إيطاليا إلى عام ١٩٣٦م لم تدفع بريطانيا إلى اتخاذ موقف حازم تجاه الحكومة الإيطالية[١].

وقد كان رئيس لجنة عصبة الأمم التي أشرفت على الانتداب البريطاني في فلسطين إيطالياً، ومع أن هذه اللجنة لم يكن لها تأثير عملي عميق في سياسة بريطانيا في فلسطين إلا أن موسوليني رأى في رئاسة إيطالي للجنة دليلاً على مكانة اعتبارية لإيطاليا، حيث يمكن استغلال هذا المنصب لمصالح إيطاليا الخاصة[٢].

ولعل ذلك هو الذي دعا وايزمن* يسعى إلى لقاء موسوليني بهدف استقطابه لمطالب اليهود، والتوسط لدى هتلر من أجل يهود ألمانيا[٣]، ويذكر وايزمن بأنه ومن خلال لقائه بموسوليني شعر بأنه لا يكره الصهيونية أو الأطماع اليهودية في فلسطين[٤].

ورغم ذلك لم يتقدم الإيطاليون لمساندة الفلسطينيين بشكل قد يؤدي إلى أي صدام مع بريطانيا. وعلى ذلك سارت السياسة الألمانية حيث جاء في تعميم وجه إلى الوزير غروبا في بغداد جاء فيه "ينبغي التعبير بشكل واضح من ذي قبل تفهم ألمانيا لأماني العرب القومية ولكن دون الإدلاء بأي وعود محددة"[٥]. وهكذا تجنبت كل من إيطاليا وألمانيا تقديم وعود سياسية محددة مكتفية بالدعم المعنوي.

وقد أشير في مجلس العموم البريطاني إلى كل من الألمان والإيطاليين بأن لهم دوراً في تشجيع ثورة فلسطين عام ١٩٣٦م، وتقديم المساعدات المالية. حيث ورد في تقرير بتاريخ ١٨ فبراير ١٩٣٦م بأن إعانات مالية إيطالية قد قبلت من بعض القادة الاستقلاليين وأنها قد سلمت في القاهرة، وأن ذلك إذا صح فإنه يظهر بأن الدعاية

١- F.O 371 / 20018, Italian Propaganda in – Palestine and The Middle East, November 23rd , 1936.

٢- عبدالرحمن عبد الغني: ألمانيا النازية وفلسطين ١٩٣٣–١٩٤٥م (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٥م)، ص٨٠.

* حاييم وايزمان (١٨٧٤-١٩٥٢م) Haim seizu man: زعيم صهيوني وعالم كيميائي وأول رئيس لدولة إسرائيل، تولى رئاسة المنظمة الصهيونية العالمية، الوكالة اليهودية بين ١٩٢٠ و ١٩٤٨م، باستثناء الفترة من ١٩٣١-١٩٣٥م، التقى موسوليني أربع مرات لكسب تأييده للمشروع الصهيوني، أنتخب أول رئيس لدولة إسرائيل عقب إعلانها عام ١٩٤٨م. - الموسوعة السياسية، جـ٧، ص٢٤٥.

٣- Renso De felice, IL Fascismo E L'oriente, (Bologna: Societa Editrice IL Mulini, 1988) P. 174.

٤- مذكرات حايم وايزمن: ترجمة: محمد الشهابي، ط٢ ، (د.ن)، ص ص١٣٤، ١٣٥.

٥- على محافظة: موقف الدول الكبرى من الوحدة العربية، ص٣٢٩.

الإيطالية تعتمد على قادة حرب الاستقلال لتشجيع الإثارة المعادية للبريطانيين[1]. إلا أن ذلك شابة الكثير من الشك فلم يوجد أي دليل على أية مساعدة مالية قدمت من جانب ألمانيا وإيطاليا في أثناء ثورة ١٩٣٦م/١٣٥٥هـ[2].

كما اهتم البريطانيون بالنشاط الإيطالي في فلسطين من خلال الشركات الإيطالية العاملة في فلسطين والتقاء أفرادها بالفلسطينيين المعروفين* لحكومة الانتداب بنشاطهم المعادي للحكومة[3].

وقد حرصت الحكومة الألمانية النازية على تنسيق سياستها الدعائية مع الحكومة الإيطالية الفاشية تجاه فلسطين لمساندة الآمال العربية، وعارضت إيطاليا خطة تقسيم فلسطين وإقامة دولة يهودية خوفاً من أن يؤدي ذلك إلى تقوية مركز بريطانيا فقد توقع الفاشيون الإيطاليون بأن إنشاء الدولة اليهودية في فلسطين ستصبح ركيزة قوية لإنجلترا في البحر الأبيض المتوسط الذي كان الإيطاليون يرغبون في تحويله إلى منطقة نفوذ خاصة لهم وحدهم[4].

وعلى الرغم من وجود اتصالات بين إيطاليا وألمانيا ببعض الشخصيات الفلسطينية والعربية، إلا أنه لم يثبت بأن ثورة فلسطين لعام ١٩٣٦م قد تلقت أية أموال بهدف تشجيع الثورة ضد بريطانيا، وإنما كان لهذه الدعاية أثر في نفوس الشعب الفلسطيني والعربي. وإن كان ذلك سيتصاعد قبيل الحرب العالمية الثانية عندما تتغير سياسة كلٍ من ألمانيا وإيطاليا إلى بذل الجهود الدعائية ضد بريطانيا وفرنسا بشكل مكثف.

وفي سوريا ولبنان:

الخاضعتان للانتداب الفرنسي سعت الكتلة الوطنية السورية إلى عقد معاهدة فرنسية — سورية تحل محل نظام الحكم الانتدابي أسوةً بالمعاهدات التي عقدتها بريطانيا مع

١- F.O 3 71/ 20018: Periodical Appreciation Summary, No. 2/ 36.

٢- F.O 371/ 20018: Ibid, No. 12/ 36.

* من أهم هذه الشخصيات مفتي فلسطين أمين الحسيني الذي كانت له اتصالات واسعة بالدوائر العربية والإسلامية والأجنبية في محاولة لدعم القضية الفلسطينية.

٣- F.O 371/ 20018, E- 4743,Report by Criminal in Vestigation Department, Jerusalem, 12 . 10 . 36.

٤- لوكاز هيروريز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص٦١.

كل من مصر والعراق. ونقلت المفاوضات إلى باريس وترأس وفد سوريا السيد هاشم الأتاسي*. وقد استغرقت المفاوضات ستة أشهر، تم في أيلول ١٩٣٦م التوقيع على المعاهدة التي يدوم مفعولها مدة ٢٥ عاماً بأن تصبح سوريا دولة مستقلة خلال ثلاث سنوات فترشحها فرنسا لعضوية عصبة الأمم، كما نصت على دخول الطرفين في حلف عسكري ويكون الحق لفرنسا في الاحتفاظ بقاعدتين جويتين، وسمح للقوات البرية الفرنسية بأن تبقى مرابطة في منطقتي العلويين والدروز لمدة خمس سنوات، على أن تصبح هاتان المنطقتان مندمجتين في سوريا. وأن يقوم مدربون عسكريون فرنسيون بتدريب الجيش السوري، وأن تمد فرنسا هذا الجيش بالأسلحة والمعدات العسكرية، وفي حالة الحرب يكون من واجب سوريا أن تتعاون مع فرنسا في داخل البلاد بالمحافظة على المطارات وتقديم الماء والمساعدات في النقل والمواصلات. وقد ألحقت المعاهدة بإحدى عشرة مراسلة وخمسة بروتوكولات تنظم العلاقات بين الدولتين، ووقع الكونت دي مارتيل على المعاهدة من الجانب الفرنسي(١).

وكذلك عقد الفرنسيون معاهدة مماثلة مع لبنان وقعها من الجانب الفرنسي الكونت دي مارتيل وأميل أده من الجانب اللبناني في ١٣ تشرين الثاني عام ١٩٣٦م، وقد تشابهت المعاهدتان إلى حد كبير فيما عدا الشروط الخاصة بالأوضاع في سوريا(٢).

وأدى ذلك إلى قيام انتخابات نيابية فازت فيها الكتلة الوطنية بأغلبية ساحقة، فانتخب السيد هاشم الأتاسي رئيساً للجمهورية السورية وفارس الخوري** رئيساً لمجلس

---

* هاشم الاتاسي (١٨٧٥-١٩٦٠): زعيم وسياسي عربي، ولد بحمص، درس باستانبول، عمل بالإدارة العثمانية، شغل مناصب إدارية عليا، تولى رئاسة المجلس السوري ١٩٢٠، فرئاسة الوزارة الفيصلية، فرئيساً للمجلس التأسيسي ١٩٢٨م، انتخب رئيساً للجمهورية السورية ١٩٣٦م، ١٩٥٠م، ١٩٥٤م. - الموسوعة العربية الميسرة، ص٤٤.

١- حسن الحكيم: الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية في العهدين العربي الفيصلي والانتداب الفرنسي ١٩١٥-١٩٤٦،(بيروت: دار الصادر (د.ت))ص ص٣٢٧، ٣٤٦.

٢- ملحم قربان: تاريخ لبنان السياسي الحديث، ط٢، (بيروت: المؤسسة الجامعية للنشر، ١٩٨١م)، ص٢١٢.

** فارس الخوري (١٨٧٣-١٩٦٢م): من رجال السياسة والأدب في سورية، عمل ترجماناً للقنصلية البريطانية عام ١٩٠٢-١٩٠٨م، احترف المحاماة، انتخب عضو في المجمع العلمي العربي ١٩١٩م، عين وزيراً للمالية السورية حتى احتل الفرنسيون دمشق عام ١٩٢٠م، نفاه الفرنسيون عام ١٩٢٥م، عاد وتولى وزارة المعارف عام ١٩٢٦م، انتخب رئيساً للمجلس النواب ١٩٣٦م، أعيد انتخابه لهذا المنصب أكثر من مرة في عهد الرئيس شكري القوتلي ١٩٣٤-١٩٤٩، فرئيساً للوزارة (١٩٤٤-١٩٤٥)، توفي بدمشق ١٩٦٢م. - الموسوعة السياسية، جـ٤، ص٤٤٥.

النواب وكلف السيد جميل مردم* بك بتشكيل الوزارة. إلا أن فرنسا راوغت في إبـرام المعاهدتين السورية واللبنانية حيث سافر رئيس الوزراء جميل مردم بك إلى باريس ثلاث مرات لإقناع الجمعية الوطنية الفرنسية بجدوى المعاهدة، مما أدى إلى اضـطراب الوضـع السياسي في سوريا، ثم استقالت الحكومة في ١٩٣٩م/١٣٥٨هـ[١].

ويرجع تأخير فرنسا التصديق على المعاهدتين مع سـوريا ولبنـان إلى التبـدلات السياسية التي وقعت في فرنسا من جراء تغيير الوزارة من جهة، و إلى التوترات المتصاعدة في أوربا جراء التحالف بين ألمانيا وإيطاليا من جهة أخرى. حيث أن دوائـر السياسـة الخارجية الفرنسية حرصت على ألا تتخذ فرنسا أية خطوة يمكن أن تقلقل وضـعها في شرقي البحر الأبيض المتوسط. ورأت بأن قواعدها البحرية والجويـة علـى السـاحل السوري – اللبناني تحتاج إلى أمن سياسي تام، وهذا لا يتفق مـع مضـمون المعاهـدة السورية – اللبنانية.

بالإضافة إلى أن الجانب الفرنسي أخذ برأي الجانب البريطاني في انتهاج سياسة فرق تسد مع تزايد مطالب القوميين العرب السياسية والثقافية التي تهدد مصـالح كـل مـن بريطانيا وفرنسا التي تواجه ظرفاً سياسياً ودولياً صعباً في أوربا، ويجب عليها في الوقـت الحاضر تقوية نفوذها في مستعمراتها في الشرق الأوسط[٢].

وفي إطار شعور فرنسا بتهديد كل من ألمانيا وإيطاليا لها قامت بالتقرب من تركيـا أسوة ببريطانيا لكسب حلفاء لها في البحر الأبيض المتوسط. وكانت تركيا تؤكد بـأن لواء الإسكندرونة** في شمال سوريا من الأراضي التركية، فقامت فرنسـا بالانحيـاز إلى الجانب التركي. وعندما عقدت معاهدة الصداقة الفرنسية – التركية في أنقـرة قبلـت

* جميل مردم (١٨٨٨–١٩٦٠م): سياسي سوري، بدأ نشاطه السياسي بالاشتراك في تأسيس (العربية الفتاة)، عمل مستشاراً للأمير فيصل بن الحسين في سورية، انتخـب في الجمعية التأسيسية نائباً عن دمشق ١٩٢٨م، ١٩٣٢م، كان عضو المفاوضة للوفد السوري على مشروع المعاهدة السورية الفرنسية عام ١٩٣٦م، أعيد انتخابه نائباً عن دمشق في المجالس التالية: عام ٣٦–٤٣ و ١٩٤٧م، تولى عدة مناصب وزارية. – الموسوعة السياسية، جـ١، ص٩٦.

١– سلمى مردم بك: أوراق جميل مردم بك، استقلال سوريا ١٩٣٩–١٩٤٥ (بيروت: شركة المطبوعات للنشر،١٩٩٤م)، ص ص٢٤، ٢٥.

٢– فيليب خوري: سوريا والانتداب الفرنسي ١٩٢٠–١٩٤٥، ترجمة: مؤسسة الأبحاث العربية، (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٩٧م)، ص ص٥٤١، ٥٤٨.

** كان يسكن اللواء العرب وأقلية من الأتراك والأكراد.

فرنسا بمشاركة الأتراك حكم لواء الإسكندرونه، وفي عام ١٩٣٩م تنازلت عن اللـــواء لتركيا[١]. ثمناً لحيادها في الحرب المقبلة غير مبالية بحقوق العرب فيه.

وبناء على مصالح فرنسا وتطور الأوضاع الدولية. رأى المحــافظون بــأن الظـــروف الدولية لا تشجع فرنسا على ترك مصالحها في الشرق الأوسط مهددة أمام تحــدي إيطاليـــا وألمانيا، وأن استقلال سوريا ولبنان سيغري الوطنيين في شمال أفريقيا للتــخلص من الحكـــم الفرنسي[٢]. فقامت فرنسا بالرفض على تصديق معاهدة ١٩٣٦م/١٣٥٥هـــ مع ســـوريا ولبنان، و أعلنت الحكومة الفرنسية بأنه لا يمكنها المصادقة على المعاهدة لأن ذلك يفقـــدها مراكزها العسكرية في الشرق. وأعقب ذلك باستبدال المنـــدوب الفرنســـي دي مارتيـــل بالجنرال بيو الذي أعلن عدول فرنسا عن سياسة التعاهد والعودة في حكـــم الـــبلاد إلى صك الانتداب[٣].

وقد أعطى عدم تصديق المعاهدة السورية — الفرنسية الفرصـــة لإيطاليـــا لمهاجمـــة الفرنسيين في سورية عن طريق إذاعة باري، واتهم الفرنسيون إيطاليا بأنها تحث السوريين على الثورة، وأن الإذاعة تنشر الأخبار المضخمة عن الوضع المحلي، مما ســـاعد في إثـــارة السوريين فقاموا بالمظاهرات التي هتفوا فيها لإيطاليا بالقرب من مقر القنصلية الإيطاليـــة في دمشق، وحلب[٤].

مما أدى إلى انقسام في الكتلة الوطنية المسيطرة، واتخذ مجلس النواب السوري في ٣١ كانون الأول ١٩٣٦م، قرارات لتحديد موقف سوريا باستنكار تراجع فرنسا عن إبـــرام المعاهدة، وأكدت محافظة سوريا على جميع الحقـــوق المؤيـــدة لاستـــــقلال ســـوريا ووحدتها[٥]. وأدى موقف فرنسا إلى توقف الأعمال الحكومية وتعطيل الدستور وقيـــام المندوب السامي الفرنسي بتشديد قبضة فرنسا على سوريا ولبنان[٦].

١- Lenczowski, The Middle East in World Affairs, P. P. 238, 239.

٢- محمد رفعت: التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٤م)، ص١٦٧.

٣- وليد المعلم: سوريا ١٩١٨–١٩٥٨ (قبرص: شركة بابل للنشر، ١٩٨٥م)، ص٢٠.

٤- علي عبدالمنعم شعيب: الصراع الإيطالي — الفرنسي على بلاد الشام ١٨٦٠-١٩٤١م، ص١٣٢.

٥- حسن الحكيم: الوثائق التاريخية، ص ص٣٧٤، ٣٧٥.

٦- زهير الشلق: من أوراق الانتداب (بيروت: دار النفائس، ١٩٨٩م)، ص١٥٣.

وقد نجحت الدعاية الإيطالية إلى حد ما في الحصول على تأييد عدد من رجال الدين المسيحي إلى جانبها، بعدما راحت تُظهر روما على أنها حامية للأقليات الكاثوليكية، مما أضفى أهمية خاصة على نشاط الفاشيين لما لرجال الدين من وزن في مجرى الحياة السياسية في الشرق العربي، نتج عنها زيارة البطريك عريضة إلى كل من الفاتيكان وباريس عام ١٩٣٧م/١٣٥٦هـ، وكان لزيارة رئيس الكنيسة المارونية في بلاد الشام أثره في إطلاق البريطانيين اتهاماتهم لغرض هذه الزيارة، وأن غرضها أقرب للحصول على اتصال أوثق بموسوليني منه إلى تقديمهم الاحترام إلى البابا، وقد استقبل البطرك في روما بحفاوة بالغة، وقد أبرز البطريرك أهمية الطائفة المارونية في الحياة السياسية اللبنانية، وبث راديو روما في ١٨ مايو ١٩٣٧م خطاباً للبطريرك باللغة الفرنسية جاء فيه: "...وجدنا التكريم لشخصنا من جانب الحكومة والإمبراطور الملك ورئيسها موسوليني الرجل الذي اختاره الله لنهضة شعبه". وقد ظهر من هذه الزيارة تأكيد استغلال موسوليني لكل ما يخدم أغراضه السياسية من توجهات في المشرق العربي سواء كانت سياسة أو وطنية أو دينية ليوظفها لخدمة أغراضه[١].

مصر:

تعتبر مصر محور السياسة الإستراتيجية البريطانية في العالم العربي والشرق الأوسط، لذلك كانت السيطرة البريطانية على مصر والسودان تخدم حماية المصالح البريطانية وخطوط مواصلاتها البحرية في قناة السويس عبر البحر الأحمر إلى المحيط الهندي فكانت بريطانيا تعارض أي نشاط إيطالي في مصر* حيث كان في مصر جالية إيطالية كبيرة تركزت في القاهرة والإسكندرية وكانت لهم جمعياتهم الخاصة ومدارسهم ونواديهم وأعمالهم التجارية والمالية[٢].

١- علي عبدالمنعم شعيب: أشكال العلاقة بين دول المحور والمشرق العربي (أوروبا والشرق الأدنى ١٩٢٠-١٩٧٣م)، مجموعة من الباحثين، (بيروت: منشورات الجامعة اللبنانية، ٢٠٠٢م)، جـ٢، ص١١٧.

* توثقت العلاقات المصرية – الإيطالية منذ حكم إسماعيل باشا الذي أختار إيطاليا مقرا له بعد خلعه من العرش وإبعاده عن البلاد، وقد تربى فيها الملك فؤاد ،الذي كان متحمسا للثقافة الإيطالية، محتضنا للإيطاليين، وهو تقليد استمر في عهده ولده الملك فاروق مما أثار مخاوف البريطانيين.

٢- رؤوف عباس حامد: مصر وعالم البحر المتوسط في العصر الحديث (القاهرة: نهضة الشرق، ١٩٩٦م)، ص١٣٣.

وفي ظل تأزم الوضع الدولي إثر اعتداء إيطاليا الفاشستية على الحبشة عام ١٩٣٥م/١٣٥٤هـ، اتخذت الحكومة البريطانية عدة تدابير دفاعية عن مصالحها في البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، وتركزت معظم دفاعاتها في مصر، كما اهتمت بتقوية دفاعاتها في فلسطين وشرق الأردن وعدن، فاستدعت ثلاثة أرباع أسطولها الحربي من جميع الجهات وحشدتها في شرق البحر الأبيض المتوسط بالقرب من مدينة الإسكندرية[١].

وقد اهتم الملك فؤاد وتوفيق نسيم باشا رئيس الوزراء المصري بتطور الأحداث في الحبشة، كما اهتمت الصحافة المصرية بالنزاع الإيطالي الحبشي والموقف الذي يجب أن تتخذه مصر في حالة وقوع حرب بين إيطاليا والحبشة، وعكستا تعاطف الشعب المصري والعربي تجاه الحبشة[٢].

فقد خشي الملك فؤاد من أي خطر قد تتعرض له مصر من جراء قيام أي طائرة مقاتلة بضرب خزان أسوان بالقنابل أو ضرب قناطر أسيوط أو القناطر الخيرية، مما سيحدث فيضانا مدمرا لكل البلاد، وقد نقل توفيق نسيم باشا إلى دار المندوب السامي البريطاني في القاهرة انطباعات الملك فؤاد. فاستغل ما يلز لامبسون – المندوب السامي البريطاني هذه المبادرة من الملك ورئيس الوزراء المصري، فرتب لقاء مع بعض كبار العسكريين الإنجليز بحضور القائد العام للقوات البريطانية في مصر وقائد القوات الجوية الملكية بالشرق الأوسط، وناقش معهم الإجراءات المقترحة لحماية الصحراء الغربية والحدود الجنوبية والغربية لمصر من ناحية البر والجو من أي احتمال لهجوم جوي وبري قد تتعرض له مصر من قبل إيطاليا[٣].

كما حرصت الحكومة البريطانية إلى الاستعانة بالجيش المصري وتحديثه، حيث كان الجيش المصري آنذاك يتصف بقصور معداته وأسلحته[٤]. وكان السيد جورج وير

١- بيرونوفن: تاريخ القرن العشرين، ص٤١٦.

٢- طلعت إسماعيل رمضان: إجراءات الطوارئ البريطانية في مصر تجاه النزاع الإيطالي الحبشي، سنة ١٩٣٥م، ((د.ن)، ١٩٩١م)، ص٢٧.

٣- F.O 407/ 218, The Reagtion Disput, No. 59, Sir Mr. Lampson to Sir Samuel Hoare, July 12, 1935, No. 795, (Ssecret).

٤- F.O 407/ 218, Ibid, J . 4758/ G. No. 74. Sir Samuel Hoare to Mr. Kelly, September 18, 1935, Tel. No. 297, (Most Secret).

Gearje Weir القائم بعمل مفتش عام الجيش المصري، قد سبق أن ناقش إمكانية الانتفاع بالجيش المصري قبل توجهه إلى مصر مع وزارة الحربية البريطانية. وتم الاتفاق بأنه في حالة وقوع نزاع بين المملكة المتحدة وإيطاليا فان دور الجيش المصري يعتمد على السياسية التي تتبعها الحكومة المصرية. على أن يكون الجيش المصري تحت إمرة القائد العام للقوات المسلحة البريطانية في مصر، ويتم التعاون بين مصر والمملكة المتحدة كحليف فعال على مبدأ وحدة الإشراف. لذلك طلبت الحكومة البريطانية من المندوب السامي البريطاني التشاور مع الحكومة المصرية للتنسيق في تنفيذ ذلك[١].

وفي ٣٠ سبتمبر ١٩٣٥م/١٣٥٤هـ رتب المندوب السامي البريطاني لعقد مؤتمر ضم كبار العسكريين البريطانيين في مصر مع القائد الأعلى للقوات المسلحة البريطانية وقائد القوات الجوية انتهوا إلى التوصية بضرورة مشاركة الجيش المصري في التعاون مع القوات البريطانية خلال فترة الحرب بين إيطاليا والحبشة، مؤكدين على الدور الذي يمكن أن يقوم به الجيش المصري تجاه الأمن الداخلي[٢].

وقد قام السير لامبسون بلقاء توفيق نسيم باشا، و أوضح له رأي الحكومة البريطانية في تطوير وتحديث الجيش المصري بناء على الظروف السياسية والعسكرية التي قد تترتب عن الحرب بين إيطاليا والحبشة، ووافق نسيم باشا على طلب لامبسون على أن يلتحق اثنان من كبار الضباط البريطانيين بكل كتيبة مصرية في مقابل أن يكون التحديث الشامل للمعدات المصرية طبيعياً تماماً[٣]. وبذلك حصلت بريطانيا على فرصة للتدخل العسكري في الجيش المصري وهو أمر كان مرفوضاً من قبل الحكومات المصرية المتعاقبة.

١- F.O 407/ 218, Ibid, J. 4758/ G. No. 74. Sir Samuel Hoare to Mr. Kelly, September 16, 1935, Tel. No. 297, (Secret).

٢- F.O 407/ 218. I bid, J.5485/ G. No. 81. Sir Lampson to Sir Samuel Hoare, Alexandria, October, 1st . 1935. Tel. No. 428 (Very Confidential).

٣- F.O 407/ 218, Ibid, G. 5508/ 110/ 16, No. 82. Sir Lampson to Sir Samuel Hoare, Alexandria, October 1st , 1935. Tel. No. 432.

ونتيجة لحرص بريطانيا على تعزيز قواهّا العسكرية في مصر لمواجهة حالة التوتر من جراء الحرب المتوقعة بين إيطاليا والحبشة، أرسلت وحدات بحريـــة ومـــدافع طـــائرات، كذلك أرسلت عدة طائرات حربية(١). وفيما كانت تقارير المخابرات البريطانية تؤكـــد بأن الغزو الإيطالي للحبشة وشيك الوقوع، أخذت السلطات العســـكرية البريطانيـــة في مصر تسارع في مسألة التعزيزات العسكرية لحماية مصالحها في مصر(٢).

وقد أبلغ السير صموئيل هور السير مايلز لامبســـون M. Lampson – المنـــدوب السامي البريطاني في مصر – في ٥ أكتوبر عام ١٩٣٥م، موافقة حكومـــة الهنـــد علـــى إرسال قوات إلى مصر عند الضرورة، وطالبه بوضع الاستعدادات والتدريبات الدفاعيـــة لذلك، وإبلاغه وقت إتمام ذلك، وأن موعد إرسال أول فوج مـــن هـــذه القـــوات إلى السويس يكون خلال ثلاثة أسابيع، على أن تصل باقي القوات في ظرف شهر(٣).

وأوضح السير صموئيل هور الموقف الذي يجب أن تتخذه الحكومة المصرية والجيش حيال القوات الإيطالية في حال تعرض مصر لأي عدوان عسكري وذلك في برقية بعثها إلى السير لامبسون ذكر فيها: "بأنه في حالة الحرب التي بين إيطاليا والحبشة، فإنه لـــيس من المرغوب أن تعلن مصر حيادها رسمياً، كما أنه يجب نصح الحكومة المصرية لتقوم بمنع دخول الأفراد والقوات الإيطالية إلى الأراضي المصرية، وإذا ما حصل ذلك يجب أن يـــتم إيقافهم وإرجاعهم وإذا لم يمتثلوا لذلك عليها باعتقالهم، على ألا يتم ذلك إلا في حالات المخالفين للقانون. كما لا تسمح للطائرات العسكرية الإيطالية باختراق الأجواء المصرية أو الهبوط داخل الأراضي المصرية، وأن يتم إبلاغ الحكومة البريطانيـــة بـــذلك. أمـــا الطائرات المدنية فيجب التأكد من أنها ليس لها علاقة بالحرب، وعلى الحكومة المصرية أن

١- F.O 407/ 218, Ibid, No 73. Sir Samuel Hoare to Mr. Kelly, September 14, 1935, Tel. No. 291 (Most Confidential).

٢- F.O 407/ 218, Ibid, No.81, OP Cit.

٣- F.O 407/ 218, J 5684 G. No.85, Sir Samuel Hoare to Sir Lampson, (No. 347) Secret, Foreign Office, October 5, 1935.

تنتظر وصول التعليمات إليها من الحكومــة البريطانيــة في حــال حــدوث أي أمــر مستجد."[١].

ومن الأمور التي شكلت قلقا لدى سلطات البريطانية في مصر الدعايــة الإيطاليــة المكثفة التي كانت تسعى لكسب المصريين إلى جانبها في الصراع المحتمل مــع الحبشــة، فعملت الحكومة البريطانية لإحباط هذه الدعاية والوقوف أمام آثارها السيئة على النفوذ البريطاني في مصر. حيث أكدت تقارير المخابرات البريطانية بأن الإيطاليين ســيحاولون بث بذور عدم الثقة بين مصر والحكومة البريطانية عن طريق الإدعاء "بأن المسألة الحبشية نزاع إنجليزي – إيطالي، وأن البريطانيين يحاولون من جانبهم فرض كل أنواع الإجراءات السيئة على مصر ضد الإيطاليين الأصدقاء."[٢].

وقد عملت بريطانيا لمجابهة الدعاية الايطالية إلى التفاهم مع الملك فؤاد والحكومــة المصرية لإحباط الدعاية الإيطالية في الصحف المصرية، إذ أن بريطانيا اتهمت وزير إيطاليا المفوض في مصر بالاتصال ببعض صحف الوفد للتأثير على الرأي العام المصــري ضــد النفوذ البريطاني[٣]. كذلك أكد لامبسون للجانب المصري على التعاون بــين الجــانبين لمواجهة أي عدوان من جانب إيطاليا، وأن الحكومة البريطانية تؤكد على مشاركة مصر لبريطانيا في ذلك في إطار التعاون والتشاور، مما دفع نسيم باشا على تأكيد التعاون مــن جانب الحكومة المصرية مع دار المندوب السامي البريطاني في القاهرة[٤].

كما قام المندوب السامي في مصر بتعليمات من حكومته بإبلاغ ممثــل إيطاليــا في مصر بضرورة إيقاف الدعاية الإيطالية المعادية للحكومة البريطانية، وقد نفى وزير إيطاليا المفوض في مصر السنيور جيجي Ghigi في لقاء جمعه والسيد لامبسون مزاعم الحكومــة البريطانية مشيراً أنه من واجبه هو وأعضاء الوفد الإيطالي في مصر تبني القضية الإيطاليــة

١- F.O 407/ 218, Ibid, J 5798/ 25116, No. 93. Sir Samuel Hoare to Sir Lampson, Tel, No 370 .Foreign Office, October 15, 1935.

٢- F.O 407/ 218, Ibid, No. 63 Mr. Ronald Campbell to Mr. Kelly, J. 3952/ 110/ 16, August 22, 1935, (Secret).

٣- F.O 407/ 218, Ibid, No. 71. J 4557/ 110/16, Mr. Kelly t0 Sir Samuel Hoare, Tel. No. 359, Alexandria, September 7, 1935.

٤- F.O 407/ 218, Ibid, No. 82, OP. Cit.

ضد أثيوبيا، إلا أنه حرص على عدم التدخل في السياسة الداخلية لمصر، أو أن يقوم بما يسيء إلى الحكومة البريطانية، ونفى ما أثير عن قيام سكرتير الوفد الإيطالي في القاهرة والمكلف بشئون الصحافة السنيور ميليني Mellini بالاتصال بالصحف المصرية والتأثير عليها للوقوف إلى جانب إيطاليا، كذلك نفى ما تردد عن قيام الوفد الإيطالي في مصر بتنظيم وتسليح الجالية الإيطالية في مصر، وأكد على حرصه على منع تضمين الجالية الإيطالية في مصر في قرار التعبئة العامة الذي صدر مؤخراً، وأكد جيجي في نهاية حديثه مع لامبسون على الصداقة بين إيطاليا وبريطانيا[١].

كانت الجالية الإيطالية في مصر مصدر قلق للسلطات البريطانية في مصر، خوفا من قيام أعمال شغب أو تهديد للقوات البريطانية خاصة في منطقة قناة السويس وبور سعيد، فقد كانت السلطات البريطانية تخشى من نفوذ الجالية الإيطالية خاصة وأنهم متواجدون في وظائف هامة وحيوية كمحطات المياه والكهرباء. فكان لابد من مراقبة أوضاعهم ونشاطهم في الإسكندرية والقاهرة وغيرها من المدن المصرية[٢].

وفيما كانت عصبة الأمم تتناقش حول توقيع العقوبات الاقتصادية على إيطاليا إذا ما نفذت هجومها ضد الحبشة، كانت وزارة الخارجية البريطانية تتدارس مع المندوب السامي البريطاني في مصر حول موقف مصر من العقوبات الاقتصادية، ومدى إمكانية تنفيذ ذلك، خاصة وأن مصر ليست عضواً في عصبة الأمم. فقد كانت مصر مرتبطة بإيطاليا بمعاهدة تجارية عام ١٩٣٠م/١٣٤٩هـ، وكان لإيطاليا حق التمتع بامتيازات في مصر ضمن الدول الأخرى صاحبة الامتيازات[٣].

فأكدت وزارة الخارجية البريطانية بأن العقوبات الاقتصادية التي تبدو ملائمة للتطبيق في مصر تنحصر في رفض استلام الصادرات الإيطالية إلى مصر، ورفض مصر

١- F.O 407/ 218, Ibid , No.86, Sir Lampson to Sir Samuel Hoare , Tel,No.423,September26, 1935. & D. D. I. Otava Serie VolumeII, ILMinistro Al Cairo, Ghigi, Al Capi Del Governi E Ministro Degli Esteri, Mussolini, N: 282, Bulkeley, 7 Ottobre 1935.

٢- F.O 407/ 218, Ibid, No. 80, Mr. Kelly to Sir Samuel Hoare, Tel, No. 423, September 26, 1935.

٣- F.O 407/ 218, Ibid, No. 79, Tel, No.208, Sir Samuel Hoare to Mr. Kelly, September 23, 1935.

دخول الحمولات الإيطالية إلى الموانئ المصرية[١]. وبعد مشاورة الحكومة المصرية اتفق الطرفان على أن تنحصر العقوبات حول مسألة الصادرات فقط[٢].

ومن خلال المناقشات التي كانت تدور آنذاك في عصبة الأمم حول إمكانية تطبيق المادة (١٦) من ميثاق العصبة حول توقيع العقوبات على الدول المعتدية، برزت فكرة اشتراك الدول غير الأعضاء في عصبة الأمم للإدلاء بآرائها في مسألة إمكانية توقيع العقوبات الاقتصادية على إيطاليا، عن طريق إرسال مندوبين عنهم لحضور هذه المناقشات، فرأت الحكومة البريطانية أن ينيب عن مصر المندوب السامي والحكومة البريطانية[٣].

وقام مجلس الوزراء المصري بالموافقة من حيث المبدأ على مقترحات عصبة الأمم بشأن تطبيق العقوبات الاقتصادية في جلسته المنعقدة في ٣٠ أكتوبر١٩٣٥م، وأحال الموضوع على اللجنة الوزارية التي تشكلت لدراسة التطبيق العملي لهذه الإجراءات الاقتصادية[٤].

وقد تناول الوزير الإيطالي المفوض في مصر السنيور جيجي في حديثه مع رئيس الوزراء المصري نسيم باشا النتائج السلبية التي تركها انضمام مصر للعقوبات الاقتصادية على العلاقات الإيطالية المصرية[٥]، وأبلغه في ٦ نوفمبر بالتعليمات التي أصدرها إليه موسوليني لتقديم رسالة احتجاج للحكومة المصرية لانضمامها مبدئياً للعقوبات الاقتصادية والمالية المفروضة ضدها[٦]. للوقوف أمام إصدار مرسوم بتنفيذ العقوبات، وإن تفهمت الضغوطات البريطانية على مصر لتنفيذ قرار العقوبات على إيطاليا[٧].

١- F.O 407/ 218, Ibid, No. 84, Tel, No. 343, Sir Samuel Hoare to Sir. Lampson, October 4, 1935.

٢- F.O 407/ 218, Ibid, No. 94, Tel, No. 376, Sir Samuel Hoare to Sir Lampson, October 16, 1935.

٣- F.O 407/ 218, Ibid, No. 94.

٤- F.O 407/ 218, Ibid, Enclosure in No.115, Egyptian Prime Minister to Sir Lampson, October 30, 1935. Sub Enclosure in No. 115, Decisions of Egyptian Government Concurring the Application of Sanctions.

٥- D. D. I, Ottava Serie, VoluneII, IL Ministro Al Cairo, Ghigi, Al Capo Del Giverno E Ministro Degli Esteri, Mussolini, N: 559, Cairo, 3 Novemgre 1935.

٦- D. D. I, Ottava Serie, VoluneII, Il Capo Del Giverno E Ministro Degli Esteri, Mussolini, Al Ministro Al Cairo, Ghigi, N: 570, Roma, 6 November 1935.

٧- D. D. I. Ottava Serie, Volume II, L'incaricato D' Affari Alondra, Vitelti, Al Capo Del Governo E Ministro Degli Esteri, Mussolini, N: 663, Londra, 19 Novembre 1935.

وبعد دراسة تامة أوصت اللجنة بضرورة إصدار تشريع خاص بـإجراءات الحظر بالنسبة للعقوبات الاقتصادية، عن طريق مرسوم بقانون، وأنه لابد من الإشارة في نصه إلى ميثاق كيلوج Kellog ١٩٢١م/١٣٤٠هـ، الذي وقعته بعض الدول غير الأعضاء في العصبة ومنها مصر إلى جانب الدول الأعضاء في العصبة، وسمح لهذه الدول بعقد اتفاقيات تؤكد تعاون الدول غير الأعضاء في العصبة فيما يتخذ من تدابير وإجراءات داخل عصبة الأمم، والإشارة إلى دعوة عصبة الأمم لمصر لاتخاذ هذا الإجراء. وأعدت مذكرة بالتوصيات عرضت على مجلس الوزراء المصري في ٣ ديسمبر ١٩٣٥م، وأصدر مرسوم بقانون رقم ١٤٥ لسنة ١٩٣٥م لفرض جزاءات على إيطاليا ووقعه الملك فؤاد. حيث نص المرسوم على منع تصدير الأسلحة والذخائر والمواد الحربية أو إعادة تصديرها أو إرسالها ترانسيت إلى إيطاليا أو ممتلكاتها، ومنع تصدير أو إعادة تصدير لائحة من البضائع والمحصولات إلى إيطاليا أو ممتلكاتها، وكذلك نص المرسوم بقانون على منع دخول مختلف أنواع البضائع الواردة من إيطاليا وممتلكاتها باستثناء بعض المعادن كالذهب والفضة، وكذلك منع دخول جميع أنواع المحصولات الزراعية التي تمر بمصر ترانسيت أو التي يعاد شحنها من مصر، وتشمل البضائع و المحصولات التي بصدد الوصول إلى مصر وقت تنفيذ هذا المرسوم بقانون[١].

ولتأكيد السيطرة على الأوضاع الداخلية في مصر، سعت بريطانيا إلى مشاركة الحكومة المصرية في إصدار إجراءات الطوارئ التي رأت فيها تعزيزا لإجراءات الدفاع عن مصر بشكل عام، وللدفاع عن قناة السويس وحفظ الأمن العام. فوضعت لجنة تشكلت برئاسة أرثر بوث المستشار القضائي وعدد من الأعضاء لوضع بنود الأحكام العسكرية البريطانية والمصرية على السواء دون أن يشارك في اللجنة أحد من المصريين. وأصدرت اللجنة إعلان الأحكام العسكرية في ٢٦ أكتوبر عام ١٩٣٥م. وتضمن إعلان نظام الطوارئ، إعلان حالة الطوارئ في كل أنحاء مصر، وأعطى لوزير الداخلية

١- F.O 407/ 218, No. 132, J. 9024/ 6276/ 16, Sir Lampson to Sir Samuel Hoare, No. 1389, December 3, 1935. Enclosure 1 & 2.

المصري سلطات استثنائية لضبط الأمن. وأعلنت حظر ما يسبب أعمال الشغب ويضر سلامة قوات صاحب الجلالة البريطاني في مصر، وأمن المواصلات في مصر، أو بالدفاع عن مصر ضد العدوان الأجنبي(١). فكان ذلك يعني التأكيد على سلامة وأمن القوات البريطانية العسكرية وطريق مواصلاتها ضد أي تهديد سواء أكان من المصريين أو أفراد الجالية الإيطالية في مصر.

فكانت هذه الإجراءات التي قامت بها السلطات البريطانية في مصر لصد أي عدوان يهدد نفوذها على مصر تتخذ من التهديد الإيطالي ذريعة لتشديد نفوذها السياسي والعسكري في مصر، ومشاركة الحكومة المصرية في تنفيذ هذه السياسة التي تهدف المحافظة على مصالحها وحماية طريق مواصلاتها والدفاع عن قناة السويس. فأصبحت الإسكندرية هي قاعدة الأسطول البريطاني في البحر المتوسط بدلاً من مالطا.

وعلى الرغم من نفي موسوليني وجود مطامع لإيطاليا في مصر، أو رغبتها في الاعتداء على مصر، إلا أن الحكومة البريطانية أثارت الشكوك حول سياسة موسوليني أمام اعتدائه على أثيوبيا(٢). مما أدى إلى سعي المسئولين الإيطاليين في السفارة الإيطالية إلى لقاء المندوب السامي البريطاني لتخفيف حدة الدعاية والاتهامات المتبادلة بين الطرفين حول تهديد إيطاليا للأراضي المصرية، أو دعم إيطاليا لبعض الأحزاب الوطنية المصرية ونشرها الدعاية المضادة لبريطانيا(٣).

وعلى صعيد تطور العلاقات المصرية — البريطانية سعت الحكومة المصرية بزعامة نسيم باشا إلى محاولة الاتصال بالحكومة البريطانية للوصول إلى معاهدة تحدد مركز كل منهما تجاه الأخرى، وهي استكمال لما سبق أن قامت به الوزارات المصرية السابقة، فقدم مذكرة إلى السير مايلز لامبسون في ١٨ أكتوبر عام ١٩٣٥م تضمنت خطورة

١- F.O 407/ 218, No. 109, J. 7287/G. Chancery, Cairo, to Egyptian Department. October 25, 1935. Enclosure 1&2.

٢- A. S.M. A. E. Roma, Affari Politici, Egitto, Busta n 16. Fasc 5. Telegramme, N: 265. R/20, Mussolini, Ministero Degli Affari Esteri, Roma, 18 Gennaio 1936.

٣- A. S. M. A. E. Roma, Affari Politici, Egitto, Busta 16, Fasc 5. N: 3046/1011, R. Legazione D' Italia in Egitto, Ministero Degli Affari Esteri, Ciano, Bulkeley, 7 Ottobre 1935, XIII.

الأزمة العالمية على الأوضاع في مصر، وأن حكومة مصر مسئولة عن الدفاع عن أراضيها وحدودها، وتتولى ذلك بنفسها، وأنها ترى بأن الوقت الحاضر هو أنسب الأوقات لعقد معاهدة بين البلدين، تؤكد التفاهم وترتب التعاون بينهما، وتحقق لمصر استقلالها، كما يترتب على ذلك حل مشكلة الامتيازات الأجنبية ودخول مصر عضوا في عصبة الأمم، وأكد نسيم باشا أن هذه المطالب تتفق مع آراء الشعب المصري وممثليه الحقيقيين. وقد رد لامبسون على ذلك "بأن الوقت غير ملائم للأخذ باعتبارات دستورية، أو التفكير في معاهدة، خاصة وأن بريطانيا مشغولة بالموقف الدولي من جراء الهجوم الإيطالي على الحبشة."[١].

وقد أثار رد الحكومة البريطانية القلق بين صفوف الشعب والساسة المصريين، فألقى محمد محمود* باشا زعيم الأحرار الدستوريين خطاباً سياسياً، هاجم فيه وزارة نسيم باشا ووصفها بأنها ترهن بمشيئة البريطانيين ونادى باتحاد كلمة الأمة لمصلحة مصر واستقلالها وحريتها[٢]. فكان لهذا الخطاب أثر بالغ حيث كان تحدياً لسياسة الحكومة البريطانية في مصر آنذاك، فألقى السير صموئيل هور – وزير الخارجية البريطانية – خطاباً في ٩ نوفمبر عام ١٩٣٥م/١٣٥٤هـ في مأدبة أقامها محافظ لندن (بجليد هول)، أشار فيها إلى الدستور المصري والحالة التي نشأت عن قيام الحرب الإيطالية الحبشية:

"لقد بد لمصر من تلقاء ذاتها أن تنتظم في سلك الدول الساعية للسلام العالمي... لكننا سمعنا من بعض المصادر نغمة مختلفة، فقد زعم البعض أن الحكومة البريطانية عامدة إلى استغلال الموقف الحاضر لمصلحتها على حساب مصلحة مصر. وهذا غير صحيح، إن الحكومة البريطانية بذلت جهدها لإنشاء علاقات مبنية على

١- F.O 407/ 218, Further Correspondence Respecting Egypt and Sudan, Part CXV111, J. 5747/ 100/16 No. 19. Sir Lampson to Sir Samuall Hoare, Tel. No. 497. Ciro, October 19, 1935.

* محمد محمود باشا (١٨٧٧-١٩٤١م): رئيس حزب مصري ورئيس وزراء، اشترك في تأليف الوفد المصري عام ١٩١٨م واعتقل مع سعد زغلول في مالطة ١٩١٩م، تولى عدة وزارات ائتلافية، تولى رئاسة الوزارة في عام ١٩٢٨، ١٩٣٧-١٩٣٩م، ترأس حزب الأحرار الدستوريين حتى وفاته. - الموسوعة السياسية، جـ٦، ص١٠٠.

٢- محمد حسين هيكل: مذكرات في السياسة المصرية، جـ١، ص٣١٢.

تعاون اختياري ودي بين البلدين لمصلحتها المشتركة. ومن دواعي اغتباطنا أن لبـــت مصر عن طيبة خاطر داعي الواجب بروح التعاون الحر. وهذا العمل لا يمكن إلا أن يعود بالفائدة على حكومتينا عند حلول الموعد لوضع علاقتنا على أساس دائم مرض للفريقين... كذلك لا صحة على الإطلاق لزعم الزاعمين أننـــا نعـــارض في عـــودة النظام الدستوري إلى مصر بشكل يوافق احتياجاتها، فنحن بحسب تقاليدنا، لا يمكـــن ولا نريد أن نقوم بمثل هذه المعارضة. أجل! إننا عندما استشارونا أشرنا بعدم إعادة دستوري ١٩٢٣ و ١٩٣٠م/١٣٤٢و ١٣٤٩هـــ، مادام الأول قد ظهر أنـــه غـــير صالح، وأن الثاني لا ينطبق مطلقا على رغبات الأمة"(١).

فكان للتصريح أثر بالغ على الشعب والساسة المصريين، حيث كان اعترافاً صـــريحاً بالتدخل البريطاني المباشر في الأمور الداخلية في مصر. فقام النحـــاس باشـــا* بـــإعلان قرارات الوفد التي اتخذها في اجتماعه في ١١ نوفمبر ١٩٣٥م فوجه الـــدعوة إلى الأمـــة بكافة طبقاتها وهيئاتها وجماعاتها بعدم التعاون مع الإنجليز. مادام اعتداؤهم قائماً علـــى الدستور والاستقلال، وأوضح بأن الواجب الوطني أصبح محتماً على الـــوزارة المصـــرية بالاستقالة. وأرسل بذلك مذكرة إلى عصبة الأمم تتضمن احتجاج مصر على تصريح ٩ نوفمبر للسير صموئيل هور، وتعلن أن مصر ضحية عدوان صريح، وأرسل صورة مـــن هذه المذكرة إلى جميع ممثلي الدول الأجنبية في مصر ليبلغوها بـــدورهم إلى حكومـــاتهم. فكان ذلك تشهيراً أدبياً من قبل المصريين بإنجلترا التي كانت تواجه إيطاليا بسبب عدوانها على الحبشة(٢)، وعمت المظاهرات معظم المدن المصـــرية منـــذ ١٣ نـــوفمبر ١٩٣٥م احتجاجاً على تصريح هور(٣).

١- F.O 407/ 218, OP. Cit, No. 22, J. 7087/ 100/ 16, Extraot from The Speech mad by Tthe Secretary of State at The Guild hall on November 9, 1935.

* مصطفى النحاس (١٨٧٦-١٩٦٥):زعيم سياسي مصري، خدم القضاء المصري مدة طويلة، ثم دخل غمار السياسة، انضم إلى الوفد المصري بقيادة سعد زغلول ونفي معه إلى جزر سيشيل ١٩٢١م، تولى عدة مناصب وزارية ،خلف سعد زغلول في رئاسة الوفد، ترأس الوزارة المصرية وأبرم مع بريطانيا معاهدة ١٩٣٦م، ألـــف الـــوزارة (١٩٢٨-١٩٣٠ و ١٩٣٦-١٩٣٧ و ١٩٥٠- ١٩٥٢م) اعتزل الحياة السياسية إثر قيام الثورة المصرية ١٩٥٢م. - الموسوعة العربية الميسرة، ص١٨٢٦.

٢- عبدالعظيم رمضان: تطور الحركة الوطنية في مصر، جـــ٢، ص ص٧٨٣، ٧٨٤.

٣- عبدالرحمن الرافعي: في أعقاب الثورة المصرية ،جـــ٢، ص٢١٥.

فكان لذلك أثر كبير على تراجع بريطانيا تجاه سياستها في مصر، حيث كانت الظروف الدولية تحتم عليها تهدئة الأحوال في مصر نظراً للأزمة الإيطالية – الحبشية، فقام السير صموئيل هور في ٥ ديسمبر عام ١٩٣٥م بإيضاح تصريحه السابق، بأن حديثه عن عدم عودة دستور عام ١٩٢٣م لا يحمل معنى الرفض والاعتراض وإنما كان مصاغاً في شكل اقتراح، وأنكر أن بريطانيا تتدخل لتملي على مصر شكلاً معيناً للقاعدة التي ترسي عليها حياتها الدستورية، وإن أصر على استحالة بدء المفاوضات البريطانية – المصرية في وسط المشاغل التي سببتها الحرب الإيطالية الحبشية[1]. فتجددت المظاهرات الشعبية ضد بريطانيا، وحاول نسيم باشا تقديم استقالته إثر تصريح هور في ٥ ديسمبر، إلا أن لامبسون استطاع إقناعه بالعدول عن الاستقالة[2].

فيما أثرت هذه الأحداث على الأحزاب السياسية في مصر التي بدأت تدعو إلى توحيد الصفوف لمواجهة الأزمة السياسية التي تمر بها البلاد في ظل حياة دستورية موقوفة، وتدخل بريطاني سافر في شؤونها الداخلية واستقلال بعيد المنال. فشكلت الجبهة الوطنية في ديسمبر عام ١٩٣٥م من الوفد المصري والحزب الوطني وحزب الأحرار الدستوريين وحزب الشعب والاتحاد، وحررت اللجنة خطابين رفع أحدهما إلى الملك فؤاد بطلب إعادة الدستور. فاستجاب الملك فؤاد لذلك وأصدر أوامره في ١٢ ديسمبر١٩٣٥م بإعلان إعادة الدستور لعام ١٩٢٣م، والثاني رفع إلى دار المندوب السامي بنفس التاريخ للمطالبة باستقلال مصر وتناول مسألة الامتيازات الأجنبية ودخول مصر في عصبة الأمم، وقوة الدفاع المصرية، وأثر الأزمة الدولية بسبب عدوان إيطاليا على الحبشة على العلاقات المصرية – البريطانية وأبدت استعداد مصر توقيع معاهدة بالنصوص التي انتهت إليها مفاوضات عام ١٩٣٠م، بعد الاتفاق على نص السودان[3].

١- F.O 407 218, OP. Cit, No. 36, J. 8897/ 110/ 16, Sir Samuel Hoare to Sir Lampson, No.507, Foreign Office, December 5, 1935.

٢- عبدالعظيم رمضان: تطور الحركة الوطنية في مصر، جـ٢، ص٧٨٥.

٣- عبدالرحمن الرافعي: في أعقاب الثورة المصرية، جـ٢، ص ص٢١٧، ٢٢٤.

إلا أن الحكومة البريطانية لم تجب على خطاب الجبهة الوطنية المصرية وذلك لاستقالة هور و لافال في ١٨ ديسمبر١٩٣٦م/١٣٥٥هـ إثر فضح مشروع هور – لافال. وعين انطوني ايدن خلفاً له في وزارة الخارجية في ٢٣ ديسمبر ١٩٣٦م، فأرسل ايدن إلى المندوب السامي البريطاني لامبسون برقية إثر تعيينه أوضح فيها اهتمام الحكومة البريطانية بتسوية العلاقات بين مصر وبريطانيا، وطلب منحه فرصة لحداثة استلامه مهام منصبه بالإضافة إلى انشغال بريطانيا بالأزمة الحبشية، وقد أطلع لامبسون أعضاء الجبهة الوطنية على هذه البرقية فرادى[١]. إلا أن ذلك لم يحقق هدفه في تهدئة الشعور المصري، فتدخل الملك فؤاد واجتمع بزعماء الجبهة الوطنية في يناير ١٩٣٦م، وأوضح لهم رغبة بريطانيا في عقد اتفاقية مع مصر وعرض فكرة تأليف وزارة ائتلافية، فقدم نسيم باشا استقالته، ورفض النحاس باشا دخول الوفد في الوزارة، فألف علي ماهر* باشا الوزارة في نهاية يناير ١٩٣٦م[٢].

وقد اتهمت الصحافة البريطانية إيطاليا بإثارة اضطرابات القاهرة، ودفع موسوليني مبالغ مادية للدعاية في مصر وترويج أخبار كاذبة عن بريطانيا[٣]. وقد نفت إيطاليا هذه الاتهامات واعترف المندوب السامي البريطاني ببراءة البعثة الدبلوماسية والجالية الإيطالية من أعمال مغرضة ضد بريطانيا في مصر[٤].

وبعد سوء الظروف الدولية بعد غزو إيطاليا للحبشة حرصت الحكومة البريطانية إلى إبداء مزيد من التفاهم مع الحكومة المصرية فقبلت بتجديد المفاوضات بينهما أثر تزايد التهديد الإيطالي في شرق البحر الأبيض المتوسط وحوض البحر الأحمر[٥].

١- محمد حسين هيكل: مذكرات في السياسة المصرية، جـ١، ص ص٣٢٢، ٣٢٥.

* علي ماهر (١٨٨٢-١٩٦١): قانوني وسياسي مصري، بدأ حياته بالمحاماة، انضم للثورة الوطنية المصرية ١٩١٩م، تولى عدة مناصب وزارية حتى تولى الوزارة في ١٩١٦م، و١٩٣٩م، قبض عليه ١٩٤٢م، وتم الإفراج عنه، شكل الوزارة مرتين في عام ١٩٥٢م. - الموسوعة العربية الميسرة، ص١٢٣٢.

٢- النظارات والوزارات المصرية، الجزء الأول: منذ إنشاء أول هيئة نظارة في ٢٨ أغسطس ١٨٧٨م حتى قيام الجمهورية في ١٨ يونيه ١٩٥٣م، جمع وترتيب: فؤاد كريم، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، ط٢، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م)، ص٣٤٥.

٣- A.S. M. A. E. Roma, Affair Politic, Egitto, Busta n. 16, Fasc 5, Telegramma, N. 98R. R. Ambasciata, Lodra. R. Ministero Degli Affair Esteri, Londra, 5 gennaio 1936.

٤- A.S. M. A. E. Roma, Affair Politic, Egitto, Busta N. 16, Fasc 5, No: 728/290, R. Legazione D' Italia in Egitto, Signor Ministro Mussolini, Cairo, 21 Febbraio 1936, XIV.

٥- Lenczowski, The Middle East in World Affairs, P. 320.

ففيما بدأت بريطانيا بتنفيذ إجراءات الدفاع عن مصالحها في مصر جاء رد الحكومة البريطانية على خطاب الجبهة الوطنية في ٢١ ديسمبر١٩٣٥م بمذكرة وتبليغ شفوي أبدت فيه بريطانيا قبولها عقد اتفاق مع مصر واستعدادها على الدخول في محادثات مع الحكومة المصرية للتوصل إلى عقد معاهدة وتحالف بين الحكومتين البريطانية والمصرية(١).

وقد شاركت الحكومة المصرية سواء أكان ذلك من مبادئها وقناعتها الشخصية أم بضغط من السلطات البريطانية في تنفيذ إجراءات تتعلق بالأمن الداخلي أو الخارجي لحماية حدودها الجنوبية والغربية (٢).

كذلك اتجه الرأي العام المصري لمساعدة الحكومة المصرية نحو التفاهم مع الحكومة البريطانية للوقوف أمام التهديد الإيطالي للمنطقة، حيث كان المصريون يتعاطفون مع الأثيوبيين في حربهم ضد الإيطاليين، وكانت مصر هي الدولة الوحيدة خارج عصبة الأمم التي قامت بتنفيذ العقوبات الاقتصادية التي فرضتها العصبة على إيطاليا، فخشي المصريون من اتجاه إيطاليا إلى تهديد مصر بعد انتصارها على الحبشة، وازداد ذلك بعد أن طالبت إيطاليا بنصيب في إدارة شركة قناة السويس، في الوقت الذي لم تعمد فيه بريطانيا إلى إغلاق قناة السويس أمام الإيطاليين تنفيذاً لمعاهدة القسطنطينية عام ١٨٨٨م/١٣٠٦هـ(٣).

ولضمان مركز بريطانيا في قناة السويس رأت الحكومة البريطانية ضرورة التحالف مع مصر حيث إنها هي صاحبة السيادة على القناة، ومن حقها فرض القيود عليها استنادا على حقها الشرعي الذي ضمنته لها معاهدة القسطنطينية. ففي الوقت الذي ينبئ فيه الوضع الدولي بالتوتر في أوربا وخارجها مما يؤدي إلى قيام حرب عالمية أخرى، فتستطيع

١- الشناوي، ويحي: وثائق التاريخ الحديث و المعاصر، ص ص٧٤٢، ٧٤٣.

٢- عبدالملك عودة: الرأي العام المصري والحرب الأثيوبية – الإيطالية، (القاهرة: مجلة السياسة الدولية، السنة السادسة، العدد ١٩ يناير ١٩٧٠م)، ص٥٠.

٣- John Marlowe, Anglo – Egyptian Relations 1800- 1950, 2nd. (London: Frank Cass and Company Ltd, 1965, P. 294.

إنجلترا بتحالفها مع مصر بأن تتخذ كافة الإجراءات التي تضمن عدم تهديد مصالحها وتتخذ من ذلك وسيلة لتضمن موافقة مصر على مطالبها بعقد معاهدة تحالف بينهما[١].

فصدر مرسوم ملكي مصري بتعيين الوفد المفاوض مع الحكومة البريطانية في ١٣ فبراير عام ١٩٣٦م، واختير مصطفي النحاس باشا رئيساً للوفد المصري. وتكون من الجانب البريطاني هيئة قامت بإجراء المباحثات من الجانب البريطاني بالنيابة عن جلالة ملك بريطانيا برئاسة السيد مايلز لامبسون المندوب السامي البريطاني في مصر يعاونه عدد من القواد العسكريين البريطانيين. وبدأت المباحثات بجلسة الافتتاح بقصر الزعفران بالإسكندرية في ٢ مارس ١٩٣٦م/١٣٥٥هـ[٢].

وفي أثناء ذلك توفى الملك فؤاد في ٢٨ أبريل ١٩٣٦م، ونودي بالملك فاروق* ملكاً على مصر، وأصدر مجلس الوزراء بياناً بتوليه سلطات الملك الدستورية باسم الأمة المصرية، وسلم مقاليدها إلى مجلس الوصاية إلى أن يبلغ الملك فاروق السن القانوني. فوصل الملك فاروق الإسكندرية في ٦ مايو ١٩٣٦م قادماً من إنجلترا[٣].

وفي ١٠ مايو١٩٣٦ م تولى مصطفى النحاس الوزارة للمرة الثالثة بعد فوز حزب الوفد في الانتخابات[٤]. فتولت وزارته عقد المفاوضات لإبرام المعاهدة مع بريطانيا، وبعد عدة اجتماعات، أصدر مجلس الوصاية على العرش المصري تفويضاً بتعيين أعضاء الهيئة الرسمية مبعوثين فوق العادة لتوقيع المعاهدة، فسافر الوفد المصري في ٢٠ أغسطس ١٩٣٦م إلى لندن للتوقيع على المعاهدة في قاعة لوكا رنو بوزارة الخارجية البريطانية،

١- مصطفى الحفناوي: قناة السويس ومشكلاتها المعاصرة، الجزء الثاني: النزاع المصري البريطاني، (القاهرة: (د.ن)، ١٩٥٢م)، ص ص٣٧٧، ٣٧٨.

٢- محمد شفيق غربال: تاريخ المفوضات البريطانية المصرية، الجزء الأول: بحث في العلاقات المصرية البريطانية من الاحتلال إلى عقد معاهدة التحالف ١٨٨٢-١٩٣٦م (القاهرة: النهضة المصرية، ١٩٥٢م)، ص٢٧٧.

* الملك فاروق الأول (١٩٢٠-١٩٦٥م): ملك مصر (١٩٣٧-١٩٥٢م)، ولد بالقاهرة، أرسل للندن عام ١٩٣٥م لاستكمال دراسته، عام إلى مصر بعد وفاة أبيه في إبريل ١٩٣٦م، عين الأمير محمد علي وصياً على العرش حتى بلغ فاروق سن الرشد، وتولى السلطة في يوليو ١٩٣٨م، حكم مصر أثناء فترة الحرب العالمية الثانية، حكم حتى ثورة يوليو ١٩٥٢م. - الموسوعة السياسية، جـ٤، ص٤٤٦.

٣- عبد الرحمن الرافعي: في أعقاب الثورة المصرية، جـ٢، ص ص٢٣٢، ٢٣٥.

٤- النظارات والوزارات المصرية، ص٣٥٣.

وألحقت بالمعاهدة ثلاث مذكرات قدمها مصطفى النحاس باشا إلى المستر انطوني إيدن وزير الخارجية البريطاني تتعلق ببعض المسائل التي تضمنتها المعاهدة[١].

وقد تكونت المعاهدة* من (١٧ مادة)، تضمنت انتهاء احتلال مصر، واعتراف بريطانيا باستقلال مصر — من الناحية الرسمية الاسمية — وتأييد بريطانيا دخول مصر عضواً في عصبة الأمم، وأكدت المعاهدة على علاقات الصداقة والتفاهم الودي وحسن العلاقات بين الدولتين، وألا تدخل مصر إلى أية معاهدات أو علاقات مع البلاد الأجنبية قد تضر بأي من الجانبين، وأكدت المادة السابعة من المعاهدة على مناصرة مصر لبريطانيا في حال قيام حرب، وأن تقدم مصر لبريطانيا جميع التسهيلات والمساعدة في داخل حدود الأراضي المصرية. وكذلك استخدام الموانئ والمطارات وطرق المواصلات واعترفت بريطانيا بكون قناة السويس جزءاً لا يتجزأ من مصر، وأكدت على أهمية القناة للمواصلات بين أجزاء مختلفة من الإمبراطورية البريطانية. وتناولت المعاهدة شروطاً عسكرية، حددت مواقع القوات العسكرية البريطانية الجوية والبرية في مصر وقناة السويس، وكذلك الطرق الحربية التي تحتاجها بريطانيا، إلى جانب إنشاء مطارات وموانئ في أي مكان تطلب بريطانيا بالإضافة إلى إقامة السكك الحديدية، وضمنت بريطانيا تقديم الحكومة المصرية كافة التسهيلات والإمكانيات لذلك. كذلك تناولت الاتفاقية مسألة السودان، وأن حماية أرواح الأجانب وأموالهم في مصر من شأن الحكومة المصرية، وأخيرا كان من أهم بنود الاتفاقية إلغاء الحكومة البريطانية نظام الامتيازات الأجنبية القائمة في مصر، وأنها تضمنت قيام تحالف بين كل من بريطانيا ومصر لمدة ٢٠ عاماً[٢].

وقد وصف وزير الخارجية البريطانية السير انطوني ايدن المعاهدة بأنها "تنتهي حقبة من العلاقات البريطانية المصرية، وأُفضل بأن أعتبرها بداية مرحلة جديدة، تكون

---

١ – محمد شفيق غربال: تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية، ص ص٢٨١، ٢٨٣.

* انظر الملحق الأول ص ٤٩٥.

٢- Joel. H .Ed, Wiener, Great Britain: Foreign Policy and The Span of Empire 1689-1971. A documentary History. (London: Chelsea House Publisher, 1972) Vol, P.P. 3103, 3116.

العلاقات فيها بين الدولتين محكومة بشكل كبير بشروط المعاهدة والنفوذ التي وقع عليها اليوم. وأن الكثير سيعتمد بين الطرفين على الطريقة التي يتم بها تنفيذها"، وأكد على العلاقات الوطيدة التي تربط بين مصر وبريطانيا: "وبأن الاتفاقية ستكون أداة للتعاون المستقبلي للتحالف والعمل لتعزيز المصالح المشتركة بين كل من مصر وبريطانيا"[١].

وقد صوت مجلس النواب المصري بالموافقة على معاهدة الصداقة والتحالف بأغلبية (٢٠٢) صوت ضد (١١) صوت[٢]. وقد أثير حول المعاهدة الكثير من الآراء والانتقادات المتباينة التي حملت إيجابيات وسلبيات سواء مع أو ضد مصالح مصر والحكومة البريطانية وقد كان واضحا بأن الجانب البريطاني ركز اهتمامه على المسألة العسكرية. واتضح ذلك من بنود المعاهدة أومن خلال مشاركة أعضاء من العسكريين البريطانيين في الوفد البريطاني المكلف بعقد المعاهدة. وذلك لحرص بريطانيا على ضمان مصالحها ومركزها في مصر وقناة السويس في فترة تنبئ بتوتر سياسي في أوربا والمنطقة العربية[٣].

وكان للسير ما يلز مبسون دور كبير في إنجاح المفاوضات البريطانية – المصرية وتوقيع معاهدة ١٩٣٦م، بالإضافة إلى آثار التهديدات الإيطالية في المنطقة وما أدى إلى استيلاء موسوليني على الحبشة، وتزايد الخطر الإيطالي على مصر والسودان وقناة السويس، بالإضافة إلى مصالح بريطانيا في المنطقة التي باتت مهددة بانعكاسات الأوضاع الدولية عليها[٤].

كذلك تعتبر المعاهدة جزءاً من خطة بريطانية لتأمين مصالح إنجلترا ومواصلاتها في الشرق الأوسط إزاء التهديد الإيطالي أوفي حالة نشوب حرب بينها وبين إيطاليا وألمانيا، ففي نفس الفترة عمدت بريطانيا إلى توقيع معاهدة بريطانية- عراقية في عام

١- F.O 407/ 219. Further Correspondence Egypt and Sudan, Part Cox, July to December 1936. J. 7207/ 2/16. No.12. Speeches by The Secretary of State for Foreign Affairs of The Anglo - Egyptian Treaty on August 26, 1936.

٢- محمد شفيق غربال: تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية، ص٣١٥.

٣- D.A. Farnie, East and West of Suez, The Suez Canal in History 1854-1956, (Oxford: Clarendon Press, 1969), P. 605.

٤- محمد فريد حشيش: معاهدة ١٩٣٦ وأثرها في العلاقات المصرية البريطانية، (القاهرة: الزهراء للأعلام العربي، ١٩٩٤م)، ص٧٨.

١٩٣٠م/١٣٤٩هـ، تدور حول قيام تحالف بينهما بالإضافة إلى حماية المصالح البريطانية والتمتع بكافة التسهيلات العسكرية في حالة نشوب حرب، كذلك تضمنت الاتفاقية البريطانية مع شرق الأردن عام ١٩٣٤م/١٣٥٣هـ نقاط كانت أكثر تحقيقا للمصالح البريطانية الحيوية. وبذلك وضعت الاتفاقيات وسائل الوصاية العسكرية في يد البريطانيين لحماية مصالحهم في مقابل منح هذه الدول بعض الاستقلال والسيادة الداخلية والخارجية بما يتماشى مع حفظ المصالح البريطانية بالدرجة الأولى(١).

وقد أعطت المعاهدة الفرصة لبريطانيا لإيقاف الدعاية الإيطالية المعادية للوجود البريطاني في مصر خاصة بعد انتصار الإيطاليين على الحبشة، الذي عكس شعورا بعدم الثقة في بريطانيا وهو شعور لم تنفرد به مصر وحدها وإنما كان شعوراً عاماً بين العرب أمثال اليمن والملك عبدالعزيز آل سعود. وأصبحت هذه المسألة اختباراً لهيبة بريطانيا في المشرق العربي ومثاراً لمخاوف الدبلوماسيين الإنجليز في المنطقة. مما شجع المصريين للتقارب مع الإيطاليين، خاصة بعد أن أعلن الوزير المفوض المصري في روما بأن الخارجية الإيطالية أبلغته بعدم نيتها الهجوم على مصر أو تهديدها وأكد على السياسة الودية لإيطاليا تجاه مصر(٢).

وأثارت هذه المحاولات قلق السلطات البريطانية فوجه السير مايلز لامبسون تحذيراً إلى رئيس الوزراء المصري من استخدام هذه المحاولات الإيطالية لإثارة الشعور العام ضد بريطانيا في مصر وإعاقة المحادثات البريطانية المصرية(٣).

ما جعل لامبسون يحرص على تحذير النحاس باشا بعد توليه الوزارة من أثر الدعاية الإيطالية وضرورة العمل على مواجهتها، فيما كان النحاس يحاول الاستفادة من الدعاية الإيطالية لحث البريطانيين على عقد المعاهدة(٤).

١- أحمد عبد الرحيم مصطفى: العلاقات المصرية البريطانية ١٩٣٦-١٩٥٦م، (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٨م)، ص ص١٧، ١٨.

٢- F.O 407/ 219, Further Correspondence, Egypt and Sudan, Part CX1X, January to June 1938. No. 148, Sir Drummond to Mr. Eden, Rome, April 8, 1936.

٣- F.O 407/ 219, Ibid, No .150. Eden to Sir. Lampson, Foreign Office, May 6, 1936.

٤- F.O 407/ 219, Ibid, No.148, OP. Cit.

وقد أعطت المعاهدة لبريطانيا اعترافاً مصرياً بحق بريطانيا الدفاع عن مصر ضد أي اعتداء أو تدخل أجنبي، وهو ما عملت مصر على رفضه منذ عام ١٩٢٢م/١٣٤١هـ، فيما أعطت المعاهدة لمصر الحق في رفع درجة هيئاتها الدبلوماسية إلى مرتبة السفارة، وسمحت للدول الأخرى برفع درجة هيئاتها الدبلوماسية في القاهرة إلى نفس المرتبة، ووضعت التمثيل الدبلوماسي البريطاني في القاهرة، في نفس درجة التمثيل الدبلوماسي المصري في لندن، وهي درجة السفارة، إلا أن المادة الخامسة من المعاهدة تضمنت ما نصه:"يتعهد كل من الطرفين المتعاقدين، بأن لا يتخذ في علاقاته مع البلاد الأجنبية موقفا يتعارض مع المحالفة، وأن لا يبرم معاهدات سياسية تتعارض مع أحكام المعاهدة الدولية". فكان ذلك بمثابة قيد وصاية جديد فرضته بريطانيا على حق مصر في إدارة سياستها الخارجية[١].

وفي ديسمبر عام ١٩٣٧م /١٣٥٦هـ حدثت أزمة وزارية وأقال الملك فاروق النحاس باشا، وتولى محمد محمود باشا الوزارة، إلا أنه ما لبث أن استقال لسوء صحته في ١٢ أغسطس، وخلفه علي ماهر باشا[٢]. وتنفيذاً للنص الخاص بإلغاء الامتيازات الأجنبية في مصر بناء على معاهدة ١٩٣٦م، دعت حكومة صاحب الجلالة الملك فاروق ملك مصر، حكومات الدولة ذوات الامتيازات لمؤتمر يعقد في مونترو بسويسرا في ١٢ أبريل عام ١٩٣٧م، ولبت حكومات الدول الدعوة[٣]. وفي ٨ مايو ١٩٣٧م، قررت الدول المتعاقدة كلٌ فيما يخصها بقبول إلغاء الامتيازات في القطر المصري إلغاءً تاماً من جميع الوجوه، وخضوع الأجانب للتشريع المصري في المواد الجنائية والمدنية والتجارية والإدارة المالية وغيرها، مع مراعاة مبادئ القانون الدولي، كما انضمت مصر إلى عصبة الأمم في جنيف، ووافقت الجمعية العمومية على قبولها بإجماع الآراء في ٢٦ مايو ١٩٣٧[٤].

١- يونان لبيب رزق: إدارة سياسة مصر الخارجية ١٩٣٦-١٩٤٢م، (مجلة السياسة الدولية، السنة الثالثة عشرة، العدد ٢٤٧، يناير ١٩٧٧م)، ص٢٤.

٢- سيتون وليمز: بريطانيا والدول العربية ١٩٢٠-١٩٤٨م، ترجمة وتعليق: أحمد عبدالرحيم مصطفى، (القاهرة: الأنجلو المصرية، ١٩٥٢م)، ص٧٣.

٣- Sir Reder Bullard, Britain and The Middle East, (London: Hutchinsou House, 1951), P. 122.

٤- محمد شفيق غربال: تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية، ص ص٣١٥، ٣٢٢.

إلا أن دخول مصر العصبة لم يفسح المجال أمامها لإتباع سياسية خارجية تتسم بقدر كبير من الاستقلال، إذ كانت سياستها مقيدة بالقدر الذي تراه بريطانيا لا يتعارض مع مصالحها الحيوية[١]. وبذلك هيأت معاهدة عام ١٣٥٥هـ-١٩٣٦م لمصر التمتع ببعض الاستقلال الداخلي، واختتمت صفحة من العلاقات المتوترة بين الحكومتين المصرية والبريطانية وفتحت صفحة جديدة من التحالف بين البلدين خلال ظروف دولية متوترة.

السودان:

اهتمت بريطانيا بوضع ترتيبات عسكرية وإجراءات وقائية في السودان في إطار حماية مصالحها في مصر والسودان في حالة تعرض السودان لأي هجوم إيطالي لأهمية موقعها بالقرب من الأحداث السياسية والعسكرية المتوترة في إريتريا والحبشة. فقد عبر المندوب السامي البريطاني والقائد الأعلى للقوات المسلحة البريطانية وقائد القوات الجوية في مصر عن مخاوفهم من تعرض بور سودان للهجوم من الجو في حالة هجوم إيطالي. كذلك كل الحدود السودانية — الإرترية وبخاصة كسلا، وخط الطيران إلى بور سودان، فعلى الرغم من وجود حامية عسكرية بريطانية في السودان تمثل قوة دفاع السودان، إلا أنهم رأوا بأنها غير كافية لمواجهة الحظر ولابد من زيادة استعداداتها العسكرية البرية والجوية لاستخدامها للدفاع عن السودان[٢].

وقد توصلت الاستطلاعات حول إجراءات الدفاع عن السودان، فإنه إذا ما تعرضت السودان لأي هجوم إيطالي فإنه سيكون بالقرب من الحدود السودانية الجنوبية، أما عن موعد القتال المحتمل فإنه مرتبط بموعد انتهاء الأمطار في إريتريا والحبشة والسودان، وتوقعوا أن تبدأ الحرب قبل الموعد الذي يتوقع فيه عادةً عبور الأنهار

---

١ – على الدين هلال، سمعان بطرس فرج الله و آخرون: دراسات في السياسة الخارجية المصرية، من ابن طولون إلى أنور السادات (القاهرة: النهضة العربية، ١٩٨٧م)، ص١٧١.

٢- F.O 407/ 218, OP. Cit. No. 81.

واستخدام الطرق[١]. وتجسدت الانعكاسات المحتملة على الحدود السودانية في تدفق اللاجئين من الحبشة إلى السودان أو احتمال عبور مسلحين إلى الحدود السودانية، أو حدوث قلاقل بين القبائل على جانبي الحدود السودانية – الحبشية الإرترية. وقد أوصى بوجوب احتلال نهر ستت Setit قبيل أن يبدأ العدوان بالفعل من إريتريا لأنه حدود مشتركة بين إريتريا والحبشة. وأوصى بمراقبة الحدود والقيام بعمليات استطلاعية لرصد أي تحرك عدواني. وأكد كيد Kaid قائد القوات البريطانية في السودان بضرورة التعاون بين الحكومة السودانية والحكومة الكينية في إمبراطورية شرق أفريقيا البريطانية التي سيكون لها قدره على التعامل على أية غارات غير متوقعة من جهة الحبشة في المنطقة الواقعة غرب هضبة بوما Boma وأكد أيضا على استعدادات الاستطلاع الجوي والبري وأنها ستكون مستعدة بداية شهر سبتمبر ١٩٣٥م/١٣٥٤هـ[٢].

وقد أقر بل Bell القائم بأعمال الحاكم العام للسودان نوعية الإجراءات الضرورية التي قدمت كإجراءات وقائية للسودان في حالة وقوع الحرب الإيطالية – الحبشية، بعد أن أضاف إليها ملاحظاته الخاصة[٣]. وعرضت على كيلي Kelly القائم بأعمال المندوب السامي البريطاني الذي أكد على ضرورة اتخاذ هذه الإجراءات لحماية المصالح البريطانية إذا ما هددت في السودان[٤].

وأوضح هور من خلال برقية بعثها إلى السير لامبسون بأن الحبشة تقدمت بطلب إلى عصبة الأمم، بأنها تعتبر أن إيطاليا قد أعلنت الحرب عليها، دون أن يعني ذلك إعلان الحرب رسمياً بينهما. فقد برزت أوضاع جديدة تطلبت عدة إجراءات دفاعية في السودان نتيجة حدوث أي عمل عدائي أو عسكري من خلال قفل

١- F.O 407/ 218, OP. Cit J.4072/ 16 .No. 64, Mr. Kelly to Sir Samuel Hoare, August 22, 1935, No. 974.

٢- F.O 407/ 218, OP. Cit Saab – Enclosure in No. 64, Not by Acing kaid -el- Amm for Acting Governor-General, Dated, August 8, 1935, (Secret).

٣- Ibid, Enclosure in 64, Acting Governor of the Sudan, Bell to Mr. Kelly, Khartoum, August 16, 1935, Desp.No. 127. (Confidential).

٤- Ibid. No. 64. Mr. Kelly to Samuel Hoare, August 22, 1935, Deeps .No.974.

الحدود وعدم السماح بدخول اللاجئين. أما بالنسبة للقوات العسكرية التي قد تعبر الحدود فيتم حجزها، وأنه يجب أن يتم إبلاغ الحكومة بذلك لإرسال تعليماتها بهذا الشأن، أما بالنسبة لأي طائرات حربية قد تتجاوز الحدود أو تخترقها، فيجب إبلاغ الحكومة عنها، أما الطائرات التي تهبط داخل الأراضي السودانية فيتم حجزها ويبلغ عنها الحكومة البريطانية، أما السفن الحربية التي قد تقف في الموانئ فيجب ألا يتم تزويدها بالمؤن أو المواد البترولية إلا ما يكفيها لإرجاعها لأقرب ميناء داخل قطرها. وأكد على ألا يتم اتخاذ أي إجراء وانتظار التعليمات التي ستوجهها الحكومة البريطانية فور إبلاغها عن ذلك وأن يتم إخطار الحكومة المصرية والسودانية بهذه التوجيهات(١).

وقد قام السير جورج ستيورات سايمز Sir Gorge Stewart Symes الحاكم العام في السودان بتغيرات سياسية تجاه السياسة البريطانية في السودان، فمنذ أن عين عام ١٩٣٣م/١٣٥٢هـ، وما إن أبدت الحكومة البريطانية استعدادها لعقد المعاهدة مع الحكومة المصرية عام ١٩٣٦م/١٣٥٥هـ، استدعى السير سايمز للاشتراك والتفاوض بشأن المعاهدة، وقد قدم سايمز إلى السير لامبسون في القاهرة مذكرة ضمنها آراء في مختلف المسائل التي من المحتمل طرحها في الجولة الجديدة من المفاوضات التي تم تناول المسألة السودانية من خلالها. فتناولت مذكرته هدف بريطانيا من المفاوضات في رأيه: "أن يكون الحصول من مصر على اعتراف أن تطبق اتفاقيات الحكم الثنائي قد نتج عنه من الناحية القانونية كما نتج عنه من الناحية الفعلية قيام حكومة مستقلة استقلالاً داخلياً في السودان تمارس السيادة المشتركة الممنوحة لها بمقتضى الاتفاقية على شكل إدارة لها طبيعة الوصاية من أجل رخاء الشعوب السودانية. أضف إلى ذلك أن استمرار الإدارة على نفس النمو حتى يصل السودانيون إلى مرحلة متقدمة من الحضارة يحتاج إلى الإبقاء

١- F.O 407/ 218, OP .Cit J. 5983/ 16, No.92. Sir Samuel Hoare to Sir. Lampson, No.269, Foreign Office, October 14, 1935.

على الإشراف السياسي من جانب بريطانيا كذا على الموظفين البريطانيين في المناصب الكبيرة".

وأوضح سايمز أن ما يجب أن يكون هدف الجانب المصري في المفاوضات هو: "الإبقاء على الوضع القائم في السودان الذي يتضمن رفع العلم المصري جنباً إلى جنب مع العلم البريطاني، كذا الموافقة المصرية المسبقة على تعيين الحاكم العام، ودفع معونة سنوية مالية للسودان، وكلها علامات على حقوق السيادة المشتركة، وهي تقدم في نفس الوقت الدلالة على تأمين مصالح مصر السياسية والمالية في تلك البلاد". ووضع ثمان موضوعات وصفها بأنها ستطرح نفسها في المفاوضات، الأول: يختص بنص المادة الخاصة بالسودان التي وافق عليها الجانب البريطاني كصيغة أخيره في مشروع عام ١٩٣٠م/١٣٤٩هـ، وأبدي نحوها بعض الملاحظات، والثاني: عن عودة قوة مصرية إلى السودان، والثالث: حول ديون مصر على السودان، والرابع: عن التمييز بين الرعايا البريطانيين والمواطنين المصريين في مسائل التجارة والهجرة والتملك، والخامس: عن تطبيق المعاهدة الدولية على السودان، والسادس: عن الرغبة المصرية في إعادة عدد من الموظفين المصريين في الوظائف العليا في الإدارة السودانية، والسابع: حول المصالح التجارية المصرية في السودان أو العلاقات التجارية بين البلدين، والثامن عن مصالح مصر في مياه النيل(١).

وقد جرت في لندن اتصالات واسعة بين وزارة الخارجية البريطانية والمندوب السامي البريطاني في مصر والسير سايمز البريطاني في السودان-للاتفاق على المبادئ الأساسية التي يدخل بها الجانب البريطاني للمفاوضات، حيث تميزت أراء المندوب السامي بالاعتدال في اتجاهاته نحو مصر والسودان، فيما تميزت مذكرة سايمز بالدقة والتشدد نحو مسألة السودان والوجود المصري في السودان، وفي ١٥ أبريل عام ١٩٣٦م/١٣٥٥هـ وضعت وزارة الخارجية البريطانية في مذكرة طويلة الخطة التي تقرر

١- F.O 407/ 220. Enc.2. in No. 57. Note by Sir Symes, Feb24, 1936, (Very Secret).

أن يتبعها المفاوض البريطاني بالنسبة لمسألة السودان، وجاءت هذه المذكرة في جزئين تناول أحدهما: تطور السياسة البريطانية في السودان، ونجاح هذه السياسة في السنوات السابقة على تحقيق العديد من الأهداف البريطانية، والجزء الثاني: تضمن الموضوعات التي يمكن أن تثار في المفاوضات بين الطرفين البريطاني والمصري، وما هو الموقف الذي تقرر أن يلتزم به الجانب البريطاني في كل موضوع. وعلى أساس هذه الخطة بدأت المفاوضات البريطانية المصرية حول السودان في عام ١٩٣٦م[١].

وعند بدأ المفاوضات المصرية البريطانية، وطرحت المسألة السودانية، اختصت بها المادة الحادية عشرة من المعاهدة وألحقت بملحق. ونصت المادة على "الاحتفاظ بحرية عقد اتفاقيات جديدة في المستقبل لتعديل اتفاقيتي ١٩ يناير و١٠ يوليو عام ١٨٩٩م/١٣١٧هـ". واتفق الطرفان على أن إدارة السودان تستمر مستمدة من الاتفاقيتين المذكورتين، ويواصل الحاكم العام بالنيابة عن كلا الطرفين المتعاقدين مباشرة السلطات المخولة له بمقتضى هاتين الاتفاقيتين، وأن يكون الهدف الأساسي للإدارة في السودان لصالح السودانيين، وتوضع القوات البريطانية والمصرية تحت تصرف الحاكم العام للدفاع عن السودان فضلاً عن القوات السودانية وأن تكون هجرة المصريين إلى السودان حره من كل قيد إلا فيما يتعلق بالصحة والنظام العام، وألا يتميز السودان في ذلك بين الرعايا البريطانيين والمواطنين المصريين في شئون التجارة والهجرة وحق التملك ومسألة الدين المصري على السودان. أما ملحق المعاهدة فقد تناول كيفية تطبيق الاتفاقيات الدولية في السودان[٢]. وكان السير سايمز قد وصل القاهرة قادما من لندن للمشاركة في المفاوضات بشأن المسألة السودانية في ٢٨ يوليو عام ١٩٣٦/١٣٥٥هـ[٣].

١- F.O 407/ 220. No. 119, Memorandum on The Sudan Question in the for The Coming Treaty Conversations, April 15, 1936.

٢- جمهورية مصر: مجلس رئاسة الوزراء، السودان من ٣ فبراير ١٨٤١م إلى ١٣ فبراير ١٩٥٣م، ص ص٨٦، ٨٨.

٣- يونان لبيب رزق: السودان في المفاوضات المصرية البريطانية ١٩٣٠-١٩٣٦م (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٤م)، ص١٣٢.

وقد ظلت الإدارة في السودان في أيدي البريطانيين على الرغم من بنود معاهدة ١٩٣٦ م الخاصة بالسودان، ولم تحدث إلا بعض التعديلات، ففي ٣١ مارس عام ١٩٣٧ م/١٣٥٦هـ أصدر مجلس الوزراء المصري قرارا بندب وكيل وزارة الحربية والبحرية المصري مستشارا للحاكم العام للسودان في أمر عدد الجنود المصريين اللازمين للخدمة في السودان والأماكن التي سيقيمون فيها والثكنات اللازمة لهم، تنفيذا لبنود المعاهدة، وحدد لهما السير سايمز أماكن وجودهما وهما أورطتان في بور سودان والخرطوم وعطبره. وفوض مجلس الوزراء المصري في ٢٧ أغسطس عام ١٩٣٧م اتخاذ وزير الحربية الإجراءات اللازمة لإرسال القوات اللازمة إلى السودان، على أن تلتزم بالشروط وأماكن الإقامة التي يحددها سايمز، أما تنفيذ ما جاء بخصوص الموظفين المصريين والبريطانيين المعينين في السودان بعد عقد المعاهدة فكان عددا قليلا لا يتجاوز نسبة أقل من ١٠٪ من المجموع الكلي من الموظفين في عام ١٩٤١م/١٣٦٠هـ[١].

وكان من أهم أثار معاهدة ١٩٣٦ على السودان، أن عقد المعاهدة دون إشراك السودانيين فيها كان نقطة البداية لنشوء الحركة الوطنية السودانية حتى لا يظلوا كياناً سلبياً ليس له رأي أو مشاركة في مصير بلادهم[٢]. كذلك اعترفت الحكومة البريطانية بالإدارة المشتركة في السودان بين الجانبين المصري والبريطاني، دون المساس بالسيادة على السودان، وعودة الجيش المصري إلى السودان من غير قيد[٣].

وفي ليبيا:

قامت إيطاليا بعد احتلال ليبيا في وضع الخطط الفاشية للسيطرة على منطقة البحر الأبيض المتوسط، فبذلت كل جهودها لتحويل ليبيا إلى رأس جسر حربي لتحقيق تغلغل أكبر في أفريقيا، لتحقق نفوذاً ضد كل من بريطانيا وفرنسا، ولقد لقيت مخططات

١- جمهورية مصر العربية: مجلس رئاسة الوزراء السودان من ١٣ فبراير ١٨٤١م إلى ١٢ فبراير عام ١٩٥٣م، ص ص٨٩، ٩١.

٢- زاهر رياض: السودان المعاصر منذ الفتح المصري وحتى الاستقلال ١٨٢١-١٩٥٣م، (القاهرة: الأنجلو المصرية، ١٩٦٦م)، ص٢٦٣.

٣- شوقي الجمل: تاريخ سودان وادي النيل، ص٣٠٧.

الفاشست الإيطاليين كل تأييد من جانب ألمانيا الهتلرية. فبدأت في بناء جسرها الحربي الاستراتيجي في ليبيا من أجل استخدامه للهجوم ضد مصر قبيل الحرب العالمية الثانية. فمن بداية عام ١٩٣٤م وحتى ١٩٣٧م/١٣٥٣-١٣٥٦هـ تم شق طريق استراتيجي للسيارات وذلك من الحدود التونسية وحتى حدود مصر الغربية، وتم شق عدة طرق فرعية، وأقيمت عدة مطارات ومهابط للطائرات بالقرب من الحدود الليبية — المصرية، وربط مطاري بنينه والعدم طريقان معبدان هما بنغازي — بنينه، وطبرق — العدم. وظهرت مطارات في مرسى سوسة ودرنه، وأعدت مهابط للطائرات في عدة مناطق منها الأبيار، أجدابيا، المرج، الجغبوب، الكفره، سلنطه، وسلوق وعدد من المراكز الأخرى في برقة. وبني مطار آخر قرب مدينة طرابلس، أما المهابط فأقيمت في زّواره ونالوت. ولم يقتصر الأمر على الناحية البرية والجوية بل اهتم الإيطاليون بتصميم وبناء مرافئ ضخمة في طرابلس، زّواره، بنغازي، وطبرق لاستقبال الأسطول التجاري، والبواخر الحربية الإيطالية[1].

كذلك وظف الإيطاليون إمكاناتهم لتنظيم قاعدة تموينية في ليبيا، فأسسوا فيها المزارع بما يشكل (٧٥٪ من مجموع الأراضي المزروعة) فقد اهتمت إيطاليا بجعل ليبيا ميدانا استماريا للاستيطان الزراعي[2]. والتوطين البشري في برقه والجبل الأخضر وغيرها، حيث هاجر عدد كبير من الإيطاليين إلى المستعمرات[3].

فصادرت إيطاليا الأراضي الصالحة للزراعة وملكتها للمهاجرين الإيطاليين من الفلاحين النازحين إلى ليبيا. مما أدى إلى مكاسب للمستوطنين الفاشست فيما خرج أصحاب الأرض إما شهداء أو مهاجرين إلى البلاد المجاورة كتونس ومصر والسودان وتشاد، أو أنهم أرغموا على الانخراط في الجيش الإيطالي، حتى يتمكنوا من كسب

١- ن. إ . بروشين: تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٦٩م، ترجمة: عماد حاتم (طرابلس: مراكز دراسة جهاد الليبين ضد الغزو الإيطالي سلسلة الدراسات المترجمة — ١١- ١٩٩٨ م)، ص ص٢٢٣، ٢٢٤.

٢- مارتن مور: الشاطئ الرابع الاستيطان الزراعي الإيطالي الشامل في ليبيا، ترجمة د عبدالقادر مصطفى الميحشي (طرابلس: مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، سلسلة الدراسات المترجمة (٢٥٠)، ١٩٨٩م)، ص٥٥.

٣- كلوديوسيجري، الشاطئ الرابع، الاستيطان الإيطالي في ليبيا، ترجمة د. عبدالقادر مصطفى الميحشي (طرابلس: مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي سلسلة الدراسات المترجمة (٦)، ١٩٨٧م)، ص١٢٠.

قومهم، وشكلت مجموعات كبيرة منهم طلائع الجيش الإيطالي في حربه في منطقة القرن الأفريقي، وشاركوا في أثناء الحرب العالمية الثانية، أو عملوا كعمال في مشاريع التنمية الزراعية وأعمال البناء للأغراض العسكرية. وهكذا كان الاستيطان الزراعي والبشري الإيطالي في ليبيا على حساب الليبيين أصحاب الأراضي الحقيقية من أهم نتائج نحو القوة السياسية الاستعمارية الإيطالية في ليبيا، والتي شكلت بداية لتوسع المستعمرات الإيطالية في أفريقيا[١].

وقد عمد موسوليني إلى كسب بعض الليبيين الذين فقدوا أراضيهم أو الذين ضاعت حقوقهم، فمنح بعضهم الجنسية الإيطالية من الدرجة الثانية، وقام ببعض الأعمال الدعائية تحت شعار الدفاع عن المسلمين والإسلام، فرمم بعض المساجد وشجع المدرسة الإسلامية العليا بطرابلس، وأثار دعاية واسعة بأنه "حامي المسلمين وديارهم" خاصة بعد زيارته لليبيا في مارس عام ١٩٣٧م لافتتاح الطريق الساحلي الذي يربط طرفي الحدود التونسية والبردية، وهو المشروع الذي وصف بأنه إنجاز جبار يخدم فوائد اقتصادية وسياسية وسياحية وعسكرية وقد سمي باسم via Ballbia على اسم Balba حاكم البلاد حيث كانت إيطاليا تعتبر ليبيا امتدادا لها في القارة الأفريقية[٢].

كما عمدت إيطاليا بتقسيم ليبيا لعدة اعتبارات عسكرية منذ أول يناير عام ١٩٣٤م/١٣٥٣هـ إلى أربعة أقسام وهي: طرابلس و مسراطه، بنغازي، درنه، وصدر الأمر في ٢٥ أكتوبر ١٩٣٨م/١٣٥٧هـ بضم هذه المناطق الأربع إلى مملكة إيطاليا[٣].

وقد شهدت ليبيا بعض عمليات المقاومة التي ضعفت بعد استشهاد عمر المختار* عام ١٩٣١م/١٣٥٠هـ في بنغازي، حيث شددت إيطاليا قبضتها الاستعمارية على

١- د. الهادئ أبو لقمة: الاستعمار الاستيطاني الإيطالي في ليبيا ١٩١١–١٩٣٩م، ندوة الاستعمار الاستيطاني الإيطالي في ليبيا ١٩١١–١٩٧٠م، تحرير: د. إدريس صالح الحرير (طرابلس: مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، سلسلة الدراسات التاريخية (٣)، ١٩٨٤م)، ص٨٥.

٢- نفس المرجع ص ص٨٦، ٨٧.

٣- عبدالرحيم عبدالهادي أبو طالب: الجامعة العربية وقضية استقلال ليبيا (القاهرة: دار نهضة الشرق، ١٩٩٧م)، ص٥٢.

* عمر المختار: زعيم وطني ليبي، قاد حركة النضال ضد الاستعمار الإيطالي منذ ١٩١١م، أحرز انتصارات باهرة ضد الإيطاليين، وقع أسيراً في قبضة قوات الاحتلال الإيطالي، صدر الحكم بإعدامه شنقاً في ١٥ سبتمبر ١٩٣١م. - الموسوعة السياسية، جـ٤، ص٢٢٣.

ليبيا، فأغلقت الزوايا السنوسية وصودرت أملاكها، وبدأت تخضع ليبيا للسيادة الإيطالية واعتبرت الأراضي الليبية جزءاً مكملا للأراضي الإيطالية في أوربا[١].

فبالإضافة إلى سياسة الاستيطان الزراعي البشري للإيطاليين في ليبيا مارست إيطاليا ضد الشعب الليبي الاضطهاد و أبشع الجرائم فانتقل النشاط المعادي للاحتلال الإيطـالي لليبيا إلى خارج البلاد فأسست الجمعيات في مصر ودمشق وتونس لمناصرة ليبيا والدفاع عن حقوقها[٢].

وقد أولت بريطانيا اهتماما كبيرا للمُهجر الليبي، فقد دعت بريطانيا السيد إدريـس السنوسي** للقدوم إلى الإسكندرية من أجل المفاوضات إلا أنها لم تؤد إلى نتائج عمليـة بل اكتفي بالاتفاق على أن يشكل، في حالة وقوع حرب، جيش ليبي يحارب إلى جانب بريطانيا خاصة بعد توتر العلاقات البريطانية الإيطالية بسبب الحرب الحبشية الإيطالية عام ١٩٣٥ – ١٩٣٦م/١٣٥٤-١٣٥٥هـ[٣].

وقد نفى المندوب السامي البريطاني بالقاهرة في لقاء مع مسـئول المفوضـية الإيطالية في مصر الاتهامات الإيطالية في إعطاء تمويل للسنوسيين في ليبيا لتحريضهم ضد الحكم الإيطالي[٤]. في إطار الدعاية المضادة بين الطرفين.

وبذلك يظهر التنافس بين بريطانيا وإيطاليا واضحاً وقويـاً في كـل مـن مصـر والسودان واليمن وفلسطين والعراق في الفترة من ١٩٣٥–١٩٣٧م/١٣٥٤-١٣٥٦هـ والتي حققت فيها إيطاليا مطامعها الاستعمارية في الحبشة وكونت إمبراطوريتها في شرق أفريقيا، وهو ما جعل بريطانيا تتخذ كافة الإجراءات لحماية مصالحها في مناطق نفوذهـا

١- حسن سليمان محمود: ليبيا بين الماضي والحاضر، ص٢٣٨.

٢- محمود شاكر: التاريخ الإسلامي الجزء ١٤، التاريخ المعاصر لبلاد المغرب (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٩١م)، ص ص٢٨، ٣١.

** السيد محمد إدريس السنوسي: ملك ليبيا سابقاً، حفيد السيد محمد علي السنوسي الكبير، ولد في برقة وتلقى تعليماً دينياً وتولى زعامة السنوسية عام ١٩١٥م، إثر اعتـداء إيطاليا على برقة وطرابلس اعترف به أميراً عام ١٩٢٠م، غادر ليبيا إلى مصر في أعقاب تولي موسوليني السلطة في إيطاليا ووقوع أكثر مقاطعات ليبيا تحت الحكم الإيطالي، اعترفت به بريطانيا أميراً على برقة عام ١٩٤٩م، ثم أعلن تنصيبه ملكاً على ليبيا بعد انتهاء وصاية الأمم المتحدة وإعلان ليبيا دولة مستقلة عام ١٩٥١م، انتقل إلى مصر بعد أطاحت ثورة الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩م بحكمة. - الموسوعة السياسية، جـ١، ص١١٥.

٣- ن. إ .بروشين: تاريخ ليبيا، ص٢٢٥.

٤- A. S. M. A. E. Roma, Affair Politic, Egitto, Busta n 16,Fasc 5, N: 3046/1011, R. Legazione D' Italia in Dgitto, Ministro Degli Affari Esteri, Ciano, Bulkeley, 7 Ottobre 1935, XIII.

في العالم العربي وطريق مواصلاتهما إلى مستعمراتهما أمام حشد الإيطاليين كافة مجهـــوداتهم السياسية والعسكرية في ليبيا وإريتريا والصومال لتنمية مطـــامعهم، ولتهديـــد النفـــوذ البريطاني. فقامت بريطانيا بعدة إجراءات لحماية قناة السويس وباب المنـــدب مـــن أي عدوان إيطالي، والوقوف أمام الدعاية الإيطالية الفاشية الموجهة ضد النفوذ البريطـــاني في منطقة العالم العربي فعقدت معاهدة ١٩٣٦م/١٣٥٥هـ مع مصر، وحاولـــت توطيـــد نفوذها في شرق الأردن وفلسطين والعراق والخليج العربي وعدن والمحميـــات الجنوبيـــة لمواجهة التنافس الإيطالي الفاشي الاستعماري ضدها.

الفصل الثاني

سياسة التهدئة، الاتفاقية البريطانية - الإيطالية ١٣٥٧هـ-١٩٣٨م / ١٣٥٨هـ-١٩٣٩م

المبحث الأول: أسبابها وبنودها.

المبحث الثاني: نتائجها، وموقف القوى العربية منها.

المبحث الأول

أسبابها وبنودها

سعت الحكومة البريطانية إلى اتخاذ سياسة تتلاءم إزاء تفاقم توتر العلاقات الدولية في أوروبا، أمام مطامع أدولف هتلر في وسط أوروبا. وتزايد خطر ألمانيا النازية بعد انسحاب ألمانيا من مؤتمر نزع السلاح، وكذلك من عصبة الأمم، وتحقيق بنيتو موسوليني أطماعه في بناء إمبراطورية إيطاليا في شرق أفريقيا، وقيام الطرفين الإيطالي والألماني بالتقارب الذي تُوج بقيام تحالف بينهما في محور روما – برلين الذي أنذر بتصاعد أسلوب القوة لتحقيق الأغراض السياسية والعسكرية للدول الديكتاتورية. وعندما عُين نيفيل تشمبرلن* Nevile Chamberlain رئيساً للحكومة البريطانية في مايو ١٩٣٧م/١٣٥٦هـ– وهو أحد أبناء جوزيف تشامبرلن الذي كان وزير المستعمرات في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي – خلفاً للمستر بلدوين، اتخذ سياسة التهدئة ومحاولة التقرب من دول المحور (ألمانيا وإيطاليا) لتدعيم السلام الأوروبي[١].

فكان من رأيه بأن كلاً من هتلر وموسوليني أصبح لديه من المشكلات الداخلية والأعباء الاقتصادية ما يشغل كلاً منهما عن المزيد من العدوان، وأنه لو استطاعت كل من فرنسا وبريطانيا التفاهم معهما واتبعتا سياسة التهدئة إلى حين، لكان ذلك سبيلاً إلى التهدئة وإعادة السلام[٢].

وكانت هذه السياسة تهدف في المقام الأول إلى التفاهم مع هتلر الذي نظرت إليه كل من فرنسا وبريطانيا على أنه أقوى الخصوم والعدو المشترك الذي يملك قوة سياسية وعسكرية تمكنه من تهديد وسط وغرب أوروبا، بينما كان موسوليني أقل خطراً من هتلر، وإن كان التحالف بينهما (أي هتلر وموسوليني) يشكل تحالفاً خطيراً لتهديد السلام الأوروبي. مما جعل الحكومة البريطانية تسعى إلى التقارب مع الطرفين منفردين أو مجتمعين إذا ما دعت الحاجة في إطار سياسة التهدئة التي ارتبطت بنفيل تشمبرلن.

---

* نيفيل تشمبرلن (١٨٦٩-١٩٤٠م): سياسي ورجل دولة بريطاني، ينتمي إلى أسرة بريطانية عريقة، دخل البرلمان عام ١٩١٨م، تولى عدة مناصب وزارية، حتى تولى رئاسة الوزارة عام ١٩٣٧م، حاول مهادنة هتلر قبل الحرب العالمية الثانية، استقال في مايو ١٩٤٠م على إثر الهزائم التي سحقت بالحلفاء في مطلع الحرب العالمية الثانية. – الموسوعة السياسية، جـ١، ص٧٤٣.

١- بيير رنوفن: تاريخ القرن العشرين، ص٤٥٩.

٢- عبد الحميد البطريق: التيارات السياسية المعاصرة، ص٣٧١.

وهي السياسة التي نتج عنها عقد كل من بريطانيا وإيطاليا اتفاقية عام ١٩٣٨م/١٣٥٧هـ للتفاهم حول مصالح كل منهما. وقد تعددت الأسباب التي أدت إلى عقد الاتفاقية أهمها:

أولاً: أسباب خاصة بتطور الأوضاع في أوروبا.

ثانياً: أسباب خاصة بمصالح كل من بريطانيا وإيطاليا في البحر الأبيض المتوسط والعالم العربي، حيث سعى موسوليني إلى التفاهم مع بريطانيا أملاً في الحفاظ على المصالح الإيطالية والحصول على بعض المكاسب في حوض البحر المتوسط.

أولاً: أسباب خاصة بتطور الأوضاع في أوربا:

تميزت فترة الثلاثينيات بتغيرات سياسية، حيث اختلفت مصالح الدول الكبرى. ففيما سعت كل من ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية إلى وضع برامج تحقق القوة الداخلية والخارجية السياسية والعسكرية لكلتا الدولتين لتحقيق مطامعهما خارج حدودهما سواء داخل أو خارج أوروبا.

فعمد هتلر إلى إزالة شروط معاهدة فرساي التي اعتبرها الألمان معاهدة مجحفة بحقهم، ويجب إزالة شروطها الخاصة بمنع ألمانيا من إنشاء جيش وطني وإلزامها بعدم صنع الأسلحة الحربية الثقيلة بالإضافة إلى تجريد مناطقها من السلاح، كذلك سعى هتلر إلى جمع الأقليات الألمانية المنتشرة في النمسا وتشيكوسلوفاكيا، والسار وبولونيا إلى الدولة الأم: ألمانيا، وأخيراً السعي إلى جعل ألمانيا تتبوأ مكانة ريادية في أوروبا والعالم[1]. وقد بذلت كل من فرنسا وبريطانيا جهوداً كبيرة للوقوف في وجه الخطر الألماني المتصاعد فاتجهتا إلى سياسة الأحلاف بين دول أوروبا الوسطى والشرقية، وبذلت الدولتان جهدهما للتقرب من إيطاليا بهدف استقطابها فكانت جبهة ستريزا Stresa بين

١- رياض الصمد: تطور الأحداث الدولية، ص٢٥١.

بريطانيا وفرنسا وإيطاليا التي أكدت على أمن الشعوب والمحافظة على السلام في أوروبا[١].

وقد سعت فرنسا التي ربطت موقفها الرافض لكل مساعي هتلر ونقضه لالتزامات بلاده وتعهداته الدولية – معاهدة فرساي – بالموقف البريطاني[٢]. الذي رأي في السياسة الألمانية النازية خطراً على فرنسا وغرب أوروبا وأن هذا الخطر سيهدد بريطانيا التي كانت دائماً تؤكد على مبدأ التوازن الأوروبي والحيلولة دون أن يكون لأي دولة وضع متفوق في هذه القارة سواء من جانب فرنسا أو ألمانيا أو إيطاليا[٣]. وإن كانت العلاقات الفرنسية – البريطانية تتوتر إذا ما قامت بالتصرف منفردة لكسب ود ألمانيا دون استشارة فرنسا[٤].

وعندما أبرمت فرنسا وروسيا معاهدة بينهما في ٢ مايو ١٩٣٥م/١٣٥٤هـ اعتُبرت تحالفاً عسكرياً بينهما باستعمال القوة ضد ألمانيا إذا ما هاجمت روسيا، واتخذ التحالف في ظاهره صيغة ضمان متبادل يدخل في نطاق عصبة الأمم. اتجهت ألمانيا نحو بريطانيا. وفي يونيو ١٩٣٥م عقدت بريطانيا اتفاقية بحرية مع ألمانيا، تمكن بموجبها هتلر من الحصول على موافقة بريطانيا على إعادة بناء أسطول ألمانيا البحري شرط أن لا تتعدى قوته – حمولته- ٣٥٪ من قوة الأسطول البريطاني، وبذلك سمحت بريطانيا لألمانيا بإعادة تسلحها البحري من حيث السفن والغواصات، وتمكن بذلك هتلر بموافقة بريطانيا من خرق معاهدة فرساي الخاصة بتحديد قوة ألمانيا البحرية، وفُتح الباب أمامه بالحصول لألمانيا على مزيد من التعديلات في معاهدة فرساي بشكل يحقق مطامعه.

ويعود سبب تساهل الحكومة البريطانية تجاه ألمانيا إلى أن هتلر كان قد بدأ سراً بإعادة بناء الجيش الألماني دون أن يتقيد بمعاهدة فرساي، وأن ذلك لم يكن يخفى على بريطانيا وفرنسا وروسيا وباقي الدول الأوروبية.

١- Hardy. G. M. Gathorne, A Short History of International Affairs 1920-1939, P. 398.

٢- رياض الصمد: تطور الأحداث الدولية، ص٢٦٤.

٣- بشرى القبيسي: موسى مخول: الحروب والأزمات الإقليمية، ص٣٥.

٤- رياض الصمد: تطور الأحداث الدولية، ص٢٦٦.

كذلك كان تحدي موسوليني لعصبة الأمم بسبب الحرب الإيطالية — الحبشية، وتعرض مصالح بريطانيا في البحر المتوسط والبحر الأحمر للخطر، وعدم رغبة بريطانيا الوقوف بقوة أمام إيطاليا وألمانيا وإنما اتخذت سياسة هادئة للتعامل معهما حتى وصفها بعضهم بالاستسلام، وهو ما رأته بريطانيا ملائماً سواء في أثناء تولي حكومة صموئيل هور أو تأكد عندما تولى نيفيل تشمبرلن رئاسة الحكومة البريطانية.

أما هتلر فقد انتهز هذه المعاهد للفصل بين بريطانيا ودائرة الحلف الفرنسي — الروسي، خاصة وأن الحرب الإيطالية — الحبشية وضعت إيطاليا في وضع دولي حرج بسبب تحدي موسوليني لعصبة الأمم، فأعلن هتلر تأييده لموسوليني، فضمن بذلك وقوف موسوليني إلى جانبه اعترافاً له بالجميل، كذلك تمكن هتلر من فرط عقد جبهة ستريزا حيث تأكد له بأن بريطانيا لن تستعمل القوة ضده إذا ما حاول تحقيق بعض المكاسب لألمانيا في أوروبا. حيث إنها لم تستعمل القوة العسكرية للدفاع عن مصالحها الحيوية أمام العدوان الإيطالي على الحبشة، فهي بالتالي لن تستعمل القوة العسكرية لمناصرة حليفتها فرنسا التي لن تلجأ إلى القوة ضده بمفردها[١].

فكان من نتيجة ذلك أن أقدم هتلر في ٧ مارس ١٩٣٦م/١٣٥٥هـ على التصريح عن إعادة احتلال منطقة الراين* (رينانيا) وإعادة تسليحها، وبذلك نقض هتلر اتفاقية لوكارنو محتجاً بأنه مصادقة المجلس النيابي الفرنسي في ٢٧ فبراير ١٩٣٦م على الاتفاقية الفرنسية - السوفياتية يتناقض مع اتفاقية لوكارنو. وعلى الرغم من أن مجلس عصبة الأمم اتخذ قراراً في ١٩ مارس ١٩٣٦م بشجب مخالفة المعاهدات التي ارتكبتها ألمانيا، دون أن يتخذ إجراءات رادعة تحول دون استمرار ألمانيا في خرق تعهداتها، إلا أن إعادة تسليح منطقة الراين وضع الألمان في مواجهة فرنسا[٢]. التي أخذت بنصح بريطانيا

١- فيشر: تاريخ أوروبا، ص ص٦٤٨، ٦٥١.

* نصت معاهدة فرساي على تجريد منطقة الراين من السلاح.

٢-بشرى القبيسي، موسى مخول: الحروب والأزمات الإقليمية، ص٩٢.

للجوء إلى أسلوب التفاوض بدلاً من القوة، في وسط خلاف داخلي بين أعضاء الـوزارة الفرنسية في حكومة البرت سرّو A. Sarraut(١).

وشهد عام ١٩٣٦م تقارباً سريعاً بين ألمانيا وإيطاليا، توج بإنشاء محـور رومـا — برلين The Rome –Barlin Axis* بعد محادثات طويلة بين الكونت جاليزو تشانو Count Galeazzo Ciano، صهر موسوليني ووزير خارجيته، وفون نوارث Von Neurath وزيـر خارجية ألمانيا، حيث وصف هتلر موسوليني بأنه في رأيه: "أعظم ساسة العالم، وليس في وسع أي إنسان أن يدعي لنفسه الشبه به من قريب أو بعيد"، وأضـاف أن "في وسـع ألمانيا وإيطاليا معاً أن لا تكتفيا بالتغلب على (البلشفية) بل وعلى الغرب أيضـاً بمـا في ضمنه إنجلترا"، وقال بأنه "يرى أن البريطانيين قد يحاولون في النهاية التفاهم مع إيطاليـا وألمانيا المتحدتين، أما إذا لم يحاولوا ذلك فإن الدولتين معاً قادرتان على الخلاص منـهم بسهولة". وذكر لتشانو أن "تسلح ألمانيا وإيطاليا يجري بسرعة أكبر مما تستطيع إنجلتـرا تحقيقه من تسلح، وستغدو ألمانيا متأهبة للحرب في غضون ثلاث سنوات". أي وقـت قيام الحرب عام ١٩٣٩م/١٣٥٨هـ.

وفي ٢١ أكتوبر ١٩٣٦م وقع وزراء الخارجية تشانو ونوراث بروتوكـولاً سـرياً لتحديد سياستهما المشتركة في الشؤون الخارجية، وفي الأول من نوفمبر ١٩٣٦م تحدث موسوليني في ميلانو عن هذا البروتوكول، دون أن يتناول محتوياته، قائلاً: "إنـه يؤلـف محوراً يمكن للدول الأوروبية الأخرى أن تلتف حوله، وأن تعمل متعاونة في نطاقه" ومن هنا أُطلق على التحالف بين إيطاليا وألمانيا "المحور"(٢).

وقد تعهدت الدولتان بموجب بروتوكول أكتوبر بالتعاون في وجه الخطر الشيوعي، وكان ذلك يعني بأن تحالفهما هو تحالف دفاعي ضد الأخطار الخارجية، ولكن بهـدف

---

١ –رياض الصمد: تطور الأحداث الدولية، ص٢٦٩.

* لمزيد من التفاصيل انظر المبحث الأول في الفصل الأول ص٥٩.

٢ – وليام شيرر: تاريخ ألمانيا الهتلرية، نشأة وسقوط الرايخ الثالث، ترجمة: خيري حماد، (بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٦٢م)، جـ٢، ص ص٤٣، ٤٤.

التخفيف من حدة المجابهة مع بريطانيا وفرنسا فقد حدد الخطر الخارجي بالشيوعية فقط، مؤكدين بأنه تحالف دفاعي لا هجومي[1].

وجاء هذا التقارب بعد إزالة العقبات التي كانت بينهما، فبدأت بتوافق أيديولوجيتي النظامين الألماني والإيطالي ومواقفهما المبدئية من مقررات مؤتمر الصلح ١٩١٩م/١٣٣٨هـ، وانتهت بانسجام مواقفهما العملية من قضية الحرب الأهلية الأسبانية، مروراً بالتأييد الذي لاقته إيطاليا من قبل ألمانيا في سياستها العسكرية والسياسية تجاه الحبشة. وكان من أهم العقبات الرئيسية بينهما هي النفوذ في الدانوب وإصرار كل منهما على مد نفوذها إليها. وعندها وجد موسوليني صعوبة الاستمرار في الحرب أمام ألمانيا وبريطانيا وفرنسا على جبهتين هما جبهة الدانوب وجبهة البحر الأبيض المتوسط والمستعمرات، ورأى بأنه قد حقق نجاحاً كبيراً في الجبهة الثانية في عام ١٩٣٦م.

اتخذ قراره بتوجيه أطماعه نحو منطقة البحر الأبيض المتوسط والمستعمرات والتخلي عن أطماعه في جبهة الدانوب (أوروبا الوسطى) لصالح ألمانيا في مقابل حصوله على الدعم والتأييد منها في مواجهة كل من بريطانيا وفرنسا، مما عُد تبدلاً في إستراتيجية إيطاليا. وبذلك مُهد السبيل أمام التقارب الألماني – الإيطالي، والذي استثمره تشانو في زيارته لبرين في أكتوبر ١٩٣٦م، حيث اطمأن هتلر على عدم معارضة موسوليني للاتفاقية الألمانية النمساوية* في مقابل اعتراف هتلر بالوجود الإيطالي في الحبشة، خاصة بعد أن وضع تشانو بين يدي هتلر في ٢٤ أكتوبر وثيقة بريطانية تحت عنوان "الخطر الألماني" موقعة من قبل انتوني ايدن وزير الخارجية البريطاني قاطعاً بذلك التقارب الذي وُجد بين ألمانيا وبريطانيا، فاتجه هتلر للتحالف مع إيطاليا معترفاً بالنفوذ الإيطالي في

١- رياض الصمد: تطور الأحداث الدولية، ص٣٤١

* اتفاقية عقدت في ١١ يوليو ١٩٣٦م بين النمسا وألمانيا، عقدت بعد إعطاء موسوليني موافقته لـ شوشننغ – رئيس الحكومة النمساوية – بأن ذلك لا يتعارض مع علاقتهما الاقتصادية مع دول الدانوب مدعمة لاستقلال النمسا أمام أي تهديدات ألمانية، وعلى الرغم من أن المعاهدة أكدت على استقلال النمسا وسيادتها، إلا أنها فتحت الطريق أمام تحركات النازيين النمساويين وهتلر لتوحيد جهودهما للتدخل على حساب النمسا.

البحر الأبيض المتوسط والمستعمرات مقابل الاعتراف الإيطالي بالنفوذ الألماني في الدانوب[١].

وفيما كانت بريطانيا تؤكد على دورها في المحافظة على السلام ومقاومة العنف، فسارعت إلى اتخاذ إجراءات جديدة لتحسين تسلحها أمام تطور الأوضاع الدولية والتهديدات التي تعرضت لها أوروبا من قبل ألمانيا وإيطاليا واليابان. حيث أعلنت في ١٠ نوفمبر ١٩٣٦م في مجلس العموم البريطاني عن برنامج لسياستها للتسلح على أن يكون تنفيذها تدريجياً خلال خمس سنوات. كما حاولت بريطانيا التحالف مع فرنسا لتنسيق سياسة دفاع مشتركة، حيث صرح ايدن وزير الخارجية البريطاني في ٢١ نوفمبر بأن "هذا التسلح يمكن أن يكون مخصصاً للدفاع عن فرنسا وبلجيكا ضد عدوان لم يُثر"، وبالتالي إن "بريطانيا تأخذ على عاتقها تعهداً عاماً بأن تدعم فرنسا إذا ما هوجمت". وأخذت فرنسا علماً بهذا التعهد وردت عليه في ٤ ديسمبر من نفس العام حين أجاب وزير الخارجية الفرنسي في مجلس النواب بوعد مقابل: "إن فرنسا تضع كل قواها الحربية للدفاع عن بريطانيا ضد عدوان لم تثره"[٢].

وبعد أن عقد موسوليني مع الحكومة البريطانية "اتفاقية الجنتلمان" في يناير ١٩٣٧م/١٣٥٦هـ — سيأتي الحديث عنها لاحقاً — خشي هتلر من التقارب الإيطالي — البريطاني فواصل إيفاد عدد من المبعوثين إلى روما لتنمية العلاقات مع موسوليني، وأرسل إلى موسوليني يدعوه لزيارة ألمانيا، وفي ٢٥ سبتمبر ١٩٣٧م وصل موسوليني إلى ألمانيا واستقبل بالكثير من الحفاوة، وتعتبر هذه الرحلة بداية لعدة رحلات سيقوم بها موسوليني إلى ألمانيا، للتأثير الذي أراد هتلر أن يتركه في موسوليني من خلال العروض العسكرية والخطب السياسية التي حضرها موسوليني في ٢٨

١- نفس المرجع، ص ص٢٧٣، ٢٧٤.

٢- بييرنوفن: تاريخ القرن العشرين، ص٤٣٢.

سبتمبر، حيث انبهر موسوليني بقوة هتلر السياسية والعسكرية وتأكدت رغبته في أن يغدو شريكاً لألمانيا الجديدة والقوية التي رآها في أثناء زيارته هذه[١].

مما أدى إلى انضمام إيطاليا إلى محور طوكيو – برلين حلف (الانتي كومنترن*) بين اليابان** وألمانيا في ٦ نوفمبر ١٩٣٧م لمقاومة الشيوعية العالمية بقوة السلاح[٢]، ووصف هذا الحلف من قبل الروس بأنه ستار لاتفاق عسكري سري. أما الألمان فوصفوه بأنه ليس موجهاً ضد روسيا فقط وإنما ضد كل من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية[٣]. وتضمن التحالف اتخاذ الإجراءات الكفيلة بحماية مصالح الدول المشتركة، وتتعهد الدول بعدم توقيع أية اتفاقية سياسية مع الاتحاد السوفيتي و لم يؤخذ رأي الدولة الثانية بذلك[٤]، واعتبر الحلف مفتوحاً أمام جميع الدول الراغبة في محاربة الشيوعية العالمية، فانضمت إليه بعض الدول وأهمها أسبانيا وهنغاريا[٥].

وقد ساعدت حكومتا بريطانيا وفرنسا على تحقيق مخططات ألمانيا وإيطاليا واليابان لهذه المحاور حيث إن قسماً كبيراً من الرأي العام في هاتين الدولتين وجدا في الأنظمة الفاشية (ألمانيا – إيطاليا – اليابان – أسبانيا) وسيلة فعالة لمكافحة الشيوعية، حيث إن ألمانيا وإيطاليا بتوقيعهما على ميثاق الأنتي – كومنترن اعتبرتا الشيوعية عدوهما الأولى في برامجهما السياسية مما جعل بريطانيا تقنع فرنسا بأن تتخذ سياسة هادئة ومعتدلة تحول دون استخدام القوة إزاء تنفيذ بعض مطالب هتلر وحليفاها المعتدلة، طالما أن ذلك لا

١- وليام شيرر: تاريخ ألمانيا الهتلرية، جـ٢، ص ص٤٩، ٥٠.

* هو ميثاق مناهضة الكومنترن Anti –Comintern Pact يؤكد معاداة كل من البلدين لمبدأ الشيوعية الدولية الكومنترن Comintern وقعتها اليابان وألمانيا في ٢٥ نوفمبر ١٩٣٦م.

** ظهرت اليابان كأقوى قوة سياسية وعسكرية في شرقي آسيا مع بداية القرن العشرين، وفي ١٩٣١م قامت اليابان بالاعتداء على الصين في إقليم منشوريا، ثم بدأت في التوغل في الأراضي الصينية، وانسحبت من عصبة الأمم، ورفعت شعار "آسيا للآسيويين" فابتعدت عن الدول الديمقراطية في أوروبا وأمريكا وتقاربت مع الدول الساعية إلى تغيير الأوضاع في أوروبا وأفريقيا وعلى رأسها ألمانيا وإيطاليا.

٢- Hardy, G. M. Gathorne, A Short History of International Affairs, P. 442.

٣- بييرنوفن: تاريخ القرن العشرين، ص٤٣١.

٤- A. S. M. A. E. Roma, Affari Politici, Italia, Bustan 50, Fasc. 2, Accordo Coutro L' Internazionale Comunista Concluso fra l' Italia, la Germania Deil Giappone, Roma, 6 Novembre 1937. XVI.

٥- فيشر: تاريخ أوروبا، ص٦٥٣.

يشكل خطراً مباشراً على مصالحهما من جهة، وطالما أنها تعتبر الشيوعية عـــدوتها الأولى وتتعامل معها على هذا الأساس[١].

ونتيجة للتطورات الدولية التي تشهدها أوروبا، ولتزايد التهديد الألماني لدول أوروبا الوسطى والشرقية والغربية، وفيما اتضح موقف كل من فرنسا وبريطانيا المهادن والمعتدل لكل دول أوروبا، أعلنت الحكومة البلجيكية عن رغبتها في اتخاذ سياسة الوقوف علـــى الحياد من المنازعات الدولية، حيث أفصح مندوب بلجيكا لدى عصبة الأمم خلال دورة الجمعية الممتدة بين ٢١ سبتمبر و١٠ أكتوبر ١٩٣٦م/١٣٥٥هـــ عـــن رغبـــة بـــلاده بالتخلي عن سياسة الأحلاف وانتهاج سياسة حيادية، ورغم محاولة فرنسا* لإثناء بلجيكا عن ذلك، إلا أنه أعلن عن ذلك رسمياً في جلسة الوزراء التي حضرها الملـــك ليوبولـــد الثالث** في ١٤ أكتوبر ١٩٣٦م. وقد ساهم تجاوب بريطانيا مع الموقـــف البلجيكـــي والتي سعت إلى إقناع فرنسا باحترام الإرادة البلجيكية، إلى إصـــدار التصـــريح الثنـــائي البريطاني – الفرنسي في ٢٤ يناير ١٩٣٧م/١٣٥٦هـــ، فيما اعترفت به ألمانيا في نوفمبر ١٩٣٧م، وقد أدى ذلك إلى انتكاس سياسة الأحلاف التي كانـــت فرنســـا تتزعمهـــا للإطاحة بألمانيا، فسارعت رومانيا للتفاهم مع ألمانيا ابتداءً من عام ١٩٣٧م، وتوجهـــت يوغوسلافيا نحو إيطاليا فعقدت معها اتفاقية عدم اعتداء، فيما كانت بولندا أسبق الدول حيث وقعت اتفاقية عدم اعتداء مع ألمانيا منذ عام ١٩٣٤م، وبقيـــت تشيكوســـلوفاكيا الدولة الوحيدة آنذاك التي حافظت على علاقتها مع فرنسا في دول أوروبا الشرقية، فيما كانت الأطماع الألمانية تحيطها من الداخل والخارج[٢].

١– رياض الصمد: تطور الأحداث الدولية، ص٣٧٤.

* كانت بلجيكا حليفة فرنسا طول فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى.

** الملك ليوبولد الثالث: تولى حكم بلجيكا عام ١٩٣٤م، أعلن في ١٩٣٦م أن بلجيكا سوف تبقى على الحياد في أي نزاع مسلح، قاد جيشه لمقاومة غزو ألمانيا لبلاده عـــام ١٩٤٠م، إضطر إلى التسليم للألمان، نقل إلى ألمانيا ١٩٤٤م، اتهم بالخيانة للتعامل مع الألمان، نزل في ١٩٥١م عن العرش لابنه بـــودوان. – الموســـوعة العربيـــة الميســـرة، ص١٦٠٢.

٢– رياض الصمد: تطور الأحداث الدولية، ص ص٢٧٦، ٢٧٨.

أما النمسا، فقد بادر هتلر في يناير ١٩٣٨م/١٣٥٧هـ بتنفيذ مطامعه فيها بعد أن ضمن موافقة موسوليني على مصالح ألمانيا في الدانوب*، وسياسة التهدئة والمهادنة التي اتبعتها كل من بريطانيا وفرنسا إزاء تطور الأوضاع في أوروبا وتزايد نفوذ ألمانيا وإيطاليا بعد إنشاء محور – روما – برلين، وحلف الأنتي – كومنترن. خاصة بعد استقالة إيدن من منصب وزير الخارجية البريطانية وتولي اللورد هاليفاكس، الذي أيد سياسة تشمبرلن في اتخاذ سياسة التفاهم مع ألمانيا وإيطاليا، في الوقت الذي عانت فيه فرنسا من أزمة وزارية آنذاك.

وفي محاولة لبريطانيا للتفاهم مع هتلر، تقابل اللورد هاليفاكس** مع هتلر في ١٩ نوفمبر ١٩٣٧م في أوبرسلتزبرج Oberzulzberrg بحضور وزير الخارجية الألماني فون ربنتروب، وأخذ هاليفاكس يتقرب لهتلر ويؤكد له تقدير بريطانيا للإنجازات التي قام بها للقضاء على الشيوعية في بلاده ونجاحه في منع تسربها إلى أوروبا الغربية، وأبلغه رغبة تشمبرلن رئيس الوزراء البريطاني في الوصول إلى اتفاقية تجمعهما بفرنسا وإيطاليا. ولم يستطع هاليفاكس من خلال هذه الزيارة إلى أخذ تأكيدات ألمانية تجاه نياتها نحو النمسا وإنما اعتبرت الزيارة محاولة للتفاهم شخصياً مع هتلر في إطار رغبتهما في تدعيم السلام الأوروبي(١).

وكان هتلر يسعى لضم الأقليات الألمانية في أوروبا الوسطى إلى الرايخ الألماني. فاتجه إلى ضم النمسا أولاً ثم تشيكوسلوفاكيا، فاستغل هتلر حادثة قمع بها شوشننغ رئيس الحكومة النمساوية في يناير عام ١٩٣٨م ضد النازيين النمساويين للتدخل في الشؤون الداخلية في النمسا، ورغم زيارة شوشننغ إلى برلين في فبراير ١٩٣٨م، واجتماعه مع هتلر لإزالة التوتر بين الدولتين، إلا أن هتلر تمادى في فرض رغباته على

---

* انظر ص١٢٩.

** لورد ادوارد فردرك لندلي هاليفاكس: سياسي بريطاني، عضو مجلس العموم البريطاني ١٩١٠م عن حزب المحافظين، أصبح وكيل وزارة المستعمرات ١٩٢٢م، وترأس عدة لجان، شغل منصب وزير الدولة لشئون الحرب، بعد استقالة ايدن تولى وزارة الخارجية، أصبح سفير لبريطانيا في واشنطون ١٩٤١-١٩٤٦م. - الموسوعة العربية الميسرة، ص١٨٨٣.

١- عبد الحميد البطريق: التيارات السياسية، ص٣٧٧.

الحكومة النمساوية ووجه إنذارين للحكومة على إثر قرارها بوضع استفتاء في ١٣ مارس يُعلن فيه الشعب النمساوي اختياره بين الالتحاق بألمانيا أو التمسك باستقلاله. فرضخت الحكومة للإنذار وقررت العودة عن الاستفتاء، إلا أن هتلر وجه إنذاره الثاني بضرورة تقديم شوشننغ استقالته وتعيين سيس إنكارت Seyss – Inquart النازي النمساوي رئيساً للحكومة الجديدة، فقدم شوشننغ استقالته إلى الرئيس النمساوي ميكلاس Miklas، وعُين إنكارت مكانه، الذي تقدم بشكل رسمي بالطلب إلى الجيش الألماني بدخول فيينا، وتم ذلك في ١٣ مارس ١٩٣٨م[١].

وقد تخلى موسوليني عن حكومة شوشننغ عندما أبلغته الحكومة الإيطالية بأنها "لا تستطيع أن تفعل له شيئاً أو تقدم له نصيحة". وقد أبلغ هتلر موسوليني عن طريق مبعوث خاص شكره العميق، وأنه – أي هتلر – قال: "لن أنسى موقفه أبداً مهما حدث، فإذا كان في حاجة في أي يوم إلى أية مساعدة، أو إذا أحس بالخطر، ففي وسعه أن يثق بأنني سأظل إلى جانبه مهما حدث، حتى ولو تألب العالم بأسره ضده*"[٢].

وبعد استفتاء أُعلن عن اتحاد النمسا مع ألمانيا فتحققت بذلك رغبة هتلر في ضم النمسا إلى ألمانيا، ساعده في ذلك تخاذل كل من بريطانيا وفرنسا من نصرة الحكومة النمساوية، وتأييد موسوليني له بعد أن تبدلت استراتيجية إيطاليا إثر التفاهم والتقارب الذي شهدته السنوات السابقة بينهما[٣].

و لم تقم بريطانيا بالاعتراض على ضم النمسا، وإنما ركزت جهودها للتحالف مع فرنسا، والتقليل من دور عصبة الأمم في حماية السلام الأوروبي. ففي فبراير عام ١٩٣٨م أكد تشمبرلن وعود مستر إيدن بالدفاع المسلح عن فرنسا وبلجيكا الذي أعلنه في ٢١ نوفمبر ١٩٣٦م** وأن هذا العهد سيمتد إلى البرتغال ومستعمراتها، وإلى العراق

١- Hardy, G. M. Gathorne. A Short History of International Affairs, P.P. 452, 454.

* وقد يكون هتلر قد وفى بهذا العهد عندما أنقذ موسوليني من أيدي الحكومة المؤقتة عام ١٩٤٣م، كما سيأتي ذكره.

٢- ونستون تشرشل: المذكرات، ص١٥٢.

٣- رياض الصمد: تطور الأحداث الدولية، ص٢٨٦.

** انظر ص١٣٠.

ومصر لصد أي هجوم خارجي قد تتعرض له هذه البلدان. وفي ٢٢ من الشهر ذاتـــه، أعلن تشمبرلن في خطاب آخر له في مجلس العموم عن عدم ثقته بفعالية عصـــبة الأمـــم فقال: "بأن عصبة الأمم كما تتآلف اليوم، عاجزة عن تدبير الضمان الجماعي لأي عضو من أعضائها.. لذلك ينبغي ألا نخدع الأمم الصغيرة الضعيفة في الاعتقاد بأن عصبة الأمم تستطيع أن تحميها من الاعتداء"، و لم يمض على هذا الخطاب ثلاثة أسابيع حتى أرســـل هتلر قواته في ١٢ مارس لاحتلال النمسا وضمها لألمانيا دون اعتبار أن النمسا عضـــو في عصبة الأمم[١].

وبعد النمسا ركز هتلر جهوده لتحقيق مطامعه في تشيكوسلوفاكيا خاصـــة إقلـــيم السودت* Sude'tes ، الذي سيطر عليه الحزب النازي السوداتي بزعامة كونـــارد هتلـــر Konard Henlein منذ عام ١٩٣٥م، والذي طالب بضم إقليم الســـودت إلى الـــرايخ الألماني. وفي أبريل ١٩٣٨م/١٣٥٧هـــ عبر عن رغبة ألمان السودت في التحرر من سلطة حكومة براغ والوصول إلى الاستقلال الذاتي كخطوة نحو الاستقلال التام. وكان هتلـــر يتطلع إلى إقليم السودت وباقي الأراضي التشيكوسلوفاكية على كونها مجالاً حيوياً للأمة الألمانية لأهميتها الصناعية والطبيعية ولأن أكثرية سكانها ألمان[٢].

وقد قامت حكومتا فرنسا وبريطانيا بالاجتماع في لندن في أواخـــر أبريـــل عـــام ١٩٣٨م لبحث القضية التشيكية، حضر الاجتماع من الجانب الفرنسي إدوارد دالاديـــه Edouard Daladier ووزير خارجيته جورج بوني Georges Bonnet، ومـــن الجانـــب البريطاني تشمبرلن وهاليفاكس، ونتج عن الاجتمـــاع توجيـــه مـــذكرة إلى الحكومـــة التشيكوسلوفاكية يطلب إليها فيها اعتماد أسلوب التفاوض مع الزعيم النـــازي هتلـــر، وعدم اللجوء إلى القوة من أجل إيجاد حل لإقليم السودت[٣].

١- جرانت، تمبرلي: أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين، جـ٢، ص ص٤٠٣، ٤٠٤.

* خصصت مقررات مؤتمر الصلح بعد نهاية الحرب العالمية الأولى تشيكوسلوفاكيا بإقليم السودت الذي كان خاضعاً للسيادة النمساوية حتى نهاية الحرب، وكان سكانه ذا أكثرية ألمانية كونه يقع على الحدود المتاخمة لألمانيا.

٢- تايلور: أصول الحرب العالمية الثانية، ص١٧٩.

٣- رياض الصمد: تطور الأحداث الدولية، ص ص٢٨٩، ٢٩٢.

وتم ذلك في أثناء محاولة بريطانيا التقرب من الحكومة الإيطالية بعد نجاحها في عقد اتفاقية أبريل ١٩٣٨م، لمحاولة جذبها وإخراجها من التحالف مع ألمانيا، في إطار سياستها لتجنب الحرب، وهو الذي جابهه هتلر بتزايد مطالبه منتهزاً مرونة بريطانيا وفرنسا وسياسة تشمبرلن القائمة على التهدئة لتجنب الحرب ليفرض مطالبه على وسط أوروبا (النمسا – تشيكوسلوفاكيا في هذه المرحلة) في الوقت الذي أكدت فيه عصبة الأمم عدم فعاليتها، وعدم قدرتها على القيام بالدور الذي أراده لها دعاتها ففشلت في إيقاف العدوان الإيطالي على أثيوبيا ولعب دور هام عند قيام الحرب الأهلية الأسبانية ١٧ يوليو ١٩٣٦م، أو إيقاف هتلر عن تهديده أوروبا الوسطى واستيلائه على النمسا وتهديده تشيكوسلوفاكيا، أو عندما غزت اليابان الأراضي الصينية.

وهكذا ساهم تدهور الأحوال في أوروبا وتزايد خطر ألمانيا النازية بعد سياسة المحاور في ظل سياسة التهدئة إلى انتهاج بريطانيا سياسة معتدلة للتفاهم مع ألمانيا وإيطاليا، وكانت سبباً في عقد الاتفاقية البريطانية-الإيطالية لعام ١٩٣٨م(١).

ثانياً: أسباب خاصة بمصالح بريطانيا وإيطاليا في البحر الأبيض المتوسط والعالم العربي:

لقد انتهجت إيطاليا الفاشية سياسة توسعية تجاه العالم العربي تقوم على السعي إلى الهيمنة على البحر المتوسط وتحويله إلى بحيرة إيطالية وكان غالباً ما يسميه الإيطاليون (بحرنا)، والمحافظة على نفوذ إيطاليا في البحر الأحمر، وإمبراطوريتها في شرق أفريقيا ومصالحها في اليمن. وعلى الرغم من محاولة كل من بريطانيا وفرنسا التفاهم مع إيطاليا حول مناطق نفوذهما في المستعمرات إلا أن موسوليني كان دائماً ما يثير هذه القضايا من وقت لآخر بعد أن نجح في تكوين إمبراطورية شرق أفريقيا، وأخذ نفوذه في أوروبا يتصاعد بعد تحالفه مع ألمانيا في محور روما – برلين، ومحور روما – برلين – طوكيو، وعندما تفاهم موسوليني مع هتلر حول نفوذ كل منهما في أوروبا والبحر الأبيض

---

١ – علي محافظة: موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ص٤٣٧.

المتوسط، فاعترف لهتلر بالنفوذ في الدانوب مقابل اعتراف هتلر بمصالح إيطاليا في البحر الأبيض المتوسط والمستعمرات* اتجه موسوليني بقوة نحو تنفيذ مطامعه ومواجهة بريطانيا وفرنسا اللتين اتخذتا سياسة التهدئة والمهادنة تجاه التقارب الألماني – الإيطالي بعد أن أخذ خطره في التصاعد وهو ما ميز فترة ١٩٣٧-١٩٣٨م/١٣٥٦-١٣٥٧هـ.

وقد سعت بريطانيا لاحتواء الخطر الإيطالي المهدد لنفوذها في البحر المتوسط وفي مستعمراتها ومناطق نفوذها في العالم العربي خاصة بعد تزايد خطر الدعاية الفاشية ضدها للتأثير على العرب ضد النفوذ البريطاني، إلى جانب رغبتها إلى إيجاد تفاهم وتقارب مع إيطاليا لإبعادها عن قوة هتلر ونفوذه حتى لا يُشكل الاثنان الخطر الذي بدأ يُنذر بقيام حرب في أوروبا.

فحاولت بريطانيا التوصل مع إيطاليا إلى تفاهم بعد فشل عصبة الأمم في تنفيذ العقوبات عليها بعد غزوها الحبشة، وبدأت المفاوضات بين الدولتين إلا أن الأحداث في أوروبا كانت تزيد الأزمات السياسية والخطر الفاشي. ولعل من أهمها الحرب الأهلية الإسبانية**، التي على الرغم من أنها حرب داخلية، إلا أن التدخل الخارجي فيها كان مكثفاً لدرجة أنها وصفت بأنها شكلت حرباً عالمية مصغرة قبل أوانها[1].

فقدمت كل من حكومتي ألمانيا وإيطاليا*** المساعدات العسكرية والتأييد السياسي للجنرال فرانكو، حيث كانت الحكومة الإيطالية ترغب في مد نفوذها على منطقة غربي البحر الأبيض المتوسط. أما ألمانيا فقد رغبت في الحصول على بعض المواد الأولية كالفحم والحديد والمنغنيز من أسبانيا، بالإضافة إلى إقامة حلف يربطها مع أسبانيا لترهب به عدوتها التقليدية فرنسا، فيما تدخل السوفيت للوقوف إلى جانب النظام الجمهوري في

---

* لمزيد من المعلومات، انظر ص١٢٩.

** الحرب الأهلية الأسبانية Spain Civil War: بدأت في ١٧ يوليو ١٩٣٦م، انطلقت من الريف المراكشي بقيادة اللواء سان جورج ولما قُتل في حادث طائرة، قادها الجنرال فرانكو رئيس الأركان الأسباني السابق (أُقيل عن منصبه) ساعده رجال الجيش الأسبان وبعض المغاربة، هدفت الحرب إلى إسقاط نظام الحكم الجمهوري في أسبانيا، شاركت في الحرب بعض كبار الدول الأوروبية مثل ألمانيا وإيطاليا وروسيا إلى جانب الجنرال فرانكو، انتهت في مارس ١٩٣٩م بعد حرب مريرة هلك فيها عدد كبير من القتلى باستسلام مدريد، - فريدريك معتوق:معجم الحروب، ص ص٢٢٨، ٢٤٩.

١- نفس المرجع، ص٢٤٧.

*** انظر المبحث الأول في الفصل الأول، ص٥٨.

أسبانيا حيث شكل الحزب الشيوعي إحدى ركائز هذا النظام، بالإضافة إلى رغبته في منع كل من ألمانيا وإيطاليا من تحقيق أي مكاسب في أسبانيا فيما وقفت كل من فرنسا وبريطانيا موقفاً معادياً للتدخل الأوروبي في الشؤون الأسبانية. لما سيشكله التدخل الألماني والإيطالي من خطر على مصالحهم الحيوية في البحر المتوسط والمستعمرات، ويهدد بتأزم الوضع في أوروبا. بالإضافة إلى أن كلاً من بريطانيا وفرنسا خشيتا من القوى المؤيدة للثورة من الأحزاب السياسية الفرنسية (الأحزاب اليمينية) أو البريطانية (كان حزب العمال يدعم الجمهوريين بينما كان حزب المحافظين يميل إلى تأييد الجنرال فرانكو)، هذا عدا رؤية الرأي العام البريطاني والفرنسي الذي رأى بعض أفراده وجوب المشاركة لدعم أي من الفريقين من خلال التطوع في الحرب[١].

وعلى الرغم من أن موقف الحكومة الفرنسية والبريطانية فيه وصف بالتردد وعدم الوضوح إلا أنها دعت إلى عدم التدخل ومنع مد الثورة بالمتطوعين والسلاح، فتقدمت فرنسا باقتراح تكوين لجنة دولية لمراقبة عدم التدخل في القضية الأسبانية في أغسطس ١٩٣٦م/١٣٥٥هـ، وتم ذلك إثر اجتماع عُقد في لندن في سبتمبر ١٩٣٦م باجتماع ٣٦ دولة، ورغم كل المجهودات الدولية الرسمية التي بُذلت إلا أن اللجنة أخفقت في تحقيق فكرة (عدم التدخل) وظلت المساعدات الألمانية والإيطالية و السوفيتية تتدفق على المنطقة و أخفقت عصبة الأمم في فرض حلول مناسبة للموقف، كما أخفقت محاولة التدخل الأمريكي للرئيس روزفلت بعدم تصدير الأسلحة أو مواد التموين إلى كلا الجانبين المتحاربين، وقد بلغت المساعدات الألمانية والإيطالية مبلغاً كبيراً من أسلحة وعتاد وذخيرة وطائرات وسفن وخبراء إلى جانب آلاف المتطوعين[٢].

و لم تمنع سياسة (عدم التدخل) كل من بريطانيا وفرنسا أن تقدم بعض المساعدات العسكرية لكلا الجانبين[٣]. و سعت بريطانيا إلى منع المتطوعين من المشاركة في الحرب، وقد

١- رياض الصمد: تطور الأحداث الدولية،ص ص٢٧٩، ٢٨٠.

٢- عبد الحميد البطريق: التيارات السياسية، ص٣٦٥.

٣- ونستون تشرشل: المذكرات، جـ١، ص١٢٣.

أشار إلى ذلك السير أنتوني إيدن من خلال خطابه للدفاع عن حكومته إزاء سياسة عدم التدخل في الحرب الأهلية الأسبانية في ١٩ يناير ١٩٣٧م/١٣٥٦هـ، حيث قُدم العديد من الطلبات إلى مكتب الخارجية للتطوع في الحرب الأسبانية، هذا عدا أن بعض المتطوعين حتى من صغار السن—١٧ عاماً—ذهبوا إلى أسبانيا دون علم أو استئذان الحكومة — أو دون علم والديهم—[١].

واستطاعت قوات الجنرال فرانكو بمساعدة ألمانية — إيطالية — سوفيتية، وبمشاركة الآلاف من الجنود المغاربة الذين كانوا يعملون في إطار اللواء الأجنبي الأسباني (في الريف المراكشي) من الانتصار[٢]. وبانتهاء الحرب الأهلية الأسبانية في مارس ١٩٣٩م/١٣٥٨هـ حلت رسمياً لجنة عدم التدخل القائمة في لندن في أبريل ١٩٣٩م[٣].

كما نجح الألمان في تحقيق مكاسب اقتصادية وتسهيلات تجارية خاصة لجهة استثمار المناجم واستيراد معادنها، وأثارت خوف القادة الفرنسيين من التقارب الذي حدث بينها وبين أسبانيا، فاستطاع أن يُضعف مركز بريطانيا وفرنسا وأن يبعدهم بتلك الحرب عن مراقبة أطماعه في وسط أوروبا، أو أن يضغط عليهم لمساومتهم عليها، وأن يزيد من ارتيابهم في نيات الاتحاد السوفيتي، وأخيراً أن يمنع قيام جبهة بريطانية فرنسية إيطالية ضد ألمانيا، بل استطاع أن يتخذ من الحرب الأهلية الأسبانية وسيلة تقارب بينه وبين الإيطاليين، فبدأت بينهما سياسة المحاور، وازداد اعتماد إيطاليا على ألمانيا بعد أن أفقدها الحرب الكثير من الخسائر[٤].

وقد استطاعت إيطاليا أن توقع اتفاقية مع الجنرال فرانكو في يناير عام ١٩٣٧م/١٣٥٦هـ، حصلت بموجبها على جزر البليار Bale'ares مؤقتاً، مما أعطاها

١- Wiener Joel H: Great Britain, Foreign Policy and Span of Empire 1689 -1971, Vol II, P. 1001.

٢- عبد الحميد البطريق: التيارات السياسية، ص٣٦٦.

٣- جرانت، و تمبرلي: تاريخ أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين، جـ٢، ص٤٠٢.

٤- عبد الحميد البطريق: التيارات السياسية، ص٣٦٦.

مركزاً قوياً جعلها تدخل في مفاوضات مع بريطانيا لتساوم من مركز قـوة البريطـانيين على مصالحهم في البحر الأبيض المتوسط والمستعمرات[١].

سعت الحكومتان البريطانية والإيطالية أثناء مباحثاتهما أواخر ١٩٣٦م/١٣٥٥هـ، للوصول إلى اتفاق حول مصالحهما في المتوسط، بتناول مصالحهما في قنـاة السـويس، ووضع قواعد القوات البريطانية في السويس[٢]. وانعكاسات الاتفاق حول المكاسـب العسكرية في مصر والتي ستحصل عليها بريطانيا من توقيع الاتفاقيـة[٣]. بالإضـافة إلى المكاسب في ميدان الملاحة البحرية، مع ضرورة حماية مصالح إيطاليا في قنال السويس[٤]. بتلك المصالح التي حرصت إيطاليا على إلحاح الطلب عليها في أثناء المفاوضات المسـتمرة منذ ١٩٣٠-١٩٣٧م/١٣٤٩-١٣٥٦هـ في إثبات وراثـة حقـوق بعـض الأفـراد الإيطاليين في القنال والذين ساهموا في حفر قناة السويس والذين مات آبائهم المسـاهمين أيام الخديوي إسماعيل ودي ليسبس، لإثبات حق للإيطاليين في (الكوبانية) القنال[٥]. في محاولة للحصول من بريطانيا على بعض الحقوق الإيطالية في القنال.

وتعتبر اتفاقية الجنتلمان Gentleman's Agreement، بين بريطانيا وإيطاليا عن البحر الأبيض المتوسط في يناير عام ١٩٣٧م، من أول المحاولات البريطانية للوصول إلى تفـاهم مع إيطاليا حول مصالحهما في المنطقة، فقد صرح بينتو موسوليني علانيـة في خطـاب جماهيري في ميلان في الأول من نوفمبر ١٩٣٦م بأن: "البحر المتوسط يمثل طريقـاً مـن أقرب الطرق وأهمها لبريطانيا العظمى والذي من خلاله تستطيع الإمبراطورية البريطانيـة من الوصول بسرعة للأقاليم المحيطة، وإذا كان البحر المتوسط يُعتبر للآخرين مجرد طريـق

١- رياض الصمد: تطور الأحداث الدولية، ص٢٨٢.

٢- A. S. M. A. E. Roma, Affari Politic, Egitto, Busta, N:16, Fasc. 1, N: 3095/ 201, R. Legazion D' Italia in Egitto, Ninistrodegli Affari Esteri, Ciano, Bulkeley, 2 Settembere 1936.

٣- A. S. M. A. E. Roma, Affari Politic, Egitto, Busta, N:16, Fasc. 1, Ministero Degli Affari Esteri, Direzione Generale Affari General, Ufficio V, Iriflessi Del Trattato Anglo. Egiziano Del 1936 Nel Compolnilitare, Roma, Dicembre 1936. XV.

٤- A. S. M. A. E. Roma, Affari Politic, Egilto, Busta, N:16, Fasc. 7, Ministero Degli Affari Esteri, Direzione Generale Affari Generali, Ufficio V, Iriflessi Del Trahato Andlo. Egiziano Del 1936, Nel campo marihimo, Roma, Dicembre 1936. XV.

٥- A. S. M. A. E. Roma, Affari Politic 1931-1943, Eglto, Busta, N:20, Canal Di Suez 1937, 5 Dicembre 1936. XV. & Hurwitz, The Middle East and North Africa in World Politics, Vol 2, P. 509.

فإنه لنا الإيطاليين يُعتبر حياتنا". وبعد هذا التصريح بأربعة أيـــام وفي مجلـــس العمـــوم البريطاني رد وزير الخارجية البريطاني انتوني إيدن على الدوتشي: "مما لاشك فيـــه فـــإن البحر المتوسط لا يُعتبر مجرد أقصر طريق لبريطانيا ولكن شريان مهم لمواصلاتها ونحن لن ندخل في تحد مع السنيور موسوليني من خلال قوله بأن: البحر المتوسط يمثل الحياة بحـــد ذاتها للإيطاليين. ولكننا نؤكد أن حرية المرور في هذه المياه هو أيضـــاً أمـــراً حيويـــاً وحساساً للعالم ولشعوب الكومنولث البريطاني"، وقد رحب إيدن بتأكيد موسوليني "بأن إيطاليا لا تعني تهديد المرور خلال هذا الطريق أو تعطيله". وأكمل إيدن "ولا نحـــن وفي هذه الظروف يجب على كلا البلدين الاستمرار في الحفاظ على مصالحهم الحيوية في هذا البحر، ليس فقط بعدم التصادم، ولكن بتبادل المنافع".

وقد أكد ايدن هذه التصريحات في حديثه مع جراندي Grandi السفير الإيطالي في لنـــدن، كما أكد رغبته في التفاهم حول المصالح البريطانية الإيطالية في البحر الأبيض المتوسط[١].

وقد ألمح السـنيور موسـوليني لأحـد الصـحفيين الإنجليـز في ٨ نـوفمبر ١٩٣٦م/١٣٥٥هـ بأنه "يطمح لعقد اتفاق شفوي وطيد مع الحكومـــة البريطانيـــة". وترك هذا التصريح لمجلة Daily Mail أثره في الحكومة والسياسيين البريطانيين خاصة وأنه يؤكد رغبة موسوليني في عقد اتفاق بين إيطاليا وبريطانيـــا[٢]. وبالفعـــل اســـتجابت الحكومة البريطانية للرغبة الإيطالية وبدأت المحادثات المشتركة بين الســـفير البريطـــاني في روما السير اريك دريموند ووزير الخارجية الإيطالية الكونت تشانو وعدد من القيـــادات الحكومية، واتفق الطرفان على رغبة كلا الدولتين في زيادة التعـــاون وتحقيـــق المصـــالح وتثبيت دعائم الأمن والسلام وتحسين العلاقات بين كلا البلدين، وجميع القوى في البحر المتوسط في ظل احترام هذه الحقوق والمصالح، كذلك اعترفتا بحرية التنقل داخل البحـــر الأبيض المتوسط للحفاظ على مصالح كلا البلدين، واستبعدتا أي رغبة لهمـــا لتعـــديل

١- D. D. I. Ottava Serie, Volume V, L' Ambasciatore A Londro, Grandi, Al Ministro Degli Esteri, Ciano, N: 378, Londra, 8 November 1936.

٢- D. D. I. Ottava Serie, Volume V, L' Ambasciatore A Londra, Grandi, Al Ministro Degli Esteri, Ciano, N: 407, Londra, 14 Novembre 1936.

الوضع الحالي، أو بتغيير الحالة الراهنة المتعلقة بالسيادة في المنطقة، واتفقتا على استخدام أفضل السبل لوقف أي نشاط يعرض علاقتهما الجيدة للضرر، والتي تعتبر في الوقت الراهن هي المحور الذي يجب أن يُدَعَّم. وخُتم اتفاق الجنتلمان بتأكيد رغبة الدولتين على الوصول إلى سلام نهائي وليس موجهاً ضد أطراف أو قوى أخرى[١].

وعلى الرغم من أن هذا الاتفاق عُقد في أثناء الحرب الأهلية الأسبانية، وقصدت منه بريطانيا الحفاظ على الحالة الراهنة في غرب البحر المتوسط، إلا أن موسوليني لم يتمسك بهذا التعهد في اتفاقيته فقد قدمت إيطاليا لفرانكو الكثير من المساعدات العسكرية حتى أن موسوليني كان يفتخر جهاراً بوجود بعض قواته النظامية في أسبانيا[٢].

وهو ما أكده السيد اتلي Mr. Attlee في خطابه الذي انتقد فيه سياسة الحكومة البريطانية تجاه أسبانيا في جلسة مجلس العموم البريطاني بتاريخ ١٩ يناير ١٩٣٧م/١٣٥٦هـ، بأن المتطوعين الإيطاليين والألمان في أسبانيا والمغرب هم في الحقيقة جنود وليسوا متطوعين، وأن التواجد العسكري في المنطقتين كان لجنود نظاميين، ففي الوقت الذي في رأيه كان الإيطاليون يترلون جنودهم بأعداد كبيرة في ديسمبر وأول يناير وقعوا اتفاقية الجنتلمان ١٩٣٧م. وهذا يعني بأن الإيطاليين اعتبروا وعودهم في الاتفاقية غير ملزمة لهم تجاه مساعداتهم العسكرية لقوات الجنرال فرانكو، فيما انتقد السيد ماكستون Mr. Maxton قول السير إيدن بأن "البحر الأبيض المتوسط هو شريان الحياة لبريطانيا"، فإن يرى بأن الأحداث الحالية في أسبانيا تؤكد بأن الإيطاليين والألمان هما السادة المسيطرون عليه في الوقت الحاضر. وسجل هذا الانتقاد رغبة بعض أعضاء مجلس العموم بتغيير الحكومة البريطانية[٣].

وقد قامت الغواصات الإيطالية بمحاولة إغراق السفن التي تحمل المساعدات للجمهوريين الأسبان في البحر المتوسط[٤]. وهوجمت سفن حربية بريطانية بواسطة

١- Hurwitz, The Middle East and North Africa in World Politics, Vol 2, P. 509.

٢- عبد الحميد البطريق: التيارات السياسية، ص٣٥١.

٣- Wiener, Joel H, Great Britain: Foreign Policy and Span of Empire 1689 -1971, Vol II, P.P. 1005, 1007.

٤- تايلور: أصول الحرب العالمية الثانية، ص١٥٢.

طائرات وغواصات إيطالية كانت تشارك في الحرب الأهلية الأسبانية، فقررت كلا الحكومتين البريطانية والفرنسية في أوائل شهر سبتمبر ١٩٣٧م إلى دعوة دول البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود إلى اتخاذ إجراءات مشتركة ضد التهديد الذي تتعرض له سفنهم التجارية والحربية (وسموا ذلك بالقرصنة)، وتم الاجتماع في مدينة نيون Noyn.

وقد رفضت كل من ألمانيا وإيطاليا حضور المؤتمر، وقد اتخذ المؤتمر في ١٤ سبتمبر ١٩٣٧م إجراءات للدفاع عن طريق الملاحة وتدمير الغواصات والطائرات التي تقوم بالقرصنة على البحر المتوسط[١]. وقد عملت الدوريات البريطانية- الفرنسية المشتركة ضد الغواصات، تحمل أوامر صريحة وصارمة لإغراق كل غواصة تقابلها. وكان لهذه الإجراءات أثر قوي في توقف الهجمات على السفن البريطانية والفرنسية وغيرها في البحر المتوسط[٢].

وقام السيد انتوني إيدن وزير الخارجية البريطاني بوضع خطة لإحكام السيطرة البحرية البريطانية حول أسبانيا، إلا أن السير صموئيل هور وزير البحرية عارض المشروع رغم أنه حاز على موافقة بلدوين وهاليفاكس[٣].

وعلى الرغم من أن كل الجهود التي بذلتها بريطانيا وفرنسا في سبيل منع التدخل في الحرب الأهلية الأسبانية لم يؤد إلى نتيجة حاسمة أمام المساعدات الألمانية — الإيطالية والسوفيتية، و لم يؤد اتفاق الجنتلمان إلى النتيجة التي كان يرجوها البريطانيون في إبعاد إيطاليا عن ألمانيا. مما أدى إلى إعادة المباحثات بين الحكومتين الإيطالية والبريطانية تمهيداً للوصول إلى اتفاق أقوى يؤكد على مبدأ سياسة التهدئة التي سعت إليها حكومة تشمبرلن لاحتواء سوء الأوضاع السياسية في أوروبا وتأثيرها على مصالح بريطانيا في البحر المتوسط والعالم العربي، الذي قد يؤدي إلى صدام وحرب أوروبية أخرى. فسعت بريطانيا إلى سياسة توثيق تحالفها مع فرنسا بعد أن أشرف على الانهيار وإلى البدء بإعادة

١- جرانت و تمبرلي: أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين، جـ٢، ص ص٤٠٠، ٤٠١.

٢- عبد الحميد البطريق: التيارات السياسية، ص٣٦٤.

٣- ونستون تشرشل: المذكرات، جـ١، ص١٤٠.

استعدادها الحربي، وقدم تشمبرلن إلى مجلس العموم البريطاني في ١٧ فبراير عام ١٩٣٧م طلباً برصد أربعمائة مليون جنيه إسترليني للإنفاق على إعادة تسلح بريطانيا، على أن يرتفع هذا المبلغ إلى ألف وخمسمائة مليوناً في خمس سنوات يستخدم لزيادة التسلح، وصرح بضرورة قيام تحالف دفاعي مع فرنسا[١].

وقد أطلق إيدن على عام ١٩٣٧م/١٣٥٦هـ عام المشاكل العالمية والفرص العالمية، نتيجة لتطور الأحداث الأوروبية وتزايد مطامع هتلر وموسوليني بالإضافة إلى استمرار الحرب الأهلية الأسبانية، حيث تخوف إيدن من أن تتسع دائرة الحرب وتدخل أوروبا في دوامتها، فهناك من وجهة نظر إيدن حالة اضطراب قوية في أوروبا دون أن يكون هناك حرب حقيقية[٢].

وفي إطار سعي الحكومتين البريطانية والإيطالية للتوصل إلى تفاهم حول مصالحهما، سعى تشانو وزير الخارجية الإيطالي إلى التفاهم مع بريطانيا، فكتب إلى جراندي السفير الإيطالي في لندن في ١٦ فبراير ١٩٣٧م "بأنه قد حانت الفرصة الأخيرة للاتفاق مع بريطانيا". فرحب جراندي بذلك وأبلغه لتشمبرلن رئيس الحكومة البريطانية الذي رحب به بدوره، إلا أن مستر أنتوني إيدن وزير الخارجية عارض أي تنازل آخر لصالح إيطاليا، وبدأت أزمة داخل الحكومة البريطانية إزاء رؤية كل منهما للأحداث، إذ كان إيدن قد اختلف مع تشمبرلن على عدة قضايا سياسية من أهمها، أولاً: أن تشمبرلن رفض دون استشارة إيدن أو الحكومة البريطانية اقتراحاً من الرئيس الأمريكي روزفلت* قدم في يناير ١٩٣٨م/١٣٥٧هـ لعقد مؤتمر عالمي لمناقشة القضايا الهامة في العالم سواء في أوروبا أو الشرق الأقصى** لإيجاد تسوية عامة. حيث رأى إيدن بأن ذلك سيضم الولايات المتحدة للمشاركة في الأزمات الدولية إلى جانب الدول الغربية، فيما خشي

١- فيشر: تاريخ أوروبا، ص٦٥٤.

٢- Wiener Joel H, Great Britain: Foreign Policy and The Span of Empire 1689-1971, Vol II, P.P. 993, 994.

* فرانكلين ديلانو روزفلت (١٨٨٢-١٩٤٥): الرئيس ٣١ للولايات المتحدة الأمريكية، بدأت رئاسته عام ١٩٣٣م، أعيد انتخابه للمرة الثالثة عام ١٩٤٠م، ساعد على وقوف الولايات المتحدة إلى جانب بريطانيا أثناء الحرب العالمية الثانية، عمل على سيادة السلام الدائم بواسطة الأمم المتحدة، مات فجأة في ١٩٤٥م. - الموسوعة العربية الميسرة، ص٨٩٢.

** سبق أن عُقد مؤتمر بروكسل بين الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية لمناقشة مسألة الشرق الأقصى بعد الحرب اليابانية - الصينية عام ١٩٣٧م، حيث هددت المصالح البريطانية في شنغهاي وهونغ كونغ، فيما أراد الأمريكان مساعدة الصين ومراعاة الأمور المادية والمعنوية.

تشمبرلن من تكرار مؤتمر بروكسل حيث كانت أمريكا تطرح مبادئ معنوية تفرض على بريطانيا وفرنسا الاستجابة لها مما يتعارض مع مصالح بريطانيا. ثانياً: أن إيدن رفض منح إيطاليا أي تنازل ومهادنة أخرى دون أن ينفذوا وعودهم بسحب جنودهم ومتطوعيهم من الحرب الأسبانية[١].

فكان إيدن يرى بأن أي مباحثات مع إيطاليا يجب أن يكون جزءاً من تسوية عامة تشمل البحر الأبيض المتوسط بكامله بما في ضمنه أسبانيا، وأن يتم على أساس من التفاهم الوثيق مع فرنسا، وأنه يجب أن يكون إعتراف بريطانيا بمركز إيطاليا في الحبشة، وسيلة مهمة للمساومة معها في أثناء المفاوضات لإجراء التسوية وعارض بشدة أن يكون ذلك أساساً لبداية المفاوضات[٢]. فيما كان تشمبرلن مستعداً للتسامح مع نصر تحققه إيطاليا في أسبانيا إذا ما استطاع البريطانيون أن يكسبوا المساندة الإيطالية لجعل هتلر معتدلاً ومستعداً لاعتراف بريطانيا باحتلال إيطاليا للحبشة[٣].

وتأزم الوضع في ١٨ فبراير ١٩٣٨م عندما اجتمع تشمبرلن وإيدن بالسفير الإيطالي في لندن، حيث رفض السفير البحث أولاً: في موقف بلاده من الأزمة النمساوية وتدخل هتلر في النمسا، وثانياً: في مناقشة سحب المتطوعين الإيطاليين من أسبانيا، وطلب بأن تبدأ المباحثات العامة في روما على هذا الأساس فوافق تشمبرلن وعارض إيدن بشدة، وبعد عدة مباحثات قدم إيدن استقالته من الوزارة بإعلانه بأنه لا يقبل أن تدور المحادثات مع إيطاليا في هذه المرحلة وفي هذه الظروف، فقُبلت استقالته، وعُين اللورد هاليفاكس خلفاً له[٤].

١- تايلور: أصول الحرب العالمية الثانية، ص١٧٠.

٢- ونستون تشرشل: المذكرات، جـ١، ص١٣٩.

٣- تايلور: أصول الحرب العالمية الثانية، ص١٧١.

٤- ونستون تشرشل: المذكرات، جـ١، ص١٤٥.

ويؤكد ونستون تشرشل* على أثر اختلاف شخصيتي إيدن وتشمبرلن على رؤيتهما السياسية، ويرى بأن هذا الخلاف بدأ ضعيفاً ثم تعمق تدريجياً بسبب توجه سياسة تشمبرلن نحو سياسة التهدئة والتفاهم مع الديكتاتوريين الأوروبيين هتلر وموسوليني، وعند تأزم الأوضاع في أوروبا اشتد هذا الخلاف ووصل قمته التي أدت إلى استقالة إيدن وعُين اللورد هاليفاكس الذي كان يشارك تشمبرلن في توجيهاته السياسية[(١)].

وقد ألقى أنتوني إيدن Anthony Eden لإيضاح استقالته من وزارة الخارجية خطاباً في مجلس العموم البريطاني في ٢١ فبراير ١٩٣٨م أوضح فيه جهوده لتحسين العلاقات مع إيطاليا منذ عام ١٩٣٧م، وجهوده لحل المشكلة الأسبانية، وتطور الأوضاع في غرب البحر الأبيض المتوسط وتزايد النفوذ الإيطالي في المنطقة، وأثر الدعاية الإيطالية على بريطانيا. وذكر بأن الغرض الأساسي للحكومة البريطانية من المحادثات مع الحكومة الإيطالية هو الوصول إلى حالة من التهدئة تسود البحر الأبيض المتوسط بشكل عام. وعلى الرغم من وعود الحكومة الإيطالية بسحب قواتها من أسبانيا منذ بدء المحادثات البريطانية — الإيطالية، إلا أنها لم تُنفذ. وكذلك شرح تطور الأحداث الدولية في عام ١٩٣٨م حيث انتهكت المعاهدات الدولية وأنه كان يهدف إلى تشجيع إيطاليا للتوصل إلى اتفاقية للبحر المتوسط لإشاعة الهدوء، وشدد بأنه لابد من تحقيق نجاح بشأن المسألة الأسبانية وسحب القوات الإيطالية والألمانية منها قبل بدء المحادثات مع الحكومة الإيطالية في روما.

وتطرق في خطابه إلى الاختلاف في السياسة والطريقة فيما بينه من جهة وبين السيد رئيس الوزراء تشمبرلن وبعض معاونيه من جهة أخرى حول أسس المفاوضات بين الحكومتين البريطانية والإيطالية، وأن استقالته قد تسهل هذه المفاوضات، وأن هذا

* ونستون ليونارد سبنسر تشرشل (١٨٧٤-١٩٦٥م): سياسي ورجل دولة بريطاني مخضرم، بدأ حياته العملية في الخدمة العسكرية في الهند وكوبا والسودان عام ١٨٩٥، انتخب نائباً عن حزب المحافظين في البرلمان، ثم انضم إلى حزب الأحرار، تقلب في المناصب الوزارية، من أهمها وزير المستعمرات حتى عام ١٩٢٢م، عند نشوب الحرب العالمية الثانية عين وزيراً للبحرية، ثم رئيساً للوزراء، فشل حزبه في الانتخابات عام ١٩٤٥م، تقاعد عن البرلمان والحياة السياسية عام ١٩٦٤م. - الموسوعة السياسية، جـ١، ص٧٤١.

١- ونستون تشرشل: المذكرات، جـ١، ص١٣٨.

الاختلاف الجوهري بينهما في الرؤية والمنهج حول الطريقة التي يراها كلاً منهما للمفاوضات مع إيطاليا.

وفي رأيه بأن الموقف وصل إلى حد بأن الآخرين (يقصد الإيطاليين) يضعون الشروط لنا بدلاً من أن نضع شروطاً لهم، وهو أمر لم يكن مقبولاً في السابق وأن هذا لن يحقق في رأيه نجاحاً في سياسة التهدئة في أوروبا على ضوء الأحداث الأخيرة[١].

وقيل إن تشمبرلن أجبر إيدن على الاستقالة بناء على طلب إيطاليا لمعارضة سياسة إنجلترا تجاهها في إطار مسالمة تشمبرلن لموسوليني، حيث سجل كليمنت اتلي زعيم المعارضة في مجلس العموم البريطاني في ٢١ فبراير سنة ١٩٣٨م "أنه يكفي أن يطلب موسوليني طرد أي وزير إنجليزي من منصبه فيطرد على الفور"[٢].

ويبدو من خطاب إيدن بأن الاختلاف بين إيدن وتشمبرلن هو الذي أدى إلى استقالة إيدن، وإن كان المحور الأساسي هو الاختلاف حول المسألة الأسبانية والبحر المتوسط والسياسة تجاه إيطاليا، إلا أنها تُظهر التباين في رؤى كل منهما حول مجموعة من الشؤون الدولية، وإن اختلافهما حول المباحثات مع إيطاليا هو الذي أوصل الاختلاف إلى ذروته باستقالة إيدن، بالإضافة إلى ما صرح به اتلي في مجلس العموم البريطاني.

وقام هاليفاكس إثر تسلمه وزارة الخارجية ببدء المحادثات البريطانية — الإيطالية للتوصل إلى اتفاق أو معاهدة، وتركزت المباحثات على قبول الشروط الإيطالية بالاعتراف بإمبراطوريتهم ونفوذهم في الحبشة، وأن يتفاهم الطرفان حول إعطاء إيطاليا تسهيلات في النفوذ في البحر المتوسط، وسعى جراندي إلى عدم إثارة المسألة النمساوية في المباحثات ليكون اتفاق إيطاليا وبريطانيا يختص بالبحر المتوسط والمستعمرات دون تناول القضايا الأوروبية، حيث كان الإيطاليون يُطلعون ألمانيا على مستجدات المباحثات ويؤكدون على أن التقارب والتفاهم مع بريطانيا لن يكون على حساب العلاقات

١- Joel H Wiener, Great Britain: Foreign Policy and The Span of Empire 1689-1971, Vol II, P.P. 1011, 1012.

٢- مصطفى الحفناوي: قناة السويس، جـ٢، ص٤١٠.

الوطيدة بين الألمان والإيطاليين[١]. يدفعها إلى ذلك السعي للحفاظ على مصالح الدولتين في البحر المتوسط والعالم العربي، بالإضافة إلى التقاء رغبة الدولتين في وسط تأزم الأوضاع الأوروبية، وقيام هتلر بتهديد تشيكوسلوفاكيا.

بنود الاتفاقية:

شارك في المباحثات التي استمرت من ٨ مارس إلى ١٦ أبريل ١٩٣٨م/١٣٥٧هـ لعقد الاتفاقية سعادة اللورد إيرل بيرث سفير بريطانيا فوق العادة والمفوض لدى روما، والكونت جاليزو تشانو وزير الخارجية الإيطالي، ومن أهم الموضوعات التي اهتم البريطانيون بطرحها أثناء مباحثاتهم مع الإيطاليين هي:

١- البحر الأبيض المتوسط: حيث أخذ البريطانيون في اعتبارهم مصالح فرنسا أثناء محادثاتهم في روما مع الحكومة الإيطالية خاصة عند مناقشة الوجود العسكري الإيطالي المتزايد في ليبيا وأسبانيا.

٢- أسبانيا: حيث سعت بريطانيا إلى التفاهم مع إيطاليا حول دعم سياسة عدم التدخل في شؤون أسبانيا، وسحب إيطاليا قواتها من الأراضي الأسبانية، وتزايد القوات الإيطالية في ليبيا مما يهدد فرنسا في تونس والنفوذ البريطاني في مصر.

٣- عصبة الأمم: حيث سعت بريطانيا إلى مناقشة عودة إيطاليا إلى عصبة الأمم وربطتها بعودة ألمانيا.

٤- النفوذ الإيطالي في أثيوبيا: حيث أكد القائم بالأعمال في السفارة الإيطالية في مذكرة مؤرخة في ٢٣ ديسمبر ١٩٣٧م: "أن مشكلة العلاقات بين الحكومة الإيطالية وبريطانيا العظمى يجب أن يحل كلياً وليس جزئياً" وقد وضع الجانب البريطاني مسألة الاعتراف بسيادة إيطاليا على أثيوبيا سيعطي ضماناً لبدء المفاوضات مع إيطاليا وذلك في ظل تشدد موسوليني على إدراج ذلك ضمن بدء المحادثات.

١- تايلور: أصول الحرب العالمية الثانية، ص١٧٢.

وعلى الرغم من أن بريطانيا اعتبرت أن الغزو الإيطالي للحبشة مسألة أخلاقية إلا أن الحكومة البريطانية سعت إلى إزالة جميع العوائق عن طريق مناقشة سيادة إيطاليا على الحبشة، وهو أمر كانت بريطانيا تعلم بأن الفرنسيين لا يمتلكون الفرصة لاستخدام الاعتراف بسيادة إيطاليا على الحبشة كأداة لضمان حل المسائل التي تهم المصالح الفرنسية بشكل خاص.

٥- الاتفاقية البحرية: حيث سعت بريطانيا إلى إيجاد وسيلة لربط إيطاليا باتفاقية لندن البحرية في عام ١٩٣٦م والتي شاركت إيطاليا في مباحثاتها ولكن رفضت التوقيع عليها في آخر لحظة، وأن ذلك سينتج عنه فوائد كبيرة، حيث سيكون هناك منع تكتيكي لتدفق السلاح والعتاد الحربي لأي قوى خارجية، وبشكل خاص أسبانيا. ورأى البريطانيون إرجاء مسألة التبادل الاقتصادي بين الجانبين إلى حين عقد المعاهدة، وأن تكون مسألة طبيعية خلال سياق الأحداث وأن إيجادها منذ البداية قد يربك المحادثات بين الطرفين.

٦- الدعاية الإيطالية: وقد يكون هذا الموضوع الأكثر أهمية لبريطانيا على الإطلاق إذ كان من أبرز الشكاوي ضد إيطاليا، التي كانت تندد سراً وعلانية بالسياسة البريطانية، وقد ظهر رأيان بريطانيان حول الكيفية التي تتبع لضمان إيقافهما، فهناك من يرى بأنه يجب أن تكون جزءاً لا يتجزأ من المحادثات مع الحكومة الإيطالية، ويجب أن لا تعقد اتفاقية مع الإيطاليين حتى يجدوا طريقة مرضية لضمان إيقافها. وهناك آخرون يرون بقاءها وعندما تبدأ المحادثات ستموت هذه الدعاية من تلقاء نفسها، وأنه لا داعي لوضعها في أجنده المحادثات حتى تبدأ هذه المحادثات. فيما رأى اللورد بيرث أنه عند بدء المحادثات فيجب على الدعاية المضادة لبريطانيا في التوقف، وبالتالي فإن الكونت تشانو سيأخذ الخطوة لوقف الدعاية في كل من إذاعة باري والصحافة الإيطالية.

ولعل موضوع الدعاية كان من أهم الموضوعات التي رغبت بريطانيا في التوصل إلى اتفاق حولها مع الحكومة الإيطالية.

٧- مواضيع تتعلق بالشرق الأوسط:

١/ الجزيرة العربية: حيث سعت الحكومة البريطانية خلال المحادثات إلى التوصل مع الحكومة الإيطالية حول الجزيرة العربية، وألا تكون لأي قوة أوروبية وبشكل خاص إيطاليا أي وجود على ساحل الجزيرة العربية للبحر الأحمر، وأكدت بأنه ليس لبريطانيا أي مطامع خاصة بالجزيرة العربية، أو فيما يختص بالجزر الموجودة في البحر الأحمر حيث تتبع أمورها حسب معاهدة لوزان التي تركت فيها أمور السيادة عليها مفتوحة بما يوفر الاستقرار في المنطقة[١].

وقد تناولت محاضر الاجتماعات من المحادثات البريطانية – الإيطالية حول الشرق الأوسط التي شارك فيها جورج رندل* George W. Rendel عدة موضوعات فاختص الاجتماع الأول الذي عقد في ١٥ مارس ١٩٣٨م/١٣٥٧هـ وضم بالإضافة إلى رندل، بوتي Buti وجوارناسكيلي Guarnaschalli من الجانب الإيطالي، حيث تناولا الوضع في شبه الجزيرة العربية واليمن وحضرموت، وأكد الطرفان على الاستقلال التام لكل من المملكة العربية السعودية واليمن، وناقشا الأوضاع في جزر كمران، حيث أشار الإيطاليون إلى انتهاج بريطانيا سياسة توسعية فيها[٢]. وفي الاجتماع الثاني الذي عقد في ١٦ مارس ١٩٣٨م، استمر الطرفان في مناقشة ما يتعلق بشبه الجزيرة العربية وتناولا الحدود في جنوب الجزيرة العربية حسب الاتفاقية الإنجليزية التركية لعام ١٩١٤م/١٣٣٣هـ التي طالب البريطانيون باعتراف إيطاليا بها[٣]. وفي ١٩ مارس

١- W.N. Medlicott, & Others. Documents on British Foreign Policy 1919-1939, No. 620, Viscount Halifax to The Earl of Perth (Rome) No. 297{R 200G/ 23/22} Secret, Freign Office, March 4, 1938, P.P. 1001, 1007.

* مسئول وزارة الخارجية البريطانية المكلف بالمشاركة في المفاوضات البريطانية – الإيطالية في روما.

٢- نسخة من محضر الاجتماع الأول من المحادثات البريطانية – الإيطالية حول الشرق الأوسط، (الملك عبدالعزيز آل سعود، الوثائق البريطانية)، جـ٦، ص٢١٧ (F.O.407/76, 15/3/1938).

٣- نسخة من محضر الاجتماع الثاني من المحادثات البريطانية – الإيطالية حول الشرق الأوسط، (الملك عبدالعزيز آل سعود، الوثائق البريطانية)، جـ٦، ص٢٢١ (F.O.407/76, 18/3/1938).

١٩٣٨م سلم بوتي رندل مذكرة غير رسمية تبين أن الحكومة البريطانية اقترحت صيغة توافق الحكومتين البريطانية – الإيطالية بمقتضاها على عدم الإخلال بالوضع الراهن في شبه الجزيرة العربية على ألا تسعى أي منهما للحصول على مكانة متميزة على ساحل الجزيرة العربية المطل على البحر الأحمر مع تحفظ الإيطاليين على إدخال بعض الشروط والتعديلات على الصيغة المقترحة بما يوافق بين المركز الذي أُعطي لإيطاليا بالنسبة لجنوب شبه الجزيرة العربية في مباحثات البلدين عام ١٩٢٧م وبين مطالبة بريطانية باعتراف إيطالي بالاتفاقية الإنجليزية التركية لعام ١٩١٤م[١].

أما الجزء الثاني من الاجتماع الرابع في المحادثات في ١٩ مارس تناول الجزيرة العربية حيث طرحت مذكرة بوتي ولم ترد فيه بريطانيا الموافقة على التحفظات الإيطالية إلا بعد مناقشتها على الوزارات والإدارات البريطانية المعنية[٢]، واستمرت المحادثات في تناول موضوع الجزيرة العربية، وكان الاجتماع السابع حول التحفظات الإيطالية السابقة إلى جانب مناقشة الحرية التجارية في محمية عدن، حيث اقترح الإيطاليون بعض التعديلات التي تتعلق بحرية دخول الشركات والرعايا الإيطالية إليها، وسلامة التجار الإيطاليين بشكل دائم داخل المحمية [٣]، وبدأت محاور التقارب بين الطرفين بوضع مسودة للاتفاقية حيث تقدمت بريطانيا بمسودتها في ٢٨ مارس أما إيطاليا فقد تقدمت بمسودتها في ٣١ مارس، وهدفت إلى تجنب تعارض المصالح البريطانية والإيطالية في كل من المملكة العربية السعودية واليمن وجنوب شبه الجزيرة العربية والبحر الأحمر[٤]، وقد اتسمت الاجتماعات منذ نهاية مارس وأبريل بجهود شاقة من الجانب البريطاني أمام نظيره الإيطالي الذي يثير بعض الصعوبات أمام بعض مواد الاتفاقية المقترحة[٥]. واستمرت

١- مذكرة داخلية غير مؤرخة أعدتها وزارة الخارجية الإيطالية حول الصيغة المقترحة في شبه الجزيرة العربية، (الملك عبدالعزيز آل سعود، الوثائق البريطانية)، جـ٦، ص٢٢٢ (F.O.407/76, 19/3/1938).

٢- الجزء الثاني من محضر الاجتماع الرابع من المحادثات البريطانية – الإيطالية حول الشرق الأوسط، (الملك عبدالعزيز آل سعود، الوثائق البريطانية)، جـ٦، ص٢٢٢ (F.O.407/76, 19/3/1938).

٣- برقية هاتفية من إيرل بيرث السفير البريطاني في روما إلى الفيكونت هاليفاكس، (الملك عبدالعزيز آل سعود، الوثائق البريطانية)، جـ٦، ص٢٥٧ (F.O.407/76, 1/4/1938).

٤- مذكرة حول المحادثات البريطانية – الإيطالية بشأن الشرق الأوسط، (الملك عبدالعزيز آل سعود، الوثائق البريطانية)، جـ٦، ص٢٥٨(F.O.407/76, 3/4/1938).

٥- رسالة من جورج رندل إلى ليسي باجلي Lacy Baggallay في وزارة الخارجية، (الملك عبدالعزيز آل سعود، الوثائق البريطانية)، جـ٦، ص٢٥٩ (F.O.407/76, 4/4/1938).

المحادثات لوضع الصياغة المناسبة لمواد الاتفاقية حسب مصالحهما المشتركة في شبه الجزيرة العربية والبحر الأحمر[١]. في ظروف متردية لتلبية الرغبات لكلا الجانبين البريطاني والإيطالي[٢]، وشهد الاجتماع الحادي عشر والجزء الثاني عشر من المحادثات حول الشرق الأوسط مناقشة المسودة النهائية المقترح إبرامها بين الطرفين التي هدفت إلى تحقيق المصالح الحيوية للطرفين في البحر الأحمر والجزيرة العربية[٣].

٢/ فلسطين: حرصت حكومة بريطانيا من خلال المباحثات على الحصول على تعهد من الحكومة الإيطالية بالكف عن محاولة إحداث صعوبات للحكومة البريطانية سواء في النظام السياسي والإداري لفلسطين. على شرط أن حكومة بريطانيا مستعدة لضمان احترام المصالح الشرعية لإيطاليا في فلسطين.

كذلك فإن بريطانيا ليست مسئولة تجاه كل مناطق الانتداب الفرنسي في سوريا ولبنان، حيث كانت إيطاليا تسعى لتغييره إما بالتبديل أو الإلغاء، وأن أي محاولة من جانب إيطاليا لإثارة النزاع في المنطقة بينها وبين فرنسا سيكون له أثر في إثارة القلق في العلاقات البريطانية – الإيطالية.

٨- مواضيع تتعلق بأثيوبيا:

وهو أمر حرص البريطانيون على أن يعالجوه في ضوء الاعتراف بموافقة بريطانيا على ضم إيطاليا لأثيوبيا، وذلك للتوصل في اتفاق حول مسألة الحدود بين أثيوبيا والصومال البريطاني والسودان.

وتضمن قضايا هامة: ١- بحيرة تسانا، ٢- الحدود الحبشية – السودانية، ٣- الحدود الكينية – الحبشية، ٤- الحدود بين الحبشة والصومال الإنجليزي، ٥- الحدود بين الحبشة والصومال الإنجليزي – الإيطالي، ٦- المصالح العامة لإنجلترا في الحبشة، ٧-

---

١- مسودة الاتفاقية البريطانية الإيطالية المقترحة حول شبه الجزيرة العربية، (الملك عبدالعزيز آل سعود، الوثائق البريطانية)، جـ٦، ص٢٦١ (F.O.407/76, 7/4/1938).

٢- محضر الاجتماعات الثامن والتاسع والعاشر من المحادثات البريطانية – الإيطالية حول الشرق الأوسط، (الملك عبدالعزيز آل سعود، الوثائق البريطانية)، جـ٦، ص٢٦١، (F.O.407/76, 8/4/1938).

٣- نسخة من محضر الاجتماع الحادي عشر والجزء الثاني عشر من المحادثات البريطانية-الإيطالية، (الملك عبدالعزيز آل سعود، الوثائق البريطانية)، جـ٦، ص٢٦٣، (F.O.407/76, 9/4/1938).

المصالح الخاصة لإنجلترا في الحبشة، ٨- التنازل عن الأقاليم خارج حكم الحبشة، ٩- تسليم الفارين، ١٠- عمل المبشرين (المنصرين) في الحبشة.

وقد ركزت الحكومة مع اللورد بيرث على مناقشة القضايا السابقة حسب أهميتها حتى لا يربك المحادثات العامة، فكان من أهم القضايا التي رأت بريطانيا ضرورة ضمانه الآتي:

أ- بحيرة تانا، لأخذ الضمانات الأكيدة من الحكومة الإيطالية لاحترام حقوق بريطانيا في بحيرة تانا.

ب- قواعد التعامل التجاري لضمان فرصه للتجارة البريطانية لتأمين المؤن التي تحتاجها بريطانيا.

ج- معاملة المبشرين (المنصرين) في الحبشة، لإيجاد ضمان من إيطاليا لما وُقع عليه في العاشر من سبتمبر ١٩١٩م في سانت جيرمان Saint - Germain بما يتعلق بالمبشرين من تقديم المساعدة لأعمال التبشير بغض النظر عن الدين والجنسية.

د- تزايد الحشود العسكرية في أثيوبيا: حيث تسعى الحكومة في أثناء المباحثات لمنع تزايد الحشود العسكرية الإيطالية، وللتأكد من الضمان الذي قطعته إيطاليا على نفسها أمام عصبة الأمم في ٢٩ يونيه ١٩٣٦م "بأن إيطاليا مستعدة من جانبها بالقبول أساساً بعدم إجبار أبناء الوطن بأي واجبات عسكرية سوى الشرطة المحلية وحرس الحدود". لذلك فوضت الحكومة البريطانية اللورد بيرث للتباحث مع الحكومة الإيطالية في الأمور الحالية ومستقبل الإمبراطور هيلاسلاسي[1].

وقد أدرك الطرفان البريطاني والإيطالي حدود قوة الطرف الآخر في أثناء المفاوضات، وكان مفهوماً بأن الاتفاقية ستدخل حيز التنفيذ الفعلي بعد سحب إيطاليا لقواها المقطوعة في أسبانيا غير أن تشمبرلن أجّل من جانب واحد تنفيذ هذا الشرط، وفي نوفمبر عام ١٩٣٨م عندما أعلن أن الاتفاقية سيتم إنفاذها في هذا التاريخ. وقد حذفت

١- W. N. Medlicott, & Others. Documents on British Foreign Policy 1919-1939, No. 620, Viscount Halifax to The Earl of Perth (Rome) No. 297 (R 200G 23 22) Secret, Foreign Office, March 4, 1938, P.P. 1007, 1015.

عدة ملاحق من بنود الاتفاقية تضمنت الإعلانات الخاصة بـبحيرة تانا، والواجبات العسكرية لوطني شرق أفريقيا الإيطالية، وحرية الأديان والسلطات الدينية البريطانية في هذه المنطقة، وتبادل المذكرات حول التزام إيطاليا باتفاقية أكبر في التسلح البحري الموقعة في ٢٥ مارس ١٩٣٦م، واتفاقية السلامة وتبادل المذكرات بين المملكة المتحدة، مصر، وإيطاليا. وقد أعطى الكونت تشانو للحكومة البريطانية تطمينات ووعود شفهية فيما يخص الدعاية الإيطالية حول التراع العربي — الصهيوني، قائلاً بأن: "حكومته ستمتنع من خلق صعوبات وقلق بحكومة صاحب الجلالة في إدارة هذه الأخيرة لمشكلة فلسطين" — إلا أن إيطاليا وفي حقيقة الأمر لم توقف أبداً هذه الدعاية العدائية الإذاعية (إذاعة باري) بهدف تعظيم دورها السياسي والدعائي أمام ألمانيا النازية — وقد أكدت الاتفاقية على الرغبة الصادقة لوضع العلاقات بين البلدين على أسس صلبة ودائمة، إسهاماً منها لإحلال السلام والأمن[١].

الاتفاقية:

وقد قام اللورد بيرث والكونت تشانو بصياغة الاتفاقية، تضمنت بروتوكولاً وثمانية ملاحق وتبادل للمذكرات[٢]. واعتبرت البيانات الملحقة بالاتفاقية كأداة منفصلة ومستقلة بذاتها:

١ – إعادة التأكيد على إعلان الثاني من يناير عام ١٩٣٧م الخاص بالبحر الأبيض المتوسط والمذكرات المتبادلة في ٣١ ديسمبر ١٩٣٦م.

٢ – الاتفاقية الخاصة بتبادل المعلومات العسكرية.

٣ – الاتفاقية الخاصة ببعض المناطق في الشرق الأوسط.

٤ – البيان الخاص بالدعاية.

٥ – البيان الخاص ببحيرة تانا (تسانا).

١- Hurewitz, The Middle East, Vol 2, P.P. 522, 523.

٢- Hardy G. M. Gathorne: A Short History of International Affairs 1920-1939, P. 408.

٦- البيان الخاص بالواجبات العسكرية لوطنيي شرق أفريقيا الإيطالية.

٧- البيان الخاص بحرية الأديان، ومعاملة الهيئات الدينية البريطانية في شرق أفريقيا الإيطالية.

٨- البيان الخاص بقناة السويس.

وقد اتفقت الحكومتان على إبقاء هذه البنود دون سريان لموعد تحدده الدولتان، وفي حالة رغبة أي من الحكومتين تغيير إحدى هذه البنود أو مراجعته فتتقدم للتشاور مع الحكومة الأخرى في هذا الأمر.

كما اتفقت الحكومتان على أن تستمر المفاوضات بينهما مفتوحة بعد سريان هذه البنود وتدعى فيها الحكومة المصرية للمشاركة في المسائل التي تختص بمصر أو السودان (البريطاني — المصري) مع رؤية خاصة للاتفاقية الخاصة بالحدود بين السودان، كينيا، وأرض الصومال البريطاني من جانب وشرق أفريقيا الإيطالي من جانب آخر، والمسائل الأخرى التي تؤثر على:

أ- المصالح الإيطالية من جهة والمصالح البريطانية، المصرية السودانية من جهة أخرى في الأراضي المذكورة أعلاه.

ب- العلاقات بين هذه الأراضي، كما تشتمل هذه المفاوضات أيضاً مسألة العلاقات التجارية بين السودان وشرق أفريقيا الإيطالي.

وأيضاً تم الاتفاق على أن تأخذ المفاوضات بين الحكومتين مجراها حول مسألة العلاقات التجارية بين شرق أفريقيا الإيطالي والمملكة المتحدة، الهند، والمستعمرات البريطانية والمحميات والأراضي المدارة بواسطة حكومة المملكة المتحدة بما في ذلك موضوع تطبيق البنود التي تم إبرامها على كل من شرق أفريقيا الإيطالي لمعاهدة التجارة والملاحة الموقعة في روما في ١٥ يونيو ١٨٨٣م/١٣٠١هـ، وعكس ذلك

رغبة الحكومتين لإجراء المزيد من العلاقات التجارية بين هذه المناطق لضمان تسهيل التجارة بينهما.

وقد تضمنت المعاهدة ثمانية ملاحق:

الملحق الأول: حيث أعادت الحكومتان تأكيد إعلان ٢ يناير ١٩٣٧م حول البحر المتوسط والمذكرات المتبادلة بين الطرفين في ٣١ ديسمبر ١٩٣٦م والمتعلقة بالوضع الراهن في غرب البحر المتوسط.

الملحق الثاني: تضمنت اتفاقية تبادل المعلومات العسكرية: اتفقت من خلالها الدولتان على تحديد شهر يناير من كل عام ليتم تبادل معلومات عكسية بينهما حول القوى البحرية والعسكرية والحيوية في لندن وروما بشأن أي تحركات إدارية ورئيسية منظورة أو إعادة توزيع لقواهما البحرية أو العسكرية أو الجوية، وأن هذا التبادل في المعلومات سيحدث على اعتبار القوات المتمركزة أو الموجودة على:

١- مواقع أعالي البحار لكلا الطرفين (بما في ذلك الأراضي المدارة أو المحمية) في أو على سطح البحر المتوسط، البحر الأحمر أو خليج عدن.

٢- الأراضي الموجودة في أفريقيا غير التي ذُكرت في الفقرة (١)، والتي تقع في المنطقة المتحدة من الغرب بخط الطول ٢٠ْ شرقاً ومن الجنوب بخط العرض ٧ْ جنوباً.

وألا يعيق تبادل هذه المعلومات الاتصالات العادية للمعلومات العسكرية الإمدادية والتي اعتبرها الطرفان ممكنة في ظل الظروف السياسية الراهنة.

كما اتفقت الحكومتان على إعلام كل منهما للأخرى مقدماً بالقرارات الخاصة ببناء قواعد بحرية أو جوية جديدة في البحر المتوسط شرقي خط الطول ٩٩ شرقاً، وفي البحر الأحمر، أو ما يقترب من تلك المواقع.

الملحق الثالث: وهو يختص بالمنطقة العربية، أكدت فيه الحكومتان على رغبتهما بأن لا تتعارض سياساتهما في منطقة الشرق الأوسط المشمولة في هذه الاتفاقية، كما أملتا بروح الصداقة التي أكدتها هذه الاتفاقية على الآتي:

البند (١): لا يقوم أي من الطرفين بإبرام أي اتفاقية أو إجراء أي عمل من شأنه أن يفسد استقلال أو سيادة السعودية العربية أو اليمن.

البند (٢): يتضمن ألا يقدم أي من الطرفين بالحصول أو السعي للحصول على امتياز سياسي في أي من الأراضي، والتي تتبع السعودية العربية أو اليمن في الوقت الراهن أو في الأراضي التي يمكن لأي من هاتين الحكومتين اكتسابها بمنصوص هذه الاتفاقية.

البند (٣): أكدت على التزام الدولتين الكامل بـ البندين (١)، (٢)، (السابقين) وأن من مصلحتيهما ألا تكتسب أي قوة أخرى أو تسعى لكسب سيادة أو امتياز سياسي في أراضي تقع ضمن أراضي السعودية العربية أو اليمن أو يمكن أن تكتسبها أي من هاتين الدولتين بخصوص هذه الاتفاقية، بما في ذلك الجزر الواقعة في البحر الأحمر والتي تخلت تركيا عن حقوقها عليها حسب البند رقم (١٦) في اتفاقية السلام الموقعة بلوزان في سويسرا ٢٤/يوليو ١٩٢٣م، وأكد الطرفان وبناء على مصلحتيهما العامة والهامة، ألا تكتسب أي قوة أخرى أي سيادة أو أي موقع امتياز على أي جزء من ساحل البحر الأحمر، والذي يقع ضمن سيادة السعودية العربية أو اليمن أو في أي من الجزر المذكورة أعلاه.

البند (٤): يختص بالجزر الموجودة في البحر الأحمر والتي تخلت تركيا عن حقوقها فيها بموجب البند رقم (٦) لمعاهدة السلام (لوزان)، والتي لا تقع داخل حدود أي من السعودية العربية أو اليمن، يجب على الطرفين بخصوص هذه الجزر أن:

أ- لا ينشئوا عليها أي نوع من السيادة.

ب- لا ينبوا عليها أي نوع من التحصينات أو خطوط الدفاع.

ج- اتفق الطرفان على ألا يعترضا على:

(أ) وجود ضابط بريطاني في جزيرة كمران بغرض تأمين الخدمات الصحية الخاصة بالحجاج إلى مكة المكرمة، وذلك بالتطابق مع بنود الاتفاقية الموقعة في باريس في ١٩ يونيو ١٩٢٦م بين الحكومة البريطانية – حكومة بريطانيا العظمى وايرلندا

الشمالية والهند، من جانب والحكومة الهولندية من جانب آخر، كما أنه من المفهوم أن الحكومة الإيطالية يمكن أن تعين ضابطاً صحياً إيطالياً يتمركز هناك في نفس ظروف ضابط الصحة الهولندي حسب ما تنصه الاتفاقية المذكورة.

(ب) وجود ضابط إيطالي في جزر حنيش الكبرى، وحنيش الصغرى، وجبل زقر لغرض حماية الصيادين الذين يلجئون لتلك الجزر.

(ج) وجود ضابط إيطالي بجزر أبو عيل والبيك الوسطى وجبل طاير لصيانة الإضاءة على تلك الجزر.

البند (٥):

١- يتفق الطرفان على أن من مصلحتهما أن لا يتدخلا في أي صراع قد ينشأ بين كل من السعودية العربية واليمن، في إطار جهودهما لإقرار السلام في المنطقة.

٢- وأكدا على مصلحتهما بألا تتدخل أي قوة في مثل هذا الصراع في حالة نشوئه بين الدولتين (السعودية واليمن).

البند (٦): يختص بالمنطقة من الجزيرة العربية الواقعة في شرق وجنوب الحدود الحالية للمملكة العربية السعودية وحدود اليمن، وأية حدود مستقبلية يمكن ترسيمها بواسطة اتفاقية تعقد بين الحكومة البريطانية من جهة وحكومتي المملكة العربية السعودية أو اليمن من جهة أخرى.

١- تعلن الحكومة البريطانية أنه في أراضي الحكام العرب الواقعة تحت حمايتها داخل هذا النطاق:

أ- يجب ألا تقوم الحكومة البريطانية بأي تصرف من شأنه إلحاق الضرر أو الإجحاف، بأي طريقة، على استقلالية وتكامل السعودية العربية أو اليمن (والتي أكدتها المعاهدة)، وذلك في أي أراض تنتمي في الوقت الراهن لهاتين الدولتين، أو داخل أي أراض إضافية والتي قد تُعرف فيما بعد بواسطة حكومة المملكة المتحدة

على أنها أراض تنتمي لإحدى هاتين الدولتين كنتيجة لأي اتفاقية يمكن أن تُعقد بين حكومة المملكة المتحدة وحكومة أي من هاتين الدولتين.

ب- يجب ألا تقوم الحكومة البريطانية أو تتسبب بقيام أي تحضيرات عسكرية أو تدابير عسكرية، غير التحضيرات العسكرية أو التدابير العسكرية ذات الطابع الدفاعي، للدفاع عن هذه الأراضي المسماة أو للدفاع عن الاتصالات بين الأجزاء المختلفة للإمبراطورية البريطانية، كما يكون لزاماً على حكومة المملكة المتحدة ألا تدرج مواطني أي من هذه الأقاليم، أو تدفع بهم للانخراط أو الانضمام مع أي قوات عسكرية أخرى عن القوات المنوط بها فقط حفظ النظام والدفاع الداخلي.

ج- وفيما تملك حكومة المملكة المتحدة مطلق الحرية لأن تجري في هذه الأراضي الخطوات اللازمة والضرورية لحفظ النظام وتطوير الدولة فإنها يجب أن تُبقي على استقلالية الحكام العرب تحت حمايتها.

٢- تعلن حكومة إيطاليا أنها لن تسعى لاكتساب أي نفوذ سياسي في هذه المنطقة.

البند (٧): تعلن حكومة المملكة المتحدة ضمن حدود محمية عدن والمُعرفة حسب مرسوم محمية عدن لعام ١٩٣٧م، بأن يكون للمواطنين الطليان (بما في ذلك الشركات الإيطالية) مطلق الحرية لأن يأتوا بسفنهم وبضائعهم لكل الأماكن والموانئ في محمية عدن، كما يكون لهم مطلق الحرية في الدخول والسفر والسكن، والحق في عقد أي نوع من الأعمال التجارية والمهن والصناعات بشرط مراعاة اللوائح المطبقة في المحمية على مواطني وسفن الأقطار الأخرى غير الخاضعة لسيادة أو سلطان أو حماية أو انتداب صاحب ملك بريطانيا وأيرلندا، وكل الممتلكات البريطانية لما وراء البحار إمبراطور الهند.

البند (٨): ١- في حالة إعطاء أي طرف من الاثنين مذكرة للآخر تتضمن حدوث تغيير في الظروف الواقعة في زمن الاتفاقية، مثل ضرورة تعديل بعض بنود الاتفاقية، يدخل الطرفان في مفاوضات ثنائية على أمل مراجعة أو تعديل أي من بنود الاتفاقية.

٢- حُددت مدة الاتفاقية بعشر سنوات، ويمكن إنهاؤها بعد إعلام أي من الطرفين للآخر برغبته هذه. على أن يتم ذلك بعد ثلاثة شهور من التاريخ الذي أُصدر فيه*.

الملحق الرابع: البيان الخاص بالدعاية:

حيث اتفق الطرفان على إيقاف الدعاية واستغلال وسائل الرأي العام التي تفسد مصالح الطرفين، وتعتبر محاولة تُناقص جوهر الاتفاقية – الحالية – من أجل التقريب بين حكومتي وشعبي الدولتين. ...

الملحق الثامن: البيان الخاص بقناة السويس:

أكدت الحكومتان على رغبتهما الدائمة باحترام والالتزام ببنود الاتفاقية التي تم توقيعها في مدينة القسطنطينية في ٢٩ أكتوبر ١٨٨٨م، والتي ضمنت لكل القوى حرية استخدام قناة السويس في جميع الأوقات (السلم والحرب)[١].

ويتضح من مذكرة وزارة الخارجية لتحليل الاتفاقية البريطانية الإيطالية الخاصة بمناطق الشرق الأوسط، حرص بريطانيا على أهمية البحر الأحمر لمصالحها، وحرصها على أراضي الدول المستقلة في شبه الجزيرة العربية وتخص بذلك المملكة العربية السعودية واليمن، كما أكدت على ما تعنيه الاتفاقية بالنسبة للمنطقة البريطانية في جنوبي شبه الجزيرة العربية وجزر البحر الأحمر[٢].

وتبادلت الحكومتان المذكرات بشأن عدد من القضايا:

- لتقوية القوات الإيطالية في ليبيا:
- مذكرة من الكونت تشانو إلى اللورد بيرث تضمنت رداً من الحكومة البريطانية على تساؤل بريطانيا حول مسألة تقوية القوات الإيطالية في ليبيا، وضح فيها بأن رئيس الدولة الإيطالية قد أعطى أوامره بتقليل هذه القوات. وقد بدأ فعلياً الترحيل

---

* انظر الملحق الثالث (نص الاتفاقية الإيطالية – البريطانية١٦ أبريل ١٩٣٨م، الملحق الثالث و الرابع و الخامس و السادس و السابع و الثامن باللغة الإيطالية)، ص ٥١٤.

١- Hurewitz, The Middle East and North Africa in World Politics, Vol 2 .P.P. 523, 526.

٢- مذكرة وزارة الخارجية البريطانية حول الاتفاقية، (الملك عبدالعزيز آل سعود، الوثائق البريطانية)، جـ٦، ص٢٧٨، (F.O.406/76,25/4/1938).

بمعدل ١٠٠٠ جندي كل أسبوع وسيستمر بذات هذا المعدل حتى يصل العدد إلى الحدود المطلوبة حين تبلغ القوات نصف عددها بنهاية التوقيع على الاتفاقية.

- رد اللورد بيرث للكونت تشانو يبلغه بترحيبه برغبة رئيس الحكومة الإيطالية، وأنه سينقل ذلك لحكومة صاحب الجلالة في المملكة المتحدة.
- وتبادل الطرفان مذكرات تحمل تطمينات من إيطاليا حول سياستها في أسبانيا، والأملاك الأسبانية فيما وراء البحار، والمنطقة الأسبانية في المغرب، ورغبات المملكة المتحدة الخاصة بإيضاح موقف أعضاء عصبة الأمم من المسألة الأثيوبية.
- مذكرة من الكونت تشانو إلى اللورد بيرث:

تضمنت تأكيد الحكومة الإيطالية على تطميناها للحكومة البريطانية بشأن سياستها في علاقتها بأسبانيا:

أولاً: تأكيد الالتزام الكامل بصيغة المملكة المتحدة بإجلاء المتطوعين الأجانب في أسبانيا، وتتعهد بإجراء تطبيق عملي وواقعي لهذا الإجلاء في اللحظة والظروف التي سيتم تحديدها بواسطة اللجنة المحايدة المكونة على أساس الصيغة المذكورة.

ثانياً: إعادة التأكيد بأنه في حالة إذا لم يتم الإجلاء في لحظة انتهاء الحرب الأهلية الأسبانية، فإن كل المتطوعين الإيطاليين المتبقين هناك سيتم نقلهم فوراً من الأراضي الأسبانية، كما سيتم ترحيل كل آلة الحرب الإيطالية في ذات الوقت.

ثالثاً: التأكيد بأن الحكومة الإيطالية ليس لها أي أهداف توسعية أو سياسية، ولا تسعى لأي امتياز أو موقع اقتصادي في أو متعلق بالمدينة الأسبانية أو جزر باليري أو أي ممتلكات لأسبانيا في أعالي البحار أو المنطقة الأسبانية في المغرب، كما أكد بعدم وجود رغبة إيطالية لإبقاء قواها المسلحة في أي منطقة ذكرت سابقاً.

- مذكرة من اللورد بيرث إلى الكونت تشانو:

تتضمن الرد على المذكرة السابقة، وأكدت تفهم الحكومة البريطانية للتطمينات الإيطالية، مؤكداً على رغبة بريطانيا في استقرار الأوضاع في أسبانيا كملزم رئيسي لعقد الاتفاقية مع إيطاليا، وأكد على رغبة بريطانيا في اتخاذ خطوات في الاجتماع القادم لعصبة

الأمم بغرض إيضاح موقف إيطاليا للدول الأعضاء في العصـــبة إزاء الاعتـــراف البريطـــاني بالاحتلال الإيطالي لأثيوبيا[١].

وقد أثار عقد الاتفاقية عدداً من القوى العربية التي مستها الاتفاقية ومنها المملكـــة العربية السعودية ومصر واليمن، حيث رفضت هذه القوى أن تكون منـــاطق نفوذهـــا موضعاً تتنافس فيه الحكومتان البريطانية والإيطالية وتكونان فيه بنداً أو ملحقاً للمساومة والاتفاق والاختلاف بين بريطانيا وإيطاليا، كما سيكون لهذه الاتفاقية عدة نتائج علـــى الجانب الأوروبي إثر تدهور الأوضاع الأوروبية.

١- J. C. Hurewitz, The Middle East and North Africa in World Politics, Vol 2, P.P. 526, 527. & A.S.M.A.E. Affari Politici 1931 -1945, Egitto, Busta, N:27 (1938). Allegato 3. Accordo Italo -Britannico Nelativo Ad Alcnue Zone Del Medio Oriente.

المبحث الثاني

نتائجها ،
وموقف القوى العربية منها

أدت سياسة التهدئة التي انتهجتها بريطانيا وفرنسا لاحتـــواء تـــدهور الأوضـــاع السياسية في أوربا الذي قد يؤدي إلى صدام أو حرب أوربية أخرى في إطـــار سياســـتها للحفاظ على السلام الأوربي إلى عدة نتائج هامة، بالإضافة إلى أن عقد كل من بريطانيا وإيطاليا اتفاقية عام ١٩٣٨م/١٣٥٧هـــ في إطار سياسة التهدئة لم تؤد إلى نتائج حاسمـــة سواء بالنسبة إلى الموقف في أوربا أو في العالم العربي حيث أثارت ضدها معظم القـــوى العربية التي تناولتها الاتفاقية.

أولاً: في أوربا:

حيث تطورت الأحداث السياسية في أوربا وتوترت الأجـــواء الدوليـــة لمواجهـــة أطماع هتلر في تشيكوسلوفاكيا. فعلى الرغم من أن سياسة التهدئـــة الـــتي انتهجتـــها بريطانيا كان الهدف منها التوصل إلى تفاهم بالتفاوض مع هتلر تجاه مطالبه المتزايـــدة في أوروبا الوسطى، إلا أنها لم تجابه من جهة هتلر إلا بالتصميم والمراوغة لتنفيذ أطماعه إثر موقف فرنسا الضعيف والمتردد عن نجدة حليفتها تشيكوسلوفاكيا. فقام الملك جـــورج الخامس بزيارة إلى باريس برفقة الملكة ورئيس الحكومة تشمبرلن، ونتج عن هذه الزيارة تفويض اللورد رونسمان* Runciman في ٢٠ يوليو ١٩٣٨م بالقيام بدور الوسيط بـــين حكومة براغ والحزب النازي السوداتي، إلا أن هذه المهمة الـــتي بـــدأت في أغســـطس بتدخل هتلر في ١٢ سبتمبر بدعمه العلني لأبناء السودت وهدد باستعمال القـــوة تجـــاه تشيكوسلوفاكيا إذ لم يطبق عليهم مبدأ حق الشعوب في تقرير المصير، مما أدى إلى تزايد الوضع الداخلي تدهوراً[١].

فاقترح تشمبرلن على هتلر الاجتماع لإيجاد حل لهذه القضية وقبل هتلر، وتم اللقاء في ١٥ سبتمبر ١٩٣٨م في المقر الجبلي لهتلر في برتشســـغادن Berchtesgaden، وبحـــث

* ولتر رونسيمان (١٨٧٠-١٩٤٩ م): أحد أقطاب الشركات البحرية الإنجليزية، و سياسي كبير، شغل عدة وظائف إدارية وأنتخب عضواً بمجلس العموم، عين وزير للتجارة ١٩١٤-١٩١٦، ١٩٣١-١٩٣٧)، أرسلته الوزارة البريطانية للتوسط بين ألمانيا وتشيكوسلوفاكيا ١٩٣٨م، في مشكلة أراضي السوديت، وكانت وساطته مقدمة لإبرام اتفاقية ميونخ ١٩٣٨م. - الموسوعة العربية الميسرة، ص٨٨١.

١- رياض الصمد: تطور الأحداث الدولية، ص٢٩٣.

الطرفان الوضع، وفيما كان تشمبرلن يهدف إلى الوصول إلى تقارب بين البلدين، أكـد هتلر على انضمام الإقليم إلى ألمانيا كحل وحيد لهذه القضية[١]. وأظهر تشمبرلن بـأن هذا سيكون المطلب الأخير لألمانيا، لأن ألمانيا بذلك ستكون قد أتمت حـل مشـاكلها الحدودية مع تشيكوسلوفاكيا والدول المجاورة لها كبولونيا وبلجيكا وهولندا، وإنه إذا لم يتم ذلك فإن حل الحرب سيكون حلاً وارداً[٢].

وقد كان لطلب تشمبرلن لقاء هتلر في برتشغادن في هذه الظروف أثر كبير علـى هتلر الذي كان متخوفاً من موقف بريطانيا وفرنسا إزاء مطالبـه في تشيكوسـلوفاكيا، فكان اللقاء تأكيداً لاعتقاد هتلر بأن بريطانيـا وفرنسـا لـن تتـدخلا دفاعـاً عـن تشيكوسلوفاكيا، حيث استطاع الاتفاق مع تشمبرلن على تسوية القضية سلمياً، وهـو الأمر الذي اعتبره هتلر استسلاماً لتحقيق أطماعه ونتج من ورائه تشدد مواقـف هتلـر السياسية القادمة أمام سياسة السلم التي قدمها له تشمبرلن في القضية التشيكية فطبقهـا لتحقيق أطماعه التالية[٣].

وبعد اللقاء عاد تشمبرلن إلى لندن لمشاورة حكومته وفرنسـا، حيـث أن كـلا الدولتين البريطانية والفرنسية كانتا غير مستعدتين للحرب فتقدمتا في ١٩ سبتمبر بمذكرة مشتركة لحكومة براغ باتخاذ موقف الاعتدال وضرورة التنازل لألمانيا عن المناطق الـتي يسكنها أكثرية ألمانية. وعلى إثر رفض حكومة براغ الاستجابة لهذه المـذكرة، تقـدمتا بمذكرة ثانية في ٢١ سبتمبر أوضحتا عدم مقدرتهما على تقديم المساعدة لهـا في حالـة وقوع حرب بينها وبين ألمانيا[٤]، فوافقت الحكومة على ذلـك ممـا أدى إلى تـدهور الأوضاع الداخلية إذ شهدت براغ مظاهرات نددت بحكومتها، فاسـتقالت الحكومـة وشكلت حكومة جديدة برئاسة قائد الجيش التشكيلي سروفي Sirovy[٥].

١- J.N. Medlicott, British Foreign Policy. Since Versailes 1919-1963, P. 187.

٢- رياض الصمد: تطور الأحداث الدولية، ص٢٩٤.

٣- وليام شيرر: تاريخ ألمانيا الهتلرية، جـ٢، ص ص١٩٢، ١٩٤.

٤- تايلور: أصول الحرب العالمية الثانية، ص ص٢٠٦، ٢٠٧.

٥- رياض الصمد: تطور الأحداث الدولية، ص٢٩٦.

وفي ٢٣ سبتمبر اجتمع تشمبرلن بهتلر في غودسبرغ* لإبلاغه بموافقة حكومة براغ على حل مشكلة السوديت، وفيما كان تشمبرلن يهدف إلى تجنب الحرب آنذاك فيما بلاده لم تستكمل استعدادها الحربي[١]. فوجئ بمطالب جديدة لهتلر قوبلت بالرفض من جهة بريطانيا وفرنسا، فكان رد هتلر بخطاب في ٢٦ سبتمبر تضمن إنذاراً أخيراً بأن بلاده ستدعو إلى التعبئة العامة في ٢٨ سبتمبر في حالة عدم الاستجابة لجميع مطالبه، وذكر بأن هذه القضية هي "آخر المطالب الأرضية التي تقدمت بها ألمانيا في أوربا، وإذا ما سويت هذه القضية فإن ألمانيا لا تشغل نفسها بالدولة التشيكية."[٢].

ونتيجة لتدهور الأوضاع سارعت فرنسا وبريطانيا بإعلان حالة الطوارئ واستنفرت جيوشهما وأسطولهما البحري، فيما بعث الرئيس الأمريكي روزفلت بعدة رسائل لكل من تشمبرلن وهتلر ودالادييه والحكومة التشيكية طالباً منهم استمرار المفاوضات لإيجاد حل سلمي للأزمة[٣].

فقام تشميرلن بمحاولة قبل ٢٨ سبمتبر لعقد مؤتمر دولي لإنقاذ السلام وحل الأزمة يضم الدول الأربع بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا، فوافق موسوليني على المؤتمر الذي يمنحه القيام بدور بارز في الأزمة التشيكية خاصة وأن إيطاليا لم تستكمل استعداداها الحربية، فاتصل بهتلر راجياً إياه قبول فكرة المؤتمر وتأجيل موعد التعبئة العامة، فوافق هتلر على ذلك استجابة لرغبة موسوليني وما قد يمنحه المؤتمر من موافقة على مطالبه دون اللجوء إلى الحرب، واشترط أن يتم عقد المؤتمر في اليوم التالي وأن يكون في ميونخ على الأراضي الألمانية، وألا تشارك حكومة براغ فيه، فقُبلت شروطه، وعقد المؤتمر في ٢٩ سبتمبر بحضور هتلر وموسوليني وتشمبرلن ودالادييه، وبعد عدة مفاوضات توصلوا إلى اتفاق وقعوه دون مشاورة حكومة براغ[٤].

---

* مدينة صغيرة في حوض الراين.

١- جرانت، تمبرلي: أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين، جـ٢، ص٤٢١.

٢- وليام شيرر: تاريخ ألمانيا الهتلرية، جـ٢، ص٢١٠.

٣- بيير رنوفن: تاريخ القرن العشرين، ص٤٧٢.

٤- رياض الصمد: تطور الأحداث الدولية، ص٢٩٧.

وافقت بمقتضاه الدول على ضم المناطق التي تسكنها أكثرية ألمان إلى ألمانيا على أن يغادرها غير الألمان مدة محددة، وأن يُجري استفتاء في المناطق الأخرى، وأن يكون لتشيكوسلوفاكيا السيادة على ما تبقى لها من أراض، والنظر في مطالب هنغاريا (المجر) وبولونيا (بولندا) في تشيكوسلوفاكيا في فترة ثلاثة أشهر(١).

وقد كان لاتفاقية ميونخ نتائج عديدة، حيث أن ممثلي حكومة تشيكوسلوفاكيا لم يحضروا المؤتمر، ولم يشاركوا في حل الأزمة ولا في إعطاء الموافقة على مقررات المؤتمر وإن كانوا موجودين في ميونخ(٢). وأيضاً شكلت مقررات المؤتمر ضربة قاصمة لسياسة الأحلاف التي قامت بها فرنسا بعد الحرب العالمية الأولى للدفاع عن أراضيها، ولم تستطع الوفاء بتعهداتها الدولية وأحلافها الدفاعية(٣)، كذلك أثر استبعاد الاتحاد السوفيتي من مؤتمر ميونخ إلى انقسام الجبهة المعادية للمحور، وصرح ستالين* بأن كل من بريطانيا وفرنسا في اتفاقية ميونخ بذلتا جهودهما لمصالحة هتلر في الغرب ليمارس نشاطه في الشرق ويوجه ضرباته إلى الاتحاد السوفيتي(٤).

وقد حقق هتلر في مؤتمر ميونخ نصراً دبلوماسياً حيث استطاع تحقيق أهدافه السياسية في تشيكوسلوفاكيا، وحصل من تشمبرلن ما رفض إعطائه له خلال اجتماعه في غودسبرغ وهو ما حفزه إلى تنفيذ أطماعه في أوربا معتمداً على ما فسره من ضعف موقف بريطانيا وفرنسا أمام نفوذه، وهو الذي أدى في النهاية إلى قيام الحرب العالمية الثانية. أما موسوليني فقد حقق لإيطاليا نجاحاً كبيراً في مهمة الوساطة التي قام بها في سبتمبر، واحتفظ بذلك لصداقته لألمانيا وتنفيذ رغبات صديقه هتلر، وفي ذات الوقت اعتُبر وسيطاً ناجحاً لصالح بريطانيا وفرنسا(٥).

١- R.G. D. Laffan, Survey of International Affairs 1939, (London :Oxford University Press, 1951).Vol II, P. 440.

٢- تايلور: أصول الحرب العالمية الثانية، ص٢١٤.

٣- رياض الصمد: تطور الأحداث الدولية، ص٢٩٩.

* جوزيف فساريو نفتش ستالين (١٨٧٩-١٩٥٢ م): سياسي، ودكتاتور روسي، وزعيم شيوعي، اعتنق المذهب الماركسي، أنتخب أميناً عاماً للحزب الشيوعي ١٩٢٢م بعد وفاة لينين، سيطر على الحزب الشيوعي، نصب نفسه رئيساً للوزارة بدلاً من مولوتوف في ١٩٤١م، وقائداً عاماً للقوات الروسية بعد هجوم هتلر على روسيا، حكم روسيا بيد من حديد حتى وفاته في ١٩٥٣م. - الموسوعة العربية الميسرة، ص٩٦٢.

٤- عبدالحميد البطريق: التيارات السياسية المعاصرة، ص٣٨٠.

٥- جرانت، تمبرلي: أوروبا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، جـ٢، ص٤٢٥.

وتعتبر مقترحات التسوية التي اقترحها موسوليني للوصول إلى تسوية في ميونخ، هي في حقيقتها مقترحات ألمانية نقلها إليه سفيره في برلين على اعتبار أنها تمثل رغبات الحكومة الألمانية[١]. بذلك يكون موسوليني في وساطته ومقترحاته خير حليف لهتلر في أوربا.

أما تشمبرلن فقد استمر في تنفيذ سياسة التهدئة إلى أبعد الحدود، وأصدر مع هتلر تصريحاً مشتركاً بعد توقيع اتفاقية عدم اعتداء مع ألمانيا في ٣١ سبتمبر ١٩٣٨م/١٣٥٧هـ بأن أكدا فيه على أن العلاقات البريطانية – الألمانية تعتبر من المواضيع الحيوية التي تهم البلدين بالإضافة إلى أوربا، وأن استخدام طريق التشاور هو الحل في جميع المسائل التي تهم البلدين، وعلى ضرورة إزالة أسباب الخلاف حتى يسود السلام في أوربا، وأكدا بأن هذه الاتفاقية تؤكد رغبة كلا الشعبين في عدم قيام حرب بينهما[٢].

وقد اعتبر تشمبرلن بأن هذا الاتفاق هو أقصى ما يمكن الوصول إليه في تلك الظروف، فأعلن لدى وصوله لندن "لقد جلبت لكم السلام مع الشرف"[٣]، فيما عارضه ونستون تشرشل وقال: "لقد كان على بريطانيا وفرنسا أن يختارا بين الحرب والعار. ولقد اختارا العار، ومع ذلك فإن الحرب سوف تفرض نفسها عليهما" ،كما قام مجلس العموم البريطاني بمناقشة اتفاق ميونخ لمدة ثلاثة أيام استقال على إثرها وزير البحرية المستر داف كوبر لعدم موافقته على موقف رئيسه تشمبرلن[٤]. فيما اعتبر كثيرون بأن اتفاقية ميونخ نجحت في أن تؤجل الحرب في أوروبا لمدة عام تقريباً، تميزت

١- Galezzo Ciano Diaro1937-1943, Acura DI Renzo DE Felice, Sesta Edizione, (Milano:Superbur Saggi, 2000), P. 187.

٢- وليم شيرر: تاريخ ألمانيا الهتلرية، جـ٢، ص٢٥٣.

٣- Winer, Great Britain: Foreign Policy and The Span of Empire 1689-1971, Vol II, Statement by Neville Chamberlain in The House of Commons Defending the Munich Agreement. 3 October, 1938 , P. 1026.

٤- ونستون تشرشل: المذكرات، جـ١، ص ص١٧٢، ١٧٣.

Winer, Great Britain: Foreign Policy and The Span of Empire1689-1971, Vol II, Speech by Winiston Churchill in The House of Commons Attacting the Munich Agreement. 5 October, 1938, P. 1033.

بالسلم المسلح، وقيام الدول بإكمال تسلحها[١]. وتعتبر ألمانيا وإيطاليا أكثر الدول استفادة لتقوية جيوشها تأهباً للحرب المؤجلة.

وقد قامت فرنسا بتوقيع اتفاقية مع ألمانيا مماثلة للاتفاقية البريطانية الألمانية، إلا أن هاتين الاتفاقيتين لعبتا دوراً في تفجير الوضع الأوربي بسبب التفسيرات المتضاربة لها، ففي حين أرادت بريطانيا وفرنسا من الاتفاقية توثيق علاقتهما مع ألمانيا وصيانة السلام الأوروبي، أرادت ألمانيا منها تجميد الجبهة الغربية في أوربا ريثما يستطيع استكمال مخططه في أوروبا الوسطى الشرقية[٢]. ووضع ذلك نتيجة واحدة لإخفاق سياسة التهدئة.

فقد أخذ هتلر يدعم أطماع بولونيا والمجر في تشيكوسلوفاكيا في ٢ أكتوبر من عام ١٩٣٨م/١٣٥٧هـ، وفي مارس ١٩٣٩م/١٣٥٨هـ طلب هتلر من رئيس حكومة براغ هاشا Hacha في أثناء زيارته لبرلين أن يختار بين توقيع اتفاقية تقضي بوضع بلاده تحت الحماية الألمانية أو اجتياح ألمانيا لبراغ، فاختار هاشا الاتفاقية، مما أدى إلى دخول القوات الألمانية براغ في ١٥ مارس ١٩٣٩م. وبذلك ألحق هتلر الأراضي التشيكوسلوفاكية بالريخ الألماني وأزال تشيكوسلوفاكيا عن الخارطة الأوروبية[٣].

ونتيجة لذلك انتهجت الحكومة البريطانية، بتأييد قوي من الحكومة الفرنسية سياسة جديدة، وهي سياسة المقاومة لاعتداءات هتلر، فأعلن تشمبرلن في خطاب له في ١٧ مارس ١٩٣٩م بأن "التفاوض مع هتلر أصبح مستحيلاً، لأنه لابد في النهاية من الحرب والحرب أفضل من الاستسلام". ثم أعلنت الحكومة البريطانية في ٢٣ مارس عن التزامها التام بالدفاع عن سيادة واستقلال بلجيكا وهولندا وسويسرا، في حال تعرضها لأي اعتداء خارجي. وتأكد ذلك في أوائل أبريل بتصريح ثنائي من الحكومتين البريطانية والفرنسية للدفاع عنها[٤].

١- جرانت و تمبرلي: أوروبا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، جـ٢، ص٤٢٤.

٢- نفس المرجع، جـ٢، ص٤٢٦.

٣- بيرنوفن: تاريخ القرن العشرين، ص ص٤٨٥، ٤٨٧.

٤- وليم شيرر: تاريخ ألمانيا الهتلرية، جـ٢، ص٣١٢، رياض الصمد: تطور الأحداث الدولية، ص٣٣٧.

في حين كان هتلر ينفذ أطماعه في أوربا الوسطى والشرقية، عمـد موسـوليني إلى تقوية نفوذه في جنوب أوربا فتحركت قواته الحربية في ٧ أبريل ١٩٣٩م نحـو ألبانيـا، فتمكن من السيطرة عليها بعد فرار ملكها زوغو بصحبة الملكـة إلى اليونـان، وفي ١٢ أبريل قرر المجلس التأسيسي الألباني منح تاج ألبانيا إلى الملك فكتور عمانويـل، فلُقـب الملك رسمياً "بملك إيطاليا وألبانيا وإمبراطورية أثيوبيا"[١].

وبذلك تكون إيطاليا قد ضمنت لنفسها السيطرة على البحر الادرياتيك[٢]، مما أثار خوفاً في اليونان على أن تكون أراضيها معرضة للغزو بعد البانيا، فأصـدرت بريطانيـا وفرنسا تصريحات تؤكد عزمهما على تقديم كل مساعدة وعون إذا ما تعرضت اليونـان وكذلك رومانيا لأي عدوان.

ونتيجة لتدهور الأوضاع السياسية أقدمت الحكومة البريطانية في ٢٧ أبريل علـى فرض نظام التجنيد الإجباري في بلادها، وهو ما رآه هتلر إجراءاً عدائياً موجهـاً ضـد ألمانيا فأعلن في خطاب ألقاه بمجلس الريستاغ في ٢٨ أبريل بإلغاء الاتفاقية البحرية بـين بريطانيا وألمانيا عام ١٩٣٥م/١٣٥٤هـ[٣].

وفيما واصل هتلر هجومه على معاملة البولنديين للأقلية الألمانية، ردت بريطانيا بأنها ستساند بولندا وأنها مرتبطة بالتزاماتها تجاهها، فبدأت الدبلوماسية البريطانية تعمل علـى عقد تحالفات إقليمية للتعاون والمساندة في حالة نشوب حـرب، فعمـدت إلى توقيـع اتفاقيات دفاعية مع تركيا في ١٢ مايو ١٩٣٩م/١٣٥٨هـ تعهدت الدولتان بموجبـها بتقديم المساعدة والعون في حال تعرض أحدهما لأي اعتداء خارجي، وفي ١٩ أكتـوبر ١٩٣٩م وقع كل من الفرنسيين والبريطانيين والأتراك ميثاقاً دفاعيـاً يتضـمن تقـديم المساعدة والتعاون بين الأطراف الثلاثة إذا ما تعرضت إحداهن لأي عدوان خارجي[٤]، أو في حالة نشوب حرب في شرقي البحر المتوسط.

١- فيشر: تاريخ أوروبا، ص٦٦٠.

٢- بيرنوفن: تاريخ القرن العشرين، ص٤٨٨.

٣- فيشر: تاريخ أوروبا، ص٦٦٠.

٤- رياض الصمد: تطور الأحداث الدولية، ص٣٣٩.

وقد دفع ذلك ألمانيا إلى توقيع تحالف مع روسيا في موسكو في ٢٣ أغسطس ١٩٣٩م تضمنت تعهد الطرفين بعدم وقوع اعتداء بينهما، وتضمنت ملحقاً سرياً حُدد فيه نفوذ كل منهما في دويلات البلطيق وبولندا وبسارابيا*(١). وقد اعتُبر ذلك رداً ألمانياً على الإجراءات الإنجليزية الفرنسية وإعادة تعبئتهما العسكرية، كذلك تقارب الطرفان المتحالفان ألمانيا وإيطاليا منذ عام ١٩٣٦م/١٣٥٥هـ إلى تعزيز هذا التحالف بعقد ما سُمي بـ "الحلف الفولاذي"** إثر اجتماعهما ببرلين في ٢٢ مايو ١٩٣٩م تضمن: توثيق للتعاون العسكري بينهما والتشاور السريع في حال وجود خطر يهدد السلام العالمي، والمشاركة الفعالة بكل القوى العسكرية البرية منها والبحرية والجوية، إذا ما وجدت إحداهما نفسها في وضع يُفرض عليها اتخاذ إجراءات عسكرية ضد دولة أو مجموعة دول، وألحق بالميثاق بروتوكول سري ينظم عملية التنسيق بين وسائل الإعلام والدعاية للدولتين الألمانية والإيطالية، واعتُبر ذلك تطوراً للتحالف بينهما من دفاعي إلى هجومي إذا لزم هذا التحالف كل منهما الوقوف إلى جانب حليفه والاشتراك معه في الحرب، حتى لو أن أحدهما كان البادئ بالعدوان. وهكذا ارتبطت السياسة الإيطالية بالسياسة الألمانية مما اضطرها إلى خوض الحرب حسب دخول ألمانيا لها دون النظر إلى أهمية استكمال الاستعداد الإيطالي للحرب من الوجهة العسكرية(٢).

وقد اعتبر بأن عقد ألمانيا تحالف مع روسيا في أغسطس ١٩٣٩م، يعد تناقضاً مع ميثاق الكومنترن المناهض للشيوعية الذي ضمها وإيطاليا واليابان، لذلك أصبح مؤكداً بأن هناك تحولاً في السياسة الألمانية المتجهة نحو الحرب دون النظر إلى الاختلافات السياسية بينهما(٣).

---

* أثار هذا الاتفاق أزمة بين حكومتي برلين وطوكيو، حيث قدمت حكومة اليابان احتجاجاً إلى حكومة ألمانيا على عقد الميثاق واصفة إياه بأنه "يتناقض مع ميثاق مكافحة الكومنترن نصاً وروحاً" مما أدى إلى استقالة الوزارة في اليابان وتوصلت الحكومة الجديدة إلى عقد تسوية مع السوفييت ومنغوليا واليابان في ١٥ سبتمبر ١٩٣٩م لحل مشكلة الحدود بينهما. – عبدالعزيز نوار، عبد المجيد نعنعي: التاريخ المعاصر في أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، ص٣٦٠.

١- فيلنيس سيبولز، ميخائيل خارلاموف: عشية الحرب العالمية الثانية، ترجمة: فارس غصوب، (بيروت: دار الفارابي، ١٩٧٨م)، ص٢٧٤.

** عُرف الحلف الفولاذي بـ Pact Steel, Pacte d' Aciera, Pacto Psteel.

٢- رياض الصمد: تطور الأحداث الدولية، ص ص٣٤١، ٣٤٤، تايلور: أصول الحرب العالمية الثانية، ص٢٥٥.

٣- جرانت، وتمبرلي: تاريخ أوروبا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، جـ٢، ص٤٤٠.

كانت إيطاليا ورغم توقيعها الحلف الفولاذي مع ألمانيا قلقة من خطر قيام هتلر بجر إيطاليا إلى الحرب وهي غير مستعدة بعد، وقد ذكر تشانو في مذكراته بأن إيطاليا لم تكن مستعدة للحرب آنذاك، وأنه اقترح اللقاء مع روبنتروب في برلين لتجنب الحرب. وتم اللقاء في سالزبورغ واوبر سالزبورغ في الفترة من ١١-١٣ أغسطس عام ١٩٣٩م، حيث تناولت المحادثات الأوضاع الراهنة في أوروبا، حيث كان هتلر و روبنتروب يؤكدان لتشانو أن فرنسا وبريطانيا لن تحاربا إلى جانب بولندا، وأن خطط ألمانيا للهجوم على بولندا قد تتم في أقرب وقت. وقد حاول تشانو إقناع الدوتشي بالتخلي عن ميثاق الحلف مع ألمانيا أو إلغائه، إلا أن موسوليني رغم قلقه كان لا يريد أن يُحرم من نتائج التحالف مع هتلر في الحصول على مكاسب في أوروبا.

فأرسل موسوليني رسالة إلى هتلر في ٢٥ أغسطس أوضح له فيها مناصرة إيطاليا لألمانيا إذا ما هاجمت ألمانيا بولندا، إلا أن إيطاليا لم تستكمل استعدادها البحري والبري والجوي إذا ما دخلت كل من بريطانيا وفرنسا الحرب لعدم توفر تموينالها الحربية للدخول في حرب واسعة، بسبب خسائر إيطاليا في إسبانيا، بالإضافة إلى عدم استكمال عدها العسكرية التي قد يتم عام ١٩٤٢م/١٣٦١هـ أو ١٩٤٣م/١٣٦٢هـ، وكانت رسالة موسوليني إلى هتلر غاية في الوضوح، فأرسل هتلر مذكرة إلى موسوليني يسأله فيها عن المعدات الحربية والمواد الأولية التي يحتاجها حتى تتمكن إيطاليا من دخول الحرب، فعقد موسوليني في ٢٦ أغسطس اجتماعاً في روما لإعداد قائمة بمتطلبات قادة القوات الإيطالية المسلحة، ورُفعت مذكرة بهذه المطالب إلى الحكومة الألمانية، وتبادل الطرفان المذكرات للاتفاق على التعاون بينهما(١).

وفي محاولة أخيرة ضمن مجهودات عدة من أجل السلام أرسل نيفيل تشمبرلن خطاباً شخصياً إلى هتلر في ٢٢ أغسطس ١٩٣٩م يطلب منه العمل على تجنيب أوروبا حرباً دموية، وقام مسيو دلاييه في ٢٦ أغسطس بنفس العمل، فيما توجه الرئيس

١- Galeazzo Ciano Diaro 1937 -1943. P. 326.

الأمريكي رزوفلت بنداء إلى ملك إيطاليا في ٢٣ أغسطس يطلب إليه القيام بالوساطة في النزاع المتفاقم، وفي ٢٤ أرسل نداءاً إلى هتلر والرئيس البولندي باتخاذ الوسائل السلمية لحل النزاع، فيما عرض ملك بلجيكا وملكة هولندا وساطتهما، وكذلك وجه البابا بيوس الثاني عشر نداءاً يحث فيه دول أوروبا على التمسك بالسلام(١).

أما موسوليني فقد أبلغ الحكومتين البريطانية والفرنسية في ٣١ أغسطس استعداده لدعوة مؤتمر تعقده الدول الأوروبية الكبرى للتوسط في النزاع في ٣ سبتمبر(٢).

وفيما موسوليني يسعى إلى الوصول إلى اتفاق سلمي كاتفاق ميونخ، لعدم استعداده للحرب، حاول هتلر إبقاء بريطانيا خارج الحرب، وبدأ محادثات بينه وبين الحكومة البريطانية خارج نطاق السفارة الألمانية في لندن تضمنت عرضاً ألمانياً إلى بريطانيا يتألف من ست نقاط:

١- ترغب ألمانيا في عقد ميثاق أو حلف مع بريطانيا.

٢- على بريطانيا أن تساعد ألمانيا في الحصول على دانزيغ والرواق البولندي، مع السماح لبولندا بميناء حر في دانزيغ والاحتفاظ بميناء غيدينيا على ممر البلطيق وبرواق إليها.

٣- تضمن ألمانيا الحدود البولندية الجديدة.

٤- تستعيد ألمانيا مستعمراتها القديمة أو يُعطى لها ما يعادلها.

٥- تقدم الضمانات الكافية إلى الأقلية الألمانية في بولندا.

٦- تتعهد ألمانيا بالدفاع عن الإمبراطورية البريطانية.

وقد اطلع تشمبرلن على هذه المقترحات في ٢٧ أغسطس ١٩٣٩م/١٣٥٨هـ، إلا أنها لم تؤد إلى النتائج المرجوة منها، ولم يتوصل الطرفان إلى اتفاق حول هذه النقاط(٣).

١- جرانت، تمبرلي: أوروبا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، جـ٢، ص٤٤٤،
G.M. Cathorne - Hardy, Ashort History of International Affairs 1920-1939, P. 500.

٢- Galeazzo Ciano Diaro 1937 -1943, P. 338.

٣- وليام شيرر: تاريخ ألمانيا الهتلرية، جـ٢، ص٥٢٢.

وفي ٣١ أغسطس ١٩٣٩م اقترح موسوليني عقد المـؤتمر في ٥ سـبتمبر لمراجعـة معاهدة فرساي، فرد تشمبرلن فوراً: "...إنه من المستحيل الموافقة على مؤتمر تحت تهديد تعبئة الجيوش... والشرط الأساسي في أي حالة من الحالات هو اتخاذ تدابير بإيقاف تعبئة الجيوش"(١).

كما أن القوات الألمانية ما لبثت أن دخلت بولندا في وارسو في فجـر الأول مـن سبتمبر ١٩٣٩م، فقامت كل من بريطانيا وفرنسا بإرسال تحذير إلى برلين تطلب منـها سحب قواتها الغازية من الأراضي البولندية، وأبلغت ذلك موسوليني قبل عقـد المـؤتمر الذي دعا إليه، إلا أن إعلان الحرب أصبح مؤكداً. وفي ٣ سـبتمبر أعلنـت بريطانيـا وفرنسا الحرب على ألمانيا(٢).

وقام هتلر بإرسال رسالة إلى موسوليني، يشكره فيها على محاولته الأخيرة للوساطة في القضية البولندية، وشرح فيها موقفه من خيار الحرب، وأكد فيها التقـارب الألمـاني الإيطالي خاتماً رسالته بقوله: "أرجو أن تقبل مرة أخرى شكري الصميم، يادوتشي، لكل ما قدمته إلي في الماضي من عون، راجياً أن لا تضن به علي أيضاً في المستقبل"(٣). وكان ذلك إشارة واضحة إلى تأكيد هتلر على صداقة إيطاليا وتحالفها في ظروف الحرب.

وهكذا فشلت سياسة التهدئة التي انتهجتها بريطانيا وفرنسـا لاحتـواء تـدهور الأوضاع السياسية في أوروبا، ولم تسهم سياستهما المرنة في التقرب من هتلر وموسوليني إلى تجنب الحرب، ولم تستطع الوقوف أمام مطامع هتلر في أوروبا سواء في وسط وشرق وغرب أوربا، ولم ينتج عن مؤتمر ميونخ إلا تعنت هتلر في تنفيذ رغباته وفرضـها علـى أوربا، وتأخير الحرب لمدة عام حتى تنتهي الأطراف من استعداداتها العسكرية لـدخول حرب. ولم ينتج عن سياستهما مع موسوليني في إبعاده عن التحالف مع هتلر، إذ تأكد

١- Martin Gilbert. Britain and Germany between the Wars, P. 94. & Renzo De Felice, Mussolini Il Duce 1936-1940. (Torino: Giulio Einoudi Editore, 1981). P. 666.

٢- فيشر: تاريخ أوروبا، ص٦٦٣.

٣- وليام شيرر: تاريخ ألمانيا الهتلرية، جـ٢، ص ص٦٠٧، ٦٠٨.

التحالف عند توقيع الطرفين الحلف الفولاذي بينهما في مايو ١٩٣٩م، حيث أصبح موسوليني بمقتضاه مرتبطاً عسكرياً بألمانيا عند نشوب الحرب العالمية الثانية.

ثانياً: في العالم العربي:

لم تنجح محاولة بريطانيا التقرب من إيطاليا وإخراجها من التحالف مع ألمانيا، حيث لم تؤد معاهدة أبريل ١٩٣٨م/١٣٥٧هـ، – التي عقدت بعد فشل اتفاق الجنتلمان ١٩٣٧م/١٣٥٦هـ في إبعاد إيطاليا عن ألمانيا – للأسباب المباشرة وغير المباشرة التي أدت إلى عقد الطرفين لها. فهي لم تحسم الموقف في أوربا، وكذلك لم تحسم تنافس الدولتين ومصالحهما في العالم العربي في البحر المتوسط وشرق أفريقيا، و لم تمنع القوات المسلحة الإيطالية من مساعدة الجنرال فرانكو في الحرب الأهلية الأسبانية، أو رغبة إيطاليا في تأمين إمبراطوريتها في شرق أفريقيا عبر البحر المتوسط وقناة السويس.

و لم تخدم الاتفاقية الأهداف المباشرة منها من جهة بريطانيا أو إيطاليا فإلى جانب تدهور الأوضاع في أوروبا – كما سبق ذكره – استمرت المطالب الإيطالية تأخذ شكلاً أوسع مما اتفق عليه خلال الاتفاقية، بل اتخذت مطالب إيطاليا في شمال أفريقيا شكلاً علنياً ويتجلى ذلك في خطاب ألقاه تشانو في ٣٠ نوفمبر عام ١٩٣٨م أمام مجلس الحزب الفاشي أكد فيه مطالب إيطاليا من فرنسا في البحر الأبيض المتوسط[١]. فقال:"يتحدث بعضهم عن تونس وكورسيكا فقط ويضيف آخرون نيس Nice وجيبوتي وسافوا Savoie وإدارة قناة السويس وسكة حديد جيبوتي، كل هذه الأماني جميلة ونبيلة تستحق الثناء ولها ما يبررها. هذان الاتجاهان يشكلان برنامج الحد الأدنى وبرنامج الحد الأعلى. وهناك مستويان ينبغي أن يميزا هذين البرنامجين: أحدهما يمثله العامل العرقي والروح القومية، وثانيهما يمثله عامل التوسع. وإنني أعتبر الأول ذا أولوية بعيدة لأنه أخلاقي ومنطقي. فقبل أن نضم إلى صفوفنا الزنوج والعرب في الأراضي الأفريقية يجب أن نوحد الأخوة البعيدين عن الوطن بسلسلة من الأحداث التاريخية المحزنة. صحيح إننا نجد

١- Giordano Bruno Guerri: Galeazzo Ciano Una Vita 1903-1944, (Milano: Oscar Mandadori, 2001), P. 205.

أنفسنا في وضع خاص في تونس. فالإيطاليون فيها يشكلون نحو ثلاثة أرباع السكان الأوربيين بما فيهم المتجنسين بالجنسية الفرنسية، غير أن أغلبية السكان عربية تونسية ذات رغبة واضحة في نيل الاستقلال. هذا الواقع الذي يضاف إليه التهديد الاستراتيجي الذي تشكله تونس بمالطة ولخطوط المواصلات للإمبراطورية البريطانية وللمصالح الكبيرة للدولة الحامية – يقصد فرنسا – يؤلف حجر الزاوية للمعارضة البريطانية والفرنسية لمخططاتنا الرامية إلى ضمها إلى إيطاليا. ومن المنطق أن نفكر بأن إنجلترا قد تنظر إلى إيطاليا وهي سيدة على تونس وميناء بترزت برعب وألم أكبر مما تشعر به، وهي تراها قد ثبتت أقدامها في أفريقيا الشرقية الإيطالية الواقعة على طريق الهند..."[١]، ولم تكن هذه المطالب هي مطالب شخصية لتشانو أو حزبية للفاشست بل أصبحت هذه المطالب شعبية زادت الصحافة الفاشية من قوتها.

فسارعت الحكومة الفرنسية للرد على المطالب الإيطالية، حيث قدم وزير خارجية فرنسا فرانسوا بونسيه Francois Poncet مذكرة لكونت تشانو في ١٧ ديسمبر ١٩٣٨م/١٣٥٧هـ، يوضح فيها بأن هذه المناطق فرنسية وتقع ضمن اتفاقية روما لعام ١٩٣٥م/١٣٥٤هـ المعقودة بين الحكومتين، إلا أن تشانو أوضح بأن بلاده وبعد موقف فرنسا غير الودي الذي اتخذته منها حول القضية الأثيوبية تعتبر "اتفاقية روما" بحكم المنتهية وملغاة. فأعلن رئيس حكومتها السير ادوارد دالاييه في ٢٥ ديسمبر ١٩٣٨م بأن "فرنسا مستعدة للدفاع عن كل شبر يرتفع فوقه العلم الفرنسي"[٢].

وفيما حاولت بريطانيا إزالة التوتر القائم في العلاقات بين إيطاليا وفرنسا في ظل تدهور الأوضاع في أوروبا قام تشمبرلن ووزيره هاليفاكس في يناير ١٩٣٩م/١٣٥٨هـ بزيارة لكل من روما وباريس في ١٠-١١ يناير[٣]. إلا أنها فشلت بسبب عدم تجاوب

١- علي محافظة: موقف الدول الكبرى من الوحدة العربية، ص٤٤٣.

٢- Hurwitz, The Middle East and North Africa in World Politics, Vol 2, P.P. 529, 530.

٣- Galeazzo Ciano Diaro 1937-1943, P. 238.

موسوليني للمساعي البريطانية فصرح تشمبرلن في ١٢ يناير في باريس بأن "العلاقات الفرنسية – البريطانية بنفس قوة العلاقات الإيطالية – الألمانية"[١].

وفي ٧ أبريل ١٩٣٩م دخلت القوات الإيطالية ألبانيا وأصبحت جزءاً من الإمبراطورية الإيطالية*، مما عرض منطقة البحر الأبيض المتوسط من وجهة نظر بريطانيا للخطر لتزايد نفوذ موسوليني وتهديده لليونان ورومانيا والأسطول البريطاني المرابط في المتوسط[٢]. ودفع ذلك بريطانيا وفرنسا إلى عقد ميثاقاً دفاعياً مع تركيا في ١٩ أكتوبر ١٩٣٩م للدفاع عن المنطقة في حال نشوب حرب في شرقي البحر المتوسط[٣].

وبذلك تكون سياسة التهدئة التي انتهجها تشمبرلن وأيدته فيها فرنسا قد فشلت في تحقيق أهدافها للحفاظ على السلام الأوربي وعدم قيام حرب أوربية جديدة، بالإضافة إلى أن محاولة بريطانيا وفرنسا التقرب من إيطاليا من جهة وألمانيا من جهة أخرى لإخراجهما من التحالف الذي توطد في ميثاق الحلف الفولاذي عام ١٩٣٩م، وفشلت في التوصل إلى إنهاء التحالف والوقوف أمام أطماعهم في أوروبا وخارجها (المستعمرات)، وفشلت معاهدة أبريل ١٩٣٨م بين بريطانيا وإيطاليا في احتواء مطامع موسوليني في أوروبا والبحر الأبيض المتوسط. كما أن ألمانيا وإيطاليا رأتا بأن سياسة التهدئة والمفاوضة التي اتبعتها بريطانيا وفرنسا لاحتواء أزمات أوروبا خلال عام ١٩٣٥-١٩٣٩م/١٣٥٤-١٣٥٨هـ ضعفاً وعجزاً أمام طموحهما ومطالبهما وقوتهما السياسية والعسكرية فتمادتا في طغيانهما وفشلت عصبة الأمم في مجابهة هذه الأطماع الديكتاتورية من قبل ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية، فتدهورت الأوضاع الدولية وقامت الحرب العالمية الثانية.

موقف القوى العربية منها:

أدت سياسة التهدئة بالإضافة إلى اتفاقية أبريل ١٩٣٨م/١٣٥٧هـ بين بريطانيا وإيطاليا إلى اتخاذ بعض الدول العربية موقفاً قوياً ضدها، خاصة تلك الدول التي تناولتها

١- رياض الصمد: تطور الأحداث الدولية، ص٣٣١.

* انظر ص ١٧٠.

٢- تشرشل: المذكرات، جـ١، ص١٨٥.

٣- Hurwitz, The Middle East and North Africa in World Politics, Vol 2, P. 548.

الاتفاقية كمصر والمملكة العربية السعودية والمملكة المتوكلية اليمنية وسوريا وفلسطين، دون أن يكون لهذه الدول رأي أو مشورة. حيث رفضت هذه القوى بأن تكون مناطق نفوذها موضعاً تتنافس فيه الحكومتان البريطانية والإيطالية دون مراعاة لاستقلالها أو كونها تحت الانتداب (حماية دولة أخرى) مما يُعد تعدياً عليها. فالاتفاقية تناولت عدة موضوعات تتعلق بمنطقة البحر الأبيض المتوسط، إلا أنها امتدت لتشمل منطقة البحر الأحمر والعالم العربي وشرق أفريقيا.

ففيما يتعلق بفلسطين: فقد عُقدت الاتفاقية في ظل توتر الأوضاع في فلسطين إثر الثورة الفلسطينية لعام ١٩٣٦م/١٣٥٥هـ التي استغلتها بريطانيا بالإضافة إلى توتر الأوضاع الدولية فعمدت إلى تحويل فلسطين إلى قاعدة عسكرية، كما أخذت تزيد قواها في قبرص، وتضمنت الاتفاقية تأييد إعلان الجنتلمان في يناير عام ١٩٣٧م/١٣٥٦هـ حول البحر المتوسط* ومناطق الانتداب البريطاني (فلسطين)، حيث أكد المستر بتلر Butter وكيل الخارجية البريطانية في تصريح أدلى به في ٢٥ مايو ١٩٣٨م/١٣٥٧هـ تعليقاً على الاتفاقية، فقال: "إن قبول الحكومة الإيطالية بوجهة النظر الواردة في (الاتفاق) لا يحول دون إنهاء أو تغيير الانتداب، شريطة أن يتم ذلك الإنهاء أو التفسير بالوسائل الدستورية، ولا يتضمن إجراء خالصاً قد اتفق عليه أو تم بحثه. إن فاعلية المادة ٢٢ من عهد عصبة الأمم، والمادة ٢٧ من الانتداب لفلسطين هو "أن تحول دون إنهاء أو تعديل الانتداب بدون موافقة مسبقة من مجلس العصبة، وتنوي حكومة صاحب الجلالة أن تستشير العصبة في أية مقترحات قد تتخذ لإنهاء أو تعديل الانتداب القائم."[١].

* انظر المبحث الأول من الفصل الثاني، ص ١٤٠.

١- كامل محمود خله: فلسطين والانتداب البريطاني، ص٤٦٥.

كان للاتفاقية ردود فعل يهودية – فلسطينية على الاتفاقات خوفاً من نتائجها المحتملة على الفلسطينيين[1]. رغم تبادل الطرفين الإيطالي والبريطاني التطمينات – اعتبرت شفوية – بخصوص فلسطين[2]، ففيما رضي اليهود بآثار الاتفاقية فيما يتعلق بالوضع الأوربي والالتزام الإيطالي التي تضمنته المعاهدة بعدم محاولة إحداث صعوبات للحكومة البريطانية في فلسطين، أثارت الاتفاقية قلق خطير من جانب العرب حول انعكاسات الاتفاقية حول موقف إيطاليا من مناصرة حقوق عرب فلسطين[3]، مما جعل الحكومة البريطانية ترسل إلى ممثليها في بعض البلدان العربية والإسلامية لتوضح لحكوماتها معنى "التطمينات الشفوية" المتعلقة بفلسطين في الاتفاقية الإيطالية – البريطانية[4].

وفيما تحفظ بعض اليهود بسبب تصريح إيطاليا الرسمي الذي يستبعد إنشاء حكومة يهودية في فلسطين[5]. آثار الاتفاق ردود فعل مختلفة في الصحف السورية واللبنانية حول مطامع إيطاليا في الشرق العربي، والتخوف من وجود اتفاقيات سرية شفهية بين الحكومتين الإيطالية والبريطانية تعبر عن مطامعهما في المنطقة العربية، وعدم مناصرة إيطاليا لحقوق الفلسطينيين[6].

وقد ردت إيطاليا على ما اعتبرته شائعات بأنها قد فقدت اهتمامها بمستقبل فلسطين، وأكدت على حرية إيطاليا في الحكم على قرارات بريطانيا، وأن موافقة إيطاليا على تعبير "الضمانات" لا يعني قبولها لمخططات بريطانية سابقة في فلسطين مثل تقرير

١- D. D. I. Ottava Serie, Volume VIII, II Console Generle A Greusalemme, Mazzolini, Al Ministro Degli Esteri. Ciano, N: 522, Cerusalemme, 21 Aprile 1938.

٢- D. D. I. Ottava Serie, Volume VIII, Accordi Tra Gran Bretagna E Italia, H, Palestina (assicurazioni Verbali), N: 493, Roma, 16 Aprile 1938.

٣- D. D. I. Ottava Serie, Volume IX, II Console Generale A Gerusalemme, Mazzoolini, Al Ministro Degli Esteri, Ciano, N: 9, Gerusalemme, 26 Aprile 1938.

٤- D. D. I. Ottava Sserie Volune IX, II Ministro Degli Esteri, Ciano, Alle Legazioni A Bagdad IL Cairo, Gedda, Cabul E Teheran, Al Cinsolati Generali A D Ligeri, Buirut, Gerusalemme, Rabat, Tangeri D Tunisi, Al Consolati A D Aleppo, Casablanca E damasco, E Al Dottor Passera Asanaa, N: 35, Roma, I maggio 1938.

٥- A. S. M. A. E. Roma, Affari Politic, Etiopia, Busta, N: 166, Palestina, Telespresso, No. 2169/493, R. Consolato Generale D' Italia, Ministro Degli affar Esteri, Roma, Gerusalemme, 26 Aptrile 1938. XVI.

٦- A. S. M. A. E. Roma, Affari Politic, Etiopia, Busta, N: 166, Siria, Telespresso, No. 716/192, R. Consolato D' Italia, R. Ministro Degli Affar Esteri, Aleppo, 9 Maggio 1938. XVI.

"بيل"، وأكدت بأن السياسة البريطانية المستقبلية في فلسطين ما زالت غير واضحة، مؤكدة على وقوفها مع العرب وتأكيد حقوقهم في مستقبل فلسطين[١].

وعلى الرغم من أن ألمانيا كانت ترى وجوب أن يكون لقضية فلسطين دور في مفاوضات ثلاثية ألمانية – بريطانية – إيطالية تتمشى مع مصالح ألمانيا وذلك بسبب ما رآه قسم الشؤون الخارجية للحزب النازي من أن الموقف الإيطالي تجاه القضية الفلسطينية سيقوي مركز إيطاليا في البحر المتوسط ولا يعود على ألمانيا بأية فائدة، بالإضافة إلى ذلك سيغضب بريطانيا تجاه التوسع الإيطالي في المنطقة. إلا أن المحادثات في عام ١٩٣٨م/١٣٥٧هـ بين الحكومتين البريطانية والإيطالية لإنهاء خلافاتها في البحرين المتوسط والأحمر كانت ثنائية و لم تشارك فيها ألمانيا[٢].

وبذلك ساعدت سياسة بريطانيا في قمع الثورة الفلسطينية، وما تضمنته الاتفاقية لعام ١٩٣٨م من تقوية لنفوذها دون الاهتمام برغبة الشعب الفلسطيني بالإضافة إلى أن فشل سياسة بريطانيا في احتواء الوضع الدولي أدى إلى اتخاذ سياسة عنيفة في فلسطين ضد الثوار لمجابهة الدعاية الإيطالية والألمانية ضد نفوذها في فلسطين وباقي مستعمراتها، وساهم في تدعيم القوات العسكرية البريطانية فيها.

وفي مصر: كان للاتفاقية أثر كبير على الحكومة المصرية والوضع الداخلي في مصر، فقد سبق إبرام الاتفاقية لعام ١٩٣٨م بين بريطانيا وإيطاليا اقتراح قدمه إسماعيل صدقي باشا* للبرلمان المصري دعا فيه الحكومة الوفدية المصرية برئاسة النحاس باشا إلى الدخول في مفاوضات مع إيطاليا لعقد معاهدة عدم اعتداء وحسن جوار[٣].

١- A. S. M. A. E. Roma, Affari Politic. Etiopia, Busta, N: 166, Palestina, R. Consolatato Generale D' Italia, P. Vice Consolato D' Italia. Gaifa, Giaffa, La Palstina, La Giordania, Gerusalemme, 5 Maggio 1938. XVI.

٢- لوكاز هيرزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص٦١.

* إسماعيل صدقي (١٨٧٥-١٩٥٠م): سياسي مصري، رئيس وزراء، ورجل اقتصاد، ولد في الإسكندرية، تخرج بالحقوق عام ١٨٩٤م، تولى عدة مناصب وزارية، كان عضواً في مفاوضات ١٩٣٦م، ترأس الوزارة في ١٩٤٦م، قام بمفاوضات عرفت بصدقي بيفن، توفي عام ١٩٥٠م. - الموسوعة السياسية، جـ١، ص١٩١.

٣- F. O. 407/221. Kelly to Halifax. Alex. 26, 1937.

وعند مشاورة الحكومة البريطانية، أجابت بعدم مصلحة بريطانيا دخول الحكومة المصرية في مفاوضات مع إيطاليا، قبل أو في أثناء المحادثات البريطانية – الإيطالية، لأن توصل مصر وإيطاليا إلى اتفاق يقود إلى عقد معاهدة سيضعف مركز بريطانيا في حالة تعثر مفاوضاتها مع إيطاليا، وطلبت إبلاغ الحكومة البريطانية في حال تقدم الحكومة الإيطالية للحكومة المصرية بأية مقترحات بعقد اتفاقية من أي نوع[١].

فاستجاب النحاس باشا لطلب الحكومة البريطانية، وطلب من الحكومة البريطانية بإبلاغه عند نجاح المحادثات البريطانية – الإيطالية لعقد الاتفاقية، حتى يتوصل إلى تفاهم مع إيطاليا بنفسه، ليبرهن للمعارضة وصدقي باشا- الذي اتهمه بالعمل على خدمة المصالح الإيطالية وإمكانية تخلص مصر من الحماية العسكرية البريطانية عن طريق التوصل إلى اتفاق مع الإيطاليين – بأن هناك تنسيق تام بينه وبين الحكومة البريطانية، خاصة وأنه وعد بريطانيا بعدم معارضة أي اتفاقية قد تعقد مع إيطاليا. وفي حال توصل الطرفان المصري والإيطالي إلى اتفاقية بينهما فهو سيُطلع بريطانيا على بنودها حتى لا تتعارض مع بنود الاتفاقية البريطانية – المصرية لعام ١٩٣٦م/١٣٥٥هـ[٢]. وبذلك اعتبر النحاس باشا رئيس الحكومة المصرية بأن أية فكرة للتفاوض مع إيطاليا إنما هي شائعات لإحراج حكومة الوفد أمام بريطانيا.

وعندما وُقعت الاتفاقية في أبريل ١٩٣٨م/١٣٥٧هـ، كان محمد محمود باشا على رأس الحكومة المصرية، فلم تدع الحكومة المصرية للمشاركة في المفاوضات السابقة للاتفاقية رغم التأكيدات التي كان السفير البريطاني لامبسون قد قدمها للحكومة المصرية في مارس ١٩٣٨م بأنه لن تكون هناك قرارات تتعلق بمصر وتناقش في أثناء المفاوضات بدون إحاطتها علماً، بينما كان هناك أربع مواد تتعلق بمصر في الاتفاقية البريطانية – الإيطالية[٣]، فيما يختص بالمواد الثانية والثالثة والرابعة والثامنة*.

١- F. O. 407/221, Eden to Kelly, Foreign Office, Sep 6, 1937.

٢- F. O. 407/221, Kelly to Eden, Sep 8, 1937.

٣- محمد فريد حشيش: معاهدة ١٩٣٦م، ص٣٢١.

* انظر الفصل الثاني المبحث الأول، ص١٥٤.

ورغم قلق المصريين من مطامع إيطاليا في أفريقيا، إلا أن حزب الوفد عارض حكومة محمد محمود باشا وحاول إثارة الرأي العام ضدها، ورغم تأكيد محمد محمود باشا بأن المفاوضات لا تُنقص من حقوق السيادة التي اكتسبتها مصر اتهم النحاس باشا محمد محمود بالضعف على اعتبار أنه سمح لمصالح مصر بأن تكون موضوعاً للمساومات بين إنجلترا وإيطاليا من وراء ظهر مصر، ثم واصل الهجوم على السياسة البريطانية فيما يتعلق بتطبيق معاهدة ١٩٣٦م حين تفاوض الحكومة البريطانية مع إيطاليا في شؤون خاصة بمصر والسودان[١].

وفي إطار اتهام حكومة محمد محمود باشا بأنها قد عرضت استقلال مصر للخطر قدم الوفد استجواباً* لرئيس الوزراء في البرلمان نوقش في جلسة ١٨ أبريل ١٩٣٨م، فأكد محمد محمود باشا في بيانه رداً على هذا الاستجواب بأنه قلب للحقائق، حيث إن النحاس باشا يتهم الحكومة بأنها لم تستشر فيما يتعلق بمصر في اتفاقية ١٩٣٨م بين بريطانيا وإيطاليا، وأكد بأن المشاورات بين الحكومتين البريطانية والمصرية لم تنقطع في أثناء المفاوضات، وأن الحكومة البريطانية أدارت المفاوضات بما لا يتعارض مع السيادة المصرية[٢].

ويتلخص موقف الحكومة المصرية بأنها فوضت الوزير المفوض المصري في روما مصطفى الصادق بالمشاركة مع السفير البريطاني اللورد بيرث في المباحثات البريطانية الإيطالية[٣]. رغبة منها في الانضمام إلى بريطانيا وإيطاليا للتوقيع على اتفاقية ثلاثية** بحسن الجوار والحصول على تأكيدات مباشرة تتعلق بالتصريحات حول قناة السويس وبحيرة تانا التي جاءت ضمن ملاحق بروتوكول المعاهدة.

١- أحمد عبد الرحيم مصطفى: العلاقات المصرية البريطانية ١٩٣٦-١٩٥٦م، ص٢٥.

* قدم الاستجواب النائب الوفدي عبد الحميد عبد الحق.

٢- F. O. 407/222, No, 457. Lampson to Halifax, Cairo, April 22, 1938.

٣- Galeazzo Ciano Diario 1937-1943, P. 126.

** أنظر الملحق الرابع، الاتفاق الثلاثي بين مصر و إيطاليا و بريطانيا في١٦ أبريل ١٩٣٨م، باللغة الإيطالية و الإنجليزية، ص ص ٥٢١، ٥٢٢.

وتشدد محمد محمود باشا حول مشاركة مصر على قدم المساواة في التوقيع على الاتفاقية (الخاص بالبنود السابقة) وأن تُلحق الاتفاقية، باتفاقية حسن جوار كبروتوكول خاص بها، وأن يشار إلى أن الحكومة المصرية قد دعيت للمشاركة في تلك الاتفاقات. إلا أنه وبضغط بريطاني اكتفي بأن يكون إبلاغ التصريح الموجه للحكومة المصرية بخصوص قناة السويس وبحيرة تانا في صورة خطاب صادر من وزيري الخارجية البريطاني والإيطالي إلى الوزير المفوض المصري في روما يُشار فيه إلى أن هذا التبليغ يتم باعتبار الحكومة المصرية طرفاً ثالثاً في الموضوع، على اعتبار أنها "دولة معنية". وأيضاً ينص على أن "التأكيدات المقدمة للحكومة البريطانية في التصريح المذكور أعلاه بشأن بحيرة تانا تنسحب على الحكومة المصرية على قدم المساواة". وقبلت الحكومة الإيطالية بالصيغة المقترحة وعلى أساسها تم تعديل مسودات المذكرات المتبادلة بين الحكومتين الإيطالية والبريطانية[١].

وقد عزت بريطانيا سبب عدم إشراك مصر في توقيع البروتوكول الخاص بالاتفاقية إلى الموقف المتشدد من جانب الحكومة المصرية في أثناء المباحثات بين بريطانيا وإيطاليا في روما. وهو ما رآه البريطانيون والإيطاليون نتيجة للانتقادات التي تزعمها حزب الوفد ضد محمد محمود باشا، مما أدى إلى تجاهل الحكومتين البريطانية والإيطالية رغبة الحكومة المصرية لتحقيق مصالحهما الاستعمارية دون مراعاة كاملة لحقوق مصر أسوة بغيرها من القوى السياسية التي شملتها المعاهدة.

وأمام تجاهل الحكومتين البريطانية والإيطالية الرغبات المصرية وقع مصطفى الصادق وزير مصر المفوض في روما في نفس اليوم الذي وقعت فيه الاتفاقية بين بريطانيا وإيطاليا ١٦ أبريل ١٩٣٨م/١٣٥٧هـ ميثاقاً ينص على حسن الجوار بين إيطاليا ومصر وبريطانيا فيما يتعلق بأملاك إيطاليا في شرق أفريقيا من جانب، وكينيا والصومال

١- F. O. 407/222, Perth to Halifax, Rome, April 29, 1938.

المذكرات المتبادلة بين الحكومتين الإيطالية والبريطانية ومصطفى الصادق وزير مصر المفوض في روما للتفاهم حول قناة السويس وبحيرة تانا، موجودة في:

A.S.M.A.E. Affair Politic1931-1945, Egitto, Busta N:27, (1938 /No. 3518, 37, 1/590/38, 38, 3517, 35, 1/591/ 38, 36.

البريطاني والسودان من جانب آخر، واعتُبر هذا الميثاق نتيجة للاتفاقية البريطانية الإيطالية[١]. ونشر في الصحف الإيطالية والبريطانية[٢].

كما عمل محمد محمود باشا على تعجيل بدء المفاوضات مع الحكومة الإيطالية لعقد اتفاقية حسن جوار مقابل الاعتراف بالسيادة الإيطالية على أثيوبيا مع التأكيد على حقوق الكنيسة المصرية فيها، وذلك قبل حلول ١٦ نوفمبر ١٩٣٨م وهو الموعد الذي تصبح بعده الاتفاقية البريطانية – الإيطالية سارية المفعول[٣]. إلا أن البريطانيين طلبوا منه عدم التطرق إلى مسألة الحدود الأثيوبية – السودانية لأن الاتفاقية لم توضع في حيز التنفيذ[٤].

وبذلك حققت بريطانيا بعض أهدافها بالنسبة لسياستها في مصر نتيجة لاتفاقية أبريل ١٩٣٨م، وهو ما أكده مستر لامبسون في رسالة قرر فيها أنه منذ بدأت المفاوضات البريطانية الإيطالية تحرز تقدماً حقيقياً للاتفاق بين الدولتين، حدث أن توقفت المصادر الإيطالية عن الدعاية السياسية التي كانت تبثها ضد بريطانيا (ما عدا قضية فلسطين)، كما امتنعت المصادر الألمانية في مصر، وانحصر مجال النشاط الألماني في الدعاية الاقتصادية[٥]، وإن كان ذلك لن يستمر إلا لفترة قصيرة من الوقت تعود على إثرها الدعاية الإيطالية إلى سابق عهدها.

وكان من أهم نتائج الاتفاقية البريطانية – الإيطالية لعام ١٩٣٨م، أن اضطر السيد محمد إدريس السنوسي الزعيم الديني لإقليم برقة في ليبيا، والمقيم في مصر، إلى التوقف عن نشر المقالات المعادية لإيطاليا في جريدة المقطم المصرية، وذلك استجابة من بريطانيا

١- Galeazzo Ciano Diario 1937-1943, P. 126. & Archivio Storico De M.A.E. Affair Politic1931-1945, Egitto, Busta N:27, (1938) Accordo DI Boun Vicinato Italo - Anglo -Egiziano 16, Aprile, 1938.

٢- IL Giornale D'Oriente, 28, Ago, 1938. XVI.

٣- F.O. 407/222, Lampson to Halifax, Cairo, Nov 1, 1938.

٤- F.O. 407/222, Halifax to Lampson Foreign Office ,Nov 3, 1938.

٥- F.O. 407/222, No. 454, (Secret). Lampson to Halifax, May 12, 1938.

لما تمليه عليها المعاهدة من إيقاف الدعاية السياسية ضد إيطاليا وسياستها الاستعمارية في ليبيا[١]. واستمر ذلك حتى توتر الأوضاع في عام ١٩٣٩م/١٣٥٨هـ.

فما لبث الموقف أن تغير في مصر باستقالة وزارة محمد محمود باشا في أغسطس ١٩٣٩م، وتولى علي ماهر الوزارة[٢]. كما عادت الدعاية الإيطالية المضادة لبريطانيا، والتي صاحبت إقدام موسوليني على غزو ألبانيا في أبريل ١٩٣٩م، متجاوزاً بذلك اتفاقية ١٩٣٨م بينه وبين بريطانيا حول الأوضاع في البحر الأبيض المتوسط.

وفي أثناء تطور الأحداث الأوربية نحو الحرب تحدث تشانو في مذكراته عن اتصالات سرية بين السفير الإيطالي في برلين أتوليكو Attolico والوزير المفوض المصري مراد سيد أحمد باشا في ٢٣ فبراير ١٩٣٩م والذي تحدث باسم الملك فاروق، "بأن مليكه يكره البريطانيين ويتساءل عما إذا كان المحور مستعداً لتأييد الملك فاروق في حالة إعلان مصر الوقوف على الحياد، وترتب على ذلك تدخل بريطانيا مباشرة وغير مباشرة".

وتم الاتفاق مع موسوليني على أن تستمر المحادثات بين السفير الإيطالي والوزير المفوض المصري، وأن يؤكد السفير للوزير أن أي جهد يُبذل لإضعاف الروابط بين مصر وبريطانيا سوف يلقى ترحيباً من جانب إيطاليا[٣]. وهذا يؤكد على مدى تعارض اهتمامات الموقف الداخلي المصري بين السير مايلز لامبسون والقصر (الملك فاروق) والأحزاب السياسية في مصر، وعلى حرص إيطاليا على استغلال أي خلاف بين الملك فاروق وبريطانيا لصالحهما.

واستمر تطور علاقة إيطاليا بالملك فاروق (القصر)، حيث عاد الكونت ماتزوليني Mazzolini – وزير إيطاليا المفوض في مصر – من روما إلى مصر في أوائل مايو ١٩٣٩م حاملاً معه تأكيدات شفوية بحسن نية إيطاليا تجاه مصر وأنها لن تمس استقلالها

١- صلاح العقاد: العرب والحرب العالمية الثانية، ص١٦٣.
٢- يونان لبيب رزق: تاريخ الوزارات المصرية، ص٤١٨.
٣- Galeazzo Ciano Diario 1937-1943. P. 256.

بسوء[١]. على الرغم من أن الوزير الإيطالي أنكر أن هذه التأكيدات جاءت على شكل رسالة حملها من إمبراطور إيطاليا الملك فكتور عمانويل إلى ملك مصر، إلا أنـه كـان يصرح بمضمون هذه التأكيدات حتى شهر يوليو ١٩٤٠م/١٣٥٩هـ[٢].

وفي ٩ مايو قام المارشال بالبو* — حاكم ليبيا الإيطالي — بزيارة القاهرة، وصـفت بأنها زيارة خاصة للتأكيد على العلاقات الإيطالية — المصرية، إلا أن الكثير من الأقـوال اختلفت حول غايتها فمنها ما ذكر بأنها زيارة ودية، ومنها ما أكد علـى أن الزيـارة ضمن مباحثات بين الدولتين لعقد ميثاق عدم اعتداء بين مصر وإيطاليا، ومنها ما ذكـر بأنها للاتفاق لتعيين الحدود المصرية الطرابلسية[٣].

وأياً كانت نيات إيطاليا والملك فاروق حول تطور علاقتهما، فقد كان للإيطاليين أهداف واضحة لمنافسة النفوذ البريطاني في مصر أما الملك فاروق فكان قـد ورث عـن والده ميوله الإيطالية التي صبغت القصر بالطابع الإيطالي وقد سعت الحكومة البريطانيـة للحد من ذلك، والوقوف أمام الدعاية الإيطالية في القصر، خاصة بعد تـولي فيروتشـي منصبه كمهندس إيطالي في القصر. ورغم دفاع الملك فاروق بأن مهمته كانـت فنيـة لتنظيم متاحف القصور الملكية، وأنه لا يعمل بالسياسة كفاشستي ولا يعمـل للدعايـة الإيطالية[٤]. إلا أن ذلك لم يمنع البريطانيين من اتهامه حيث عملوا على إبعاد فيروتشـي وغيره من موظفين إيطاليين عن قصر الملك فاروق[٥]. وقد جاء ذلك في الوقت الـذي توترت فيه العلاقات بين الملك فاروق والسفير البريطاني لامبسون حيث كانت الحكومة

١- George Kirk . The Middle East in the War, P. 33.

٢- مارسيل كولومب: تطور مصر ١٩٢٤-١٩٥٠م، ص١٢٢.

* ايتالو بالبو (١٨٩٦-١٩٤٠ م):زعيم فاشي، وطيار، ومارشال إيطالي، انضم عام ١٩٢٠م إلى الحركة الفاشية بقيادة موسوليني، عني بتعزيز السلاح الجوي الإيطالي، عين في ١٩٢٩م وزيراً للطيران، عينه موسوليني ١٩٣٣م حاكماً على ليبيا، أعدم الزعيم الليبي الكبير عمر المختار، مات في حادث طيران غامض. - الموسـوعة العربيـة الميسـرة، ص٣١٦.

٣- الأهرام، ١١- مايو- ١٩٣٩م.

٤- F.O. 371/21949, J 4578-6-16, Lampson to Foreign Office, Cairo, Dec 7, 1938.

٥- F.O. 407/223. J 567-1-16. No, 110. Lampson to Halifax, Cairo, Feb 3, 1939.

البريطانية تبدي قلقها البالغ من تمادي الملك فاروق في مسلكه وتشير إلى الخطورة من نمو عدم تحمله للمسؤولية وانغماسه تحت التأثير الإيطالي- الألماني[١].

وتغير الموقف بعد استيلاء إيطاليا على ألبانيا ، وشهدت العلاقات بين الملك فاروق وبريطانيا بعض التحسن، وذلك لتأثر الملك فاروق بما حدث في ألبانيا مسقط رأسه وبما حل بالأسرة المالكة التي يرتبط بها بصداقة وود[٢].

وبذلك فإن احتمال وقوع العدوان على مصر جعل الملك فاروق يعيد تقييم ميولـه نحو المحور. ففي الوقت الذي يريد الابتعاد عن العداء لبريطانيا، عمل على تجنب الظهور بمظهر الخنوع لها سواء أمام الشعب حتى لا يفقد تأييده وتبدو صورته الوطنية مشرقة، أو أمام دول المحور التي قد تحل مكانها إذا ما كسبت الحرب القادمة في الأفق[٣].

وكانت بريطانيا قلقة من نشاط فون هنتج الوزير الألماني المفوض في القاهرة وقيـام كبار النازيين بزيارات لمصر، منهم د. غوبلز* ومحاولتهم لنشر الدعاية لصـالح المحـور، بالإضافة إلى نفوذ الجالية الإيطالية في مصر، وتأثير الدعاية الألمانية المضادة في محطة زيس، أو الإيطالية في محطة باري ضد النفوذ البريطاني في مصر على المصريين. وكـان لتعهـد مصر ببنود معاهدة ١٩٣٦م/١٣٥٥هـ أكبر الأثر في جعل البريطانيين يهتمون بحمايـة نفوذهم فيها لمعرفتهم بأهمية مصر كقاعدة لحماية نفوذهم في العالم العربي ومصالحهم في شرق أفريقيا وطريقهم للهند. وأهمية قناة السويس وتأثيرها في الحرب الأوربيـة الـتي ستكون المنطقة جزءاً منها[٤].

وهكذا استعدت بريطانيا لمواجهة تطور نفوذ المحور في مصـر خاصـة الدعايـة الإيطالية دون الهجوم المباشر ضدها حفاظـاً منـها علـى مـا تبقـى مـن اتفاقيـة

١- F.O. 407/223, J 941-1-16, No. 164, Lampson to Foreign Office, Cairo, March 7, 1939.

٢- F.O. 407/224, J 582-2-16. Lampson to Halifax, Cairo, Feb 8, 1940.

٣- Marlowe, J. Anglo -Egyptian Relation 1800- 1953, P. 315.

* بول جوزيف جو بلز (١٨٩٧-١٩٤٥م): وزير الدعاية للحكومة الألمانية الاشتراكية الوطنية (النازية) (١٩٣٣-١٩٤٥)، كان خطيباً وكاتباً قديراً وأسس دعايته على مبادئ تبرير القوة وتلقين الكذبة الكبرى بتنويع تكرارها، مات منتحراً بعد غزو الحلفاء برلين ١٩٤٥م. - الموسوعة العربية الميسرة، ص٦٥٧.

٤- Lenczowki, The Middle East in World Affairs, P.P. 322, 323.

١٩٣٨م/١٣٥٧هـ حتى لا تعطي لإيطاليا مبرراً لإعلان دخول الحرب إلى جانب ألمانيا.

المملكة العربية السعودية:

أثارت اتفاقية ١٩٣٨م بين الحكومتين البريطانية والإيطالية استنكاراً قوياً من حكومة المملكة العربية السعودية في إطار شجب العالم العربي كله للاتفاقية كونها تدخلاً سافراً للدول المعنية في-البلاد العربية حتى لو أن للبريطانيين نفوذاً كدولة منتدبة على بعض هذه المناطق، إلا أن اشتمال الاتفاقية على بنود تتعلق بأراضي المملكة العربية السعودية واليمن المستقلة استقلالاً كاملاً عدته الدولتان تدخلاً غير مشروع مخالفاً للقواعد والأصول الدولية[١].

طلبت وزارة الخارجية البريطانية من ريدر بولارد في ١١أبريل ١٩٣٨م أن يشرح للحكومة السعودية بشكل سري الصيغة التي من المتوقع أن تتخذها الاتفاقية البريطانية–الإيطالية بشأن الجزيرة العربية[٢]. وذلك قبيل أيام من توقيع الاتفاقية.

وجاء رد من الحكومة السعودية على لسان وزير خارجيتها الأمير فيصل عبدالعزيز آل سعود على رسالة بولارد، وبعد توقيع الاتفاقية، طلب توضيح بعض النقاط التي وردت في الاتفاقية البريطانية – الإيطالية، في ضوء بعض الشائعات التي راجت وبعض ما تناقلته الإذاعات حول الملحق الثالث من الاتفاقية[٣]. إلا أن بولارد أكد بأن الهدف من تلك الاتفاقية هو منع أي تدخل في شؤون المملكة العربية السعودية، وأنه لا توجد هناك أي دوافع خفية من وراء الاتفاقية[٤]. وأكد تروت بأن أهداف الاتفاقية هي تأمين المصالح الحقيقية للمملكة العربية السعودية والمحافظة عليها من السقوط تحت الهيمنة

١– أمين السعيد: تاريخ الدولة السعودية، جـ٢، ص٣٩٥.

٢– برقية من الكونت هاليفاكس وزير الخارجية الإيطالي إلى ريدر بولارد الوزير المفوض في جدة، (الملك عبدالعزيز آل سعود، الوثائق البريطانية)، جـ٦، ص٢٦٥. .F.O.406/76, 11/4/1938 . The Hviscount Halifax

٣– ترجمه إلى اللغة الإنجليزية لرسالة الأمير فيصل إلى ريدر بولارد، مكة المكرمة، (الملك عبدالعزيز، الوثائق البريطانية)، جـ٦، ص٢٧٩. F.O.406/76, 27/4/1938.

٤– رسالة من ريدر بولارد إلى الأمير فيصل، جدة، (الملك عبدالعزيز، الوثائق البريطانية)، جـ٦، ص٢٨٦. F.O.406/76, 2/5/1938.

الأجنبية، ونفى أن يكون هناك تعارض بين الاتفاقية وبنود معاهدة جدة[١]. وردت الحكومة السعودية بأن هذه التعهدات والتوضيحات ملزمة للحكومة البريطانية وغير ملزمة للحكومة الإيطالية، وهي بذلك ليست ملزمة تجاه الدولتين سوى بالمعاهدات والاتفاقيات التي أبرمتها بشكل منفصل مع كل منهما، وأنها ليست ملزمة بتنفيذ أي من بنود الاتفاقية البريطانية — الإيطالية، وأكدت على استقلال المملكة العربية السعودية، وطالبت بحذف جميع الإشارات ذات الصلة بالسعودية من الاتفاقية، حيث أن الاتفاقية أشارت إلى "المصالح المشتركة" مما يشير بأن كلتا الدولتين تعطيان لنفسهما حق التدخل بدون مراعاة لاستقلال المملكة الذي يقوم على أساس القانون الدَوْلي[٢].

ويلاحظ من هذه الاتصالات البريطانية — السعودية حول الاتفاقية، بأن بريطانيا تحاول جاهدة تفسير بنود الاتفاقية متأخرة للحكومة السعودية، التي رأت بأنها غير ملزمة بالاتفاقية، ورأت فيها ما يمس استقلالها وتدخلاً في شؤونها، ولم ترض عن التفسيرات البريطانية المهدئة لما جاء في الاتفاقية، وهو ما عبر عنه الوزير المفوض البريطاني متأسفاً للتأخر في معالجة موضوع موقف الحكومة السعودية من الاتفاقية، ووضح بأن ذلك يعود إلى التعقيدات التي يتسم بها هذا الموضوع[٣]. فيما بدأت الحكومة السعودية في توجيه مراسلات مكتوبة تستنكر فيها الاتفاقية.

وقد بعثت وزارة الخارجية السعودية مذكرتين إلى وزير بريطانيا المفوض ونظيره وزير إيطاليا المفوض في جدة تبين فيها وجهة نظرها واستنكارها لهذه الاتفاقية في ١٥ ذو القعدة ١٣٥٧هـ الموافق ٥ يناير ١٩٣٩م/١٣٥٨هـ تضمنت:

"أتشرف بإخبار سعادتكم أن حكومة جلالة الملك ما برحت منذ أن عرفت بالشروط التي احتوى عليها الاتفاق الإنكليزي- الإيطالي الموقع عليه في تاريخ ١٦أبريل

١- مذكرة آلان تروت القائم بالأعمال البريطاني في جدة إلى وزير الخارجية السعودية، (الملك عبدالعزيز، الوثائق البريطانية)، جـ٦، ص٣٢٩. F.O.406/76, 18/7/1938.

٢- مذكرة شفهية موجهة من وزارة الخارجية السعودية إلى الوزير المفوض البريطاني في جدة، الرياض، (الملك عبدالعزيز، الوثائق البريطانية)، جـ٦، ص٣٦٤. F.O.406/76, 13/11/1938.

٣- مذكرة من الوزير المفوض البريطاني في جدة، سلمت لوكيل الخارجية السعودية، (الملك عبدالعزيز، الوثائق البريطانية)، جـ٦، ص٣٧٣. F.O.406/76, 4/12/1938.

١٩٣٨م تدرس نصوصه بدقة وعناية تامة لأنه شمل على نقاط تتعلق بها وبجارتهما العربية اليمن، وقد تأنت كثيراً في دراستها وتدبرت ما يمكن أن ينطوي عليه الاتفاق المذكور فوصلت بالدرس العميق المتواصل أنه لابد لها من تقديم المذكرة الحالية لصديقتها الحكومتين البريطانية والإيطالية لبيان رأيها وموقفها القطعي من ذلك الاتفاق.

إن حكومة جلالة الملك لا تعتبر نفسها مقيدة بأي اتفاق لا تكون فريقاً فيه، ولذلك فإنها لا تعترف ولا تستطيع أن تعترف بأي قيد أو شرط يحد من حريتها أو بأي وجهة كان يمسها في الاتفاق الإنكليزي – الإيطالي الموقع عليه في ١٦ أبريل ١٩٣٨م أو أي اتفاق آخر وتحتفظ لنفسها بكل أنواع التحفظات بما يتعلق بذلك، وحكومة جلالة الملك لا تستطيع أيضاً أن تتقيد إلا بالمعاهدة المعقودة بينها وبين كل من الدولتين البريطانية والإيطالية ولا تقبل أن يكون حاكماً على علاقاتهما بها إلا ما هو معترف به بين الدولتين المستقلة بموجب أحكام القوانين الدولية أو بموجب المعاهدات المعقودة بينها وبينهما".

توقيع فيصل وزير الخارجية[1].

ووجدت هذه المذكرة اهتماماً بالغاً لدى الحكومتين الإيطالية والبريطانية، فردت الحكومة الإيطالية على لسان وزيرها المفوض في جدة بتاريخ ١١ مارس ١٩٣٩م، تضمنت:

"تتشرف مفوضية صاحب الجلالة ملك إيطاليا وإمبراطور الحبشة بتقديم فائق احترامها إلى حكومة المملكة العربية السعودية وتعلمها باستلامها لمذكرة الخارجية بتاريخ ٥ يناير ١٩٣٩م، أن هذه المفوضية بناء على التعليمات التي تلقتها من وزارة الخارجية الملكية توضح للحكومة العربية السعودية:

بأن حكومة إيطاليا توافق على ما ذكرته وزارة الخارجية العربية السعودية في مذكرتها المشار إليها أعلاه بأن العلاقات التي ترتبط بها إيطاليا مع المملكة العربية

١- وزارة الخارجية، مكة المكرمة: مجموعة المعاهدات من ١٩٢٢-١٩٥١م، جـ١، ص٢٤٨. برقم ١٠/١٢/٨٤ بتاريخ ٥ يناير ١٩٣٩م.

السعودية هي طبقاً لقواعد القوانين والمعاملة الدولية وطبقاً للمعاهدة والاتفاق المعقودين والمعمول بهما بين إيطاليا والحكومة العربية السعودية. كما أن الحكومة الإيطالية تقرر أنه بالنظر لأن الاتفاق الإيطالي- الإنجليزي هو موقع بين الدولتين الإيطالية والإنجليزية فقط بتاريخ ١٦ أبريل ١٩٣٨م فإنه لا يضع أي إلزام على الحكومة العربية السعودية وإنما هو مقيد للدولتين الموقعتين فقط".

وختمت بختم المفوضية الملكية الإيطالية بجدة[١].

وقامت الحكومة البريطانية بالرد على المذكرة بواسطة وزيرها المفوض ومندوبها فوق العادة بجدة ريد بولارد في ٢٢ مارس ١٩٣٩م، تضمنت:

"حضرة صاحب السعادة نائب وزير الخارجية بمكة...

بناء على تعليمات من وزير خارجية صاحب الجلالة البريطانية أتشرف بأن أفيد باستلام المذكرة التي تفضل صاحب السمو الملكي وزير الخارجية بإرسالها في ٥ يناير ١٩٣٩م في موضوع الاتفاقية الإنكليزية الإيطالية المؤرخة في ١٦ أبريل ١٩٣٨م بخصوص بعض مناطق الشرق الأوسط، وبأن أجيب بما يأتي:

"إن الاتفاقية الموقعة في ١٦ أبريل ١٩٣٨م هي اتفاقية بين المملكة المتحدة وإيطاليا فقط وعلى ذلك فإنها تفرض التزامات على المملكة المتحدة وإيطاليا فقط ولا تفرض بأي حال التزامات على دولة ثالثة كالبلاد العربية السعودية مثلاً علاوة على ذلك فإن حكومة صاحب الجلالة بالمملكة المتحدة توافق بأن صلاتها مع الحكومة العربية السعودية ليست مقيدة إلا فقط بموجب أحكام القانون الدولي والعرف والمعاهدات والاتفاقيات السارية فيما بين المملكة المتحدة والبلاد العربية السعودية".

توقيع ريد وليام بولارد[٢].

وقد جاء رد الحكومة الإيطالية والبريطانية على مذكرة حكومة المملكة العربية السعودية تجنباً لسوء الفهم بين الحكومات المعنية مما قد يؤدي إلى ضرر بالاتفاقية التي

١- وزارة الخارجية، مكة المكرمة: مجموعة المعاهدات من ١٩٢٢-١٩٥١م، جـ١، ص٢٤٩، برقم ٨/آ/١٨ بتاريخ، ١١ مارس ١٩٣٩م.

٢- نفس المرجع، جـ١، ص٢٥٠، رقم ٥٨ (١٤/٧٢١/٦٤٥) بتاريخ ٢٢ مارس ١٩٣٩م.

أقرها مجلس العموم البريطاني في سبتمبر ١٩٣٨م أو يؤدي إلى ضـرر بالمصـالح بـين حكومتي بريطانيا وإيطاليا مع حكومة المملكة العربية السعودية.

فيما تميزت مذكرة الحكومة السعودية بأنها الحكومة المنفردة الـتي قامـت رسميـاً بالاعتراض على الاتفاقية دون جميع الحكومات العربية[١]. وإن كان ذلـك لم يـؤثر في نصوص الاتفاقية المبرمة في ١٦ أبريل ١٩٣٨م سارية المفعول، ولم يؤثر على العلاقـات السياسية بين السعودية وبريطانيا وإيطاليا في ظل ظروف دولية متجهة نحو الحرب.

ويرجع معالجة بريطانيا للمعاهدة تبعاً لسياستها التقليدية في المنطقة. لذلك لم يضع البريطانيون في حسبانهم أن يكون الملك عبدالعزيز طرفاً في المفاوضات الـتي بـدأت في روما خاصة فيما يتصل بالقضايا التي تمس أراضي دولته[٢]. حيـث كانـت الـدولتان البريطانية والإيطالية تحرصان على التفاهم حول مركزهما في البحرين الأبيض المتوسـط والأحمر دون أن تشغل نفسها بالدول والقوى والشعوب الموجودة في المنطقة.

على الرغم من أن رئيس الإدارة الشرقية بوزارة الخارجية البريطانية جورج رنـدل George Rendel عبر عن قلقه بهذا الأمر، وحث المسؤولين البريطانيين على أن يخـبروا الملك عبدالعزيز بالمفاوضات التي تدر بينهم وبين الإيطاليين، حيث رأى ضرورة استشارة السعوديين وذلك "حتى لا تثار شكوكهم ولإحاطتهم بأننا لن نعقد صداقة مع الإيطاليين على حسابهم"[٣].

خاصة وأن الملك عبدالعزيز كان قد سبق أن أعلم البريطانيين برغبتـه في تبـادل المعلومات حول المنطقة – الجزيرة العربية – خاصة التحركات الإيطالية في البحر الأحمر لأن ذلك يهمه بالقدر الذي يهم البريطانيين[٤]. إلا أن الحكومة البريطانية تجاهلت الأمر واستمرت بالمفاوضات حتى وقعت الاتفاقية دون أن تلتزم سياسياً ودبلوماسياً أمام مـن اعتبرتهم أصدقاءها في المنطقة.

١- أمين السعيد: تاريخ الدولة السعودية، جـ٢، ص٣٩٥.

٢- Clive Leatherdale, Britain and Saudi Arabia 1925-1939, P. 297.

٣- F.O. 371/20781, E-5826/8/872/91. From Foreign Office Minute, Mr. Rendel, 5 Oct, 1937.

٤- F.O. 371/21905, E-1045/738/25, from R. Bulland. Jeddah, to Sir L. Oliphent, (Secret), Jan 19, 1938.

ولم تقدم على شرح الاتفاقية للحكومة السعودية إلا قبيل توقيعها بأيام قلائل – بيومين–، لتفسير بنود الاتفاقية في ضوء ما تناقلته الإذاعات والصحف. فلم يمنع ذلك الحكومة السعودية من الاستنكار الكتابي إلى الحكومتين البريطانية والإيطالية على البنود التي تناولت الأراضي السعودية واستقلال المملكة.

وعلى الرغم من أن الحكومتين البريطانية والإيطالية اتفقتا على نفوذهما في المنطقة، إلا أن إيطاليا واصلت محاولاتها للحصول على علاقة قوية مع الملك عبدالعزيز بذات الدرجة التي يحاول البريطانيون الحصول عليها(١). فاستمر التعاون بين المملكة العربية السعودية وإيطاليا في مجال الأسلحة وبعثات القوات الجوية انطلاقاً من رغبة الملك عبدالعزيز في تقوية دفاعاته السعودية والنهوض ببلاده(٢).

فنظرت بريطانيا إلى استمرار هذا التعاون بأنها أخفقت في تحقيق أهدافها من الاتفاقية وجاء ذلك في مذكرة أر. إس. اثر ينجستون سميث R.S. Etherington Smith الذي يعمل في وزارة الخارجية، الذي رأى بأن الإيطاليين واصلوا السعي وراء مصالحهم في المملكة العربية السعودية بسبب "عجزنا نحن عن أن نقدم للملك عبدالعزيز أي إرضاء مادي أو أياً من الاقتراحات المختلفة التي كان هو مهتماً بها، والموقف يحتاج إلى المراقبة بعناية ولكن بخلاف ذلك لا يبدو أن هناك أي شيء إيجابي يمكننا أن نقوم به لتحسين الموقف"(٣).

كذلك استمرت العلاقات التجارية والسياسية بين المملكة العربية السعودية مع دولة المحور الأخرى ألمانيا، فتتابعت الاتصالات الرسمية بين السعوديين والألمان للتفاوض للحصول على أسلحة، وقام خالد الهود المستشار السياسي للملك عبدالعزيز بزيارة لألمانيا عام ١٩٣٨م/١٣٥٧هـ، إلا أن المباحثات لم تتوصل لاتفاق(٤).

١- F.O. 371/21908, E-100/3821/25, From Lord Perth, Rom, to Sir. L. Oliphant, July 7,1938.

٢- (القائم بالأعمال في جدة) F.O. 371/21906, E-4831. From Mr. Trott Jeddah, to Foreign Office, Aug 17,1938

٣- F.O. 371/211908, E -100 /3821/25, OP. Cit.

٤- لوكاز هيرزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص٧٢.

وعندما عقدت الاتفاقية البريطانية- الإيطالية لعام ١٩٣٨م، عجل الملك عبدالعزيز اتصالاته بالحكومة الألمانية حيث رأى بأن إيطاليا قد تكون غير راغبة في تقديم المساعدة العسكرية للمملكة أو أنها أصبحت أكثر تهديداً لنفوذه في المنطقة. فأرسلت الحكومة السعودية بعثة يترأسها فؤاد حمزة نائب وزير الخارجية السعودي إلى برلين في منتصف عام ١٩٣٨م للقيام بالاتصالات مع مسؤولي وزارة الخارجية الألمانية لتحديد المطالب السعودية السياسية والحربية، وقد أخبر حمزة فون هنتيج رئيس قسم الشؤون الشرقية بوزارة الخارجية الألمانية بأن الملك عبدالعزيز اتجه إلى ألمانيا .بسبب تجربته مع البريطانيين والإيطاليين وبسبب عدم وجود مصالح سياسية سابقة للألمان في المنطقة[١]. إلا أن هذه البعثة أخفقت لأسباب عديدة في تنفيذ مهمتها.

ونتج عن التقارب السعودي - الألماني أن أصدرت الحكومة الألمانية قرارها بإعادة التمثيل الدبلوماسي مع المملكة العربية السعودية في جدة في نهاية عام ١٩٣٨م[٢]. وقام فريتزجروبا Fritz Grobba بزيارة جدة والقيام بمباحثات مع الحكومة السعودية عقدت فيما بين ١٢-١٨ فبراير لعام ١٩٣٩م/١٣٥٨هـ، وكتب جروبا تقريراً مفصلاً سرياً لحكومته عن الزيارة، موضحاً فيها الأوضاع السياسية والاقتصادية والاستراتيجية في المملكة العربية السعودية، ووضع مقترحات لدولته بأسلوب التعامل مع الحكومة السعودية، فأوضح علو مكانة الملك عبدالعزيز آل سعود على الصعيد العربي والدولي، واستراتيجية موقع دولته، بالإضافة إلى وجود البترول في الأراضي السعودية مما يكسبها مكانة اقتصادية عالية في المستقبل عند استثمار النفط[٣].

وأوضح جروبا في تقريره عن لقائه بالوزير الإيطالي المفوض في جدة سيليتي وأنه أخبره بأنه ليس صحيحاً بأن الملك عبدالعزيز في أيدي البريطانيين، وأن الهدف الرئيس للسياسة الإيطالية تجاه الملك عبدالعزيز كان لتعزيز سلطته للمقاومة ضد الضغط

١- فهد السماري: العلاقات السعودية -الألمانية، ص١٤٩.

٢- لوكاز هيرزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص٧٣.

٣- نظام عزت العباسي: علاقة الملك عبدالعزيز بألمانيا، بحث مقدم في المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز، (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٨٥م)، ص ص١١، ١٤.

البريطاني، وأن المصالح الإيطالية في المملكة العربية السعودية لن تتأثر لتدخل ألمانيا، كما أن الاستثمارات الألمانية في السعودية ستجد الترحيب وأن فرص الألمان ستكون أوسع مما هو متاح لإيطاليا(١). وعكس ذلك رد الفعل الإيطالي تجاه تزايد العلاقات الألمانية مع المملكة العربية السعودية.

وقد تتبع البريطانيون الاتصالات بين الملك عبدالعزيز والألمان خاصة بعد زيارة جروبا لجدة، حيث كان جروبا معروفاً للحكومة البريطانية بأنه من العناصر الألمانية القيادية النشطة في المشرق العربي وخاصة في العراق(٢). وتابع السير ريد بولارد الوزير البريطاني المفوض في جدة مفاوضات جروبا مع المسؤولين السعوديين من الناحية السياسية والاقتصادية خلال لقاء جمعه و جروبا ذكر له الأخير بأنه يفاوض السعوديين على تزويدهم بالأسلحة والمواد الحربية الألمانية، وأخبره برغبة ألمانيا على "جعل المملكة العربية السعودية قوية لتستطيع المحافظة على استقلالها ولكي تقاوم ضغط حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا". مما كان له أكبر الأثر على تحذير بولارد حكومته أمام هذا التحرك من جانب الألمان(٣).

إلا أن الحكومة البريطانية لم تواجه التحركات الألمانية، وذلك لعلمهم أنه ليس لديهم نفوذ على الحكومة السعودية للضغط عليها لوقف اتصالاتهم بالألمان، وانتظاراً لما يستجد عليه الأمر. خاصة وأن الحكومة البريطانية لم تكن في وضع يسمح لها بتزويد الملك عبدالعزيز بجميع متطلباته من أسلحة حسب ما يراه الساسة البريطانيون آنذاك(٤).

وكان لتقرير جروبا أثر كبير في تزايد التقارب السعودي – الألماني خاصة إثر الاتفاقية البريطانية – الإيطالية لعام ١٩٣٨م، والتي اعتبر الألمان على أثرها إيطاليا لم تعد قادرة على

١- فهد السماري: العلاقات السعودية –الألمانية، ص١٧٥.

٢- F.O. 371/23270,E -301 /301/25, January 10.1939, Telegram from Sir Mi. Peterson, Bagdad.

٣- F.O. 371/23270,E -1879 /735/25, Report by Readr Bullard to The Viscount Halifax, Ferbuary 18.1939.

٤- F.O. 371/23270,E -2008 /394/25, from Lacy Baggallay to Colonel A.F. Harding. war office, March 25, 1939.

إقامة مصالح المحور في المملكة العربية السعودية، ومهد ذلك لقيام خالد الهود بزيارة لبرلين في أوائل مايو ١٩٣٩م محملاً برسالة شخصية من الملك عبدالعزيز إلى هتلر[١].

وفيما بدأت المحادثات السعودية – الألمانية حول مطالب السعوديين للأسلحة، قامت الحكومة الألمانية بالاتصال بنظيرها الإيطالية لأخذ رأيهم حول موضوع التعاون الاقتصادي والسياسي الألماني مع السعوديين. وجاء رد إيطاليا في ١٤ يوليو ١٩٣٩م مماثلاً للرأي الذي أورده تقرير جروبا نقلاً عن سيليتي. حيث ذكر بأن الحكومة الإيطالية ليس لديها أي تردد حول تسليم الأسلحة، وأوضح بأن إيطاليا تشعر بأن كلتا القوتين ينبغي أن تعملا جنباً إلى جنب هناك وأنه لا توجد أية منافسة بينهما. وأكد على استعداد حكومة إيطاليا بخدمة الألمان في صفقاتها التجارية في الجزيرة العربية والمناطق الأخرى على البحر الأحمر عن طريق بعض الشركات التجارية التي ترعاها الدولة[٢].

وكان للتغطية الإعلامية للقاء هتلر و الهود نتائج سلبية للزيارة حيث تناول الإعلام الإيطالي لقاء الهود وهتلر بأنه لقاء لتأييد العرب وزيادة هجومهم على بريطانيا. كما وصفت إذاعة راديو باري الحدث بنبرة سياسية شديدة تضمنت الادعاء بأن اللقاء ناقش خططاً ضد البريطانيين، وأن الملك عبد العزيز أصدر إنذاراً للبريطانيين إذا لم يقدموا حلاً للمسألة الفلسطينية، فأخبر الملك عبدالعزيز مبعوثه في برلين أن يطلب من الحكومة الألمانية ممارسة سلطاتها لدى الإيطاليين لمنع تلك الدعاية الإعلامية ضدها[٣].

ولحرص الحكومة السعودية على صداقتها مع بريطانيا أرسل الأمير فيصل وزير الخارجية السعودي رسالة إلى أ. س. تروت A. C. Trott الممثل البريطاني المسؤول عن العلاقات في جدة، كذب فيها الشائعات التي صاحبت زيارة الهود لألمانيا، وأنه ذهب

١- Helmut Mejcher, Saudi Arabia's Relations with Germany under King Abdul Aziz. The Internationa Conference on the History of king Abd AL -Aziz, Riyadh, (Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University, Novermber, 1985), P. 12.

٢- فهد السماري: العلاقات السعودية – الألمانية، ص ص١٨٣، ١٨٦.

٣- نفس المرجع، ص١٨٩.

لغرض أساسي هو الحصول على الأسلحة التي رفضت الحكومة البريطانية أن تقوم بتوفيرها، وقد نقل تروت مضمون الرسالة إلى وزارة خارجيته، وذكر اضطرار الملك عبدالعزيز إلى طلب الأسلحة من ألمانيا لتدني قوته الحربية[١].

وكان لانتشار الشائعات بالإضافة إلى المناورات السياسية التي قام بها الألمان بالتساؤل حول حقيقة علاقة المملكة ببريطانيا، بالإضافة إلى أن الألمان قد وضعوا الحكومة السعودية أمام عدة اختيارات للدخول في اتفاقية تعد فيها المملكة بأن تتخذ موقف الحياد فيما يتصل بأي نزاع حول أمور الدعاية أو بسبب التحركات العسكرية[٢].

وفيما وجد الملك عبدالعزيز بأن ذلك يعني الانزلاق مع المحور والدخول في معادلات سياسية خاطئة[٣]. تتعارض مع سياسته الخارجية طلب من الهود شُكر الحكومة الألمانية على رغبتها في مساعدة بلده وأكد بأن العلاقة الجيدة بين المملكة وبريطانيا بسبب مركزها السياسي في المنطقة[٤].

وعلى الرغم من رفض الحكومة السعودية الدخول مع الألمان في موقف سياسي معادٍ للبريطانيين وافقت ألمانيا على صفقة سلاح لصالح السعوديين[٥]، إلا أن ظروف قيام الحرب العالمية الثانية حالت دون استكمال الصفقة أو تنفيذها على الرغم من حرص الملك عبدالعزيز على الحصول على أسلحة للدفاع عن دولته حسب ظروف الحرب.

وبينما كانت المحادثات السعودية – الألمانية لم تدفع بريطانيا إلى تغيير سياستها وإعطاء السعوديين الأسلحة التي من أجلها دخلوا في مباحثات مع الحكومتين الألمانية والإيطالية، كان لهذا تأثير كبير لدى الأمريكيين الذين تابعوا المطالب السعودية للأسلحة وزيارات كلٍ من فؤاد حمزة وخالد الهود لبرلين، والدعاية التي أحاطت هذه الزيارة،

١- F.O. 371/23272, E -4932 /394/25, from A. Trott to Foreign office, Jun 27, 1939.

٢- F.O. 371/23272, E -6267/572/22, July 27, 1939.

٣- F.O. 371/23272, E -6267/572/22, August 2, 1939.

٤- F.O. 371/23272, E -6267/572/22, August 12, 1939.

٥- F.O. 371/23272, E -6641/735/25, August 18, 1939.

بالإضافة إلى زيارة جروبا لجدة والتي توافقت مع وجود ممثلين أمريكيين لشركات النفط في جدة نقلوا إلى حكومتهم الاهتمام الألماني بالسعودية، مما جعل الأمريكيون يغيرون من مواقفهم السياسية ويقيمون علاقات دبلوماسية مع المملكة العربية السعودية، فعُين بـــرت فيش الممثل المقيم في القاهرة وزيراً في السعودية بالإضافة إلى وظيفته في مصر[١]. فكـــان الأمريكيون بذلك أكثر حنكة وسياسة من البريطانيين الذين لم يتفهموا حقيقة الموقف في المملكة العربية السعودية واحتياجاتها العسكرية وأدى ذلـــك إلى تقـــارب ســـعودي – أمريكي.

وقد رفض الملك عبدالعزيز محاولات دول المحور ألمانيا وإيطاليا واليابان في الحصول على امتيازات للتنقيب عن النفط في شرق المملكة، رغم تقديمها عروضاً أكثر مما قدمتـــه شركة ستاندرد الأمريكية في أغسطس ١٩٣٩م/١٣٥٨هـــ، وهو ما تضـــمنته زيـــارة غروبا – الوزير الألماني المفوض في العراق والمملكة العربية السعودية المقيـــم ببغـــداد – لجدة[٢]، إلا أن الملك عبدالعزيز آثر إعطاءه للأمـــريكيين لعلمـــه بمطـــامع دول المحـــور الاقتصادية في النفط السعودي[٣].

وكان ذلك دليلاً على يقظة الملك عبدالعزيز وتفهمه للأغراض السياسية والاقتصادية وراء العروض المقدمة من دول المحور خاصة في ظل تدهور الأوضاع الدولية.

وبذلك عكست المملكة العربية السعودية رغبتها في المطالبة بالحصول علـــى الســـلاح وتقوية دفاعاتها من البريطانيين والإيطاليين والألمان لرفع قدراتها العسكرية للدفاع عن أراضيها في طور تطور الأوضاع العربية والدولية، خاصة وأن الملك عبدالعزيز قد أحس بـــأن العـــالم يتجه إلى الحرب، ورأى وجوب استكمال مطالب دولته الدفاعية من الأسلحة للدفاع عـــن أراضيه إذا ما تعرضت للخطر، وذلك لقرب المستعمرات البريطانية والإيطالية من أراضـــيه. وهذا يعطي انطباعاً بأن المنطقة العربية قد تشهد فصلاً من فصول الحرب العالمية القادمة.

١- فهد السماري: العلاقات السعودية – الألمانية، ص ص٢٠٥، ٢٠٧.

٢- Lenczowski. The Middle East in The World Affairs, P. 347.

٣- خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة، جـــ٢، ص٧٠٠.

اليمن:

اختص الملحق الثالث من الاتفاقية البريطانية – الإيطالية، باليمن والمملكة العربية السعودية*، فقد اهتم البريطانيون على أن تكون اليمن من أهم المناطق التي تتناولها الاتفاقية وذلك حتى لا تستخدمها إيطاليا كمركز مهدد للنفوذ البريطاني في جنوب وشمال البحر الأحمر، حيث إن علاقات الصداقة التي تمتعت بها الحكومتان الإيطالية واليمنية شكلت هاجساً لدى البريطانيين في ظل الأوضاع المتدهورة في أوروبا. واعتُبرت الاتفاقية رد فعل بريطاني مباشر لقيام إيطاليا بتجديد معاهدتها مع اليمن في عام ١٩٣٧م/١٣٥٦هـ، والتي نبأت ببلوغ النفوذ الإيطالي في اليمن أقصى ذروته، كما كانت تخشى بريطانيا.

لذلك حرصت بريطانيا على التفاهم مع إيطاليا حول الأوضاع في جنوب الجزيرة العربية والجزر الموجودة في البحر الأحمر ومصالح كل منهما فيها. بالإضافة إلى ذلك ناقش الطرفان أوضاع النواحي التسع المتاخمة لعدن بجنوبي اليمن فيما يُعرف بمحمية عدن. وقد حرصت الحكومة الإيطالية عقب الاتفاقية بأنها لن تحاول الحصول على نفوذ سياسي في الجزيرة العربية، كما تعهدت بأن تضمن للمواطنين الإيطاليين والرعايا المقيمين في هذه الجهات حرية الإقامة والتجارة وَفقاً للأحكام المرعية[1].

وقد هدفت بريطانيا من هذه الاتفاقية إلى الحفاظ على نفوذها في جنوب الجزيرة العربية، وضمان عدم تدخل إيطاليا في الأراضي السعودية، بالإضافة إلى أن توقف هي وإيطاليا نشاطهما لكسب أي نفوذ سياسي في الجزيرة العربية، وبذلك تُحارب مساعي الإيطاليين دون أن تمس مصالحها الخاصة ومناطق نفوذها واستعمارها في جنوب الجزيرة العربية[2].

---

* انظر المبحث الأول في الفصل الثاني، ص ص ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩.

١- فاروق أباظة: العلاقات البريطانية اليمنية بين الحربين العالميتين، ص١٤٠.

٢- السيد مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث، ص٤٥٤.

كما أن بريطانيا ورغم أن الاتفاقية هدفت إلى تهدئة إيطاليا، فقد ضمنت توقف الدعاية العدائية التي كانت تذيعها إيطاليا عبر إذاعة باري، التي كانت تمثل خطراً كبيراً على نفوذها في المشرق العربي عامةً وجنوب الجزيرة العربية خاصة[1]. وإن كان ذلك لن يستمر طويلاً.

وعندما تجددت المنازعات على الحدود الجنوبية الشرقية لليمن في شبوه بين الإمام يحيى بن حميد الدين وبريطانيا بدا بأن إيطاليا واستناداً لاتفاقية ١٩٣٨م/١٣٥٧هـ تتعاطف مع بريطانيا وتؤيد وجهة نظرها إزاء الإمام يحيى في مسألة الحدود، حيث أشارت صحيفة الأهرام إلى تعليق صحيفة إيطالية على نشاط بعض الموظفين البريطانيين في هذه الجهات اليمنية بأن بريطانيا بموجب اتفاق ١٩٣٨م ملتزمة بألا تقوم بأي عمل في اليمن من شأنه أن يعود بالضرر على استقلال هذه البلاد وسلامة أراضيها[2]. وبذلك تكون إيطاليا قد نفت عن البريطانيين القيام بهذا الأمر لأنه يتعارض مع اتفاق ١٩٣٨م المعقود بينهما[3].

وقد ناقش الأمير الحسن ابن الإمام يحيى في أثناء زيارته لندن في شهر يناير ١٩٣٩م/١٣٥٨هـ ممثلاً لبلاده في وفد الحكومات العربية بشأن قضية فلسطين مع وزارة الخارجية البريطانية أوضاع شبوه، ووافق الطرفان على الاحتفاظ بالحالة الراهنة في شبوه وعدم إدخال تعديل عليها، كما وافقوا على إخلاء القوات البريطانية واليمنية من منطقة شبوه، فكان ذلك تساهلاً من الحكومة البريطانية كان القصد منه كسب ود الإمام وتهدئة الأوضاع في منطقة الحدود بين اليمن والمحميات في وقت كان قيام الحرب أمراً لا مفر منه[4].

وعلى الرغم من أن إيطاليا حرصت في اتفاقية ١٩٣٨م على أن تعتبر نفسها دولة مدافعة عن استقلال اليمن ومصالحه بينما اعتبرت أن المملكة العربية السعودية منطقة

١- Lengzowski, The Middle East in The World Affairs, P.458.

٢- الأهرام: ١٣ فبراير ١٩٣٩م، ص٧.

٣- السيد مصطفى سالم، تكوين اليمن الحديث، ص٤٥٦.

٤- أمين السعيد: اليمن، ص٢٥٤.

نفوذ بريطانية، إلا أن الاتفاقية لم تخدم كلاً من بريطانيا وإيطاليا لكون اليمن والمملكة العربية السعودية دولتين مستقلتين كان للملك عبدالعزيز مبدأ سياسي في سياسته الخارجية في عقد اتفاقات مع جميع الدول بما يضمن استقلاله السياسي ولإيجاد توازن في علاقاته الدولية، بينما الإمام يحيى فرض العزلة على بلاده، وأصبح البريطانيون أعدائه المستعمرين لجزء مما اعتبره أراضي يمنية على الرغم من أن المعاهدة بينهما هدأت الأوضاع العسكرية في مناطق الحدود بين اليمن ومحميات الجنوب، بينما كانت إيطاليا هي الدولة التي ارتبط معها بمعاهدات صداقة وتجارة، إلا أن اليمن لم تتحول إلى منطقة نفوذ اقتصادي لإيطاليا بشكل كامل بسبب سياسة الحذر من الأجانب التي ظلت ذات طابع سائد لسياسة الإمام يحيى والشعب اليمني، وإن كان يميل إلى جانب المحور إذا قامت الحرب[١].

وبالرغم من اتفاقية ١٩٣٨م/١٣٥٧هـ بين بريطانيا وإيطاليا وتفاهمهما حول مصالحهما في جنوب الجزيرة العربية والبحر الأحمر، إلا أن إيطاليا عملت جاهدة في الفترة التي تلت المعاهدة إلى تقوية ميناء عصب، – على الساحل الأفريقي– وتنميته، فأصبح مستودعاً ضخماً للأسلحة والذخائر، نظرت إليها بريطانيا على أنها استعدادات للحرب الأوروبية القادمة، وتهديد لمستعمراتها في عدن والصومال البريطاني وأفريقيا الشرقية ومصالحها في مصر وفلسطين، كما قد يكون ذلك تمهيداً لقيام عمليات عسكرية إيطالية في المنطقة أو تمهيداً لغزو اليمن ذاتها[٢]. لذلك كانت آثار الاتفاقية البريطانية – الإيطالية لعام ١٩٣٨م على التفاهم حول مصالحهما في المنطقة محدوداً في ظل غياب موقف الإمام يحيى بن حميد الدين الذي لم أجد له رداً سياسياً رسمياً على هذه الاتفاقية مقارنة برد الملك عبدالعزيز آل سعود.

١- صلاح العقاد: جزيرة العرب في العصر الحديث، (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٩٩م)، ص٦٩.

٢- فاروق أباظة: العلاقات البريطانية اليمنية بين الحربين العالميتين، ص١٤٥.

العراق:

طلبت الحكومة العراقية في مايو ١٩٣٨م من الحكومة البريطانية توضيحاً لبعض النقاط الخاصة بالشرق الأوسط من اتفاقية إبريل ١٩٣٨م، بينها وبين الحكومة الإيطالية، وذلك عن طريق سفيرها في بغداد، خاصة وأن الحكومة البريطانية لم تبلغها بنود الاتفاقية قبل عقدها. وتمسكت الحكومة العراقية باستقلالية السعودية العربية واليمن التي تضمنتها الاتفاقية صراحةً، وأبدوا تخوفهم من أن تعوق الاتفاقية سبيل التقارب والتعاون بين البلاد العربية، وطالبوا بضمانات بأن الاتفاقية لا تمس استقلال البلاد العربية، والتعهدات التي تمت ما بين الحكومتين العراقية والبريطانية حسب المعاهدة التي تربطهما وجاء رد الحكومة البريطانية في يونيو مؤكداً التزام بريطانيا بتعهداتها تجاه العراق والبلاد العربية، وبررت عدم إبلاغها الحكومة العراقية بأن المفاوضات بينهما وبين الحكومة الإيطالية لم تنته إلا في الأيام الأخيرة قبل عقد الاتفاقية، وأن الاتفاقية لا تمس استقلالية البلاد العربية ولا التدخل في شؤونها، وبررت الحكومة البريطانية شمول الاتفاقية للمناطق العربية بأنها حرصت بالاتفاق مع إيطاليا، حماية المنطقة من الأطماع الإيطالية خاصة بعد إعلانها قيام الإمبراطورية الإيطالية في شرق أفريقيا، وأخيراً أوضحت بأن الاتفاقية ليست ملزمة للحكومة العراقية، وأبلغ السفير البريطاني حكومته في تقريره السنوي برضى الحكومة العراقية بهذا الإيضاح(١).

وبذلك تباينت مواقف الدول العربية التي شملتها الاتفاقية البريطانية — الإيطالية لعام ١٩٣٨م في ردها عليها، إلا أنها أجمعت على رفضها واستنكارها شكلاً ومضموناً، واعتُبرت تدخلاً سافراً من بريطانيا وإيطاليا في شؤون البلاد العربية، وجعل المنطقة ميداناً للتنافس بينهما.

فأدى إخفاق سياسة التهدئة في احتواء تدهور الأوضاع السياسية والعسكرية في أوروبا المتجهة نحو الحرب، كذلك أخفقت الاتفاقية البريطانية- الإيطالية لعام ١٩٣٨م

١- Foreign office, Annual Reports from Arabia 1930-1960, Iraq Annual Report 1938, Vol 3, P.P. 25, 26.

في حسم الموقف السياسي في أوروبا المتجه بإيطاليا نحو الحرب إلى جانب حليفتها في المحور ألمانيا، وفي حسم التنافس بين بريطانيا وإيطاليا في البحرين الأبيض المتوسط والأحمر ومنطقتي العالم العربي وشرق أفريقيا الذي ستكون أجزاء من أراضيه وبحاره موضعاً للعمليات العسكرية خارج أوربا في أثناء الحرب العالمية التي بدأتها ألمانيا بغزوها بولندا.

الفصل الثالث

أثر قيام الحرب العالمية الثانية على التنافس البريطاني – الإيطالي في منطقة العالم العربي (المشرق العربي) ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م – ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م

المبحث الأول: الصراع بين بريطانيا وإيطاليا في منطقة العالم العربي في أثناء الحرب في شبه الجزيرة العربية(المملكة العربية السعودية- الخليج العربي – اليمن – عدن و محميات الجنوب).

المبحث الثاني: الصراع بين بريطانيا و إيطاليا في منطقة العالم العربي في أثناء الحرب في العراق و بلاد الشام (سورية و لبنان – إمارة شرق الأردن – فلسطين).

المبحث الأول

الصراع بين بريطانيا وإيطاليا في منطقة العالم العربي في أثناء الحرب في شبة الجزيرة العربية (المملكة العربية السعودية – الخليج العربي – اليمن – عدن و محميات الجنوب).

أدى تطور الأحداث الدولية ما بين عامي ١٩١٩-١٩٣٩م/١٣٣٨-١٣٥٨هـ إلى قيام الحرب العالمية الثانية، وكان من أهم الأسباب التي أدت إليها، مقررات مؤتمر السلام الذي عُقد في نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٩م، حيث حققت قراراته أطماع الفريق المنتصر في الحرب على حساب الفريق المهزوم، مما أدى إلى مطالبة الفريق الثاني بتعديل تلك المقررات بعد أن استجمع قوته وتفاوتت موازين القوى في أوروبا بتحقيق الأنظمة الديكتاتورية في ألمانيا وإيطاليا واليابان قوة دفعت بها إلى المطالبة بالتغيير لبلوغ غاياتها وأطماعها فواجهتها الدول الليبرالية كبريطانيا وفرنسا التي رغبت في المحافظة على مصالحها تحت ستار المحافظة على الوضع القائم.

إلا أنها سمحت بتحقيق بعض المطالب المعتدلة بسبب تناقض مواقفهما من بعض القضايا الأوروبية، بالإضافة إلى تخوفهما من الخطر الشيوعي، ورأت في تحالف كل من اليابان وألمانيا وإيطاليا لمكافحة الشيوعية دافعاً لها — خاصة بريطانيا- إلى اتخاذ سياسة هادئة حيال هذه الأنظمة طالما هي ترى بأن الشيوعية هي عدوتها الأولى، وأنها لا تشكل خطراً مباشراً على مصالحها.

مما أدى إلى عدم تفهم الدول الديكتاتورية لحقيقة مواقف الدول الليبرالية، فكانت بريطانيا وفرنسا قد تساهلتا مع المطالب الألمانية في السار و النمسا ويوغوسلافيا، إلا أن تحالف ألمانيا مع الاتحاد السوفيتي (النازية والشيوعية) في ٢٣ أغسطس ١٩٣٩م ودخول القوات الألمانية بولندا أدى ببريطانيا وفرنسا لمواجهة الواقع بأن الأوضاع السياسية لن تعود إلى وضعها الطبيعي وأن محاولاتها لمنع نشوب الحرب فشلت، وأثبتت عصبة الأمم عدم فعاليتها وعجزها عن القيام بدورها في حماية استقلال وسيادة بعض الدول من ويلات الحروب*. فبدأت الحرب العالمية الثانية رسمياً في ٣ سبتمبر ١٩٣٩م، إلا أن الحرب الفعلية تأخرت حتى عام ١٩٤٠م، بعد أن استنفذت هذه الدول خيارات المبادرات السلمية وأكملت استعداداتها العسكرية[1].

---

* عدوان إيطاليا على الحبشة، واليابان على الصين، وألمانيا على النمسا، وإيطاليا على ألبانيا.

١-رياض الصمد: تطور الأحداث الدولية في القرن العشرين، ص ص ٣٤٥، ٣٤٧.

وقد ضمت الحرب في بدايتها جبهتين، جبهة ألمانيا والاتحاد السوفيتي (ضد بولندا فقط)، وجبهة الحلفاء وتضم بريطانيا وفرنسا وبولندا، وبدأت الحرب شمال أوروبا، ونجحت القوات الألمانية في احتلال النرويج والدانمارك، وقامت القوات السوفيتية باحتلال فنلنده، وتوسعت الحرب إلى غرب أوروبا واجتاحت القوات الألمانية هولندا وبلجيكا ولكسمبرج وهددت الأراضي الفرنسية (١).

أُجبر نيفيل تشمبرلن إزاء تطور الأحداث في أوروبا وتمكن ألمانيا من احتلال معظم أوروبا الغربية، بالإضافة إلى الحملات القاسية التي شنها عليه أعضاء حزبه إلى تقديم استقالته في ١٠ مايو ١٩٤٠ م/١٣٥٩هـ (٢)، وترأس ونستون تشرشل الحكومة في أحرج الأوقات التي مرت بها بريطانيا، وخطب في مجلس العموم في ١٣ مايو مؤكداً بأن "هدفه هو الحرب حتى النصر" (٣).

وأدى تفوق القوات الألمانية وتحقيقها الانتصارات العسكرية في شمال وغرب أوروبا، إلى لفت نظر موسوليني حيث يعني انتصار ألمانيا في الحرب أنه يستطيع بانضمامه إليها مقاسمتها أسلاب الحرب. فما إنْ أعلم هتلر موسوليني ببدء الهجوم على باريس رأى الدوتشي، بأن الوقت قد حان لأن يطالب بأخذ نيس وكورسيكا وتونس إذا ما سقطت فرنسا بيد القوات الألمانية، وأجاب الجنرال بادليو الذي قال له: بأن الجيش الإيطالي مازال غير قادر على القيام بحرب جدية وينقصه العتاد والذخائر، قائلاً: "ليس المراد القيام بالحرب ولست بحاجة إلا إلى بضعة آلاف ميت لأستطيع بصفتي محارباً أن أجلس إلى مائدة السلام." (٤).

وفي ١٥ يونيو ١٩٤٠م سقطت باريس أمام القوات الألمانية، ووقعت حكومة فيشي Vichy Regime التي ألفها المارشال بيتان Petain في بلدة فيشي كحكومة موالية

١- جرانت و تمبرلي: أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين، جـ٢، ص ص٤٥٠، ٤٥٤، ٤٥٦.

٢- فيشر: تاريخ أوروبا في العصر الحديث، ص٦٧٤.

٣- ونستون تشرشل: المذكرات، جـ١، ص٢٢٨.

٤- بيير رونوفن: تاريخ القرن العشرين، ص٥١٥.

للألمان على الهدنة* في ٢٢ يونيو مع ألمانيا وفي ٢٤ يونيو وقعت الهدنة مع إيطاليا، وقضت الهدنة بتحويل مناطق محددة في جنوب فرنسا وتونس والجزائر والصومال الفرنسي إلى مناطق غير عسكرية، وأن يكون لإيطاليا حقوق كاملة على ميناء جيبوتي، وأُلزمت فرنسا بتسليم إيطاليا كل عتاد القوات الفرنسية على الجبهة الإيطالية(١).

وبذلك انسحبت فرنسا من الحرب ووقع عبء الحرب على بريطانيا ومستعمراتها التي ظلت تقاتل بمفردها دول المحور من يونيو ١٩٤٠م إلى يونيو ١٩٤١م/١٣٥٩-١٣٦٠هـ، حتى قيام حكومة "فرنسا الحرة" بقيادة شارل ديغول Charles de Gaulle نائب وزير الحرب في الحكومة الفرنسية، والتي حاربت إلى جانب بريطانيا لتحقيق النصر(٢).

وقام هتلر في هذه الفترة بمحاولة غزو الجزر البريطانية عن طريق البحر والجو في عملية أطلق عليها "خطة أسد البحر". وعندما فشل عمد إلى فرض حصار بحري عليها، واستمر في قصف موانئها ومدنها عن طريق الجو، كما أعطى أوامره إلى أسطوله البحري بإغراق البواخر البريطانية في الأطلسي والمتوسط وإغلاق قناة السويس وجبل طارق أمام بريطانيا، حيث رأى بأنه إذا ما تمكن من عرقلة المواصلات البريطانية وحال بينها وبين اتصالها بمراكز تموينها فيسهل له ذلك إجبارها على الاستسلام، إلا أن تفوق سلاح الجو البريطاني وصمود الجبهة الداخلية البريطانية تحت رئاسة تشرشل، ومؤازرة الشعب البريطاني، بالإضافة مناصرة رئيس الولايات المتحدة الأمريكية فرانكلين روزفلت لبريطانيا، ومساعدته لها بتقديم الأغذية والعتاد الحربي لها دون أن يُعلن رسمياً الحرب على ألمانيا، مما حال دون استسلام بريطانيا أمام الهجمات الألمانية(٣).

وقد بذل تشرشل جهده بعد تسلمه رئاسة الوزراء ووزارة الدفاع للإبقاء على إيطاليا خارج الصراع في أوروبا، فقام بنداء إلى موسوليني في ١٦ مايو ١٩٤٠م أشار فيه إلى

* وقع الهدنة المارشال بيتان، واتخذت الحكومة الفرنسية مدينة فيشي مقراً لها، نصت الهدنة على تقسيم الأراضي الفرنسية إلى قسمين: الأول ويشمل الأجزاء الشمالية من فرنسا والشواطئ الواقعة على الأطلسي ويقع تحت الاحتلال الألماني، والثاني: ويشمل الأجزاء الأخرى من فرنسا (يتضمن مناطق استعمارها وانتدابها في آسيا وغرب أفريقيا) ويبقى تحت سلطة حكومة فيشي.

١- Galeazzo Ciano Diario 1937-1943, P. 446.

٢- تروخانوفسكي: سياسة بريطانيا الخارجية خلال الحرب العالمية الثانية، ص١٢٥.

٣- عبد الحميد البطريق: التيارات السياسية المعاصرة، ص ٤٠٣.

العلاقات البريطانية – الإيطالية ودعا فيه الرئيس الإيطالي إلى وقف النزاع الذي قد يؤدي إلى الحرب، وشدد على حسن نية بريطانيا تجاه إيطاليا، وأشار إلى عمق الحضارتين اللاتينية والمسيحية وأنه إذا اختارت إيطاليا الحرب فإن بريطانيا ستمضي قدماً إلى النهاية حتى لو ظلت وحدها.

وجاء رد موسوليني قاسياً وصريحاً في ١٨ مايو ١٩٤٠م/١٣٥٩هـ، حيث أكد على أن الدولتين تقفان في معسكرين متعاكسين. وقال : ".. وإذا كانت حكومتك قد أعلنت الحرب على ألمانيا حفاظاً منها على كلمتها وإكراماً لتوقيعها، ففي إمكانك أن تفهم أن مثل هذا الشعور بالحفاظ على الكلمة والوفاء للالتزامات التي تفرضها المعاهدة الألمانية – الإيطالية هو الذي يوجه سياسة إيطاليا اليوم وغداً، مهما كانت الظروف والاعتبارات"[١]. وكان ذلك رداً صريحاً واضحاً بعزم إيطاليا على دخول الحرب إلى جانب ألمانيا وهو ما أدركه تشرشل وذكره تشانو في مذكراته[٢].

وهكذا فشلت محاولة تشرشل مهادنة إيطاليا التي استمرت منذ عهد سلفه تشمبرلن، وبات دخول إيطاليا الحرب مسألة وقت.

وقد أثرت الهزائم الفرنسية أمام القوات الألمانية على قرار موسوليني إعلان الحرب إلى جانب ألمانيا، حيث ذكر تشانو في ١٣ مايو ١٩٤٠م بأن موسوليني سيعلن الحرب على بريطانيا وفرنسا في غضون شهر، وعلى الرغم من المحاولات الفرنسية بتقديم بعض التنازلات الإقليمية الفرنسية (تونس) لإرضاء إيطاليا، إلا أن تشانو رد على السفير الفرنسي في روما قائلاً: "بأن الدوتشي غير مبال لاستعادة بعض المناطق الفرنسية عن طريق المفاوضات السلمية ، فقد قرر أن يدخل الحرب ضد فرنسا"[٣]. وفي ١٠ يونيو أبلغ وزير الخارجية الإيطالي تشانو السفيرين الفرنسي، والبريطاني في روما، أن إيطاليا قد أعلنت الحرب على بريطانيا وفرنسا[٤].

١- ونستون تشرشل: المذكرات، جـ١، ص٣٣٢.

٢- Galeazzo Ciano Diario1937-1943, P. 432.

٣- Ibid, P. 430.

٤- Renzo De felice, Mussolini l'alleato 1940_1943, (Torino:Gulo Einaudi Editore, 1990), P. 90.

وفيما كانت ألمانيا تحقق انتصاراتها في أوربا، حققت اليابان انتصارات مماثلة في آسيا والمحيط الهادئ* ضد بريطانيا وأمريكا، فأدى ذلك إلى عقد كل من إيطاليا وألمانيا واليابان ميثاق ثلاثي في ٢٧ سبتمبر ١٩٤١م/١٣٦٠هـ، تضمن الاتفاق: اعتراف اليابان لألمانيا وإيطاليا بإقامة "نظام جديد"** في أوروبا، واعتراف ألمانيا وإيطاليا لليابان بإقامة "نظام جديد" في الشرق الأقصى، وتعاهدوا على التعاون من أجل إقامة هذين النظامين الجديدين، والرد على كل اعتداء يقع على أحدهم من قبل أي دولة غير داخلة في الحرب حتى ذلك التاريخ. وأكد المتحالفون على حسن علاقات بلادهم بالاتحاد السوفيتي، وذلك حرصاً منهم على موقف السوفييت المحايد من الحرب.

ويلاحظ على هذا التحالف حرص الأنظمة الديكتاتورية (ألمانيا، إيطاليا واليابان) على معاداة الأنظمة الليبرالية الديمقراطية والشيوعية، وإن اتخذت موقف مهادن للشيوعية مما يدل على حرصها على إبعاد الشيوعيين عن الديمقراطيين في ذلك الوقت حتى لا تكسب عداوته في الحرب آنذاك فتتوسع الحرب في الجبهة الشرقية والغربية لأوروبا(١).

وترجع رغبة هتلر في التحالف مع الاتحاد السوفيتي في اتفاقية أغسطس ١٩٣٩م/١٣٥٨هـ كاتفاق مؤقت بغية إدخاله كعضو في محور (برلين –روما – طوكيو)(٢). حيث كان مخطط هتلر يقضي إلى تقسيم العالم إلى أربع مناطق نفوذ هي :

١- تشمل أوربا الوسطى والجنوبية وأفريقيا الوسطى، وهي حصة "ألمانيا".

٢- تشمل يوغوسلافيا وأفريقيا الشمالية والشرقية، وهي حصة "إيطاليا".

٣- تشمل بلدان الشرق الأقصى، وهي حصة "اليابان".

٤- تشمل الخليج العربي وإيران وربما الهند، وتكون من نصيب الاتحاد السوفيتي فيما لو انضم إلى المحور.

---

* استطاعت اليابان الاستيلاء على سيام والملايو البريطانية ثم سنغافورة و تحطيم الأسطول الأمريكي في بيرل هاربر، وأصبح الأسطول الياباني في مايو ١٩٤٢م سيد المحيط الهادئ، مما دفع بالأمريكيين إلى تنظيم أسطولهم ودخول الحرب مع الحلفاء ضد اليابان في ٨ ديسمبر ١٩٤١م وضد ألمانيا وإيطاليا في ١٠ ديسمبر ١٩٤١م.

** لم يُعرف الميثاق الثلاثي "النظام الجديد" في أوروبا والشرق الأقصى وإنما تُرك لينفذ رؤى النازية والفاشية في أوروبا، وأن تكون اليابان زعيمة آسيا وحاميته تحت شعار (آسيا للآسيويين).

١- درزويل: التاريخ الدبلوماسي، ترجمة: د.نور الدين حاطوم، (لبنان: دار الفكر الحديث، (د. ت))، ص ص ١٢، ١٣ .

٢- تروخانوفسكي: سياسة بريطانيا الخارجية خلال الحرب العالمية الثانية، ص١٨١.

وترك المضائق -حسب المخطط- تحت السيادة التركية بسبب موقعها الاستراتيجي مع الاعتراف للاتحاد السوفيتي بحقه في العبور ومنع سفن الدول غير الواقعة على البحر الأسود من العبور.

إلا أن السوفيت اشترطوا شروطاً لم تتناسب مع مصالح وأطماع هتلر، مما غيّر سياسته تجاه السوفيت وأمر قيادته العسكرية بوضع الخطط لاحتلال الاتحاد السوفيتي(١).

وبعد أن سيطر الألمان على البلقان وشمالي أوروبا وشرقها، بدأ تنفيذ "خطة برباروسا" التي تهدف إلى احتلال الاتحاد السوفيتي في ٢٢ يونيو ١٩٤١م، مما أدى إلى انضمام الاتحاد السوفيتي إلى الحرب إلى جانب أمريكا وبريطانيا لمحاربة الخطر النازي وباقي دول المحور(٢).

وبتخلي ألمانيا عن عزمها على غزو الجزر البريطانية، انتقلت الحرب ضد بريطانيا إلى مستعمراتها في البلاد العربية، في بلاد الشام والعراق وشمال وشرق أفريقيا ومنطقة البحر الأبيض المتوسط، سواء عن طريق الدعاية أو مساندة القوى الوطنية ضد النفوذ البريطاني أو عن طريق الحرب المباشرة في شمال وشرق أفريقيا، وكان ذلك بقوات ألمانية وإيطالية، بقيادة منفصلة أو مشتركة.

أصبح العالم العربي إحدى الجبهات الحساسة التي لعبت دوراً حاسماً في تقرير مصير الحرب العالمية الثانية لصالح الحلفاء نظراً لموقعه الجغرافي الهام على خطوط المواصلات العامة البحر المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي وبخاصة قناة السويس وباب المندب. إلى جانب أهميته الاقتصادية حيث إن المنطقة تذخر بالموارد الاقتصادية والمواد الأولية وبخاصة البترول الذي أصبح عصب الحرب.

وفيما جهدت قوات المحور للسيطرة عليه، قام الحلفاء بالعمل على ألا يقع تحت نفوذ المحور والدفاع عنها من أي خطر مهما كان نوعه، خاصة كل حركة تحريرية، تهدد طرق المواصلات ومنابع الموارد الاقتصادية (خاصة البترول) التي لولاها لما استطاعت بريطانيا مواصلة الحرب. وقد ركز هتلر استراتيجيته في الحرب بعد امتداد نفوذه في شمال

١- رياض الصمد: تطور الأحداث الدولية في القرن العشرين، ص ٣٧٢.

٢- عبد الواحد الداموك: الحرب العالمية الأولى والثانية قراءة بين السطور، ص٢٣٠.

وغرب أوروبا إلى السيطرة على الاتحاد السوفيتي ورأى أن بإمكان قواته السيطرة على مصر وسورية والعراق لتتصل بقواته المتقدمة إلى القوقاز والوصول إلى إيران والخليج العربي لتغير مجرى الحرب ولمنع وصول الإمدادات للسوفييت عبر إيران، وبذلك يحقق لألمانيا القوة بسيطرته على بترول الخليج والشرق الأوسط والاتحاد السوفيتي، وصولاً إلى جبهة الشرق الأقصى التي يسيطر عليها اليابانيون بعد وصولهم إلى سنغافورة، وبذلك تصبح جبهات القتال متصلة ما بين أوروبا وأفريقيا وآسيا والشرق الأقصى وأمريكا.

وكان الخطر الألماني المباشر على المنطقة العربية –حسبما رأى البريطانيون– يأتي من وجود القوات الإيطالية الضخمة المتحالفة مع ألمانيا والتي لديها مطامعها الخاصة في المنطقة، وهذه القوات مرتكزة في مستعمرات إيطاليا في ليبيا والقرن الأفريقي (الصومال الإيطالي) والحبشة وإرتريا إمبراطورية إيطاليا في شرق أفريقيا، حيث أصبحت إيطاليا تهدد النفوذ البريطاني في المنطقة خاصة بعد هزيمة فرنسا وشل القواعد البحرية الفرنسية في شمال أفريقيا، فلم يكن أمام بريطانيا إلا حماية المنطقة كاملة بمفردها –في البداية– مرتكزة على قواعدها في مالطا وجبل طارق وقناة السويس وقبرص في منطقة البحر المتوسط إلى جانب حماية نفوذها في الخليج العربي والعراق وشرق الأردن وفلسطين وعدن ومحميات الجنوب ضد أي محاولة إيطالية لتهديده من جهة الجو أو البحر، حيث كان للإيطاليين التفوق من ناحية القوات في العدد، وتمكن الطيران الإيطالي في شرق أفريقيا من تهديد المواقع الهامة للنفوذ البريطاني في شبه الجزيرة العربية، بلاد الشام والعراق[١].

لذلك سعت بريطانيا إلى اتخاذ خطط استراتيجية إبان الحرب العالمية الثانية هدفها: حماية نفوذها في العالم العربي في آسيا وأفريقيا، سواء عن طريق إزالة الخلافات بين الدول العربية لحشد طاقاتها لمصالحها في أي صراع قادم –بين السعودية واليمن، ومصر والسعودية، والسعودية وشرق الأردن– أو تعديل وعقد المعاهدات –مع مصر والأردن، وبذل الوعود لتقدم البلاد العربية كل مساعدة لبريطانيا، وتوجه كل مواردها الاقتصادية والمَيْدَانية لخدمة المجهود الحربي البريطاني، فكانت مصر قاعدة العمليات العسكرية في

١– محمد عدنان مراد: بريطانيا والعرب، (دمشق: دار طلاس، ١٩٨٩م)، ص ص٣٦٣، ٣٦٥.

الشرق الأوسط والسودان قاعدة للهجوم على المستعمرات الإيطالية في شرق أفريقيا ومستعمراتها في شرق أفريقيا – كينيا – لمساندة الهجمات في شرق أفريقيا لتقويض الإمبراطورية الإيطالية[١].

وقد وضع تشرشل مذكرة قيم فيها أهمية الأوضاع في الشرق الأوسط، ورسم فيها الخطوط العامة للسياسة التي اعتزمت حكومته تنفيذها في ٣ سبتمبر ١٩٤٠م/١٣٥٩هـ، جاء فيها:

"ينبغي بذل مجهود مكثف لاستكمال تجهيز جيشنا في الشرق الأوسط، ما عدا ذلك – يقصد خطر غزو الجزيرة البريطانية– فإن ساحة الحرب الرئيسة الوحيدة المتوقعة في عامي ١٩٤٠–١٩٤١م هي الشرق الأوسط. علينا السعي لاستقدام قوات بريطانية وأسترالية وهندية بحجم لا يحده إلا الطاقات المتوفرة لدينا للنقل بحراً، ولإدامة هذه القوات، يجب علينا أن نتوقع الحرب في مصر والسودان، في تركيا، سورية أو فلسطين، وربما في العراق وإيران." و لم يكتف بذلك بل إنه وبعد فترة شدد على أهمية رعاية مصالح بريطانية في الشرق الأوسط إلى حد أنه أولى تعزيز السلاح البريطاني في المنطقة على حساب طاقاتها العسكرية في الجزيرة البريطانية ذاتها[٢].

وفي عام ١٩٤٠م تفاهم موسوليني وهتلر حول مطامع موسوليني في الإمبراطورية البريطانية والفرنسية حيث عرض موسوليني مطامعه في الصومال ونقل حقوق بريطانيا في مصر والسودان إلى إيطاليا، ورغبته في وضع نظام خاص بمنطقة القناة، وفرض سيطرته على الجناح الجنوبي للطريق إلى عدن، وضم عدن وبريم و سوقطرى لإيطاليا، وبذلك يصبح البحر الأحمر بحيرة إيطالية، إلى جانب تقييد شرق الأردن وفلسطين بمعاهدات مع إيطاليا ليتمكن من بسط نفوذه على الأماكن الاستراتيجية هناك واحتلالها، وتوجت هذه المطامع بعد تحقيق مطامعه في الصومال الفرنسي (جيبوتي) في اتفاقية الهدنة مع فرنسا في ٢٤ يونيو ١٩٤٠م[٣].

١– السيد رجب حراز: بريطانيا وشرق أفريقيا من الاستعمار إلى الاستقلال، ص١٩٣.

٢– ونستون تشرشل: المذكرات، جـ١، ص ص ٤٤٥، ٤٤٧، ٤٤٩.

٣– عاطف السيد: البحر الأحمر والعالم المعاصر، ص١٢٦.

وأمام الخطط الاستراتيجية لكل من بريطانيا وإيطاليا للعالم العربي في الحرب العالمية الثانية كان العالم العربي المقسم بين النفوذ البريطـاني والفرنسـي والإيطـالي، والمقيـد بمعاهدات تلزمه تقديم جميع التسهيلات للجيوش البريطانية — كما تراها بريطانيا- أثنـاء الحرب في الأردن، العراق، سورية ولبنان أو محميات الخليج، و لم يكن هناك إلا دولتـان تتمتعان بالاستقلال التام هي المملكة العربية السعودية واليمن في وسط النفوذ البريطاني— الفرنسي— الإيطالي.

شبه الجزيرة العربية:

شكلت هذه المنطقة أهمية في الحرب العالمية الثانيـة مـن الناحيـة الاسـتراتيجية والاقتصادية وكونها تحمل وقود الحرب وهو البترول، وإن ظلت بعيدة عن ميادين القتال فلم تكن لها في هذه الحرب نفس الأهمية التي شـهدتها في الحـرب العالميـة الأولى[١]. وتتضمن دول شبه الجزيرة العربية المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربي واليمن.

المملكة العربية السعودية:

عندما أُعلنت الحرب العالمية الثانية اتبع الملك عبد العزيز آل سعود سياسة حيادية، والتزم بهذا الموقف و لم يُعلن الحرب إلا عند اقتراب نهايتها، وإن كان يميـل إلى جانـب الحلفاء وذلك لتأييده الديمقراطية[٢].

وفي خلال مناقشة اللجنة الفرعية لرؤساء الأركان لشؤون البحر المتوسط والشرق الأوسط وشمال أفريقيـا المنبثقـة مـن لجنـة الـدفاع الإمبراطـوري في ٢١ فبرايـر ١٩٣٩م/١٣٥٨هـ، للسياسات المقترحة لإدارة شؤون الحرب المتوقعة، اعتمدت اللجنة أهمية موقف المملكة العربية السعودية في أثناء الحرب ورجحت ثقة المملكة في بريطانيـا وعدم ثقتها في إيطاليا وألمانيا، وأكدت على استمرارية العلاقات الجيدة بينهما[٣].

١- صلاح العقاد: العرب والحرب العالمية الثانية، ص٩.

٢- أحمد عبد الغفور عطار: صقر الجزيرة، جـ٦، ص١١٨١.

٣- W.O.33/1507, Committee of Imperial Defence, Chiefs of Staff Sub-Committee, Mediterrenean, Middle East and North East Africa Appereciation, 2 white hall Gardens, S. W.1, February 21, 1939.

لم يكن لألمانيا تهديد مباشر على المملكة العربية السعودية، بينما شكلت الإمبراطورية الإيطالية في شرق أفريقيا تهديداً قوياً على المنطقة بأسرها، وكانت بريطانيا تخشى من وقوع عدوان إيطالي محتمل على الجزيرة العربية وخاصة سواحل البحر الأحمر المقابلة للنفوذ الإيطالي في الساحل الأفريقي للبحر الأحمر، واتخذت الحكومة البريطانية عدة سبل لحماية المنطقة من أي عدوان محتمل من قبل القواعد الإيطالية في إرتريا لتهديد منطقة النفوذ البريطاني والبحر الأحمر الذي يشكل خطاً هاماً من خطوط الاتصالات البريطانية، وقدمت بريطانيا للملك عبد العزيز عدة ضمانات تكفل الحفاظ على استقلالية وتماسك المملكة العربية السعودية وإن كانت شككت في احتمال تعرض الأراضي السعودية لأي عدوان إيطالي(١).

ولما دخلت إيطاليا الحرب إلى جانب حليفتها، استمر موقف المملكة الحيادي من الحرب، وارتفعت التحذيرات في الحكومة البريطانية خشية وقوع هجمات إيطالية على الجزيرة العربية في المملكة العربية السعودية أو اليمن وتهديد إيطاليا لعدن، سواء من قواعدها في إرتريا أو بعلاقات الصداقة التي تربطها باليمن واستخدامها الأراضي اليمنية لتهديد عدن أو السعودية، فاتخذت الحكومة البريطانية كافة تدابيرها في البحر الأحمر واضعة في الاعتبار التهديد الإيطالي وذلك لاعتراض أي عمليات إنزال إيطالي في ساحل البحر الأحمر(٢)، بينما تابعت الحكومة الإيطالية ازدياد النشاط البريطاني في الجزيرة العربية بحذر.

وقد أثرت ظروف الحرب العالمية الثانية على موسم الحج، إذ واجهت المملكة ضائقة مالية بسبب نقص عدد الحجاج القادمين إلى الأراضي المقدسة منذ عام ١٩٣٩م، حيث كانت المملكة تعتمد على عائدات الحج آنذاك في تغطية مصروفاتها المالية(٣)،

١- F.O.371/24590, E- 2080, Assurances Given to Ibn Soud Regard to Possible Italian AGGressioni on Saudi Arabia, 27th, April 1939, 30th, January, 1940.

٢- PAAP 40 Fouques Du Parcl 2, 5, 4, 1940.

برقية رقم ٢٠٧٩ من غارنيه J.P.Garnier ، من السفارة الفرنسية في روما إلى وزير الخارجية الفرنسي، (الملك عبد العزيز آل سعود، جـ٢٠، ص٢٦٦).

٣- Foreign Office Annual Reports from Arabia, Vol 3, Arabia, E-4326 /4326/25, Summary of Events in Saudi Arabia during 1941, Received in July 22,1942. P.191.

بالإضافة إلى تعرضها إلى موسم جفاف[١]، وتوقف دخل النفط[٢]، كما واجهت صعوبات في استخدام موانئ البحر الأحمر[٣]، عند بدء العمليات الحربية في شرق وشمال أفريقيا.

وقد تعرضت المملكة العربية السعودية في أثناء الحرب بصورة مباشرة لحادثتين أثرتا على موقفها الحيادي تجاه الحرب الدائرة في أوروبا والبحر المتوسط والبحر الأحمر بين القوات البريطانية والألمانية والإيطالية.

أولاهما: قصف الطائرات الإيطالية لحقول النفط في الظهران حيث أسقطت ثلاث طائرات ٢٣* قنبلة على مخيم شركة نفط ستاندرد كالفورنيا العربية California Arabian Standard Oil Company وذلك في صباح يوم ١٩ أكتوبر ١٩٤٠م، في شهر رمضان المبارك[٤].

وقامت بالقصف أربع طائرات "إس ٨٢" التي أقلعت من مطار جزيرة رودس لضرب المنشآت البترولية في البحرين في أطول رحلة طيران حربي آنذاك، مسببة أضرار كبيرة في مصفاة وأنابيب النفط وحرائق،وبعد تنفيذ مهمتها سقطت بعض القنابل على حقول النفط في الظهران ورأس تنورة[٥]، في أثناء انسحابها جنوباً عن طريق الربع الخالي إلى أسمره وإرتريا[٦].

تسبب هذا القصف في إصابة أنابيب النفط وإلى انتشار الفزع بين الأهالي وموظفي ارامكو الذين لم يتصوروا أن تتعرض هذه المناطق للقصف من جراء الحرب الأوربية، خاصة وأنهم كانوا يستعدون للسحور استعداداً لصيام يوم جديد من أيام رمضان[٧].

١- لزلي مكلوغن: ابن سعود مؤسس مملكة، ترجمة د. محمد شيا، (بيروت: شركة المطبوعات للنشر، ١٩٩٥م)، ص١١٩.

٢- 90F. 00/56, 11. 11, 1940.

رسالة من بيرت فيش Bert fish الوزير المفوض الأمريكي في القاهرة إلى وزير الخارجية الأمريكي (الملك عبد العزيز، جـ١٠، ص٣٠).

٣- Foreign office Annual Reports from Arabia, Vol 3, Arabia, E-4326/4326/25, OP. Cit.

* بعض القنابل لم تنفجر، خالد بو علي: عبد الله فؤاد مشوار الإصرار والتحدي، (دبي: المطبعة الشرقية، ١٩٩٩م)، ص٩٢.

٤- F.O.371/2458819, 10, 1940.

برقية من فرانسيس هيو وليم ستونهيور بيرد الوزير البريطاني المفوض في جدة Francis Hugh Wiliam stonehewer Bird إلى وزارة الخارجية البريطانية، (الملك عبد العزيز، جـ٦، ص٦٩٩).

٥- ماتيو بتسغالو، دبلوماسية إيطاليا والعربية السعودية ١٩٣٢م-١٩٤٢م، روما، دار المنشورات العلمية الإيطالية، ترجمة: محمد عشماوي عثمان، المكتب الثقافي السعودي في إيطاليا، روما، (د.ت)، ص١١٨.

٦- Richard H. Sanger, The Arabian Peninsula, (NewYork: Cornell Uiversity Pess, 1954), P. 103.

٧- خالد عبد الله بوعلي، عبد الله فؤاد ومشوار الإصرار والتحدي، ص٩٢.

وقامت الإذاعتان الإيطالية والألمانية بإذاعة نبأ الغارة، مما كان له أثره على الأهـالي الذين رأوا فيه تهديداً لمدنهم خاصة وأنه تم في شهر رمضان[١]. واعتبر القصف رداً علـى الدعاية الإيطالية والألمانية التي كانت تصف البريطانيين بالمعتدين.

جاء هذا القصف في إطار تزايد الحرب في أوروبا والبحر المتوسط وشمـال وشـرق أفريقيا بين البريطانيين والألمان والإيطاليين، حيث لم يكن متصوراً بأن الحرب ستصـل إلى البحرين والمنطقة الشرقية من المملكة لتهديد مناطق النفط فيها، فلـم يكـن في المنطقـة إجراءات أمنية لمنع هذا الاعتداء أو التحذير من وقوعه، وظهر واضحاً بأن الحليفين الألماني والإيطالي قصدا حرمان البريطانيين وحلفائهم من النفط[٢].

وقد هدد هذا القصف الشركات الأمريكية والبريطانية التي كانت تعمل في البحرين و الظهران، والتي عانت من القصف مما أدى إلى مغادرة الكثير مع أسرهم إلى الهند خوفـاً من تعرضهم لقصف آخر، وأدى إلى توقف أعمال النفط عما كانت عليه قبل القصـف، وأغلق ميناء رأس تنوره، وأغلقت الشركة العربية السعودية للتعدين، التي كانت تنقب عن الذهب في منطقة مهد الذهب[٣]. فتعطلت بذلك أسواق البترول العالمية بسـبب توقـف عمليات التنقيب عن البترول في الأحساء والخليج العربي، حيث لم يعد ممكناً المخاطرة بقيام رحلات لناقلات البترول الأمريكية إلى الخليج وتعرضها للهجمات العدائية مـن القـوات الإيطالية أو الألمانية[٤].

وقد قدم الأمير فيصل آل سعود احتجاج الحكومة السعودية الشديد علـى هـذا القصف لسيليتي Sillitti وزير إيطاليا المفوض في جدة في ٢٠ أكتوبر ١٩٤٠م، وقـد بـرر سيليتي الغارة الجوية بأنها مجرد خطأ قام به الطيارون الإيطاليون الذين وصلوا إلى البحرين ليلاً، حيث تلف جهاز قذف القنابل، مما جعل القنابل تسقط متأخرة عن الوقت المـبرمج

١- تقرير مخابرات سري صادر عن الوكيل السياسي البريطاني في البحرين إلى الحكومة البريطانية، (الملك عبد العزيز، جـ٦، ص٧٠٥)، L/P& S/12/3767,5,11,1940

٢- خالد بوعلي: عبد الله فؤاد، الإصرار والتحدي، ص٩٢.

٣- Wallace Stegner, Discovery, The Search for Arabian Oil, (Beirut: Middle East Export Press, 1971), P.P. 148,152.

٤- Glive Leatherdale, Britain and Saudi Arabia, P. 338.

لسقوطها حين كانت تحلق في الأجواء السعودية، مما أدى خطأ بالحادث، وأكد سيليتي على التزام الحكومة الإيطالية بعلاقة الصداقة التي تربطها بالسعودية[١].

وبعد تفاهمه مع وزارة الخارجية الإيطالية تقدمت الحكومة الإيطالية برسالة من موسوليني في ١ نوفمبر ١٩٤٠م/١٣٥٩هـ بالاعتذار رسمياً عن حادث قصف الظهران، وتعهد بعدم تكرار ذلك مؤكداً بأنه لم يصدر أوامره بقصف الأراضي السعودية[٢]، وأصدرت القيادة العامة للقوات الجوية الإيطالية أوامرها "بمنع مرور الطائرات عبر الأجواء السعودية"[٣].

في حين تقدمت الحكومة البريطانية عن طريق المفوض البريطاني في جدة برسالة توضح تعاطف الحكومة البريطانية مع الحكومة السعودية في موقفها من القصف الجوي الإيطالي على أراضيها، وعدت ذلك انتهاكاً لأراضي محايدة في الحرب، ومثالاً للعدوان الإيطالي ضد دولة صديقة[٤].

وقد ساعد تعامل المملكة في هذا الحادث بعقلانية، إلى جانب سرعة اعتراف إيطاليا بالخطأ والاعتذار إلى تفادي الكثير من التعقيدات الذي قد يؤدي إليه الحادث لرغبة المملكة في المحافظة على حيادها في الحرب.

ثانيهما: لجوء طاقم ثلاث مدمرات إيطالية إلى الشواطئ السعودية في جدة[٥]، بقيادة العقيد بحري أندريا غاسباريني، إثر تعرضهم لقذف قنابل من قبل الطائرات البريطانية عند محاولتها الفرار إثر سقوط الإمبراطورية الإيطالية في شرق أفريقيا، وتم احتجازهم[٦]، بالإضافة إلى احتجاز طائرة إيطالية مدنية محملة بالركاب قادمة من أديس

١- ماتيو بتسغالو: دبلوماسية إيطاليا والسعودية العربية، ص١١٨.

٢- G. 39-45/ Vichy- Levant/ 164. 2 ,11, 1940.

برقية من المفوض السامي الفرنسي في بيروت رقم ١٥٣٥ إلى وزارة الخارجية الفرنسية، (الملك عبد العزيز، جـ٢٠، ص٣١٣).

٣- ماتيو بتسغالو: دبلوماسية إيطاليا والسعودية العربية، ص١١٨.

٤- برقية من وزارة الخارجية البريطانية إلى فرانسيس ستونهيور بيرد الوزير البريطاني في جدة، (الملك عبد العزيز، جـ٦، ص٧٠)، F.O.371/ 24588, 22, 10,1940

٥- 890 F.00/70, 10, 9, 1941.

مذكرة سرية من جول وول السكرتير الثاني نائب القنصل البريطاني في جدة دريكوندهير السكرتير الثاني في المفوضية الأمريكية في القاهرة، (الملك عبد العزيز، جـ١٠، ص٨٣).

٦- ماتيو بتسغالو: دبلوماسية إيطاليا والسعودية العربية، ص١١٩.

أبابا، هبطت دون إذن السلطات السعودية في جدة(١)، وقد تفاهمت الحكومة السعودية مع سيليتي بشأنهم في ظل أوضاع الحرب.

وعلى إثر تزايد تأثير تطورات أحداث الحرب العالمية الثانية في الشرق الأوسط والبحر الأحمر نصحت الحكومة السعودية وزير إيطاليا المفوض في جدة بمغادرة البلاد في ديسمبر ١٩٤١م/١٣٦٠هـ، وبإغلاق المفوضية الإيطالية في جدة، وبالفعل غادر السفير الإيطالي سيليتي برفقة أعضاء المفوضية والإيطاليين المقيمين في جدة، دون المعتقلين*، عن طريق بغداد في ٨ فبراير ١٩٤٢م/١٣٦١هـ(٢). بعد أن فشلت جهود الحكومة الإيطالية استبدال سيليتي بكرولا(٣).

وأوكلت الحكومة الإيطالية بعد التنسيق مع الحكومة التركية إلى المفوضية التركية في جدة بمهمة حماية ورعاية المصالح الإيطالية في السعودية، وكتب تشانو: "من أجل كل غاية حميدة، نؤكد بأن العلاقات الدبلوماسية بين السعودية وإيطاليا تُعتبر "معلقة" وليست مقطوعة."(٤) وبذلك جُمدت العلاقات الدبلوماسية بين السعودية وإيطاليا في هذه الفترة نتيجة لظروف الحرب في جو من الصداقة.

كانت المملكة العربية السعودية قد قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع الحكومة الألمانية في ١١ سبتمبر ١٩٣٩م/١٣٥٨هـ(٥). ورغم محاولات غروبا الاتصال بالملك عبد العزيز إلا أن الملك عبد العزيز رفض كل هذه المحاولات لاستقبال مندوب ألماني في الرياض(٦).

وقد شهدت فترة الحرب تطوراً في العلاقات السعودية البريطانية القائمة على أساس قوي من الصداقة رغم موقف الحياد الذي اتخذه الملك عبد العزيز من الحرب، قامت الحكومتان بتجديد معاهدة جدة لعام ١٩٢٧م/١٣٤٦هـ(٧)، والتي تنتهي في ٣

١- برقية من فرانسيس ستونهيور الوزير المفوض في جدة إلى وزارة الخارجية البريطانية، (الملك عبد العزيز، جـ٧،ص٤٣). F.O.371/27263, 10, 7, 1941.

* بقي الإيطاليون المعتقلون في جدة إلى أن تم تبادلهم بالإضافة إلى ألمان في مسينا في مارس ١٩٤٣م مع مساجين بريطانيين.

٢- ماتيو بتسغالو: دبلوماسية إيطاليا والسعودية العربية، ص ص١٢١، ١٢٤.

٣- Foreign Office Annual Reports from Arabia, Vol 3, Arabia, E-4326 /4326/25, OP. Cit.

٤- ماتيو بتسغالو: دبلوماسية إيطاليا والسعودية العربية، ص١٢٥.

٥- نظام عزت العباسي: علاقة الملك عبد العزيز بن سعود بألمانيا، ص٢٠.

٦- برقية من وزارة الخارجية البريطانية إلى فرنسيس ستونهيور المفوض البريطاني في جدة (الملك عبد العزيز، جـ٦، ص٦٠٦). F.O.371/ 24587, 30, 1, 1940

٧- George Kirk, Survey of International Affairs 1939-1940, The Middle East in The War, P. 352.

أكتوبر ١٩٤٣م/١٣٦٣هـ وذلك حسب المادة الثامنة من المعاهدة، بعد مراسلات تمت بين يوسف ياسين نائب وزير الخارجية السعودي واستانلي روبرت جوردن الوزير المفوض والمندوب فوق العادة لصاحب الجلالة البريطانية بجدة[١].

وقد حافظ الملك عبد العزيز على علاقاته الودية مع البريطانيين حيث أرسل ابنه الأمير منصور لزيارة مصر، فزار الأمير المواقع العسكرية في العلمين في الفترة من نهاية أكتوبر وبداية نوفمبر ١٩٤٢م/١٣٦١هـ[٢]، وفلسطين عام ١٩٤٣-١٩٤٤م/١٣٦٢-١٣٦٤هـ[٣]، بالإضافة إلى زيارة الأميرين فيصل وخالد آل سعود إلى أمريكا وبريطانيا والجزائر وتونس وطرابلس في عام ١٩٤٣م[٤].

وفي الكلمة التي ألقاها الملك عبد العزيز في مأدبة الحج في مكة المكرمة، ٦ ذي الحجة ١٣٦٢هـ الموافق ٣ ديسمبر ١٩٤٣م، أشاد بتمكن القوات البريطانية من دحر الألمان في العلمين، وعبر عن شكره للحكومة البريطانية لجهودها في توفير سفن لنقل الحجاج والإمدادات للمملكة وامتدح تفهم الحلفاء لسياسة الحياد التي تنتهجها المملكة[٥].

وإزاء تعرض المملكة للصعوبات المالية أثناء فترة الحرب قدمت بريطانيا بعض المواد الغذائية وغيرها[٦]، من خلال حكومة الهند البريطانية ومركز تموينات الشرق الأوسط Middle East Supply Center وتعاون السلطات البريطانية في الخليج العربي[٧]، كما قدمت الولايات المتحدة الأمريكية دعماً للمملكة، حيث أدرجتها في برامج الإعارة والتأجير واستفادت منه أسوة بباقي الدول في القروض والمعدات والمؤن وغيرها[٨].

١- وزارة الخارجية، مكة المكرمة، مجموعة المعاهدات ١٣٤١-١٣٧٠هـ/١٩٢٢-١٩٥٢م، ص ص٢٩٦، ٢٩٨.

٢- لزلي مكلوغن: ابن سعود، حاشية رقم ٣٣، ص ٢٩٢، &
Saudi Arabian Series, Alexander Kirk, (Ibrahim Al- Rashid, Saudi Arabia Enter The Modern World. Vol IV), Legation of The United States of America, Cairo, Apr-6-1942, No. 5, Part I, P.P.109, 112.

٣- رسالة من مكتب السكرتير الأول في دار الانتداب لعموم فلسطين إلى المفوض البريطاني في جدة (الملك عبد العزيز، جـ٧، ص٢١٤). F.O.371/40256,10, 1,1944.

٤- F.O.371/35/62, 6, 12, 1943
برقية من وزارة الخارجية البريطانية إلى الوزير المقيم البريطاني في الجزائر، (الملك عبد العزيز، جـ٧، ص٢٠٢)، أحمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة، جـ٦، ص١١٨٢.

٥- أم القرى: العدد ٩٨٩، ٨ ديسمبر ١٩٤٣م (١٤ ذو الحجة ١٣٦٢هـ).

٦- Memorandum on Saudi Arabia, October 29, 1941. (Ibrahim al- Rashid, OP. Cit. Vol IV, Part I, P.P. 92,100.

٧- Foreign Office Annual Reports from Arabia, Vol 3, Arabia, E-1102 /1102/25, Annual Summary of Events in Saudi Arabia during 1942, February 24, 1943, P. 203.

٨- 809F.24/27,13,4,1943: برقية سرية من الكسندر كيرك الوزير المفوض الأمريكي لدى مصر والمملكة العربية السعودية إلى وزير الخارجية الأمريكي، (الملك عبد العزيز، جـ١٠، ص٣٢٧).

شهدت فترة الحرب العالمية الثانية تزايد الاهتمام الأمريكـي بالمملكـة العربيـة السعودية من الناحية السياسية والاستراتيجية والاقتصادية، حيث إنها تقع بـين سـاحتي معارك يخوضها الجيش الأمريكي في شمال أفريقيا تحت قيادة الجنرال ماكسـويل General Maxwell الذي يتخذ من البحر الأحمر قاعدة له وبين ساحة العمليات الشرقية في إيـران تحت قيادة الجنرال ويلر General Wheeler الذي يتخذ من الخليج قاعدة له، بالإضافة إلى معارك أمريكا في الشرق الأقصى، فتـطلعت أمريكـا إلى إنشـاء قاعـدة جويـة في الظهران[١]، وحرصت على عدم إثارة النفوذ البريطاني في الخليج العربي ضدها، وكـان ذلك بداية لعلاقات أمريكية سعودية قوية تجلت في مقابلة الملك عبد العزيـز والـرئيس الأمريكي تيودور روزفلت عام ١٩٤٥م/١٣٦٥هـ في البحيرات المرة[٢].

وفي أوائل مارس ١٩٤٥م أعلنت الحكومة السعودية الحرب على ألمانيا وإيطاليـا مستثنية من الحرب منطقتي مكة المكرمة والمدينة المنورة باعتبارهمـا مـدينتين مقدسـتين ومراعاة لمقامهما في العالم الإسلامي[٣]، وجاء هذا الإعلان في المرحلة النهائية للحـرب العالمية الثانية فلم يكن ذلك يعني الدخول في العمليات الحربية، وإنما لاشتراك المملكـة في إنشاء هيئة الأمم المتحدة* في عام ١٩٤٥م وأصبحت من مؤسسيها.

كذلك شارك الملك عبد العزيز العرب في رغبتهم في الوحدة، ووقعـت المملكـة العربية السعودية مع الدول العربية ميثاق جامعة الدول العربيـة في ٢٢ مـارس ١٩٤٥م بالقاهرة. وكان للملك عبد العزيز دور أساسي في توحيد الأمة العربية والـدفاع عـن حقها في الاستقلال وتقرير المصير والسعي لتحرير الأقطار العربية التي مازالت خاضـعة للنفوذ الاستعماري البريطاني والفرنسي والإيطالي[٤].

١- رسالة من مستر ويلز وكيل وزير الخارجية الأمريكي إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، (عبد الملك بن عبد العزيز، جـ١٠، ص١٢٠).
809,F.100,Ibn Saud/ 30,12,2,1942

٢- أحمد عبد الغفور عطار: صقر الجزيرة، جـ٦، ص١٢٠٥.

٣- أمين سعيد: تاريخ الدولة السعودية، جـ٢، ص٤٠١.

* هيئة دولية جديدة حلت محل هيئة الأمم القديمة، وأصبح لها اختصاصات كثيرة لتوطيد السلام والعدل والاستقرار.

٤- صلاح الدين المختار: المملكة العربية السعودية، جـ٢، ص ص٤٦٥، ٤٦٧.

الخليج العربي:

تضمنت منطقة الخليج العربي المناطق التي تناولتها المحادثات بين مولوتوف وزير الخارجية السوفيتي وروبنتروب وزير خارجية ألمانيا لتقسيم العالم بين ألمانيا وإيطاليا واليابان وضمت الاتحاد السوفيتي لاجتذابه إلى التحالف ضد الحلفاء عند قيام الحرب العالمية الثانية، وعلى الرغم من أن هذه المباحثات لم تتعد دور تبادل الرأي بين الدولتين وانتهت بإعلان ألمانيا الحرب على الاتحاد السوفيتي في يونيو ١٩٤١م/١٣٦٠هـ، إلا أنها كشفت عن مطامع السوفيت في الخليج العربي وهو ما حرصت بريطانيا دائماً على مواجهته. حيث إنها عمدت إلى تأمين منطقة الخليج العربي والقوى المحيطة به بدءاً من عمان وساحل المشيخات وقطر والبحرين والكويت والعراق وإيران[١].

وفي ١٩ أكتوبر ١٩٤٠م/١٣٥٩هـ تعرضت البحرين لغارات السلاح الجوي الإيطالي ملحقة خسائر بمراكز البترول في البحرين[٢]. بهدف ضرب مصالح بريطانيا وحلفائها من النفط في وقت تأزمت فيه الأوضاع العسكرية في المتوسط وشمال وشرق أفريقيا، فقام شيخ البحرين باستنكار هذا القصف الذي أدى إلى اشتعال الحرائق في المنشآت البترولية في البحرين والظهران[٣]، وإلى توقف عمليات التنقيب حيث تم إغلاق الآبار المنتجة إلى نهاية الحرب[٤].

وقامت الحكومة الإيرانية بالاحتجاج لدى حكومة روما، في إطار تأكيد ادعاءاتها التقليدية للسيادة على البحرين[٥].

وقد عانت منطقة الخليج العربي من نقص الموارد الغذائية وارتفاع الأسعار، وذلك بسبب اعتمادها في ذلك على الموارد الخارجية التي تأثرت بظروف الحرب[٦]، وأدت

١- صلاح العقاد: التيارات السياسية في الخليج العربي، ص٣٧٤.

٢- أم القرى: العدد ٨٢٧، ٢٣ رمضان ١٣٥٩هـ، ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٤٠م.

٣- برقية من فرانسيس ستونهيور الوزير المفوض البريطاني في جدة إلى وزارة الخارجية البريطانية، (الملك عبد العزيز، جـ٦، ص٧٠) (F.O.371/I/24588, 20, 10, 1940.)

٤- محمد نصر مهنا: الخليج العربي، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٦م)، ص٤٦٠.

٥- صلاح العقاد: التيارات السياسية في الخليج العربي، ص٢٧٥.

٦- حسين فوزي النجار: السياسة والاستراتيجية في الشرق الأوسط، جـ١، ص٦٤٢.

العمليات العسكرية إلى توقف جميع أعمال البحث واستخراج البترول من البحرين والكويت وباقي دول الخليج، و لم يستأنف نشاطها إلا بعد انتهاء الحرب[١].

واكتسبت منطقة الخليج العربي أهمية استراتيجية في أثناء الحرب عند تهديد المصالح البريطانية بقيام حركة الكيلاني في العراق في مايو عام ١٩٤١م/١٣٦٠هـ، وعندما تعرض الاتحاد السوفيتي للغزو الألماني في يونيو ١٩٤١م، من جهة شمال وشرق أوروبا، وتعذر الاتصال بين الحلفاء والسوفيت في هذه المناطق إما بسبب ظروف الحرب البحرية والجوية أو بسبب تجمد الموانئ السوفيتية الشمالية ووقوعها تحت رحمة الغواصات الألمانية[٢]، فأصبح الاتصال عن طريق الأراضي الإيرانية أيسر السبل لتقديم المؤن والمعدات العسكرية والمدنية من الولايات المتحدة إلى السوفيت، فيما سُمي بـ"جسر النصر" وهو الأمر الذي أدى إلى احتلال الاتحاد السوفيتي وبريطانيا لإيران لإخضاع أراضيها لمتطلبات الحلفاء العسكرية[٣]. خاصة بعد ثورة الكيلاني في العراق. وبموجب معاهدة ثلاثية تم التوقيع عليها في ٢٩ يناير ١٩٤٢م/١٣٦١هـ، قسم الخليج العربي إلى منطقتي نفوذ شمالية ترابط فيها القوات السوفيتية، وجنوبية تحتلها قوات بريطانيا وذلك حسب متطلبات الحلفاء العسكرية[٤].

وعندما أخذ الحلفاء يعدون لنقل قواهم إلى الشرق الأقصى لمتابعة الحرب مع اليابان، احتاجوا إلى قاعدة كبيرة في منتصف الطريق، فوقع اختيار الأمريكيين على الظهران قرب آبار النفط السعودية لإنشاء قاعدة عسكرية فيها*، خاصة بعد أن برزت حاجة أمريكا لقواعد عسكرية في منطقة الخليج عند اقتراب نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م، لذلك حرصت على الاستئذان من السلطات البريطانية في الخليج احتراماً لمركزهم التقليدي فيه، ولحرص كل منهما على عدم الإساءة للتحالف الذي بينهما[٥]، فأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية في نهاية الحرب العالمية الثانية تشارك فعلياً النفوذ

١- جمال زكريا قاسم: الخليج العربي، ص٤٣.

٢- نفس المرجع، ص٤٣.

٣- محمد عدنان مراد: بريطانيا والعرب، ص٣٦٥.

٤- جمال زكريا قاسم، الخليج العربي، ص٤٣، مصطفى عبد القادر النجار،دراسات في تاريخ الخليج العربي والمعاصر، (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية،١٩٧٧م)، ص٨٨.

* منحت الحكومة السعودية أمريكا تسهيلات جوية بمقتضاها تحلق الطائرات الأمريكية فوق الأراضي السعودية من الغرب إلى الشرق أي من ساحل البحر الأحمر إلى ساحل الخليج العربي في خطين جويين، و لم يعقد اتفاق لتأجير قاعدة عسكرية في الظهران إلا عقب انتهاء الحرب في أغسطس ١٩٤٥م. - رأفت غنيمي الشيخ: التاريخ المعاصر للأمة الإسلامية، ص١٧٠.

٥- صلاح العقاد: التيارات السياسية في الخليج العربي، ص٣٧٧.

البريطاني في المجالين السياسي والعسكري لحماية مصالحها الاقتصادية فأصبحت الحرب سبباً في تغيير الأوضاع السياسية في منطقة الخليج العربي.

ومنذ منتصف الحرب أصبح الخليج العربي مركزاً للطيران العسكري والمدني بين أوروبا والهند والشرق الأقصى وأستراليا[١]، وتمثلت فائدة بريطانيا وأمريكا وفرنسا من بترول الخليج العربي والشرق الأوسط بصفة عامة في تموين العمليات العسكرية في المنطقة، وبسبب صعوبة النقل في أثناء الحرب لم يسمح بنقل البترول إلى أماكن بعيدة إلا بعد انتهاء العمليات العسكرية في شرق وشمال أفريقيا[٢].

اليمن :

شكلت اليمن وجنوب الجزيرة العربية المواجه للساحل الإفريقي الذي يضم النفوذ البريطاني والإيطالي والفرنسي أهمية سياسية واستراتيجية قوية للصراع والتنافس الأوربي، و قبيل الحرب العالمية الثانية شهدت المنطقة نشاطاً سياسياً تمثل في محاولة إيطاليا تقوية نفوذها في إمبراطوريتها في شرق إفريقيا، واليمن، فقامت بتجديد معاهدتها مع اليمن عام ١٩٣٧م/١٣٥٦هـ، وعارضت تزويد حليفتها ألمانيا اليمن ببعض الأسلحة حيث اعتبرت التعامل المباشر بين ألمانيا واليمن أمراً ماساً لنفوذها فيه[٣]. وقامت بتزويد اليمن* بحاجتها من الأسلحة عام ١٩٣٨م/١٣٥٧هـ[٤]، وعام ١٩٤٠م/١٣٥٩هـ[٥]. بما تستطيع أن تؤمنه حكومة أفريقيا الإيطالية نتيجة لظروف الحرب[٦].

١- Marlowe, The Persian Gulf in The 20 Century, P. 76.

٢- محمد النيرب: العلاقات الأمريكية السعودية، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٤م)، ص٢٥٧.

٣- لوكاز هيرزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص ٨٢.

* كان يتم التزويد عن طريق الإمبراطورية الإيطالية في شرق أفريقيا بواسطة شركة الملاحة الإريترية S.A.N.E. .

٤- A.S.M.A.E, Roma, Affari Politici, Yemen, Busta N:16, Fasc:2, N:242077, Ministro Degli affair Esteri, La Socitè Anonima Navigazione Eritrea (S.A.N.E) Roma, 19 Dicembre 1938.

٥- A.S.M.A.E, Roma, Affari Politici, Yemen, Busta N:18, Fasc:15, N:16211, 213, Ministro Degli Estei, R.Ministero Dell´Africa Italiana, 18 Maggio 1940.

٦- A.S.M.A.E, Roma, Affari Politici, Yemen, Busta N:18, Fasc:6, N:315394,Roma ,Ministro Dell´Africa Italiana, R.Ministro Degli Affari Esteri, 9 Marzo 1940.

بينما استمرت نشاطات الدعاية الإيطالية في الأراضي اليمنية عن طريق البعثة الطبية الإيطالية في صنعاء و تعز و الحديدة، ومحطتي الإذاعة التي تقوم بنشاط دعائي للمحور ضد بريطانيا ونفوذها في المحميات الجنوبية وعدن، فيما عمدت جاهدة إلى تقوية ميناء عصب على الساحل الأفريقي الذي أصبح مستودعاً ضخماً للأسلحة والذخائر قبل قيام الحرب العالمية الثانية، مما أثار بريطانيا واعتبرت ذلك استعداداً لتمهيد غزو اليمن وشن العمليات العسكرية ضدها في مستعمراتها في شرق أفريقيا والصومال البريطاني وعدن ومحميات جنوب الجزيرة العربية (١).

فعمدت بريطانيا إلى تهدئة الأوضاع بينها وبين الإمام يحي، وتوصلا إلى اتفاق حول شبوه بإخلاء المنطقة من قواتهما (٢). دون أن يكون ذلك تنازلاً من الإمام عن كونها منطقة يمنية وهو ما سعى لتأكيده في رسالته لملك بريطانيا في ٢٩ يونيو ١٩٣٩م/١٣٥٨هـ (٣). وذلك في سياسة مؤقتة حتى لا يدفعوا بالإمام أكثر في علاقته بالإيطاليين نظراً لظروف الحرب.

وعندما أعلنت الحرب العالمية الثانية، أعلن الإمام يحيى بن حميد الدين وقوف بلاده موقفاً حيادياً في الحرب، رغم ميله الواضح إلى جانب دول المحور نكاية ببريطانيا(٤). وفي ظل سياسة العزلة التي سار عليها في فترة حكمه لليمن، وقام بزيادة التحصينات في السواحل خاصة في منطقة الشيخ سعيد ذات الموقع الاستراتيجي بين نفوذ الإيطاليين والبريطانيين في القرن الأفريقي وباب المندب(٥).

وفي ظل عدم إعلان إيطاليا الانضمام إلى ألمانيا في الحرب إلا في يونيو ١٩٤٠م/١٣٥٩هـ، تكثفت الجهود البريطانية السياسية الدبلوماسية لتعزيز مسألة حياد اليمن وتعزيز العلاقات البريطانية- اليمنية. فأرسل حاكم عدن السير جون ها ثورن

١- السيد مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث، ص٤٦٠.

٢- محمود الشرقاوي: جنوب الجزيرة العربية، ص٤٩.

٣- Cab. 95, I ,E -7730 / 56 / 91, Telegram from The King of Yemen to his Majesty King and Emperor George VI the Great, London, 29th November, 1939.

٤- السيد مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث، ص٤٥٩، Harold Ingrams, The Yemen, P. 73.

٥- محمود الشرقاوي: جنوب الجزيرة العربية، ص٤٦.

هول Sir John Harthorn Hall رسالة إلى الإمام يقترح قيام بعض الزيارات الرسمية بين صنعاء وعدن، فقام الكونيل لايال Layal المستشار السياسي في حكومة عدن بزيارة صنعاء في فبراير ١٩٤٠ م، مصطحباً معه الآنسة فريا ستارك Freya Stark التي كانت تعمل في حكومة عدن، وقام الاثنان بإجراء عدة مقابلات ودية مضادة للدعاية الإيطالية ضد النفوذ البريطاني في عدن والمحميات(١). وكانت هذه الزيارة تمهيداً لبعثة تشامبيون.

ولمحاولة حل الخلاف اليمني – البريطاني حول مسألة شبوه، ثم اقترح إرسال ريجنالد تشامبيون* R .Champion مدير مركز شرطة في الجليل بفلسطين للقيام بهذه المهمة(٢). وعمل تشامبيون على إقناع الإمام بالبقاء على حياده من الحرب، و لم يتمكن من التوصل إلى حل حول شبوه، وهو ما يؤكد عدم رغبة الحكومة البريطانية في إيجاد حل حاسم حول شبوه أو تقديم تنازل للإمام يحيى مقابل حياده في الحرب وإنما السعي إلى التهدئة بإرسال هذه البعثة والوقوف أمام دعاية المحور التي تقوم ببث تقارير ضد بريطانيا عبر الراديو من الأراضي اليمنية(٣). وقد التزم الإمام يحيى بوعده لتشامبيون في الوقوف على الحياد في الحرب و لم يحاول الاستفادة من ظروف الحرب بالضغط على البريطانيين في عدن لتلبية مطالبه بالمحمية(٤).

وعندما عادت الاشتباكات في شبوه أرسل الأمام يحيى رسالة إلى ملك بريطانيا يحتج فيها على ذلك ويؤكد على كون شبوه من الأراضي اليمنية، وتناول فشل مباحثاته مع تشامبيون حول شبوه، مؤكداً حرصه على علاقته الجيدة مع بريطانيا(٥). وقد تابعت

١- إيريك ماكرو: اليمن والغرب، ص ١٥٢.

* أصبح تشامبيون حاكم لعدن عام ١٩٤٤م.

٢- Cab.95.I,78462/ 39,Telegram from The Secretary of State for Colonies to The High Commissioner for Palestine, 9th February.

٣- Cab. 95. I Telegram from Mr. Champion at Sana'a to the Secretary of State for The Colonies. 14th May, 1940.

٤- Gillian king, Imperial Out Post – Aden, P. 81.

٥- Cab. 95, I, Telegram from The King of The Yemen to The King Emperor his Majesty Ceorge VI Clorious, London ,25th June, 1940.

الحكومة الإيطالية نتائج بعثة تشامبيون إلى اليمن بحرص لمعرفة جدية بريطانيا لحل الخلاف اليمني – البريطاني حول الحدود و شبوه[١].

وتواصلت البعثات البريطانية إلى اليمن في عام ١٩٤١م/١٣٦٠هـ، حيث قام هارولد انجرامز Harold Ingrams بزيارة إلى صنعاء في ٢٥ أبريل ١٩٤١م/١٣٦١هـ، زار خلالها تعز و المخا و الحديده، وذلك لمناقشة مسائل الحدود بين المملكة المتوكليه وعدن ومحميات الجنوب في ظل توتر الأوضاع العسكرية في جنوب البحر الأحمر[٢].

وعند إعلان إيطاليا الحرب إلى جانب ألمانيا في يونيو ١٩٤٠م، تأهبت وزارة الحرب البريطانية في مناقشة خطة التصدي للهجوم الإيطالي في اليمن وذلك في حالة انضمام اليمنيين مع الإيطاليين للهجوم على عدن والمحميات، سواء كان بالتشجيع أو السماح بهبوط طائرات في الأراضي اليمنية، أو من خلال الهجوم المشترك اليمني – الإيطالي على عدن والمحميات[٣].

تضمنت الخطة تقييم مدى التأثير الإيطالي على اليمن، وموقف الأمام الحيادي في الحرب، والتخوف من ممارسة إيطاليا سياسة الترغيب مع الإمام لينضم إليها في حربها ضد بريطانيا في المنطقة بإعطائه وعوداً بمساحات كبيرة من أراضي المحمية البريطانية كمكافأة للمساعدة اليمنية، وتم الإعلان عن تعبئة وتجنيد لبعض القوات القبلية ليستعان بهم في تنفيذ خطة التصدي للهجوم الإيطالي في اليمن وتسليحهم وتدريبهم بسريه بالغة[٤].

وتمت دراسة مقترحات حاكم عدن والجنرال ويفل القائد العام للقوات البريطانية في الشرق الأوسط بإمكانية التنازل عن بعض المناطق في المحميات للوصول إلى تسويه

١- A.S.M.A.E, Roma, Affari Politici, Yemen, Busta N:18, Fasc:14, N:1521/148 ,Roma, Ministro Degli Affair Esteri, R. Ambasciata A Londra , 6 Maggio 1940.

٢- اريك ماكرو: اليمن والغرب، ص١٥٢.

٣- Cab. 95/ I, Secret, M.E. (0) (40) 5th mtg, War Cabinet, Official Committee for Questions Concerning The Middle East, 1st July, 1940.

٤- Cab. 95/ I, Secret, M.E. (0) (40) 20, War Cabinet, Standing Official Sub–Committee for Questions Concerning The Middle East, 28th Jun. 1940.

مقبولة مع الإمام، ووصفت الخطة بأنها غير عملية وغير مرغوب فيها، وأوضح مدى ضررها على سمعة بريطانيا في العالم العربي في هذه المرحلة من الحرب(١).

وجاء ذلك بسبب حرص حاكم عدن على السلطة البريطانية في حضرموت ولقلة القوات الموجودة تحت تصرف الجنرال ويفل في الشرق الأوسط، إلا أن هذه المقترحات ما لبث أن عدل عنها حاكم عدن مؤيداً قائد القوات الجوية في عدن إلى اتخاذ موقف حازم من إمام اليمن خوفاً من أن يرى الإمام ومعه الإيطاليون بأن ذلك يُعد تراجعاً وخوفاً منهم، وأن يأخذ الإمام انطباعاً بأن بإمكانه ابتزاز بريطانيا من خلال تهديداته بالمساندة الإيطالية، لذلك اتفق على أن يترك تنفيذ خطة التصدي للهجوم الإيطالي في اليمن للعسكريين لاتخاذ الخطوات العسكرية اللازمة إذا ما أعلن الإمام تغيير موقفه الحيادي من الحرب(٢).

وقد رفضت الحكومة اليمنية كافة العروض التي قدمتها إيطاليا بأن يكون لها نقطة ارتكاز على الساحل اليمني الغربي لمهاجمة عدن من هناك. مؤكدة لإيطاليا علاقتها الجيدة بها، ولبريطانيا التي خشيت من هذه العروض، بعدم السماح لأية دولة أجنبية باستخدام أي جزء من الأراضي اليمنية لأي غرض حربي(٣).

وقد تعرضت الأراضي اليمنية في أثناء بدء العمليات الحربية في شرق إفريقيا بين الإيطاليين والبريطانيين لبعض القصف، إلا إن الإمام يحيى حافظ على موقفه الحيادي، فقد تعرض ميناء الشيخ سعيد في ١٣ أكتوبر ١٩٤٠م* لقصف من ثلاث طائرات إيطالية، وقد ابلغ الإمام يحيى بن حميد الدين موسوليني عن تعرض منطقة الشيخ سعيد لهذا

٢- Cab. 95 / I, M. E. (0) (40) 30, War Cabinet, Scheme for Combating Italian Aggression in The Yemen, 17th July, 1940.

٣- Cab. 95 / I, Secret, M.E. (0) (40) 8th mtg, War Cabinet, Official Committee for Questions Concerning The Middle East, 17 July, 1940.

٤- محمود الشرقاوي: جنوب الجزيرة العربية، ص٤٦.

* واكب هذا القصف ما تعرضت له البحرين والمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية من غارات السلاح الجوي الإيطالي القادم من شرق أفريقيا في ١٩ أكتوبر ١٩٤٠م. وفسرته الحكومة الإيطالية بالقصف الخطأ. – لمزيد من التفاصيل أنظر ص ص ٢١٤، ٢٢٠.

القصف، وطلب ألا يتكرر ذلك مؤكداً ثقته على علاقته الجيدة مع إيطاليا وان هذا الأمر لم يكن مقصوداً[١].

وقد أكدت القيادة العليا للجيش الإيطالي حدوث هذا القصف، وأمرت قيادة الطيران في شرق أفريقيا العمل بألا تحلق الطائرات الإيطالية فوق الأرضي اليمنية حرصاً منها على العلاقات الودية بين إيطاليا واليمن[٢].

وتأتي هذه التهديدات الإيطالية للأراضي اليمنية القريبة من ساحل أفريقيا الشرقي، مؤكدة حرص الحكومة الإيطالية على مطامعها في البحر الأحمر وبسط السيطرة الإيطالية عليه، وهو ما آثاره تشانو في أثناء زيارته لبرلين في ٧ يوليو ١٩٤٠م/١٣٥٩هـ عندما خص منطقة بريم و سوقطرى بمطالب إيطالية جديدة تريد إيطاليا السيطرة عليها في البحر الأحمر[٣]. في إطار تفاهمها مع ألمانيا بعد إعلانها الحرب، خاصة بعد هزيمة ألمانيا بالرغم من حياد الإمام في الحرب وعلاقته الودية معها.

وكان لاحتدام العمليات الحربية في شرق أفريقيا وسيطرة إيطاليا على الصومال البريطاني في أغسطس ١٩٤٠م وأثر ذلك على زيادة التهديد الإيطالي لأملاك البريطانيين في شرق أفريقيا ونفوذها في عدن والمحميات، اثر كبير على اليمن إذ استقبل اليمن بعض الفاشيين المتحمسين الذي فروا إلى اليمن مع قليل من الألمان الذين هربوا من إيران أو السعودية العربية، فقدم لهم الإمام (ملجأ غير مريح) حفاظاً منه على حياده وحرصه على عدم الانجراف في تيار الصنزاع العسكري والسياسي الدائر في جنوب البحر الأحمر[٤].

وقد حاول الإمام الاستفادة من الضباط الإيطاليين الذين هربوا من الحبشة و إرتريا والصومال عام ١٩٤١م/١٣٦٠هـ بعد سقوط الإمبراطورية الإيطالية في شرق إفريقيا

١- A.S.M.A.E, Roma, Affari Politici, Yemen, Busta N: 18, Fasc: 6, Tradazione Dall´Arabo. Del Re Dello Yemen AL-Imanm Yahia, R. Mussolini, Sana, 10 Ottobre 1940.

٢- A.S.M.A.E, Roma, Affari Politici, yemen, Busta N: 18, Fasc: 6, N: 4016, Comando Supreme Stato Maggiore Generale, A.Ministro Degli Affari Esteri, Roma, 22 November 1940, XIX.

٣- لوكاز هيرزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص ١٢٢.

٤- السيد مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث، ص ٤٦١.

واحتلال الجيوش البريطانية لها، وعين أحدهم واسمه (اماديو جوليه) رئيساً لخيالته، وأطلق عليه اسماً يمنياً هو"عبد الله الرداعي"[١].

كانت قد وصلت إلى اليمن بعثه عسكرية عراقية لتحديث أنظمة الجيش اليمني وتدريبه على وفق الأساليب الحديثة مطلع عام ١٩٣٩م/١٣٥٨هـ، واستمر التعاون العسكري إلى عام ١٩٤٤م/١٣٦٤هـ[٢]. وقد جاء هذا التعاون نتيجة لمخاوف العراق كغيرها من الدول العربية من أن تقع اليمن بيد الاستعمار الإيطالي منذ عام ١٩٣٦م/١٣٥٥هـ، ولرغبة الإمام تحسين قواه العسكرية للوقوف أمام التوسع البريطاني جنوب اليمن[٣].

وعلى إثر هزيمة قوات المحور في معركة "العلمين" في عام ١٩٤٢م/١٣٦١هـ، قل اهتمام وميل الإمام نحو المحور، فأمر في ٢٦ فبراير ١٩٤٣م/١٣٦٢هـ بالقبض على أربعين إيطاليا وألمانيا كانوا في اليمن، من الفارين إلى بلاده وجميع رعايا بلاد المحور من مدنيين وأعضاء البعثة الطبية الإيطالية في اليمن. وأوقف العمل في محطتي الإذاعة اللتين كانتا تعملان في بلاده باسم المحور، وتلا ذلك قيامه بقطع كل علاقاته السياسية والدبلوماسية و الاقتصادية مع سلطات المحور*[٤]. وعُد ذلك رضوخاً لضغط بريطانيا عليه ليتخذ موقفا حاسما ضد دول المحور ورعاياها ومصالحها في اليمن[٥].

مما جعل الإمام يواجه النفوذ البريطاني في المنطقة دون الاعتماد على ا لتنافس الإيطالي- البريطاني كمحور قوي نزاعه مع بريطانيا حول مشكلات الحدود وأثار الهيمنة البريطانية على المنطقة التي أصبحت الآن السائدة بعد هزيمة الإيطاليين في شرق وشمال أفريقيا وسقوط إمبراطورية في شرق أفريقيا • وعلى الرغم من إتباع بريطانيا سياسة

١- سلطان ناجي: التاريخ العسكري لليمن، ص٩٥.

٢- يونس محمد الذرب: تاريخ ودور البعثات العسكرية العراقية التدريبية إلى الدول العربية ١٩٤٠-١٩٩٠م، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠١م)، ص ص٣٣، ٥٧.

٣- المشير عبد الله السلال وآخرون: ثورة اليمن الدستورية، (صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٩٨٥م)، ص٤٣.

* صرف الإمام الوزير الألماني المفوض في اليمن في ديسمبر ١٩٤١م – اريك ماكرو: اليمن والغرب، ص١٥٣.

٤- Lenczowski, The Middle East in World Affairs, P. 361.

٥- فاروق أباظة: العلاقات البريطانية اليمنية بين الحربين العالميتين ١٩١٩ – ١٩٣٩م، ص١٤٦.

التهدئة مع الإمام يحي خلال ١٩٤٠- ١٩٤١م/١٣٥٩-١٣٦٠هـ، وأرسلت البعثات إلى صنعاء، إلا أن المناوشات على الحدود اليمنية والمحميات تجددت في ١٩٤١م/١٣٦٠هـ، واحتدت بعد تمكن بريطانيا من إسقاط الإمبراطورية الإيطالية في شرق أفريقيا عام ١٩٤٣ - ١٩٤٤م/١٣٦٢-١٣٦٣هـ[١].

وقامت بريطانيا في ١٩٤٤م/١٣٦٤هـ بمهاجمة الجانب الشرقي لمنطقة الشيخ سعيد، وطردت الحامية اليمنية، مؤكدة بأن منطقة الشيخ سعيد تابعة لنفوذهم في المحميات، فقدم الإمام يحي عدة احتجاجات إلى وزارة الخارجية البريطانية مؤكدة تبعية المنطقة لنفوذ المملكة المتوكلية اليمنية[٢].

على الرغم من عدم تعرض اليمن للأخطار العسكرية للحرب العالمية الثانية نتيجة لسياسة الحياد التي اتبعها الإمام من الحرب، إلا إن الأثر الاقتصادي للحرب ترك أثاره على الوضع الاقتصادي في اليمن وجنوب الجزيرة العربية بشكل عام إلى جانب تعرض اليمن لمجاعة كبيرة نتيجة الجفاف عام ١٩٤٢م/١٣٦١هـ. مما أدى إلى انتشار مرض التيفود في صنعاء عام ١٩٤٣م/١٣٦٢هـ، رغم محاولات البعثة الطبية* البريطانية في السيطرة على المرض[٣].

وعمد الإمام بعد سقوط النفوذ الإيطالي في شرق أفريقيا وانتهاء الحرب العالمية الثانية إلى العودة إلى سياسة العزلة في علاقاته الخارجية خوفاً من خطر الأطماع الخارجية التي اشتدت بعد نهاية الحرب وتزايد النفوذ الأمريكي، فتأخر اشتراك اليمن في الأمم المتحدة إلى عام ١٩٤٧م/١٣٦٧هـ نتيجة لعدم إعلانه الحرب على ألمانيا واليابان[٤].

١- اريك ماكرو: اليمن والغرب، ص١٥٣.

٢- محمود الشرقاوي: جنوب الجزيرة العربية، ص٤٧.

* عادت البعثة إلى عدن بعد إصابة بعض أفرادها بالمرض.

٣- اريك ماكرو: اليمن والغرب، ص ص١٥٣، ١٧٣.

٤- Lenczowski : The Middle East In World Affairs, P. 361.

فيما انضمت اليمن إلى جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥م/١٣٦٥هـ [١]. فكان ذلك خروجاً محدوداً من سياسة العزلة التي تميزت بها سياسته الخارجية.

وفي ظل تفاقم الخطر البريطاني في المنطقة بنهاية الحرب العالمية الثانية، رأى الإمام في تزايد النفوذ الأمريكي مخرجاً له لمواجهة قوة بريطانيا ونفوذها في المنطقة[٢]، بعد انتهاء النفوذ الإيطالي في المنطقة.

عدن ومحميات الجنوب:

سعت بريطانيا إبان الحرب العالمية الثانية إلى تأمين ميناء عدن ونفوذها في المحميات لظروف الحرب والتهديد الإيطالي لنفوذها في شرق إفريقيا والقرن الإفريقي وجنوب الجزيرة العربية، واتبعت حكومة عدن سياسة الهيمنة على السلطنات والإمارات في المحميات لأهميتها الاستراتيجية بالإضافة إلى الاقتصادية لوجود البترول[٣]. ووضعت الخطط لتأمين نفوذها في عدن والمحميات عام ١٩٤٠م/١٣٥٩هـ ضد الخطر الإيطالي على نفوذها في جنوب الجزيرة العربية القادم من شرق إفريقيا، والتخوف من تحالف يمني– إيطالي ضدها*.

ونظراً للتهديد الإيطالي في الحرب، اتخذت الحكومة البريطانية في عدن في إطار سياستها في جنوب اليمن والمحميات عدة أساليب سياسية من أهمها: أولاً، تأمين الحدود الشمالية مع المملكة المتوكلية اليمنية، وثانيهما، الاهتمام بزيادة التحصينات في المنطقة خاصة في عدن والمحمية الغربية والجزر لقربها من نطاق الصراع العسكري في جنوب البحر الأحمر والقرن الإفريقي، وثالثهما، تأمين الوضع الداخلي في حكمها وعلاقتها مع سلاطين المحميات وقاعدتها في عدن والحفاظ على الأمن والتنسيق والتعاون بين جيش الليوي وجيش البادية الحضرمي مع القوات البريطانية وسلاح الطيران الملكي البريطاني في

١– أمين سعيد: اليمن، ص١٢٤.

٢– Wenner: Modern Yemen, P. 169.

٣– صالح صوحل: الإدارة البريطانية في عدن والمحميات الغربية ١٩٣٧–١٩٦٧م، (القاهرة: مكتبة مد بولي، ٢٠٠٢م)، ص٦٠.

* انظر ص ٢٢٦.

عدن لتدعم سلطتها ولقمع التمردات القبلية[١]. للسيطرة على الوضع الداخلي السياسي والعسكري والاقتصادي.

فوضع المسؤولون البريطانيون في ١٦ديسمبر ١٩٤٠ م الخطوط العريضة لسياسة حكم مباشر وغير مباشر في محمية عدن والمحميات الشرقية والغربية، استخدم فيها البريطانيون كافة الوسائل للسيطرة على المنطقة، ركيزتهم الأساسية العمل على المحافظة على أمن عدن لرعاية مصالحهم في هذا الجزء المهم من الإمبراطورية. فسعت في أوائل الأربعينات إلى تطوير قوات لحج في المحمية الغربية لأهميتها بالقرب من مناطق الخطر الإيطالي في جنوب البحر الأحمر[٢]. إلى جانب تقوية التحصينات في قاعدة عدن وفي حضرموت وجزيرتي كمران و ميون وفي جزيرة سقطرى[٣].

وكان من أهم الإجراءات السياسية التي اتخذتها الحكومة البريطانية في عدن ومحمياتها، أنها أخضعتها لقانون حالة الطوارئ كغيرها من المستعمرات التابعة لبريطانيا، وعملت بموجبها حكومة عدن البريطانية. وكان الهدف منها ضبط الأمن، وإشاعة الهدوء والاستقرار لمواجهة الوضع المضطرب داخل المنطقة وخارجها، وشمل قانون الطوارئ عدة لوائح وأنظمة، التزمت بها عدن ومحمياتها في أثناء الحرب، وسُخرت من خلالها كل إمكانيات عدن والمحميات البشرية والمادية لتنفيذ متطلبات الحرب الدفاعية، وفقاً للمخططات السياسية والعسكرية والاقتصادية البريطانية في المنطقة. وقد حدد قانون الدفاع عن عدن عدة إجراءات أمنية، كان من أهمها: وقف التمثيل الدبلوماسي بين بريطانيا ودول المحور. فأغلقت قنصلياتها في عدن، وتمت السيطرة عليها، وأصبح كل ما يتعلق بها تحت إشراف الضابط المالي القيم على ممتلكاتها. وأغلقت جميع مكاتب

١- سلطان ناجي: التاريخ العسكري لليمن، ص ص٩٥، ١٦٤، ١٧٢، ١٧٣.

٢- دلال الحربي: علاقة سلطنة لحج ببريطانيا، ص ص٢٣٥، ٢٤١.

٣- سلطان ناجي: التاريخ العسكري لليمن، ص١٤٥.

الشركات الألمانية والإيطالية، كما جمدت المنافع اليابانية في عدن، بعد دخول اليابان الحرب. كما قطعت كافة العلاقات التجارية مع دول المحور[١].

ومع بداية الحرب العالمية الثانية حد البريطانيون من نشاطهم على الحدود مع المملكة المتوكلية اليمنية حتى لا يندفع الإمام يحي للتحالف مع الإيطاليين ضدهم، ومارس البريطانيون ضغطاً اقتصادياً إلى جانب ضغطهم السياسي عام ١٩٤٠م/١٣٥٩هـ على الإمام حتى يحافظ على سياسة الحياد، حيث كانت اليمن تستخدم ميناء عدن في كل عمليات التصدير والاستيراد، إلا أنه وفي عام ١٩٤١م/١٣٦٠هـ غض البريطانيون الطرف عن بعض عمليات التهريب من عدن إلى اليمن، والتي شملت تهريب الأسلحة والذخائر والمواد التموينية والمحروقات، وعكس ذلك عدم التشدد في تطبيق أوامرها بمنع وصول البضائع التجارية إلى اليمن[٢].

تعتبر قاعدة عدن من أهم القواعد البريطانية في المنطقة تشرف منها على الملاحة في المحيط الهندي والبحرين العربي والأحمر وتطل منها على شبه الجزيرة العربية من جهة الجنوب[٣]. وازدادت أهميتها للحلفاء عندما اجتاح الإيطاليون الصومال البريطاني في أغسطس ١٩٤٠م، فانتقلت حكومتها البريطانية إلى عدن، فأصبحت عدن بذلك قاعدة للحلفاء في حملتهم على المستعمرات الإيطالية في شرق أفريقيا عام ١٩٤١م[٤].

وقد عمدت إيطاليا بعد احتلالها الصومال البريطاني ومحاصرتها الصومال الفرنسي، إلى بسط سيطرتها على كل الساحل الأفريقي الواقع في الجزء الجنوبي للبحر الأحمر والمنطقة المتاخمة لخليج عدن، فتستطيع توجيه ضربة قوية إلى القاعدة الحربية الإنجليزية في

١- شفيقة العراسي: السياسة البريطانية في مستعمرة عدن ومحمياتها ١٩٣٧-١٩٤٥م، مجلة اليمن، (تصدر عن مركز البحوث والدراسات اليمنية، جامعة عدن، العدد ١٢، نوفمبر ٢٠٠٠م)، ص ص٦٩، ٧٠، ٩٩.

٢- دلال الحربي: علاقة سلطنة لحج ببريطانيا، ص ص٣٧٠، ٣٧٣.

٣- حسين فوزي النجار: السياسة والإستراتيجية في الشرق الأوسط، جـ١، ص٦٢٩.

٤- حسين فوزي النجار: بريطانيا والجنوب العربي، ص٤١.

عدن، وتعمد إلى احتلالها فتكون بذلك قادرة على إغلاق اقصر الطرق البحرية المؤدية من المتوسط إلى المحيط الهندي[١].

ونتيجة لتعرض عدن للقصف الجوي الإيطالي في عام ١٩٤٠م[٢]، استعاد جيش محمية عدن (الليوي) دورة لحماية عدن وألحق به جناحاً جديدا من المدفعية المضادة للطائرات، وتم فتح مطار جديد خارج مدينة الشيخ عثمان، واسند لجيش الليوي مسألة حماية هذه المطارات من الهجمات والغارات المعادية، وتمكن الجناح المضاد للطائرات في الجيش من إسقاط طائرة إيطالية فوق سماء عدن مباشرة عقب دخول إيطاليا الحرب[٣]. وقد أثار القصف الأهالي في عدن وهرب بعضهم إلى لحج، وأصبحت عدن هي مركزاً رئيسياً للعمليات الحربية البريطانية وقاعدة للحملة البريطانية على المستعمرات الإيطالية في شرق أفريقيا[٤].

وعلى الرغم من إن الغارات الجوية الإيطالية استهدفت المنشآت العسكرية والاقتصادية البريطانية في عدن، وسببت الخوف والهلع في أوساط السكان في عدن، إلا أن هذه الغارات لم تحقق أهدافها العسكرية وخسرت ثلاث طائرات وغواصة، وأسر عدد من قواها، سواء في غاراتها على عدن أو جزيرة كمران أو بريم، فأظهرت هذه الغارات الجوية فشلها في تحقيق أهداف عسكرية استراتيجية في عدن ضعفاً في قوة إيطاليا العسكرية، وضعف قدرتها القتالية في منطقة البحر الأحمر، وتفوق القوة البريطانية على الرغم من توافر دوافع عديدة لهزيمتها[٥].

وقد قامت السلطات البريطانية في أواخر ديسمبر ١٩٤١م وبداية عام ١٩٤٢م/١٣٦٠-١٣٦١هـ بإجراء تعزيزات عسكرية لقواعدها في الجزر الواقعة في باب المندب وخليج عدن و سقطرى وعززت قواتها فيها في أعقاب دخول اليابانيين

١- مجموعة من المؤلفين السوفيت: تاريخ اليمن المعاصر ١٩١٧- ١٩٨٢م، ص ٧٦.

٢- الأهرام: العدد ٢٠٠٣١، السبت ١٥ /٦/١٩٤٠ م، ص١.

٣- سلطان ناجي: التاريخ العسكري لليمن، ص١٥٤.

٤- دلال الحربي: علاقة سلطنة لحج ببريطانيا، ص٢٤٢.

٥- شفيقة عراسي: السياسة البريطانية في مستعمرة عدن ومحمياتها، ص ١٠٢.

الحرب، و اتخذت احتياطاتها العسكرية لمواجهة أية تحركات يابانية نحو المنطقة، خاصة بعد الخسائر الفادحة لقواتها البحرية ومراكزها العسكرية في شرق وجنوب شرق آسيا، وسعت لدى (سلطان مسقط) للحصول على الموافقة في استخدام جزيرة "مصيرة" مطاراً جوياً لسلاح الطيران الملكي البريطاني في أثناء الحرب، وإلحاقها إدارياً بمستعمرة عدن. وأصبحت عدن والسواحل الجنوبية من المحميات على أهمية الاستعداد لمواجهة أية هجمات يابانية مرتقبة [١].

ونتيجة لظروف الحرب عمد البريطانيون إلى تأمين وضعهم الداخلي والحفاظ على الأمن داخل المحميات الشرقية والغربية وفي عدن، ضد التمردات القبلية، فقمع هاميلتون مظاهرة عنيفة في الشيخ عثمان ضد البريطانيين في بداية الأربعينات، وفي عام ١٩٤٢م/١٣٦٢هـ أنهت القوات تمرداً في ردفان[٢]. ولعل مصدر الإزعاج الحقيقي للبريطانيين في حضرموت كانت حركة ابن عبدات الكثيري[٣]. التي بدأها عمر بن عبدات عام ٢٤-١٩٣٩م/١٣٤٣-١٣٥٨هـ، ولما توفي حل محله عبيد بن عبدات من ٣٩- ١٩٤٥م/١٣٥٨-١٣٦٥هـ، و جاءت المرحلة الثانية التي قادها عبيد بن عبدات في وقت حرج للقوات البريطانية التي كان عليها الاستعداد لمعركتها مع الإيطاليين في البحر الأحمر والقرن الإفريقي، حيث اضطرت إلى توقيع معاهدة معه في ٢٣مايو ١٩٤٠م/١٣٥٩هـ لاضطرارها سحب طائراتها لمواجهة دخول إيطاليا الحرب دون أن تعترف باستقلاله، فما كان منه إلا الاتصال بحكام المملكتين السعودية و المتوكليه اليمنية، ولما لم يجد استجابة. سعى إلى الاتصال بألمانيا عن طريق القنصلية الإيطالية في صنعاء، فبعث ببرقية عن أخبار صداماته مع البريطانيين بثتها إذاعة برلين في إطار دعايتها المضادة للبريطانيين، إلا أن الحركة ما لبثت لظروف الحرب السياسية والاقتصادية أن انتهت بهزيمة

١- شفيقة عراسي: السياسة البريطانية في مستعمرة عدن ومحمياتها، ص ص ٨٤، ١٠٤.

٢- سلطان ناجي: التاريخ العسكري لليمن، ص ١٥٨.

٣- R. J. Gavin, Aden Under British Rule, P. 305.

ابن عبدات في مارس ١٩٤٥م/١٣٦٥هـ. وأجهضت محاولته الاستعانة في نزاعه مع البريطانيين بألمانيا التي هزمت بدورها في الحرب[١].

وقد عكست هذه المظاهرات والتحركات القبلية ضد البريطانيين في جنوب الجزيرة العربية نمو الحركة الوطنية التي لم تتخذ شكلا واضحا إلا في إعقاب الحرب العالمية الثانية للتخلص من الاستعمار البريطاني على أراضيها[٢].

ولعل أقوى ما تعرضت له منطقة جنوب الجزيرة العربية من آثار الحرب العالمية الثانية هي الأزمة الاقتصادية التي تأثرت بها كثير من المناطق في العالم، فوقعت في عام ١٩٤٣ - ١٩٤٤م/١٣٦٢-١٣٦٤هـ مجاعة كبيرة في حضرموت والمحميات وعدن نتيجة للجفاف والقحط ولتوقف تحويلات المهاجرين (الحضارم) في الشرق الأقصى نتيجة للغزو الياباني على اندونيسيا و سنغافورة[٣]. فارتفعت أسعار الأغذية، و اتخذت الحكومة البريطانية من هذه الكارثة الاقتصادية وسيلة لتنفيذ سياستها التوسعية في عدن وحضرموت تحت ستار توزيع المؤن الغذائية[٤].

وعلى الرغم من ذلك فقد ساهمت عدن ومحميات الجنوب في المساهمات المالية للمجهود الحربي البريطاني، وذلك اثر المعاناة المالية القاسية التي تعرضت لها بريطانيا في مواجهة أعداء الحرب، فشكلت مستعمراتها رافداً ماليا هاما للخروج من أزمتها، لتواجه به مسؤولية الدفاع عن أرضها، كما ساهم أهالي عدن والمحميات في توفير المبالغ المالية لإنشاء شركة لتمهيد الطرقات، وساعدوا في حراسة المطارات المحلية التابعة لسلاح الجو الملكي، وكذا للمراكز الساحلية، وقد اعترفت السلطات البريطانية بالخدمات المالية وحملة التبرعات والمنح المالية التي بذلها السكان والسلاطين لصالح قوات الحلفاء في ظل ظروف الحرب لمواجهة أعباء المجهود الحربي، و أعطى ذلك صوره عن مدى تجاوب معظم سكان

١- محمد سعيد القدال وعبد العزيز القعيطي: السلطان علي بن صلاح القعيطي، ط٢، (لندن: دار الساقي، ٢٠٠١م)، ص ١٠٢.

٢- جاد طه: سياسة بريطانيا في جنوب الجزيرة العربية، ص ص ٤٢٠، ٤٢٥.

٣- صلاح البكري: حضرموت وعدن، ص ١٨٧.

٤- سلطان ناجي: التاريخ العسكري لليمن، ص ١٤٧.

المحميات لمساعدة الحلفاء في أثناء الحرب للتصدي للإخطار التي قد تتعرض لها بلادهم من جراء الحرب فنظروا إلى القوة العسكرية البريطانية المهيمنة في المنطقة كمساعدة لهم لمواجهة أي اعتداء خارجي[١].

وبهزيمة القوات الإيطالية في شرق إفريقيا والقرن الإفريقي، وسقوط إمبراطوريتهم، بسطت بريطانيا نفوذها في المنطقة وخرجت شبة الجزيرة العربية من حلبة الصراع العسكري بين الحلفاء والمحور وان دخل إليها نوع جديد من الصراع بين البريطانيين والأمريكيين[٢]. وبعد زوال الخطر الإيطالي في منطقة البحر الأحمر وشرق أفريقيا، عاد البريطانيون بقوه من جديد إلى أتباع سياستهم "إلى الأمام" "for word policy" في المحميات، والتي بدأتها منذ عام ١٩٣٧م/١٣٥٦هـ بمعاهدات الاستشارة وتقسيم المحميات إدارياً، بعد نقل تبعية عدن إلى وزارة المستعمرات، بعد أن انتهى التنافس السياسي العسكري بينهم وبين الإيطاليين وتفرغوا لبسط سيطرتهم على المنطقة[٣].

تعتبر منطقة جنوب الجزيرة العربية منطقة حيوية واستراتيجية لبريطانيا، مهمة للدفاع عن مصالحها في المنطقة وربط لإمبراطوريتها مترامية الأطراف، فوقفت أمام محاولة إيطاليا الاتصال بجنوب شبه الجزيرة العربية والسعودية ولكونها منطقة غنية بالنفط مهمة استراتيجياً حالت دون محاولات اليمن و السعودية للوصول إلى شاطئ المحيط الهندي. و نتيجة لتعرض مواقع مصالح بريطانيا العظمى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية للترنح وإظهارها قدراً من عدم الاستقرار وضعت بريطانيا سياسة جديدة للسيطرة على عدن والمحميات كوسيلة من وسائل تعزيز طغيانها واستبدادها الاستعماري في ظل نمو الحركة الوطنية الداخلية للمطالبة بالاستقلال. وعمدت إلى تحويل محمياتها إلى مراكز أمن للقاعدة العسكرية البريطانية في عدن، وبدأ بعد الحرب العالمية الثانية عودة قوية للنشاطات الاستعمارية التي تعرقلت خلال سنوات الحرب[٤].

١- شفيقة عراسي: السياسية البريطانية في مستعمرة عدن ومحمياتها، ص ص ٨٦، ١٠٤.

٢- صلاح العقاد: العرب والحرب العالمية الثانية، ص١٠.

٣- سلطان ناجي: التاريخ العسكري لليمن، ص٩٥، Wenner :Modern Yemen, P.166.

٤- صالح محمد صوحل : الإدارة البريطانية في عدن والمحميات الغربية ،ص ص ٦٣ ، ٧٦ .

وأصبحت قاعدة عدن غطاءً خلفياً لقواتها الاستراتيجية في الشرق الأوسط وميناء رئيسياً لها في البحار الجنوبية ومستودعاً بترولياً يغذي آلتها الحربية في البر والبحر والجو بالوقود[١]. أثر تغيير طريق الدفاع الإمبراطوري بعد الحرب العالمية الثانية.

١- حسين فوزي النجار: بريطانيا والجنوب العربي، ص ص ٤١، ٤٢.

المبحث الثاني

الصراع بين بريطانيا وإيطاليا في منطقة العالم العربي في أثناء الحرب في العراق و بلاد الشام (سورية و لبنان – إمارة شرق الأردن – فلسطين).

العراق :

حَرصت بريطانيا على حماية مصالحها في العراق أسوة بغيره من الدول العربية وسط ظروف ومعطيات دولية متغيرة، وبحكم هذه المتغيرات ازدادت أهمية المصالح البريطانية في العراق.

ففي تقرير لجنة الدفاع الإمبراطوري المنعقد بتاريخ ٢١ فبراير ١٩٣٨م/١٣٥٧هـ، تركز الاهتمام البريطاني للدفاع عن مصالحه في المنطقة على الأهمية التي يشكلها العراق من الناحية الاستراتيجية والاقتصادية كبلد منتج ومصدر للنفط الذي سيكون له أهمية كبرى كباقي مناطق الخليج العربي*، والتي ستكون حسب السياسة البريطانية العامة المنطقة الممكن أن تحقق لجيوشها المحاربة الإمداد النفطي الرئيسي والطارئ إذا ما تعرضت مواصلاتها وقواعدها العسكرية في الشرق الأوسط إلى الضغوط العسكرية الألمانية والإيطالية، كذلك ساهم موقع العراق الاستراتيجي في تأمين المواصلات الجوية والبحرية والبرية بين بريطانيا وإمبراطوريتها في الهند ومناطق استعمارها في آسيا وأفريقيا، ونظرت اللجنة إلى زيادة هذه الأهمية في زمن الحرب، بالإضافة إلى حجم الاستثمارات المالية البريطانية في العراق، فحرصت بريطانيا بعدم التفريط بهذه المصالح المالية والتجارية التي ربطت العراق بسورية وفلسطين ومصر، واعتبرت بريطانيا بأن معاهدة ١٩٣٠م/١٣٤٩هـ التي تربطها بالعراق سوف تؤمن لها التزاماً بوقوف العراق إلى جانبها إذا ما أعلنت الحرب(١).

ويتضح من ذلك حرص بريطانيا على التمسك بالعراق والدفاع عن نفوذهم فيه ضد التحديات الخارجية متمثلة بألمانيا وإيطاليا وسط متغيرات دولية تنذر بإمكانية تعرض المنطقة لضغوط عسكرية وسياسية من دول المحور على النفوذ البريطاني والفرنسي.

وفيما بوادر الحرب العالمية تظهر في الأفق شهد العراق تغييراً سياسياً إثر مصرع الملك غازي في ٣ أبريل ١٩٣٩م/١٣٥٨هـ بحادث اصطدام سيارة كان يقودها، وقرر مجلس الوزراء تنصيب ابنه الوحيد فيصل (الثاني) ملكاً على العراق، وكان يبلغ الرابعة من العمر، ونُصب خاله الأمير عبد الإله وصياً على العرش لحين بلوغ الملك سن الرشد. وفي

---

* كانت بريطانيا تتجه إلى حقول النفط في العراق وإيران بصفة خاصة لتزيد إنتاجها ووارداتها منها.

١- W. O. 33/1507, Committee of Imperial Defence, OP. Cit, February 21, 1938.

٦ أبريل شكل نوري السعيد وزارته الجديدة احتفظ فيها بوزارة الخارجية إلى جانب رئاسته لمجلس الوزراء، وقد تصاعدت المظاهرات والمسيرات الصاخبة في أنحاء العراق، بإعلان حزن الشعب العراقي على الملك واُتهمت الحكومة البريطانية ونوري السعيد بتدبير مقتله، مما أدى إلى مهاجمة القنصل البريطاني في الموصل وتسببت في مقتله[١].

وتعددت الآراء حول مسؤولية مقتل الملك غازي، ذلك أن الملك غازي اعتمد في الفترة الأخيرة من حكمه المجاهرة بالعداء للبريطانيين وشجع المشاعر القومية والدعوة إلى الوحدة العربية ودعم القضية الفلسطينية، وكان ذلك لا يتفق مع المخططات البريطانية في المنطقة، كما أن الملك غازي سعى إلى تعزيز مكانة الجيش وازدياد دوره في السياسة العراقية، فيما كانت بريطانيا ترى ضرورة تحجيم الجيش العراقي ومنع استخدامه في السياسة خاصة بعد انتهاء انقلاب بكر صدقي ١٩٣٩م، والوقوف أمام الدعم العراقي للقضية الفلسطينية، حيث حول الملك غازي إذاعة قصر الزهور* في منتصف ١٩٣٨م/١٣٥٧هـ إلى منبر لمناصرة القضايا العربية ، ونشر أفكاره السياسية[٢].

مما يشكل تضارباً للسياسة البريطانية تجاه فلسطين آنذاك، مما حدا ببريطانيا إلى البحث عن بديل له منذ عام ١٩٣٦م/١٣٥٥هـ حيث جاء ذلك بعبارة "الملك غازي يجب أن يُسيطَر عليه أو يُخلع"[٣]. إلا أن تعلق الشعب العراقي به وسمعته في سوريا والكويت وفلسطين كان سبباً في تردد بريطانيا في اتخاذ قرار علني بهذا الأمر، وقد تكون بريطانيا قد دبرت مصرع الملك غازي بحادث سيارة كحجة مقبولة نظراً لشغف الملك غازي لقيادة السيارة بسرعة، إلا أن الشعب العراقي أعلن في تظاهراته بأن الإنجليز ونوري السعيد هما المسؤولان عن مقتل الملك غازي[٤].

١- السيد عبد الرزاق الحسني: تأريخ الوزارات العراقية، جـ٥، ص ص٧٨، ٨١، ٨٩.

* اتهم البريطانيون الإذاعة بأنها أداة للدعاية الألمانية ضدهم، حيث قام غروبا باستيراد أجهزة لمحطة إذاعية كاملة مع خبراء مركزها في "قصر الزهور". محمود شبيب: أسرار عراقية وعربية وعالمية، ص٧٩.

٢- لطفي جعفر فرج: الملك غازي، (بغداد: مكتبة اليقظة العربية، ١٩٨٧م)، ص ص١٨٦، ٢١٧، ٢٢٧.

٣- F.O.371. 20017/2061, E3984/3089/93, from J.C. Ward to Eastern Department Foreign Office, in 20th July 1936, Possible Alternatives to King Ghazi.

٤- رجاء حسين الخطاب: المسؤولية التاريخية في مقتل الملك غازي، (بغداد: مكتبة آفاق عربية، ١٩٨٥م)، ص ص٥٧، ٥٨.

وقد ذكر السفير البريطاني بأن وفاة الملك غازي "كانت أحد الجوانب المفيدة جداً للمصالح البريطانية." ووجد في الأمير عبد الإله وصياً على العرش العراقي، ما يجعله خاضعاً للمطالب البريطانية ويسهل تدخلهم في السياسة الداخلية للعراق إذا ما قامت الحرب، وهو ما جاء في خطاب السفير البريطاني قوله: "إن من المفرح أن يُعين ابن عمه عبد الإله وصياً على العرش"[١].

بالإضافة إلى أن ظروف الحادث نفسه أثار تساؤلات وشبهات عديدة حول مقتله، وجاء اتهام نوري السعيد بمقتل الملك غازي، نتيجة للتقارب بين موقف بريطانيا والسعيد في العديد من القضايا والسياسات. كان من أهمها اعتقاده بعدم كفاءة الملك غازي لحكم العراق، وترشيحه للأمير زيد أو الأمير عبد الإله مكانه، أضف إلى ذلك كرهه الشخصي للملك غازي[٢].

كان من أهم الاعتراضات التي وجهتها بريطانيا للملك غازي هو انتشار الدعاية الألمانية في العراق، ومدى تأثر الرأي العام العراقي بها خاصة بين الجيش والطلبة، إلى جانب زيادة من أطلقت عليهم عملاء ألمانيا في بغداد[٣].

حيث كان النشاط الدبلوماسي الألماني والدعائي للمحور في العراق من أهم الأنشطة التي تعارضها بريطانيا خاصة مع صفقات الأسلحة التي سبق أن عقدتها ألمانيا مع العراق عام ١٩٣٧م/١٣٥٦هـ، وحملت بريطانيا الدعاية الألمانية بنشاطات إذاعة (قصر الزهور) التي أعطت لبريطانيا انطباعاً باستعداد الملك غازي لتبني موقف مناوئ لهم خلال الحرب الوشيكة، حيث ربطوا بين نشاط الملك الوطني وبين نشاط الدبلوماسية الألمانية التي وصفوها بأنها "م تتورع عن استغلال الروح الوطنية من أجل تحقيق أغراضها"[٤].

وقد تواكب نشاط الاتجاهات القومية في العراق في عام ١٩٣٨م/١٣٥٧هـ، بزيادة نشاط الدعاية الألمانية والمحور ضد بريطانيا وفرنسا، حيث حاول الألمان تكريس

١- F.O.371, 24559/E.500/500/93. No. 31, from Basil Newton to Viscount Halifax, Baghdad, 5 February 1940, Iraq Confidential, P.P. 153, 155.

٢- رجاء حسني الخطاب: المسؤولية التاريخية في مقتل الملك غازي، ص ص٤٣، ٤٩.

٣- F.O.371, 24559, E- 500/500/93. No. 31, OP. Cit.

٤- Bullard: Britain and The Middle East, P. 112.

الاعتقاد بين أصحاب الاتجاهات القومية في العراق بمقدرة ألمانيا العسكرية وعزمها على مساعدة حركة التحرر العربي، فكان لهذه الدعاية أثر كبير على الجيش والرأي العام العراقي في وقت اشتداد الأزمة الأوربية وتزايد قوة الضباط القوميين في الجيش، مما أثار قلق بريطانيا من أية سياسة رسمية عراقية تدعو إلى التعاون مع ألمانيا[١].

وعند مصرع الملك غازي، وما تبعه من مظاهرات ومقتل القنصل البريطاني في الموصل مونك ماسون Monk Mason، واتهام البريطانيين بتدبير مصرع الملك وطبع منشورات بذلك، حمل البريطانيون الألمان* مسؤولية ذلك وأن الممثلين الألمان وفي مقدمتهم فرتز غروبا الوزير الألماني المفوض في بغداد وما أذاعته أذاعتا برلين وباري هم الذين أثاروا الرأي العام العراقي والعربي ضدهم، مما حمَل نوري السعيد على تسفير بعض الأساتذة الألمان في المعاهد العراقية والمستشار الفني لمديرية الآثار نزولاً على طلب السفير البريطاني[٢].

إلا أن التحقيقات لم تثبت تورط الألمان في مقتل القنصل أو طبع المنشورات، وإن كانت لم تنكر أثر الدعاية الألمانية في العراق، ولم يقتصر اتهام البريطانيين بتدبير مصرع الملك على الرأي العام العراقي، بل شارك فيه الرأي العام في معظم البلاد العربية خاصة في فلسطين وسورية، كما حاولت بعض الصحف الألمانية والإيطالية الاستفادة من مصرع الملك لخدمة أغراضها السياسية على أساس بأن الملك كان يحمل ميولاً معادية للبريطانيين وأنه يناضل لاستقلال بلاده التام، فاتهمت الصحف بريطانيا بتدبير مؤامرة مصرع الملك[٣].

وعلى الرغم من أن الرأي العام العربي آنذاك كان مقتنعاً بأن الجبهة المعادية المشتركة له هي بريطانيا وفرنسا والصهيونية العالمية، إلا أنه كان يميل إلى ألمانيا النازية منه إلى إيطاليا الفاشية وذلك لطبيعة الاستعمار الإيطالي لليبيا وشرق أفريقيا، فاعتقدوا بأن صداقة دول المحور أضمن للوصول إلى الأهداف والحقوق العربية من صداقة بريطانيا وفرنسا خاصة بعد فشلهم في الحصول من بريطانيا على أي اتفاق يحقق المطالب القومية

١- لطفي جعفر فرج: الملك غازي، ص ص٢٣٣، ٢٣٤.

* زود اليهود في بغداد السفارة البريطانية بهذه المعلومات — حازم المفتي: العراق بين عهدين، ص٢٢٨.

٢- السيد عبد الرزاق الحسني: تأريخ الوزارات العراقية، جـ٥، ص٨٤.

٣- لطفي جعفر فرج: الملك غازي، ص ص٢٤٨، ٢٤٩.

العربية ومن أبرزها تحرير فلسطين واستقلال سورية وتسليح الجيش العراقي، فاستغل المحور هذه الظروف الحرجة وحاجة العرب إلى دول أوربية قوية تمدهم بالسلاح وتدعمهم في صراعهم مع بريطانيا وفرنسا وتصديهم للهجرة الصهيونية إلى فلسطين[١]. لذلك نجد أن هناك ترابطاً قوياً منذ ١٩٣٩م/١٣٥٨هـ بين المطالب القومية الوطنية في العراق والمطالب الوطنية في سورية وفلسطين، زادت قوة بعد أن وصل الحاج محمد أمين الحسيني بغداد في ١٥ أكتوبر ١٩٣٩م[٢].

وعندما أعلنت بريطانيا الحرب على ألمانيا في ٣ سبتمبر ١٩٣٩م، بدأت تدخلها السافر في شؤون العراق الداخلية، فقدم السير بازل نيوتن Sir Bazil Newton سفير بريطانيا في العراق طلب حكومته أن يقطع العراق علاقته مع ألمانيا، وأن يعلن الحرب عليها بصفته حليفاً لبريطانيا وفق نصوص معاهدة ١٩٣٠م، وفي ٥ سبتمبر عقد اجتماع مستعجل لمجلس الوزراء العراقي برئاسة الوصي عبد الإله، ويعتبر هذا الاجتماع هو بداية لأول انقسام في الحكومة حيث عرض نوري السعيد إعلان الحرب فوراً على ألمانيا وذلك نزولاً على أحكام معاهدة التحالف مع بريطانيا لعام ١٩٣٠م/١٣٤٩هـ، ورفض ذلك وزير الدفاع طه الهاشمي وانضم إليه عدد من الوزراء حيث إن المعاهدة لا تستلزم ذلك*، فيما رأى الوصي بالاكتفاء بقطع العلاقات السياسية مع ألمانيا، إلى حين أن تتضح الأحداث والتطورات الدولية، فصدر بيان رسمي بقطع العلاقات وتسفير جميع الرعايا الألمان خارج العراق[٣].

وقام نوري السعيد في ٦ سبتمبر بالقبض على الرعايا الألمان** وسلمهم إلى السلطات البريطانية في مطار الحبانية، فجرى تسفيرهم إلى الهند كأسرى حرب، أما رجال الهيئة السياسية فقد سافروا إلى بلادهم عن طريق سورية ولبنان يترأسهم وزير

١- فاضل البراك: دور الجيش العراقي في حكومة الدفاع الوطني والحرب مع بريطانيا عام ١٩٤١م، ص٢١٣.

٢- عبد الرحمن عبد الغني: ألمانيا النازية وفلسطين، ص٢٣٣.

* بعد مراجعة الوزراء للمادة الرابعة من المعاهدة (حول تعرض أي من الفريقين المتعاقدين للحرب).

٣- السيد عبد الرزاق الحسني: تأريخ الوزارات العراقية، جـ٥، ص ص ٩٩، ١٠١.

** كان جزءاً من الرعايا الألمان قد سافر إلى إيران قبل ذلك بناءً على نصح د. غروبا لهم بمغادرة العراق.

ألمانيا المفوض في بغداد غروبا*، فأثار ذلك استنكاراً من قبل السياسيين العسكريين العراقيين والرأي العام العراقي، بالإضافة إلى احتجاج د.غروبا على ذلك بأنه "يخالف القانون الدولي"، فرد نوري السعيد: "هذا الذي عملته وإذا نجح هتلر فليعدمني"[١].

وفي ٨ سبتمبر أرسل الوصي عبد الإله إلى الملك جورج السادس ملك بريطانيا بالبرقية التالية: "في الظروف الدولية العصية الحاضرة، يدفعني واجب الصداقة وشرف الوفاء بالعهد إلى الإعراب لجلالتكم عن تمسكنا حكومة وشعباً بمعاهدة التحالف المعقودة بيننا نصاً وروحاً، وعن عزمنا الراسخ على بذل كل ما وسعنا للسير بعين الروح مع حليفتنا العظمى حتى ينتصر الحق والعدل وتسود المبادئ السامية التي دخلتم الحرب من أجل الدفاع عنها".

وجاء رد صاحب الجلالة الملك جورج السادس: "لقد تأثرت جداً ببرقية سموكم الملكي المعبرة عن عزم العراق الراسخ حكومة وشعباً للتعاون مع حكومتي بموجب المعاهدة التي تربطنا، إن عمل الحكومة العراقية هذا لدليل آخر على الصداقة المتينة والإخلاص المتبادل بين شعبينا. إن حكومتي تقدر جداً ما جاء في برقيتكم من التشجيع للقيام بواجبنا في مقاومة القوة المعتدية وإني أؤكد لسموكم أنه إذا ما أصيب العراق بأهوال الحرب، فإن حكومتي ستقوم بتعهداها بنفس روح الوفاء والعدل"[٢].

وقد اتخذت الحكومة العراقية تدابير احتياطية لحماية العراق من ظروف الحرب أو الاستعداد للاشتراك الفعلي في الحرب إذا ما تعرض العراق لأي هجوم، شملت هذه التدابير: إعلان قانونين للطوارئ في العراق ولتنظيم الحياة الاقتصادية في أثناء الحرب، كما قامت بتشكيل "مجلس التموين المركزي" لمراقبة تنفيذ قانون تنظيم الحياة الاقتصادية في البلاد. وفي ١٣ سبتمبر مُنح وزير الدفاع حق استخدام جميع المصانع وطرق النقل البرية والبحرية والجوية

---

* تولت السفارة الأفغانية رعاية المصالح الألمانية في العراق.

١- السيد عبد الرزاق الحسني: الأسرار الخفية في حركة سنة ١٩٤١م التحررية، جـ١، ص٧٤.

٢- السيد عبد الرزاق الحسني: تاريخ العراق السياسي الحديث، جـ٣، ص١٧٩.

والكباري والطرق والموانئ والسكك الحديدية، في حالة التهديد بالحرب أو إعلان الحرب أو التعبئة العامة[١].

وقد أثار تضامن الوصي عبد الإله ونوري السعيد مع بريطانيا انتقاد غالبية الشعب العراقي وبعض الساسة وقادة الجيش، الذين رأوا في ذلك اندفاعاً للوقوف إلى جانب بريطانيا في حربها مع المحور، بينما كان الرأي السائد هو اتخاذ موقف محايد بين الأطراف الدولية المتنازعة، ورأوا بأن نوري السعيد قد تسرع في قطع العلاقات مع ألمانيا، ووضعه إمكانيات العراق لمساعدة بريطانيا، ومحاولته إشراك العراق في القتال[٢]. حيث اقترح مراراً أن يرسل العراق فرقة أو فرقتين من جيشه للقتال في صحراء ليبيا والبلقان إلى جانب القوات البريطانية، وبرر ذلك بأنه سيؤدي إلى نتائج في صالح العرب بعد انتهاء الحرب[٣].

ويتضح من ذلك أن الموقف في العراق تجاه الحرب انقسم إلى ثلاثة اتجاهات —كما أوردها محمود الدره- تبلورت على ضوء تقدير الموقف العسكري:

الاتجاه الأول: وهو الانحياز المطلق إلى جانب الحلفاء أي إلى جانب بريطانيا دون قيد أو شرط، وتبنى هذا الاتجاه: نوري السعيد والوصي عبد الإله، وبعض مؤيديه، حيث اعتقد نوري السعيد بأن النصر النهائي في الحرب سيكون حليف بريطانيا وحلفائها، وأن هتلر وحلفاءه سيهزمون بعد أن يقرر هتلر مهاجمة الاتحاد السوفيتي.

الاتجاه الثاني: كان يرى وجوب مساومة بريطانيا لكي يقرر العراق مصيره إلى جانبها، وتركزت مطالب العراق الأساسية في المساومة على الحصول على وعد من بريطانيا وفرنسا بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، وحق سورية ولبنان في الاستقلال وتسليح الجيش العراقي ليكون قادراً على تحمل نصيبه في المجهود الحربي العام بدلاً من عجزه الذي هو عليه، ومساعدة العراق اقتصادياً ومالياً ليجتاز أزمة الحرب دون ضنك أو عناء شديدين، وتبنى هذا الاتجاه بعض أعضاء مجلس الدفاع الأعلى "الكتلة العسكرية القومية" أمثال رشيد عالي الكيلاني وناجي السويدي وطه الهاشمي وصلاح الدين الصباغ

١- Majd. Khadduri: Independent Iraq 1932-1958. 2nd Edition (London: Oxford University Press, 1960). P.P. 147, 148.

٢- العراق في التاريخ: (بغداد: (د.ن)، ١٩٨٣م)، ص٦٩٤.

٣- إسماعيل ياغي: حركة رشيد الكيلاني، ص٤١.

وصحبة القادة، وناجي شوكت الذي لم يكن عضواً في مجلس الدفاع الأعلى، وبعض النواب.

الاتجاه الثالث: ويرى وجوب التريث وعدم الانحياز لأي من المعسكرين المتحاربين إلى أن ينجلي الموقف العسكري في الشمال الأفريقي، حيث كان محتملاً انهيار مقاومة الحلفاء وتدخل روسيا الحرب إلى جانب المحور، فيعلن العراق الحرب على الحلفاء بعد أن يستحصل من ألمانيا وإيطاليا مواثيق وعهود وتصريحات تحقق "حرية البلاد العربية واستقلالها" وترأس هذا الاتجاه الحاج محمد أمين الحسيني "مفتي فلسطين" ويونس السبعاوي اللذان ارتبطا بالقادة الأربعة* فيما بعد(١). وقد تنصر مؤيدو الاتجاه الثاني للاتجاه الثالث وتبنوه فيما بعد حيث اعتقدوا بأن النصر سيكون بجانب المحور.

واستمر الخلاف بين أصحاب الاتجاهات الثلاثة مع تطورات الحرب، فشهد عام ١٩٤٠م/١٣٥٩هـ صراعاً داخلياً بين الوصي والساسة العراقيين والجيش والشعب والحكومة البريطانية مما أدى إلى تدهور الوضع وقيام حركة مايس (مايو) ١٩٤١م/١٣٦٠هـ، إلى جانب أنه شهد تطوراً في الحرب الأوربية، ظهر أثره على جميع البلاد العربية حيث لم يكن الموقف الحربي الدولي في صالح بريطانيا آنذاك، فتركزت الدعاية الألمانية والإيطالية تجاه العرب في العراق، وشهد بداية اتصالات خاصة ومباشرة بين فريق من السياسيين العراقيين والمفتي للحصول على اعتراف بمطالب العرب في الاستقلال التام للبلاد العربية(٢). مع كل من ألمانيا وإيطاليا اللتين أثارتا الحكومة البريطانية، فعملت على التدخل المباشر في العراق عسكرياً.

فعلى الصعيد الداخلي، شهد الوضع الداخلي تغييراً وزارياً حيث قدم نوري السعيد استقالة وزارته في فبراير ١٩٤٠م ثم عاد وألفها في ٢٢ فبراير وعمل السعيد إلى تجديد عرضه دخول الحرب إلى جانب بريطانيا، وإرسال قوات عراقية للقتال بجانب

---

* صلاح الدين الصباغ، كامل شبيب، فهمي سعيد، محمود سلمان.

١- محمود الدره: الحرب العراقية — البريطانية، ط٢، (القاهرة: دار المعرفة، ١٩٨٢م)، ص ص١١٧، ١١٨.

٢- علي محافظة: موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ص٣٣٩.

البريطانيين، إلا أنه جوبه بمعارضة شديدة، مما أدى إلى استقالته واستلام رشيد عالي الكيلاني رئاسة الوزارة، واحتفظ السعيد بوزارة الخارجية وذلك في ٣١ مارس ١٩٤٠م[١].

وقد واكبت وزارة الكيلاني مع انتصارات ألمانيا في أوروبا، فاشتد الموقف الداخلي حول مناصري موقف الحياد ودعاة الحرب الذين يرون ضرورة إعلان الحرب على المحور والوقوف إلى جانب الحلفاء، فجاء برنامج وزارة الكيلاني موافقاً لمبدأ الحياد مع إبداء اهتمام كبير بإعادة تسليح جيش العراق، حتى لو توفر ذلك من دول أخرى غير بريطانيا، فكسب بذلك تأييد جانب كبير من ضباط الجيش، وفي المجال الخارجي سعى إلى تقوية أسس التحالف العربي واستمرار الجهود لتحقيق الأماني الوطنية في البلاد العربية المجاورة (سورية وفلسطين)، وكذلك توطيد علاقة الصداقة بـ العراق ودول ميثاق سعد أباد (أهمها تركيا وإيران)، والتعاون مع بريطانيا على أساس المصالح المتبادلة[٢].

وحاول إبداء الميل للمحور كوسيلة لإرغام بريطانيا على منح تنازلات للعراق وسورية وفلسطين، وفي مجال التسلح[٣]. وقد عُلق على هذه الوزارة آمالاً كبيرة من قبل الشعب العراقي وأُطلق عليها "وزارة الائتلاف الوطني"[٤].

وبذلك ظهر الاختلاف واضحاً بين سياسة السعيد المؤازرة إلى إعلان العراق الحرب ومناصرة بريطانيا وسياسة الكيلاني الموجهة نحو تحقيق الأماني العراقية والعربية للحصول على الاستقلال، فكان الكيلاني يوافق على مبدأ المحالفة البريطانية في إطار المصلحة العربية، لذلك تمسك بموقف الحياد في الحرب.

وأدى تطور الموقف السياسي والعسكري في أوربا واستسلام فرنسا في يونيو ١٩٤٠م وما تبعه من دخول إيطاليا الحرب في ١٠ يونيو إلى ازدياد الشعور المعادي لبريطانيا في العراق واشتداد ميل القوميين العرب تجاه المحور[٥].

١- السيد عبد الرزاق الحسني: تأريخ الوزارات العراقية، جـ٥، ص ص١١٤، ١٣٢.

٢- حازم المفتي: العراق بين عهدين، ص٢٧١.

٣- محمود منسي: الشرق العربي المعاصر، ص١٠٨.

٤- حازم المفتي: العراق بين عهدين، ص٢٧٢.

٥- محمود الدره: الحرب العراقية — البريطانية، ص١١٩.

وقد حرصت بريطانيا قبل إعلان إيطاليا الحرب بيومين على معرفة موقف العراق من ذلك، وضرورة قطع العلاقات العراقية مع إيطاليا، فتقرر تأجيل اتخاذ قرار بذلك إلى أن تدخل إيطاليا الحرب رسمياً، وما إنْ تم ذلك حتى أبلغ السفير البريطاني نيوتن نوري السعيد وزير الخارجية العراقي بضرورة أن تقرر الحكومة العراقية موقفها، فكان من رأي نوري السعيد أن تبادر الحكومة العراقية إلى قطع علاقتها السياسية مع إيطاليا، على نحو ما قامت به تجاه ألمانيا، وهدد بالاستقالة، فيما اختلف موقف باقي أعضاء الحكومة بين إعلان قطع العلاقات وعدم إغضاب بريطانيا، وبين موقف الحياد والانتظار لمعرفة موقف تركيا ومصر، وبعد مداولات قرر مجلس الوزراء التريث في أمر قطع العلاقات العراقية — الإيطالية، وتمسك الحكومة العراقية بمعاهدة التحالف بينها وبين بريطانيا، وعزمها على الوفاء بها [١].

وقد عبر السفير البريطاني للكيلاني عن دهشته لقرار مجلس الوزراء العراقي بشأن قطع علاقاته مع إيطاليا على الرغم من أن الحكومة المصرية قطعت علاقتها مع إيطاليا، وعبر عن خشيته على أن يؤثر وجود الإيطاليين في العراق على المصالح البريطانية- العراقية، إلا أن الكيلاني قرر اتخاذ موقف الحياد خاصة بعد هزيمة فرنسا[٢].

شهد العراق منذ يونيو ١٩٤٠م اتصالات مكثفة بين العراق وألمانيا وإيطاليا، لم تختص بالعلاقات بين العراق والمحور بل شملت العراق وسورية وفلسطين والمحور. تمت هذه الاتصالات عن طريق السيد ناجي شوكت ولقاءاته مع فون بابن Von Papen سفير ألمانيا في تركيا، وأيضاً عن طريق السيد عثمان كمال حداد السكرتير الخاص للمفتي الذي أرسله إلى برلين مرتين، وأخيراً عن طريق جبرايللي السفير الإيطالي في بغداد.

فكان لقاء السيد ناجي شوكت وزير العدلية في وزارة الكيلاني بالسفير الألماني بابن بمدينة اسطنبول في ٥ يوليو ١٩٤٠م/١٣٥٩هـ، وتناقشا في اجتماع

١- السيد عبد الرزاق الحسني: تأريخ الوزارات العراقية، جـ٥، ص ص١٥٧، ١٥٩.

٢- Foreign office Annual Reports from Arabia, Vol 3, OP. Cit Iraq, Confidential, 16003, E-653/653/98, Sir B. Newton to Mr Eden, Bagdad, January 17, 1941, No. 23, P. 175.

شخصي* وجهة النظر الألمانية — فيما لو انتصرت في الحرب- في قضايا العرب ومستقبل بلادهم، حيث كان من وجهة نظر شوكت أن ألمانيا هي الدولة الوحيدة التي لا مطامع استعمارية لها في العراق ولا في بقية البلدان العربية. وكان رد بابن بأن الحكومة الألمانية تاركة هذا الموضوع من اختصاص حليفتها إيطالية، ولكنها يسعدها حرية واستقلال البلاد العربية سياسياً واقتصادياً، فتشكك شوكت من نيات الحكومة الإيطالية لأنها دولة استعمارية، وأعرب عن رغبة بلاده بمساعدة ألمانيا ومشاركتها لإيطاليا في النظر إلى البلاد العربية للتخلص من الاستعماريين البريطاني والفرنسي، ووعد بابن بمشاورة حكومته في ذلك[١].

وتم لقاء شوكت —بابن الثاني في ٢ أغسطس ١٩٤٠م باسطنبول في الوقت الذي أرسل فيه المفتي سكرتيره الخاص كمال حداد إلى برلين لنفس المهمة التي يقوم بها شوكت، فعرض شوكت عليه الأسس التي تراها حكومته لصالح القضية العربية وترغب من الحكومتين الألمانية والإيطالية مساندتها:

١- أن تعترف الحكومتان بالاستقلال التام للبلاد العربية المستقلة الآن، وبالاستقلال التام للبلاد العربية الخاضعة للانتدابين البريطاني والفرنسي.

٢- أن تعلن الحكومتان بأنه ليست لهما مطامع استعمارية في مصر.

٣- أن تعترف الحكومتان للبلاد العربية بحق تأسيس وحدتها القومية حسب رغائبها.

٤- لا تعترف الحكومتان بشرعية الوطن القومي لليهود في فلسطين.

٥- إن ألمانيا وإيطاليا لا تطلبان إلا أن تريا البلاد العربية متمتعة بالازدهار والرقي، وأن تتبوأ مكانتها التاريخية والطبيعية في العالم، وأن هذا التمتع وهذا التبوؤ هما لمصلحة الإنسانية جمعاء، وأن ألمانيا وإيطاليا لا تطلبان من البلاد العربية سوى أن تحترم حرية الكنائس، والإرساليات، والعبادات المسيحية في فلسطين،

---

* سافر شوكت بناء على رغبة حكومة الكيلاني لمشاورة الحكومة التركية حول موقفها من الحرب باعتبارهما عضوان في حلف سعد أباد، وقام شوكت باتصالات بيان بمعرفة الكيلاني والمفتي والوزير المفوض في أنقرة كامل الكيلاني شقيق رشيد الكيلاني.

١- Majd, Khadduri, Independent Iraq 1932-1958, P.P. 179, 180.

ورعاية المنشآت الخيرية فيها كافة، ويدخل في ذلك المستشفيات، ودور الأيتام، ومأوى العميان[١].

وفي اللقاء الثالث والأخير بينهما في ٢٣ أكتوبر ١٩٤٠م، قدم بابن صورة من بيان سيذاع في تلك الليلة من ألمانيا وإيطاليا تجاه البلاد العربية، وهو خلاصة ما نتج عنه من مباحثات بين الحكومتين الألمانية والإيطالية وجهود السيدين ناجي شكوت وكمال حداد واتصالات الحكومة العراقية والمفتي مع الوزير المفوض جبرايللي في بغداد، وقد أبلغ شوكت بابن بأن هذا البيان لا يتضمن ما كان يرجوه من مطالب تفاهما عليها في اللقاء الثاني، ورجاه حث حكومته على تحقيق المطالب العربية حسب ما تفاهما عليه سابقاً، وبالفعل أذاع راديو باري البيان مساءً[٢].

أما عثمان حداد السكرتير الخاص للمفتي فقد وصل برلين في أغسطس ١٩٤٠م، لعرض المطالب العربية ومشروع بيان رسمي حول سياسة دولتي المحور نحو البلاد العربية.

أجرى حداد المباحثات في وزارة الخارجية الألمانية مع غروبا وميلشرز Milchers مدير القسم الشرقي وفايتسزيكر Weizsacker، وتتوافق المطالب التي تقدم بها حداد بتلك التي تقدم بها السيد ناجي شوكت، غير أن حداد تحدث إلى المسؤولين الألمان عن اللجنة العربية في بغداد برئاسة المفتي، ووعد في المقابل بإعادة العلاقات الدبلوماسية مع ألمانيا، وإبرام اتفاق معها لاستثمار الموارد الطبيعية العراقية، وأن يبذل العراق مساعيه لدى البلاد العربية الأخرى لإبرام اتفاقيات مماثلة مع دولتي المحور، ووعد بالتخلص من نوري السعيد المُنادي بالالتزام بالتحالف العراقي — البريطاني، وبإشعال نار الثورة حينما تأتي الفرصة المناسبة في فلسطين وشرق الأردن، واقترح أن يتم الإعداد لها من سورية، وأن يُزود الثوار بالأسلحة من مستودعات الجيش الفرنسي في سورية، والواقع تحت تصرف لجنة الهدنة الإيطالية، وقدر الأموال المقدرة للإنفاق على الثورة بثلاثين ألف جنيه إسترليني شهرياً، تدفع اللجنة العربية في بغداد ثلثها والباقي تتقاسمه ألمانيا وإيطاليا، فتُشغل ثورة

١- ناجي شوكت: سيرة وذكريات، جـ١، ص٤٠٦.

٢- نفس المرجع: جـ١، ص٤١٠.

فلسطين عدداً كبيراً من القوات البريطانية، في حين يعطل العراق نقل القوات من الهند بحيث يتعدل الموقف في الصحراء الغربية لصالح إيطاليا، وكان حداد يعتقد بأن ألمانيا قادرة على التأثير على حكومة فيشي الفرنسية بحيث تمنح سورية استقلالها[١].

ويلاحظ تشابه المطالب العربية المقدمة من السيد ناجي شوكت وعثمان كمال حداد، غير أن ناجي شوكت ركز على المطالب العربية – العراقية في أثناء مباحثاته، بينما ركز عثمان حداد على نفوذ المفتي وتقديم المعونات المالية له، وقدم نفسه ممثلاً للعالم العربي (المشرق العربي) دون أن يكون ذلك حقيقياً.

وبعد أن قام المسؤولون الألمان بدراسة هذه المطالب، أبلغوا عثمان حداد بتعذر تلبية كافة المطالب بسبب تعقيدات الوضع الدولي آنذاك، واتفق المسؤولون الألمان على صيغة بيان رسمي يحقق بعض المطالب العربية، وحول ذلك إلى الحكومة الإيطالية في ١٠ سبتمبر ١٩٤٠م للمشاورة وإبداء الرأي، وجاء الرد في ١٨ أكتوبر، فاستقبل فايتسزيكر عثمان حداد وأطلعه على صيغة البيان الألماني – الإيطالي المنوي إذاعته عبر إذاعتي برلين وروما، وأهم ما جاء فيه: "أن ألمانيا وإيطاليا تعترفان باستقلال البلاد العربية وتتابعان بعطف واهتمام ما يقوم به العرب من جهود في سبيل تحقيق استقلالهم". وطلب حداد من سكرتير الدولة الألماني تعديل صيغة البيان، إلا أنه رفض مؤكداً بأن البيان مجرد بداية وخطوة أولى[٢].

وتوجه حداد إلى روما بعد صدور التصريح في ٢٣ أكتوبر، وتباحث مع بتي Buti المدير العام لشؤون أوربا والبحر المتوسط في ٣١ أكتوبر حول مسألة تقديم المساعدة المالية والأسلحة للقوميين العرب في فلسطين وسورية[٣]، وتحدثا حول المصالح الاقتصادية بين الدول العربية وإيطاليا والتي يمكن أن تجنيها إيطاليا في حالة انتهاء الاستعمار البريطاني والفرنسي من الشرق العربي، حيث إنها ستجد سوقاً رائجاً لمصنوعاتها، إلا أن إيطاليا

١- لوكاز هيرزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص١١٨.

٢- علي محافظة: موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ص٣٤٣.

٣- D.D.I. Nona Serie, Volume VI, IL DIRettore General Degel Affaire D'Europa E Del Mediterraneo, Buti, AL Ministro Degli Esteri, Ciano, Roma, 31 Ottobre 1940, N: 19.

أرجأت البت في ذلك حيث إن زيارته جاءت مع بدء الهجوم الإيطالي علـــى مصـــر[١]. وكانت تلك الرحلة الأولى لحداد لبرلين وروما عام ١٩٤٠م.

وفي بغداد: اتصل رشيد الكيلاني وأعضاء حكومته بالإضافة إلى المفتي بالإيطـــاليين مباشرة عن طريق لويجي جبرايللي Luigi Gabraielli وزير إيطاليا المفـــوض في بغـــداد، والذي شكل وجوده في بغداد أهمية عظمى آنذاك في ظل قطع العلاقات الدبلوماسية بين العراق وألمانيا، فكان جبرايللي حلقة الاتصال بين حكومة بغداد والمفتي وإيطاليا وألمانيا.

كان جبرايللي ينقل إلى تشانو وزير الخارجية الإيطالي معلومات دقيقة حول التطورات السياسية في العراق إبان الحرب العالمية الثانية، ويرصد موقف العراق من دول المحور، وتطور الحركة القومية العربية ومطالبها بالاستقلال والوحدة وموقف بريطانيا منها. وكان لـــه دور كبير إلى جانب جهود نظيره في طهران الوزير بتروتشي Petracci * في التقارب بين الكيلاني والمفتي وبعد وصوله إلى بغداد وإيطاليا، وأكد جبراللي لحكومته عدم رغبة العراق في قطع العلاقات الدبلوماسية مع إيطاليا[٢].

وبعد إعلان إيطاليا الحرب على الحلفاء إلى جانب ألمانيا، اهتمـــت وزارة الخارجيـــة الإيطالية بتطمين الدول العربية باهتمامها بتحقيق البلاد العربية استقلالها وذلك بعد أن شعرت بتخوفهم من سياستها الاستعمارية. لذلك أرسل وزير الخارجية تشانو إيعـــازاً إلى الـــوزير المفوض في طهران بتروتشي في ٢٨ يونيو ١٩٤٠م/١٣٥٩هـــ لا بلاغ الكيلاني في بغداد بأن إيطاليا تسعى لضمان استقلال سورية ولبنان وفلسطين[٣].

وفي ٧ يونيو ١٩٤٠م تقدم جبرايللي إلى رئيس الوزراء العراقي رشيد عالي الكـــيلاني بالتصريح الكتابي التالي:

"عزيزي صاحب الفخامة:

١- صلاح العقاد: العرب والحرب العالمية الثانية، ص٦٤.

* وردت كثير من المخاطبات والبرقيات الدبلوماسية بين روما وبغداد عن طريق طهران (حسب الوثائق الإيطالية المنشورة) حيث إن إرسال البرقيات إلى ألمانيا وإيطاليا توقف منذ سبتمبر، فاتفقت العراق مع حكومة إيران على أن تمر هذه المراسلات عبر إيران ومنها ترسل لا سلكية إلى ألمانيا وإيطاليا- السيد عبد الرزاق الحسيني: تأريخ الوزارات العراقية، جـــ٥، ص١٣٧.

٢- D.D.I. Nona Serie, Volume V, IL Ministro A Teheran, Petrucci AL Ministro Degli Esteri, Ciano, Teheran, 20 Giugno1940, N: 67.

٣- D.D.I., Nona Serie, Volume V, IL Ministro Degli esteri Ciano, Al Ministro ,Ateheran,Peterucci,Roma,28 Giugno 1940, N:133.

قد أمرني معالي الكونت تشانو وزير خارجية إيطاليا، أن أبلغ فخامتكم:

إن إيطاليا – طبقاً للسياسة المتبعة حتى الآن – تهدف إلى ضمان استقلال سورية ولبنان والعراق، والبلاد التي تحت الانتداب البريطاني، ولهذا فإن إيطاليا ستقاوم كل إدعاء من جانب بريطانيا، أو تركيا لاحتلال الأراضي، سواء أكان ذلك في سوريه أو لبنان، أو العراق، وتفضلوا بقبول خالص تحياتي"[١].

جاء التصريح الكتابي من الوزير الإيطالي نتيجة مساعي الكيلاني والعقيد صلاح الدين الصباغ بالإضافة إلى المفتي، فحمل الوزير حكومته على إصدار تصريح كتابي أكدت فيها عطفها على أماني العرب القومية ورغبتهم في الاستقلال[٢]. والراجح أن تعليمات تشانو للوزير في بغداد حول استقلال البلاد العربية لا تعدو عن كونها تطمينات عامة شفهية لا مكتوبة، لذلك أرسل برقية يستفهم فيها عن التصريح الكتابي الذي سُلم إلى الكيلاني حول استقلال البلاد العربية[٣]. واعتبر الإيطاليون خطاب ٧ يوليو ١٩٤٠بأنه خطاب شخصي يتضمن عطف الإيطاليين على الأماني العربية في الاستقلال[٤].

وقد أنكر وزير الخارجية تشانو أن إيطاليا قدمت التصريح الكتابي في يوليو ١٩٤٠م كتابةً في أثناء مباحثاته مع فون ماكترن سفير ألمانيا في روما في ١٠ سبتمبر ١٩٤٠م، بينما أكد صدور هذا التصريح شوكت وحداد في مباحثاتها مع ألمانيا، وطلبا صدور تصريح مماثل من جانب ألمانيا[٥].

وأكد تشانو حسب المذكرة التي قدمها له نائب المدير العام لشئون أوربا والبحر المتوسط جوارناسكيللي Guarnaschelli والمذكرة التي قدمها السفير ماكترن لدراسة الجانب الإيطالي والألماني المفاوضات مع القوميين العرب ومقترحات ألمانيا فيما يتعلق بذلك ، بأن إيطاليا تهتم باستقلال البلاد العربية وهو ما يُذاع دائماً عن طريق راديو باري – وإن كان ذلك يمثل في حقيقته دعاية مضادة لبريطانيا دون أن تنتهج الحكومة الإيطالية

١- السيد عبد الرزاق الحسني: تأريخ الوزارات العراقية، جـ٥، ص ١٦٣، لوكاز هيزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص ١١٣.

٢- محمود الدرة: الحرب العراقية – البريطانية، ص ١٢٢.

٣- D.D.I. Nona Serie, VolumeV, IL Minstro degli Esteri, Ciano, Al Minstro A Teheran, Petrucci, Roma, 14 Settembre 1940, N: 589.

٤- Renzo De felice: Musolini l'alleato1940 -1943, P. 217.

٥- لوكاز هيزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص ١١٥.

انتهاجاً حقيقياً لضمانه في رأي الباحث — وأبدى تشانو استعداد بلاده لتلبية مطالب ألمانيا لتحقيق بعض المطالب العربية وليس كلها ، وأوضح بأن إيطاليا قد أمدت المفتي بالمساعدات المالية دون أن يؤدي ذلك إلى تحقيق نتائج مرضية لها. كما أوضح بأن العراق لن يتمكن بوضعه الحالي من إعداد ثورة خطيرة في البلاد العربية أو الدفاع عن حياده في الحرب، وأيد صدور تصريح شفهي ومد المفتي بالمساعدة المالية(١).

وكان في رأي الإيطاليين بأن هذه المساعدات المالية تقدم لإعانة العرب لمقاومة بريطانيا(٢). لذلك لم تكن هذه المساعدات تقدم إلا لتحقيق مصالح استعمارية وليس لدعم الموقف العربي للاستقلال والوحدة.

ولم يعترف المسؤولون الإيطاليون بالتصريح الكتابي الذي قدمه جبرايللي في يوليو إلا في أكتوبر عندما أشاروا بأنهم عثروا في الملفات على التصريح وأنه قام بذلك دون أن تكون لديه تعليمات من حكومته بذلك. وعلى الرغم من عدم ارتياح الإيطاليين لاهتمام ألمانيا بالشؤون العربية تمت الموافقة في أكتوبر على إصدار تصريح شفوي مشترك من الحكومتين الإيطالية والألمانية في ظل مفاوضات ثلاثية ألمانية — إيطالية — يابانية تمخضت عن "الميثاق الثلاثي" في ٢٧ سبتمبر ١٩٤٠م تأكد فيه اعتراف الألمان بهيمنة إيطاليا على البلدان العربية والبحر المتوسط(٣). وهو ما يتناقض كلياً مع تصريح أكتوبر.

وتابع الكيلاني مطالبته لدى السفارة الإيطالية في بغداد لصدور تصريح رسمي ثنائي من قبل إيطاليا وألمانيا يعلنان فيه تأكيدهم لتصريح إيطاليا في يوليو، ويعارضان أي تدخل من أي قوات أجنبية في البلاد العربية تحت الانتداب البريطاني والفرنسي(٤). وبعد عودة نوري السعيد من زيارته للقاهرة أواخر أغسطس للتباحث مع المسؤولين البريطانيين عن الأوضاع العربية، ازداد اقتناع الزعماء العراقيين بأن بريطانيا لم تكن مستعدة للتخلي عن

١- D.D.I. Nona Serie, Volume V. IL Vice- Direttore Generale Degli Affair D'Europa E Del Mediterraneo. Guarn Schelli. Al Ministro Degli Esteri. Ciano, Appunto S.N., Roma. 10 Settembre 1940. N: 578

٢- D.D.I. Nona Serie.Volume V. IL Ministoro Degli Estri. Ciano, Al Minstro A Teheran. Petrucci, Roma. 16 Settembre 1940. N: 594.

٣- لوكاز هيرزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي. ص ص ١٢٧، ١٢٨.

٤- D.D.I. Nona Serie,Volume V. IL Ministro A Teheran, Petrucci, Al Ministro Degli Esteri. Ciano, Teheran, 9 Gluglio 1940. N. 205.

نفوذها الذي نشأ في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وليست مستعدة للسماح للعراقيين والفلسطينيين بممارسة حقهم في الاستقلال والوحدة[١].

فأرسل جبرايللي إلى حكومته برقية يعلمهم بطلب رشيد الكيلاني الحصول من دول المحور على اعتراف علني لصالح استقلال البلاد العربية، ونوه الوزير إلى وجوب دعم وتقوية موقف الكيلاني السياسي الداعم – حسب رأيه – للمحور، وحتى يظهر للعالم العربي أن ثقتهم في دول المحور مبنية على حقائق وليست أوهام[٢].

وفي مذكرة خاصة بعثها نائب المدير العام لشؤون أوربا والبحر المتوسط جوارنا سكيللي إلى وزير الخارجية تشانو، بتاريخ ٥ سبتمبر ١٩٤٠م، شرح فيها مطالب الكيلاني والمفتي حسب البرقيات القادمة بغداد و طهران، وأوصى بإرسال المساعدات المالية للمفتي حتى لا يخضع لإغراءات السلطة البريطانية لإيجاد حل للقضية الفلسطينية حسب مطالب بريطانية. والتزام إيطاليا بإصدار تطمينات عامة وبيانات شفوية دعائية عبر راديو باري عن دعم إيطاليا للمطالب العربية في الاستقلال والوحدة[٣].

و لم تقتصر جهود جبرايللي مع حكومته حول التقارب بين الحكومتين الإيطالية والعراقية السياسية والدبلوماسية، بل تجاوزتها إلى الأمور العسكرية، فقد تضمنت المطالب التي تقدم بها المفتي و الكيلاني إلى الحكومتين الإيطالية والألمانية بعض المساعدات العسكرية وإمداد العراق بالأسلحة، إلا أنه ومنذ نهاية عام ١٩٤٠م وبداية ١٩٤١م/١٣٥٩-١٣٦٠هـ شهدت الاتصالات الدبلوماسية الرسمية بين المفوضية في بغداد وروما وبرلين وطوكيو، عدة برقيات حول احتمالات حدوث ثورة في فلسطين وطلب المفتي الأسلحة وذخائر[٤].

١- رغيد الصلح: حرب بريطانيا والعراق ١٩٤١ – ١٩٩١م، ص ١١٦.

٢- D.D.I. Nona Serie, Volume V, IL Ministro A Teheran, Petracci, Al Ministro Degli Esteri, Ciano, Teheran, 26 Agosto, 1940, N: 496.

٣- D.D.I. Nona Serie, Volume V, IL Vicedirettore Generale Deli Affari Deuropa E Del Mediterraneo, Guarna Schelli, Al Ministrto Delgi Esteri, Ciano, Roma, 5 Settembre, 1940, N: 549.

٤- D.D.I. Nona Serie, Volume VI, IL C Minstro Degli Esteri, Ciano, AL Capo Dello Stato Maggiore Generale, Badoglio, Roma, 13 Novembere 1940, N: 89 & IL Ministro A Bagdad, Gabbrielli, Al-Ministro Degli Esteri, Ciano, Bagdad, 30 Novembre 1940, N: 215.

وإزاء توتر الأوضاع السياسية في العراق، بين الحكومة وبريطانيا طلب الكيلاني في ١٠/١٢/١٩٤٠هـ التعاون العسكري بين العراق ودول المحور[١]. وفي ١٦/١٢/١٩٤٠م طلب العراق أسلحة من الحكومة اليابانية وذلك أثر اجتماع ضم الكيلاني والقائم بأعمال السفارة اليابانية والملحق العسكري الياباني في طهران[٢]. ولم تعارض الحكومة الإيطالية بل إنها حثت اليابان على الاستجابة لطلبات العراق في الحصول على مساعدات عسكرية منها[٣]. وذلك لدعم مقاومة العراق للضغوطات البريطانية، وتباحث الطرفان بخصوص ذلك نهاية عام ١٩٤٠م، غير أنه لم يسفر عن تقديم أسلحة يابانية إلى الحكومة العراقية واستمرت المراسلات إلى يناير عام ١٩٤١م[٤]. إثر تطور الأوضاع بين الحكومة العراقية والحكومة البريطانية إلى صدام المسلح.

تميزت الاتصالات التي قام بها كل من شوكت وحداد وحكومة بغداد مع المحور بأنها كانت تتناول المطالب العربية التي يأمل العرب أن تمنحها لهم دول المحور في حال انتصارهم في الحرب "الاستقلال والتحرير التامين، وتحقيق الوحدة العربية ". وكان ذلك المرتكز الأساسي للمطالب العربية للتعاون العربي مع المحور ضد بريطانيا. إلا أن عدم وجود صفة رسمية عربية للأشخاص والحكومة العراقية الذين اتصلوا بألمانيا وإيطاليا جعلت حكومتي ألمانيا وإيطاليا تنظر إلى مصالحها السياسية الاستعمارية أولاً وثم محاولة استغلال هذه المباحثات العربية لتحقيق انتصارٍ للدعاية الموجهة ضد بريطانيا وإبداء التعاطف مع المشاعر العربية. وتزايد ذلك مع ما شكله البحر المتوسط وشرق أفريقيا مسرحاً للعمليات الحربية بين المحور والحلفاء، ولتحقيق تشتيت انتباه الحلفاء السياسي والحربي في العالم العربي[٥].

١- D.D.I. Nona Serie, Volume VI, IL Ministro A Bagdad, Gabbrielli, Al Ministro Degli Esteri, Ciano, Bagdad, 10 Dicembre, 1940, N: 276.

٢- D.D.I. Nona Serie, Volume VI, IL Ministro A Bagdad, Gabbrielli, Al Ministro Degli Esteri, Ciano, Bagdad, 16 Dicembre, 1940, N: 298.

٣- D.D.I. Nona Serie, Volume VI, IL Ministro Degli Esteri, Ciano, All'Ambassiatore A Tokio, Indelli, Roma, 21 Dicembre, 1940, N: 329.

٤- D.D.I. Nona Serie, Volume VI, L' Ambasciatore A Tokio, Indelli, Al Ministero Degli Esteri, Tokio, 29 Gennaio, 1941, N: 507.

٥- لوكاز هيزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص ١٣١.

اهتم الألمان بعدم إعطاء وعود مباشرة وملزمة للعرب بسبب خططهم السياسية والحربية في أثناء الحرب العالمية الثانية واكتفوا بإصدار تصريح شفهي يساند مطالب العرب، وذلك لرغبتهم في إعادة علاقاته الدبلوماسية مع العراق والمحافظة على حياده في أثناء الحرب، والحيلولة دون تنفيذ التزاماته تجاه بريطانيا طبقاً لمعاهدة ١٩٣٠م/١٣٤٩هـ، ودرسوا إمكانية مساعدة العراق العسكرية في مقاومته لبريطانيا. كذلك اهتم الألمان بقيام ثورة في فلسطين ضد بريطانيا، وأهمية الدور السوري في ذلك رغم وجود حكومة فيشي، وما يمكن أن تقدمه اللجنة الإيطالية لوقف إطلاق النار من مساعدة في ذلك. ولم يكن ذلك بداعي مساندة العرب بقدر ما كان اهتماماً من الألمان بموارد العراق الطبيعية وبخاصة البترول[١].

ويتضح ذلك في تأكيد فون بابن سفير ألمانيا في تركيا على أهمية منطقة الخليج العربي الغني بالنفط[٢]، وكتب في ٢٣ أكتوبر ١٩٤٠م/١٣٥٩هـ "يتضح من السيطرة الإيطالية في البحر المتوسط بمعنى السيطرة الكاملة على الطريق البحري المار بقناة السويس صوب أملاكنا في وسط أفريقيا، وهي الأملاك الواجب استعادتها بالإضافة إلى حاصلات النفط في الشرق الأدنى – مدى حيوية ضمان الرايخ على الأقل لطريق بري واحد صوب الخليج مستقلاً عن هذا الطريق البحري."[٣]. فارتبطت سياسة المحور تجاه العراق والمشرق العربي بما تحققه السيطرة الإيطالية من نجاح في البحر المتوسط والبحر الأحمر.

وفي ٢٣ أكتوبر ١٩٤٠م، أذاعت محطتين إذاعية برلين وروما التصريح الشفهي باللغة العربية – التالي، جاء في مقدمته: أنه قد صدر للرد على الدعاية البريطانية التي أساءت تصوير دولتي المحور اللتين اعتبرهما العرب محررتين لهم، ونصه:

"لقد نظرت ألمانيا (إيطاليا) التي كانت تكن مشاعر الصداقة للعرب، وتحدوها الرغبة في أن يتمتعوا بالرخاء والسعادة ويحفلوا بين شعوب الأرض المكانة التي تتناسب مع أهميتهم التاريخية والطبيعية باهتمام مستمر إلى نضال البلدان العربية أن تركن في الجهود التي تبذلها

١- لوكاز هيزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص ١٢٠.

٢- مذكرات فون بابن: ترجمة: فاروق الحريري، (بغداد: دار الآفاق العربية، ١٩٨٥م) جـ٢، ص٦٥٧.

٣- لوكاز هيزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص ١٢١.

لتحقيق هذا الهدف على عطف ألمانيا (إيطاليا) التام في المستقبل أيضاً. وفي ولاء ألمانيا (إيطاليا) بهذا التصريح تجد نفسها على اتفاق تام مع حليفتها إيطاليا (ألمانيا)".

واعتبر هذا التصريح تعبيراً عن العطف الذي يكنه الألمان و الطليان للبلاد العربية، ووفقاً لما عبر عنه فايزسكيز بأن ما جاء في مقدمته أُضيف "لجعل التصريح متمشياً مع العقلية الشرقية"[١].

فيما اعتبره العرب غامضاً ومملوءاً بالتحفظات، وأعلن المفتي للألمان عدم رضاه عن مضمون التصريح المتفق عليه بين إيطاليا وألمانيا لصالح الدول العربية قبل أن يذاع[٢]، و لم ينشر هذا التصريح في الصحف الإيطالية والألمانية إلا في ديسمبر ١٩٤٠م[٣]، ورغم ذلك عملوا على رجاء الألمان لتسجيله على الورق في ٢ يناير ١٩٤١م/١٣٦٠هـ[٤].

وقد واكبت هذه الاتصالات وقيام ألمانيا بتنفيذ عملية "سبع البحر" ضد بريطانيا وازدياد الغارات الجوية على إنجلترا، وتخلي هتلر عن فكرة غزو بريطانيا في سبتمبر، وبدأ الإيطاليون عملياتهم الحربية على حدود مصر الغربية، وبدأ البريطانيون عملياتهم في شرق أفريقيا[٥].

وفي لقاء هتلر موسوليني في ممر بيرنر في ٤ أكتوبر ١٩٤٠م/١٣٥٩هـ، اتخذ الطرفان قرار نقل الحرب إلى البحر المتوسط لإسقاط المواضع الهامة التي يشغلها الإنجليز فيه[٦]. وكانت مشكلات العالم العربي من أهم المسائل التي تمت مناقشتها في اللقاء بين تشانو وزير الخارجية الإيطالي والمستشار الألماني بسمارك Principe di Bismarck، حيث طلبت ألمانيا من نظيرتها استئناف المفاوضات بين إيطاليا والعراق نظراً لأهميتها في

١- لوكاز هيزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص ١٢٩.

٢- D.D.I. Nona Serie, Volume V, L'InCaricato D'Affari A.I. A Berlino, Zamboni, Al Ministro Degli Esteri, Ciano, Berlino, 19 Ottobre 1940, N: 748.

٣- D.D.I. Nona Serie, Volume VI, IL Ministro Degli Esteri, Ciano, All Incaricato D'Affari A. Berlino, Zamboni, Roma, 29 Novembere 1940, N: 200.

٤- لوكاز هيزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص ١٢٩.

٥- نفس المرجع، ص ١٢٥.

٦- Galeazzo Ciano Diario 1937-1943, P. 469.

مخططات المحور السياسية والعسكرية وذلك في زيارة عثمان حداد إلى برلين وروما[١]. واتفق الطرفان على مضمون التصريح المشترك لصالح الدول العربية[٢].

وما إن ظهرت بوادر الهزائم الإيطالية في البحرين المتوسط والأحمر، حتى تدخلت ألمانيا في الحرب لمساندة إيطاليا منذ شتاء ١٩٤٠ إلى ١٩٤١م/١٣٥٩-١٣٦٠هـ. بصورة عملية لحماية مصالح المحور في شمال أفريقيا ضد بريطانيا. تمثل ذلك في وصول القائد الألماني رومل إلى ليبيا في شهر فبراير ١٩٤١م،[٣] مما أدى إلى تغيير موقف الألمان والإيطاليين واتخاذ مواقف أكثر جدية تجاه البلاد العربية.

فقام السكرتير الخاص للمفتي عثمان كمال حداد برحلته الثانية إلى برلين في فبراير ١٩٤١م مزوداً برسالة من المفتي موجهة إلى هتلر باللغة الفرنسية، تتضمن إعادة عرض المطالب القومية العربية، واستعداد العرب للثورة ضد بريطانيا، وطالب المساعدة المادية لتحقيق ذلك، وأوضح بأن العرب يمكن أن يحققوا تهديداً لطرق المواصلات البريطانية، وقطع الاتصالات بين الهند والبحر المتوسط وتركيا عن طريق الخليج العربي، وعرقلة استغلال بريطانيا لبترول الشرق الأوسط. وجاءت مسودة المطالب العربية من الحكومتين الألمانية والإيطالية على شكل مشروع بيان رسمي بثماني نقاط من دولتي المحور بشأن مستقبل البلاد العربية:

١- الاعتراف "بالاستقلال التام" للبلدان العربية المستقلة بالفعل: العراق ومصر والسودان والسعودية واليمن.

٢- الاعتراف باستقلال البلاد العربية الواقعة تحت الانتداب البريطاني (فلسطين وشرق الأردن) والبلدان التي تشكل مستعمرات أو محميات بريطانيا (ورد اسم الكويت ودبي وعمان وحضرموت).

٣- تصريح بأن ألمانيا وإيطاليا لن تعترضا على حصول سورية على الاستقلال التام.

٤- إلغاء التحفظات على الاستقلال التام لمصر والسودان، وهو الاستقلال الذي تضمنته المعاهدات المعقودة مع بريطانيا، مع تحفظ إيطاليا فقط على الحق في ضمان خطوط مواصلاتها الإمبراطورية عبر السودان بالاتفاق مع مصر.

١- D.D.I. Nona Serie, Volume V, IL Vice Direttore Generale Degli Ahari D'Europa E Del Mediterraneo, Guarnaschelli, Al Ministro Degli Esteri, Ciano, Roma, 2 Ottobre 1940, N: 664.

٢- D.D.I. Nona Serie, Volume V, IL Vice Direttor Generale Degli Affari D̓ Europa E Del Meditrerraneo, Guarnaschelli, Al Ministro, Degli Esteri Ciano, Roma, 7 Ottobre 1940, N: 688.

٣- لوكاز هيزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص ص ١٢٥، ١٣٧.

٥- تصريح بأن ألمانيا وإيطاليا لن تستغلا أية وسيلة – كنظام الانتداب – من شأنها أن تُضعف استقلال البلدان العربية التام.

٦- الاعتراف بحق البلدان العربية في الوحدة والالتزام بعدم إيجاد أي عقبة في طريق البرنامج القومي بهذا الصدد.

٧- التنديد بالوطن القومي لليهود في فلسطين باعتباره كياناً غير قانوني، والاعتراف بحق العرب في حل المشكلة اليهودية وفقاً للأماني القومية العربية بنفس الطريقة التي تجري في بلدان المحور، وتحريم كل هجرة يهودية إلى البلدان العربية.

٨- لا ترغب إيطاليا وألمانيا إلا في أن تتمتع الأمة العربية كلها بالرخاء التام وأن تتبوأ مكانها التاريخي والطبيعي في مجال حياتها المناسب لها في نطاق النظام العالمي الجديد وفي تعاون اقتصادي مع دولتي المحور على أساس تبادل المنافع، ومن المرغوب فيه أن تعترف البلدان العربية من جانبها بالحالة القائمة في كل ما يتعلق بالأملاك والكنائس والبعثات المسيحية، وحق مختلف الطوائف الدينية المسيحية في العبادة، وبالنشاط ذي الطابع الإنساني (يقصد به المستشفيات وملاجئ الأيتام ومؤسسات المكفوفين)[١].

وقد جاءت المطالب العربية في هذه الرحلة مؤكدة على رغبة العرب في الاستقلال، وعلى رغبة العراق في إمكانية استئناف العلاقات الدبلوماسية، وتزويد الجيش العراقي بالأسلحة الحديثة[٢]. واختلفت عن سابقتها المقدمة في أغسطس ١٩٤٠م/١٣٥٩هـ بأنها أكثر تفصيلاً، وتضمنت بعض القيود على سلطة دولتي المحور في الأراضي العربية في المستقبل، تتعلق بالمسائل المرتبطة بالمسيحية في فلسطين والمواصلات الإمبراطورية الإيطالية عبر السودان الذي اعتبر بلداً متحداً مع مصر في نص البيان. ولكنه أعطى إيطاليا في النقطة الرابعة منه ضمان خطوط مواصلاتها فإذا ما وضع الجنود الإيطاليون فيها تحصل إيطاليا في مصر والسودان وعلى شواطئ شبه الجزيرة العربية الغربية على نفس الموقع التي هي تحت السيطرة البريطانية آنذاك[٣].

١- لوكاز هيزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص ص١٥١، ١٥٢.

٢- علي محافظة: موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ص ٣٤٦.

٣-لوكاز هيزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص ١٥٢.

ونظراً لتغير موقف الألمان السياسي والعسكري منذ نهاية ١٩٤٠م بعد هزائم إيطاليا العسكرية في البحر المتوسط، فقد تقرر المشاركة في الشئون العربية بصورة أكثر فاعلية، فكان من رأي العسكريين الألمان إعادة النظر في القرار الألماني بالسماح لإيطاليا بحرية العمل في البلدان العربية وأن تتولى ألمانيا توجيه النشاط السياسي في الشرق الأوسط في المستقبل، بينما رأى روبنتروب الاعتراف بأولوية المصالح الإيطالية ومشاورة إيطاليا فيما يخص البلاد العربية، وفي نفس الوقت يجب أن يتولى الألمان زمام المبادرة بعد إخفاق إيطاليا في ذلك، وتزويد المفتي والعراق بالأسلحة والأموال دون مراجعة إيطاليا. وهو ما فهمه حداد من طلب الألمان منه ومن السلطات العراقية تقديم أجوبة غامضة على أي تساؤلات إيطالية بصدد علاقاتهم بألمانيا في المستقبل(١).

وهو ما كانت تخشاه إيطاليا دوماً، فقد حرصت ألا تُستبعد من أي محادثات بين العرب وألمانيا. وهو ما دفعها إلى تكليف السنيور زامبوني Zamboni مستشار السفارة الإيطالية في برلين للاتصال برئيس الدائرة السياسية في وزارة الخارجية في ١٩٤١/٤/١٠م وحثه على أن يتضمن رد فون فايتسزيكر Von Weizaecker سكرتير الدولة الألماني على رسالة المفتي ربط البلاد العربية المشرقية بـ "النظام العالمي الجديد وإدراجها ضمن منطقة النفوذ الإيطالية في البحر المتوسط"(٢).

وفي برلين أصدر روبنتروب أوامره إلى فورمان Woermann وكيل وزارة الخارجية ورئيس القسم السياسي بها، وضع الخطط المتعلقة بالخطوات التي ستتخذها ألمانيا تجاه البلاد العربية في إطار الهدف الأساسي وهو: "إنزال الهزيمة ببريطانيا". فوضع فورمان تقريراً مفصلاً يحتوي على اثني عشر ملحقاً في ٧ مارس ١٩٤١م/١٣٦٠هـ(٣).

وبعد مشاورات بين الخارجية الألمانية وسفرائها في باريس وروما وموسكو وتركيا، للنظر إلى اعتبارات مصالح كل من ألمانيا وفرنسا وروما. أدركت ألمانيا تشعب المطامع حول البلاد العربية فهي لا تستطيع اتخاذ قرار حاسم دون النظر إلى مخططات

١- لوكاز هيزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص ص١٦٢، ١٦٣.

٢- على محافظة: موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ص٤٦١.

٣-لوكاز هيزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص ١٦٥.

حليفتها إيطاليا الاستعمارية تجاه البلاد العربية، وفرنسا التي التزمت ألمانيا نحوها بالحفاظ على مستعمراتها بموجب اتفاقية الهدنة الموقعة مع المارشال بيتان P'etain، وأي تصريح منها تجاه مستقبل سورية ولبنان سوف يكون له تأثير لتقوية الحركة الديغولية ضدها. وأيضاً تجاه الأطماع التركية نحو سورية وحتى العراق، وأخيراً مطامع الاتحاد السوفيتي* في البلاد العربية والخليج العربي[١].

وهو ما أكده فون فايتسزيكر في ملحوظاته على مذكرة فورمان[٢]. كذلك فشلت المحادثات التي قامت بين هتلر والمارشال بيتان والجنرال فرانكو والتي لم تستطيع ألمانيا أن تحقق فيها نجاحاً سواء مع فرنسا أو أسبانيا، وذلك لوجود تعارض بين مصالح فرنسا وأسبانيا في شمال أفريقيا، حيث إن أسبانيا تتطلع إلى امتلاك بقية المغرب، في الوقت الذي تسيطر فيه على طنجه، وذلك لن تسمح به فرنسا[٣].

وجاء رد الخارجية الألمانية على رسالة المفتي برسالة من الوزير فايتسزيكر إليه في ١١مارس ١٩٤١م جاء فيها:

"إن ألمانيا التي لم تحتل قط أرضاً عربية، لا تستهدف الاستيلاء على أي جزء من البلاد العربية. وهي ترى أن الشعب العربي، وهو شعب ذو ثقافة قديمة وقد برهن على لياقته الإدارية وفضائله العسكرية لجدير بأن يحكم بلاده بنفسه، ولهذا فإن ألمانيا تعترف باستقلال البلاد العربية استقلالاً تاماً. ويحق للبلاد العربية التي لم تستقل حتى الآن أن تنال الاستقلال التام.

إن كلا من الأمتين الألمانية والعربية متفقتان على الكفاح ضد عدوهما المشترك أي الإنجليز واليهود. إن ألمانيا مستعدة للعمل المشترك معكم، ولمساعدتكم مساعدة عسكرية فعاله على قدر الاستطاعة إذا اضطررتم إلى الحرب ضد الإنجليز لتحقيق غاية شعبكم، وذلك بناء على صداقة ألمانيا وإنجازاً للرغبة التي أبد يتموها بواسطة سكرتيركم الخاص.

---

* أصدر هتلر في ديسمبر ١٩٤٠م تعليماته السرية رقم ٢١ – "بعملية بربا روسا"، لوضع الخطط لمهاجمة الاتحاد السوفيتي، على أن تبدأ في يوليو ١٩٤١م.

١– على محافظة: موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ص ٣٤٩.

٢– لو كاز هيزوير: ألمانيا الهتلريه والمشرق العربي، ص ١٧٢.

٣– صلاح العقاد: العرب والحرب العالمية الثانية، ص ٦٥.

إن ألمانيا مستعدة أيضاً لتسليم المواد الحربية فوراً لتقوية استعداد الأمة العربية للحرب المحتملة ضد بريطانيا متى أمكن وجود طريق لنقل هذه المواد الحربية".

ويلاحظ على الرسالة أنها تضمنت وعوداً غامضة وغير محددة بالاعتراف باستقلال البلاد العربية، وتقديم ألمانيا المساندة العسكرية إذا ما اضطروا إلى الحرب ضد إنجلترا. وكان فايتسزيكر قد رجا حداد بأن يُبقي مضمون الرسالة سرياً، وأبلغه بأخذ الحكومة الإيطالية العلم بها وموافقتها على مضمونها[١].

وقد لاحظ حداد الذي توقع في زيارته الثانية أن يلقي من الألمان تشجيعاً أكبر للمطالب العربية وتخلياً عن فكرة إعطاء إيطاليا الأولوية في شؤون الشرق الأوسط خاصة بعد أن اهتزت مكانتها العسكرية نتيجة لهزائمها في حرب اليونان وشمال أفريقيا، إلا أنه وجد بأن الألمان ورغم قوة مركزهم في المحور إلا أنهم لم يبدوا استعداداً لتقديم المساعدة العسكرية المتوقعة للعراق. وإنما اشترطوا بقاء العراق على الحياد. لذلك أرسل إلى الكيلاني خطاباً يدعو فيه إلى عدم الاعتماد على ألمانيا في ٢٠ فبراير ١٩٤٠م جاء فيه: "لاحظت أن الألمان يريدون توريطنا مع الإنجليز في صدام مسلح دون أن يفكروا في مصيرنا ويجب الاستعداد عسكرياً قبل اتخاذ أي إجراء. ولا مجال الآن لإعادة العلاقات الدبلوماسية كما تريد حكومة برلين بدون معونة عسكرية". وقد جاء الخطاب و الكيلاني خارج السلطة[٢]. إلا أن الخيبة التي ظهرت من خلال موقف المحور تجاه الحركة القومية العربية في العراق لم تؤد إلى تحاشي وصول الأزمة في العراق إلا إلى المزيد من التصعيد السياسي.

وقد اتخذت الحكومة الألمانية عدة تدابير هامة نتيجة لتغيير سياستها إزاء البلاد العربية إلى درجة هامة ومباشرة. فارتكزت جهودهم على اعتبار المفتي الشخص المعني بالقضايا العربية العامة، وتقرر الاتصال بالسعوديين والزعماء الوطنيين في سوريه، والحكومة العراقية. واتجهت إلى توسيع نطاق الدعاية الألمانية في البلاد العربية، تضمنت زيادة الإرسال في إذاعة برلين العربية من (٩٥ دقيقة) إلى (٢٠٥ دقائق)، وكذلك

١- على محافظة: موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا الوحدة العربية، ص٣٥٠.

٢- صلاح العقاد: العرب والحرب العالمية الثانية، ص٦٧.

إصدار ودعم الصحف وبعض المجلات باللغة العربية، كذلك توسيع نطاق الاستخبارات والتجسس في كل من سورية ولبنان وفلسطين وشرق الأردن ومصر. وأن يكون ذلك تابعاً لوزارة الدفاع الألمانية بحيث يكون ذلك خافياً على الإيطاليين وبحيث لا يؤدي إلى إثارة العداء معهم، ويرتكز مهامهم القيام بأعمال تخريبيه في هذه المناطق، وإثارة القلاقل ضد البريطانيين[١]. في ظل تصاعد احتمالات الأزمة إلى الصدام العسكري بين بريطانيا والعراق.

اتخذت الحكومة البريطانية موقفاً سلبياً عدائياً من حكومة الكيلاني، وذلك لإصراره على اتخاذ موقف الحياد من الحرب وعدم إعلانه الحرب على إيطاليا، مما تسبب في توارد الأزمات الداخلية بينهم وبين بريطانيا من جهة وبينهم وبين الوصي ونوري السعيد من جهة أخرى. وأدى إلى تدهور في علاقاتهم منذ يونيو ١٩٤٠ م إلى أن بلغ أوج ذروته في مارس ١٩٤١م/١٣٥٩-١٣٦٠هـ. وواصلت الحكومة البريطانية ضغطها على الوصي عبد الإله لإقالة حكومة الكيلاني واستبدالها بحكومة أخرى مواليه لسياستها وتضمن مصالحها في المنطقة[٢]. في أحرج مراحل الحرب تأثيراً على بريطانيا وإمبراطوريتها في شمال وشرق أفريقيا، وانتقال الحرب إلى منطقة البحر المتوسط مما زاد في رغبة بريطانيا في حماية مصالحها الاستعمارية.

فقام ونستون تشرشل بوضع الخطوط العامة لسياسة حكومته تجاه مصالح بلاده في الشرق الأوسط في سبتمبر ١٩٤٠م "ينبغي بذل مجهود مكثف لاستكمال تجهيز جيشنا في الوطن والشرق الأوسط... فإن مساحة الحرب الرئيسية الوحيدة المتوقعة في عامي ١٩٤٠ – ١٩٤١م هي الشرق الأوسط، فعلينا السعي لاستقدام قوات بريطانية و أسترالية وهندية بحجم لا يحده إلا الطاقات المتوفرة لدينا للنقل بحراً ولجعلها دائمة. علينا أن نتوقع الحرب في مصر والسودان وفي تركيا وسوريا أو فلسطين، والعراق وإيران ."[٣].

١- لو كاز هيزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص ص١٧٦، ١٧٩.

٢- العراق في التاريخ، ص ٦٩٦.

٣- ونستون تشرشل: المذكرات، جـ١، ص٤٦٢.

وقد بذل السفير البريطاني السير بازل نيوتن Bazil Newton مساعيه لحمل الحكومة العراقية على الاستجابة لمطالب الحكومة البريطانية، التي عمدت إلى التنويه بالقوة لتحقيق أغراضها، حيث طلب في يونيو ١٩٤٠م السماح بترول قوات بريطانية إلى البصرة، في طريقها إلى حيفا عن طريق بغداد والموصل، وطلب تأسيس معسكرات للاستراحة في البصرة وبغداد والموصل. ولم تمانع الحكومة العراقية في إعطاء الأذن بذلك مبرهنة على شدة تمسكها بأحكام المعاهدة المبرمة بين الطرفين[١].

ويتضح من ذلك أن رغبة بريطانيا في السيطرة العسكرية على العراق قد بدأت منذ هذا الوقت، حيث إن الحاجة آنذاك إلى إرسال قوات عسكرية إلى حيفا كان عذراً لبقاء هذه القوات العراقية، ويتأكد ذلك من طلب بناء معسكرات للاستراحة، مما يُظهر أن هذه القوات ليست بصدد المرور وإنما الإقامة، إلا أن هذه القوات لم تصل إلى العراق وذلك لحاجة بريطانيا لهذه القوات لنجدة جيوشها في الصحراء الغربية والسودان الصد قوات المحور[٢].

وكان سفير بريطانيا يخشى الشعور الوطني والقومي المتنامي في أوساط الجيش والشعب الذي أخذ يهدد مستقبل مصالحها الاستعمارية المدعوم بشكل مباشر من حكومة الكيلاني[٣]. وما إن تسربت المعلومات حول اتصالات سرية تجريها الحكومة العراقية مع ألمانيا وإيطاليا، أكدها حصول بريطانيا على شفرة المفوضية الإيطالية في بغداد، فأحيطت علماً بما يدور بينهم من اتصالات وإن لم يُعرف التقدم الذي وصلت إليه حتى تصاعد الموقف البريطاني تجاه الحكومة العراقية[٤].

وعز ا السفير نيوتن اتصالات الكيلاني بدول المحور آنذاك، بأن الكيلاني "كان يعتقد بأن هذه الاتصالات ستفيده في الحصول على تنازلات من بريطانيا العظمى، وبسبب اعتقادهم بفوز ألمانيا في الحرب وخسارة بريطانيا". كذلك كان للدعاية من

١- السيد عبد الرزاق الحسني: الأسرار الخفية في حركة سنة ١٩٤١م التحريرية، جـ١، ص٨٩.

٢- إسماعيل ياغي: حركة رشيد عالي الكيلاني. ص٥٩.

٣- العراق في التاريخ، ص٦٩٧.

٤- السيد عبد الرزاق الحسني: الأسرار الخفية في حركة سنة ١٩٤١م التحريرية، جـ١، ص١٠٥.

جانب المحور التي وصفها نيوتن بأنها "حرب دعاية" أثر كبير في إثارة غضب نيوتن من حكومة الكيلاني، التي في نظره "معارضة للمصالح البريطانية" وحمل نيوتن ناجي شوكت مسؤولية امتناع العراق عن قطع علاقاته مع إيطاليا إثر اتصالاته بالسفير الألماني بأنقرة[١].

وعندما أذاع راديو برلين نص التصريح الألماني – الإيطالي الذي يُعبر عن عطف حكومتي المحور على رغبة العرب في الاستقلال حتى تصاعدت لهجة السفير البريطاني تجاه الحكومة العراقية، فوجه مذكرة شفوية "نوت فيربال" إلى نوري السعيد في ٢٦ نوفمبر تحتوي على تساؤل حول الاتصالات بالمحور وذكره "بأن الحكومة البريطانية لا تثق بوزارة يرأسها رشيد عالي الكيلاني ، وعلى العراق أن يختار أحد حلين: إما الاحتفاظ برشيد الكيلاني رئيساً لحكومته، وإما الاحتفاظ بصداقة بريطانيا العظمى"، وأنكرت الحكومة العراقية التدخل السافر للسفير البريطاني في الشؤون الداخلية للعراق وأرسلت برقية احتجاج إلى المفوضية العراقية في لندن لتقدمها إلى الحكومة البريطانية، والتي أبدت عدم رغبتها في حدوث نزاع علني مع حكومة العراق في هذه الفترة[٢].

وقد جاء الموقف البريطاني تجاه العراق آنذاك على ثلاثة محاور: **أولاً – الضغوط الاقتصادية والتسليحية**: انتهجت الحكومة البريطانية ضغطاً اقتصادياً قوياً على العراق إلى جانب ضغطها السياسي[٣]. فامتنعت عن شراء محاصيل العراق من القطن والتمور والتي كانت عادةً ما تشتريها من العراق. وأرادت بذلك أن يتدنى أسعارها إلى أدنى مستوى فتشتريها. فاتخذت الحكومة العراقية الخطوات اللازمة لبيع هذه الأقطان إلى شركة يابانية وتم ذلك. ففتحت بذلك العراق سوقاً جديداً لمبيعاتها لتتخلص من الحصار الاقتصادي المفروض عليها من قبل بريطانيا[٤]. أما التمور وهو عماد ثورة البلاد فقد باعتها حكومة الكيلاني والهاشمي إلى الشركات اليابانية كذلك[٥]. وبذلك نشطت الحركة التجارية

١- Foreign Office Annual Reports from Ababia, Vol 3, OP. Cit. Iraq. E 653/653/93, Sir B. Newteen to Mr. Eden. No: 23. Bagdad. 17 January, 1941, P.P. 175, 178 .

٢- السيد عبد الرزاق الحسني: الأسرار الخفية في حركة سنه ١٩٤١م التحريرية، جـ١ ص١٠٦.

٣- Foreign office, Annual Reports From Arabia, Vol 3 OP. Cit. Iraq. E- 653/653/93, OP. Cit, P. 178.

٤- السيد عبد الرزاق الحسني: تأريخ الوزارات العراقية، جـ٥، ص ١٣٨.

٥- إسماعيل ياغي: حركة رشيد عالي الكيلاني، ص٨٤.

والعلاقات الجيدة مع الحكومة اليابانية(١). وعُد ذلك ضربة لمحاولة بريطانية اتباع حصارٍ اقتصادي للعراق.

كذلك عمدت بريطانيا إلى منع إمداد العراق بالأسلحة والعتاد، وأوقفوا حصة العراق المقررة من الدولارات التي كانت مخصصة لكتلة الإسترليني* التي تشرف عليها بريطانيا. وإحكاماً لذلك طلبت الحكومة البريطانية في يناير ١٩٤١م من الحكومة الأمريكية منع تصدير الأسلحة إلى العراق(٢). واتخذ البريطانيون حجتهم في عدم تسليح الجيش العراقي بحسب معاهدة ١٩٣٠م/١٣٤٩هـ، عدم وجود سلاح فائض لديهم يمونون به الجيش العراقي لأنهم في حالة حرب(٣). مما أدى إلى ازدياد الشعور المعادي لبريطانيا لدى الشعب والساسة والضباط العراقيين، لذلك لجأت حكومة الكيلاني إلى تكثيف الاتصالات بألمانيا وإيطاليا واليابان للحصول على السلاح(٤).

ثانياً: المبادرات الدبلوماسية: من جانب أمريكا ومصر وتركيا للضغط على الحكومة العراقية للتعاون مع الحكومة البريطانية، تمثل في برقية قدمت إلى الحكومة العراقية في ٥ ديسمبر ١٩٤٠م/١٣٥٩هـ تؤكد بأن: "سياسة الحكومة الأمريكية هي معاونة بريطانيا بكل ما لديها من وسائل عدا إعلان الحرب. وأن هذه المعاونة ستزداد يوماً بعد يوم، وأن دولة أمريكا لا تتمنى للعراق إلا كل خير، وتنصح الحكومة العراقية بضرورة سيرها بالتعاون مع الحكومة البريطانية، ولأنها مقتنعة ولديها دلائل كافية، أن باندحار بريطانيا سيفقد العراق استقلاله حتماً، وستحل كارثة بجميع شعوب الشرق الأدنى ... وأن عدم تعاون العراق مع بريطانيا وتوسع دعاية الكراهية في الأوساط العراقية ضد بريطانيا، سيحدث تأثيراً سيئاً لدى الحكومة الأمريكية".

١- محمود الدرة: الحرب العراقية – البريطانية. ص١٥٨.

* انضم العراق إلى عضوية الكتلة الإسترلينية. فارتبط الدينار العراقي بالنظام النقدي الإنجليزي(الجنية الإسترليني) وفقاً لقانون العملة العراقية رقم ٤٤ لسنة ١٩٣١م، مما دفع العراق إلى الكتلة الإسترلينية، و الالتزام بمبادئها كاملة خلال فترة النفوذ السياسي و الاقتصادي البريطاني على العراق.- سعيد عبود السامرائي: العراق و المنطقة الإسترلينية، (بغداد: دار مطبعة التمدن، ١٩٥٩م)، ص ٩.

٢-لوكاز هيزويز: ألمانيا الهتلرية المشرق العربي. ص١٤٥.

٣-ناجي شوكت: سيره وذكريات، جـ١. ص٤١٤.

٤- D.D.I. Nona Serie, Volume VI, IL Ministro A Bagdad, Gabbrielli, Al Ministro Degel Esteri, Bagdad, 17 Febbriao, 1941, N. 596.

أما المبادرة التركية فتمثلت في برقية من المفوض العراقي في أنقرة في ٦ديسمبر ١٩٤٠م تتضمن استفسار الخارجية التركية عن صحة الأخبار المتداولة حول إعادة العلاقات بين العراق وألمانيا، وفي ٢٨ ديسمبر ١٩٤٠م جاءت المبادرة المصرية بخطاب من رئيس الوزراء المصري حسين سري أظهر فيها الخطر الذي تشكله إيطاليا على مصر والعراق وقال: "وإن لمصر كما للعراق في ذمة بريطانية حقوقاً تريد أن تقتضيها. وعليها قيود ليس أحب إليها من الفكاك منها ولكنها توقن بأن تحقيق ذلك أيسر وأهون مع بريطانيا ظافرة منتصرة منه مع انتصار الأتوقراطية التي لن تبقى على حرية واستقلال. وهي لذلك تحار في تشجيع الصحف العراقية الظاهر لدولتي المحور". وقد رد العراق على كل هذه المبادرات بالتأكيد على تمسك العراق بمعاهدة التحالف مع بريطانيا[١].

ثالثاً: الضغط الداخلي، وهو ما قام به السفير نيوتن من ضغوطات على الوصي عبد الإله و نوري السعيد وحكومة الكيلاني لتقطع العراق علاقتها الدبلوماسية مع إيطاليا، كذلك تدخله السافر في الشؤون العراقية الداخلية،وطلبة استقالة الكيلاني من الحكومة، فأدى ذلك إلى أزمة داخلية بين الوصي و الكيلاني، ترك على أثرها الوصي بغداد إلى الديوانيه، فاضطر الكيلاني إلى تقديم استقالته، وكُلف الفريق طه الهاشمي بتأليف الوزارة في ٣١ يناير ١٩٤١م[٢].

وقد دفع ازدياد حدة الأزمة الداخلية في العراق إلى تكثيف الاتصالات بين الكيلاني والمفتي بالمحور لتحقيق عدة أهداف سياسية من أهمها مصير الأقطار العربية في الشرق بعد الحرب وتنظيم أسس التعاون بين دولتي المحور والتيارات العربية المناهضة لبريطانيا، فكانت زيارة حداد الثانية على روما وبرلين ردة فعل مباشرة للضغط البريطاني على العراق. وفي اجتماع تم بين الكيلاني وسكرتير المفوضية الإيطالية في بغداد طلب الكيلاني تحديد موقف دولتي المحور من العراق، ليستطيع إقناع ما سماهم بـ "المترددين" من أعضاء الحكومة والجيش بجدوى التعامل مع دولتي المحور، وطالب بسرعة إرسال ما طلبه العراق من أسلحة وذخيرة فوراً عن طريق ألمانيا – رومانيا – البحر الأسود – الاتحاد السوفيتي – إيران أو عن

١– السيد عبد الرزاق الحسني: تأريخ الوزارات العراقية، جـ ٥، ص ص١٠٨، ١٠٩، ١١١.

٢– السيد عبد الرزاق الحسني: تاريخ العراق السياسي الحديث، جـ ٣، ص١٩٨.

طريق اليابان، وهو ما أوصى به جبرايللي حكومته لدعم مقاومة العراق أمام الضـغوطات البريطانية[١].

ومع تدهور الأزمة الداخلية في العراق واستقالة الكيلاني، لم تنقطع العلاقات بـين الكيلاني وجبرايللي، واستمر ترقب الإيطاليين لتطور الأوضاع الداخلية بتشكيل حكومة طه الهاشمي واستمرار عزم الكيلاني على مواصلة نضاله ضد بريطانيا[٢].

وتواصلت محاولات ضغط السفير البريطاني نيوتن على حكومة طه الهـاشمي لقطـع العلاقات الدبلوماسية مع إيطاليا، وقد جاء رد الهاشمي بـ"أن العراق غـير ملـزم بقطـع العلاقات السياسية مع إيطاليا، إنما تراقب الحكومة العراقية أعمال المفوضـية الإيطاليـة في بغداد وتحدد مساحة عملها". وأكد على حرصه على استمرار علاقة الصداقة مع بريطانيا، وتمسك بقادة الجيش العراقي[٣].

وفيما عانت وزارة الهاشمي من ضغط الإنجليز والوصي عبد الإله، الذي كان يأمـل إبعاد الجيش عن السياسة، استمر الكيلاني مع العقداء الأربعة قادة الجيش العراقي والمفـتي نضالهم ولإحباط مشروعات الإنجليز والوصي، فشكلت لجنة سرية أطلق عليهـا "اللجنـة العربية ". وعقدوا أول اجتماع لهم في ٢٨ فبراير ١٩٤١م/١٣٦٠هـ بدار المفتي ببغـداد المقابل للبلاط الملكي، وحضره سبعة* يترأسهم المفتي الحسيني وثلاثة مدنيين هم رشيد عالي الكيلاني ويونس السبعاوي وناجي شوكت، وثلاثة من الضباط هم صلاح الدين الصبـاغ وفهمي سعيد ومحمود سلمان. وقد أقسم أعضاء اللجنة على أن يعملوا كل ما في وسعهم من قوة وإيمان خالص لإنقاذ العراق وسائر البلاد العربية من الاستعمار وتحقيق اسـتقلالها، واتخذوا عدة قرارات أهمها:- عدم السماح بأي تنازلات جديدة لبريطانيا، وعدم السـماح بقطع العلاقات مع إيطاليا، وضرورة حل المجلس النيابي الحالي وإفساح المجـال لانتخـاب

١- D.D.I. Nona Serie, Volume VI, IL Ministro A Baghdad, Gabbrielli, Al Ministro Degli Esteri, Ciano, Baghdad, 20 Gennaio, 1941 N: 475.

٢- D.D.I. Nona Serie, Volumes VI, IL Ministro A Baghdad,Gabbrielli, Al Ministro Degli Esteri, Ciano, Baghdad, 4 Febbraio, 1941, N: 531.

٣- محمود الدره: الحرب العراقية – البريطانية، ص١٦٤.

* اتخذ أعضاء اللجنة أسماء مستعارة لهم (مصطفى – المفتي الحسيني، عبد العزيز – الكيلاني، أحمد – ناجي شوكت، ورضوان – صلاح الدين الصبـاغ، فرهـود – يـونس السبعاوي، نجم – فهمي سعيد، فارس – محمود سلمان).

مجلس نيابي جديد يمثل الأمة تمثيلاً صادقاً، وإبعاد أبرز الساسة الموالين لبريطانيا عن العراق، بتعيينهم في سفارات العراق بالخارج، وذلك "إنقاذاً للبلاد وتحقيقاً لسلامة الانتخابات النيابية"(١).

قام وزير الخارجية البريطانية انتوين أيدن Anthony Eden بجولة في الشرق الأوسط للإطلاع على الأوضاع السياسية والحربية فزار أنقرة وأثينا والقاهرة، ونظراً لسوء الأوضاع الداخلية في العراق وعداء الرأي العام العراقي لبريطانيا خُشي من استقبال وزير الخارجية البريطاني بالعداء فتقرر إيفاد توفيق السويدي للاجتماع بإيدن في القاهرة، رافقه مستشار السفارة البريطانية هولمان Holman في ٦ مارس ١٩٤١م*، وقد تباحث الطرفان حول الوضع الداخلي العراقي والصعوبات التي تواجها الحكومة العراقية من قبل الجيش العراقي ضد بريطانيا مما كان يُنذر في رأي السويدي بانقلاب عسكري في العراق. وطالب السويدي بالاهتمام بالجيش العراقي وتجهيزه بأسلحة وعتاد جديدين، مع إجراء تسهيلات في دفع أثمانها، وقبول ضباط عراقيين للتدريب في لندن، ومد العراق بقروض للتخفيف من الأزمة الاقتصادية الناتجة عن الحرب، وتهدئة الرأي العام العراقي واتباع سياسة ملائمة لإقناعهم بصداقة إنجلترا وتحالفها مع العراق. غير أن إيدن لم يستجب للمطالب العراقية بدعوى أن "الجيش العراقي اصبح متشرباً بروح النازية و الفاشسستيه". وإن كان قد أبدى استعداد بلاده لمساعدة العراق مادياً ومعنوياً إذا وقفت أمام الدعاية المحورية. وأكد ذلك الرأي للسويدي السفير البريطاني لدى القاهرة كيللرن والجنرال ويفل قائد الجيوش البريطانية في الشرق الأوسط(٢).

وقد راجت في الأوساط العراقية والدولية** بعض مطالب أيدن من الحكومة العراقية لم يذكرها السويدي في مذكراته من أهمها: قطع العلاقات السياسية بين العراق وإيطاليا،

١- ناجي شوكت: سيرة وذكريات، جـ٢، ٤٣٤، إسماعيل ياغي: حركة رشيد علي الكيلاني، ص٨٨.

* يذكر السيد عبد الرزاق الحسني في تأريخ الوزارات العراقية، جـ٥، ص٢٠١، "وأخذ عن الكثيرون" بأن الزيارة تمت في ٦ فبراير ١٩٤١م، فيما رجح إسماعيل ياغي في: حركة رشيد الكيلاني" ص٨١، إسناداً إلى جريدة الأهرام بأن الزيارة يرجح أنها تمت في ٦ مارس ١٩٤١م. وهو ما ذكرته الوثائق البريطانية.

F.O.406.79-Enclos. No.1. Record of Conversation between the Secretary of State and Iraqi Minister for Foreign Affairs on 7th March, 1941.

٢- توفيق السويدي: مذكراتي، ط٢، (بيروت: دار الحكمة، ١٩٩٩م)، ص ص٣٣٦، ٣٣٩.

** أيد ذلك لوكاز هيزويز في كتابه " ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي" ص١٨، كما ذكرها تقرير كورنواليس إلى أيدن في ٨ مارس ١٩٤٢م.

Foreign Office, Annual Reports from Arabia, Vol. 3. Sir k. Cornwallis to Mr. Eden, E-2596/204/93, No. 55, Baghdad, 8th March, 1942.

والسماح بحشد الجيوش البريطانية في العراق، وعزل العقداء الأربعة* من الجيش، أو تشتيت شملهم حتى يحين موعد عزلهم[١].

ومنذ أواخر مارس لم يكن سهلاً أمام الهاشمي الجمع بين مطالب وزير خارجية بريطانيا والتي سعى نيوتن إلى تنفيذها في بغداد، ومطالب الوصي عبد الإله لاجتياز أزمة عدم الثقة بين بريطانيا والعراق وقطع العلاقات مع إيطاليا وابتعاد الجيش عن السياسة، مما أدى إلى اتخاذ قرار في ٢٦ مارس ١٩٤١م بنقل العقيد كامل شبيب من قيادة الفرقة الأولى في بغداد إلى قيادة الفرقة الرابعة في الديوانية، وكان لهذا القرار أثر كبير على العقداء الأربعة، وفيما كان الهاشمي يحاول التفاهم مع كامل الذي رفض تنفيذ القرار وباقي العقداء الذين نظروا إليه نظرة الخائن لهم، وإصرار الوصي على تنفيذ القرار وعدم الالتفات لمطالب الجيش، مما أدى إلى تفجر الأزمة[٢].

فعقد رشيد الكيلاني والعقداء الأربعة اجتماعاً في معسكر رشيد وقرروا إعلان حالة الطوارئ وأرسلت بعض القطاعات العسكرية للسيطرة على دوائر البرق والبريد والهاتف وأحاطت بعض المصفحات قصر الرحاب، وانتشرت القطاعات العسكرية في مداخل ومرافق بغداد مما أدى إلى تقديم الهاشمي لاستقالته في الأول من إبريل وهرب الوصي عبد الإله إلى الحبانية ثم نقلته طائرة من سلاح الجو البريطاني إلى البصرة. ونتيجة لغياب السلطة الدستورية اجتمع قادة الجيش ورجال السياسة وقرروا تشكيل "مجلس الدفاع الأعلى" الذي كلف الكيلاني بتأليف الوزارة وسميت حكومته "بحكومة الدفاع الوطني" في ٣ إبريل، فتقرر خلع الوصي عبد الإله وتنصيب الشريف شرف وصياً على عرش العراق في ١٠ إبريل والتي كانت من أول مهامه قبول استقالة الهاشمي وتكليف الكيلاني بتأليف الوزارة[٣].

حاول الوصي عبد الإله بمساعدة السفير البريطاني مقاومة حركة الكيلاني في البصرة[٤]. وقام بإصدار منشورات اتهم فيها الكيلاني باغتصاب المُلك بالقوة، وعندما لم

---

* العقداء الأربعة هم: صلاح الدين الصباغ ، كامل شبيب ، محمود سلمان ، فهمي سعيد ، أطلقت عليهم أوساط الدعاية البريطانية اسم المربع الذهبي **Golden Square**- دي غوري: ثلاثة ملوك في بغداد، ص١٩٤٢.

١- السيد عبد الرزاق الحسني: تأريخ الوزارات العراقية، جـ٥، ص٢٠١.

٢- ناجي شوكت: سيرة وذكريات، جـ٢، ص٤٣٦.

٣- السيد عبد الرزاق الحسني: تأريخ الوزارات العراقية، جـ٥، ص ص٢١٤، ٢٢٧، ٢٣٣، ٢٤٥.

٤- طارق الناصري: عبد الإله الوصي على عرش العراق١٩٣٩ – ١٩٥٨م، جـ١، ص١٧٤.

ينجح اتخذ من المدرعة البريطانية "كوك شبير" في خليج البصرة مقراً لــه، وعينــت لــه السلطات البريطانية الضابط جيرالد دي غوري Gerald de Goury ليكون سفيراً لها لديه، إلا أن فرصته في النجاح كانت ضئيلة مما اضطره إلى مغادرة البصرة إلى القدس، ومنــها إلى عمان بشرق الأردن، وكون حكومة عراقية – في المنفي – ترأسها نــوري السـعيد وتضمنت علي جودت الأيوبي وجميل المدفعي(١).

أما الحكومة البريطانية فمنذ جولة إيدن، اتخذت خطــوات سياســية لإحكــام سيطرتها في منطقة الشرق الأوسط، وقررت استبدال بــازل نيــوتن بالســير كينــهان كورنواليس Sir Kinahan Cornwallis، الذي قررت بريطانيا الاعتماد على خبرتــه في العراق ما بين عامي ١٩٢١ و ١٩٣٥م/١٣٤٠-١٣٥٤هــ كمستشار لوزارة الداخلية العراقية*، لاستعادة الهيمنة البريطانية على العراق. وقد تلقى السفير الجديد مذكرة مــن رئيس وزرائه تشرشل، تحدد له مواقف الحكومة البريطانية من القضايا الهامة التي يُتوقع أن تثار معه لدى وصوله بغداد، ووضعته أمام مهمة مستحيلة تتلخص في كسب الرأي العام العراقي والعربي ووضع العراق على طريق الحرب ضد دول المحور، من جهــة، ورفــض المطالب القومية العربية من جهة أخرى، و لم يصل كورنواليس إلى بغداد إلا في ٢ إبريــل ١٩٤١م/١٣٦٠هــ(٢).

و لم يقدم كورنواليس أوراق اعتماده إلى حكومة الكيلاني، وحث حكومتــه علــى الإطاحة بالحكومة الجديدة بالقوة(٣). وقد واكبت أحداث العراق مع التقلبات العسكرية في الميدان الأوربي حيث تمكن الألمان من السيطرة على الدانمارك والنرويج و هولنده وبلجيكــا وفرنسا ويوغوسلافيا واليونان، وتقدموا من ليبيا نحو مصر بقيادة رومل، فيما يغزون البلقــان وجزيرة كريت مكبدين القوات البريطانية خسائر فادحه، فربطوا بين حركة الكيلاني والتقدم تجاه مصر بأنه محاولة من المحور للتقدم نحو العراق وسورية ولبنان وفلسطين، وأنها خطــوات

١- جيرالد دي غوري: ثلاثة ملوك في بغداد، ص ص٢٠٠، ٢٠١.

* أنهيت خدماته من قبل الكيلاني حينما كان وزيراً للداخلية عام ١٩٣٥م، فأصبح من أعداء الكيلاني.

٢- رغيد الصلح: حربا بريطانيا والعراق ١٩٤١ – ١٩٩١م، ص ص١٧٣، ١٧٦.

٣- جفري ورنر: العراق وسوريا ١٩٤١م، ترجمة: د. محمد مظفر الأدهمي، (بغداد: مركز البحوث والمعلومات، ١٩٨٦م)، ص١٧٩.

أولى لاحتلال المشرق العربي[١]. وذلك يؤكد الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية للعراق للنفوذ البريطاني في الشرق الأوسط، دون أن تجد المطالب القومية العربية في الاستقلال والوحدة أدنى أهمية لدى الحكومة البريطانية فصُنفت حركة الكيلاني كثورة لدى البريطانيين مدعومة من المحور.

على الرغم من أن الكيلاني أعلن عن سياسة حكومته الخارجية مؤكداً على الحياد في الحرب ، والتمسك بالمعاهدة العراقية البريطانية لعام ١٩٣٠م/١٣٤٩هـ وهو ما يعكس رغبته التفاهم مع بريطانيا دون التفريط بمصالح العراق[٢].

إلا أن الحكومة البريطانية قررت إرسال قوة بحرية وجوية من الهند إلى البصرة في ١٣ أبريل بطريقها إلى فلسطين، وأُلحقت بوصول دفعه جديدة من هذه القوات في ٢٨ أبريل إلى ميناء البصرة، إلا أن هذه القوات بقيت في العراق و لم تتجه إلى فلسطين[٣]. وأصبح الهدف البريطاني وراء الإنزال واضحاً وهو إعادة بسط سيطرتها على العراق مما أدى إلى الاشتباك العسكري بين القوات البريطانية والعراقية.

لقد شكل العراق في هذه الفترة العمق الاستراتيجي للدفاع عن قناة السويس والهند وحقول النفط العراقية والإيرانية التي تمتد عبر العراق إلى البحر المتوسط، وكذلك خط المواصلات الذي يربط بين البصرة وميناء حيفا في فلسطين، فزاد اهتمام بريطانيا بالبصرة منذ مارس ١٩٤١م، لتحويلها إلى قاعدة متقدمة لاستقبال شحنات المساعدة العسكرية الأمريكية المرسلة إلى منطقة الشرق الأوسط في إطار توقعات احتمال تحول الحرب نحو العراق. فاعتُبرت البصرة قاعدة مثالية وبديلة للسويس فيما إذا تعرض أمن البحر الأحمر إلى الخطر من قبل قوى المحور، وطريقاً امناً للمواصلات مع تركية[٤]. لذلك حرصت بريطانيا على إنشاء قاعدة عسكرية في البصرة.

وقد ظهرت في بريطانيا وجهتا نظر تجاه العراق في أبريل ١٩٤١م خلال المناقشات المتعلقة بخطط الطوارئ للتدخل العسكري في العراق بين قيادة الشرق الأوسط وقيادة

١- إسماعيل ياغي: حركة رشيد عالي الكيلاني، ص١٠٦.

٢- عبد الرزاق الحسني: تأريخ الوزارات العراقية، جـ٥، ص ٢٥٣.

٣- Stephen Longrigg: IRAQ 1900 to 1950, P. P. 289, 290.

٤- وليد محمد سعيد الأعظمي: انتفاضة رشيد عالي الكيلاني والحرب العراقية البريطانية ١٩٤١ م، ص ٧٥.

الهند ووزارة الحربية، الأولى: تدعو إلى حل سياسي للازمة: مثلها الجنرال ويفل القائد العام للقوات البريطانية في الشرق الأوسط، والذي استند في رأيه على الحرج الذي تجاهه القوات البريطانية في الشرق الأقصى وأوروبا والبحر المتوسط وشرق أفريقيا وتكبد القوات البريطانية خسائر فادحة، وأن أي عمل عسكري في العراق سوف يؤدي إلى تحريك الاضطرابات في سورية وفلسطين وباقي أنحاء العالم العربي، وتهديد تركيا من قبل المحور مما يُنذر بفتح عدة جبهات بقوات معادية لبريطانيا، فاقترح تشكيل لجنة أو مكتب يكون مقره الشرق الأوسط، مختص بقضاياه، يتوصل إلى حل سياسي مع العراقيين والعرب ليس فقط للفترة الحالية وإنما لحل المشكلات بين العرب وبريطانيا، أيده في ذلك السفير البريطاني في القاهرة سير مايلز لامبسون[١].

أما الثانية: فهي تدعو إلى استخدام القوة العسكرية ضد العراق: فقد دعا إليها سفير بريطانيا في العراق كورنواليس وقائد القوات البريطانية في الهند أو كلنك Auchinleck ووجد ذلك مؤازرة من وزارة الحرب[٢]. وتشدد في ذلك رئيس الوزراء تشرشل، واتهم الكيلاني بأنه عميل للمحور ورفض أي تسوية سلمية، وأعطى أوامره ببدء العمليات العسكرية في العراق[٣]. ويعود موقف تشرشل إلى سياسته الاستعمارية المتعاطفة مع الصهيونية التي تعود إلى عمله في وزارة المستعمرات البريطانية قبل الحرب العالمية الأولى، وهي التي انعكس في استراتيجيته في منطقة الشرق الأوسط في الحرب العالمية الثانية، وفي سياسته تجاه العراق عام ١٩٤١م[٤].

ومع تصاعد التهديدات البريطانية وما تشكله القوات البريطانية التي أنزلت في العراق من تهديد عسكري، اتخذ مجلس الوزراء العراقي في ٢٨ أبريل عدة تدابير احتياطية في الحبانية، إلا أن الطائرات البريطانية قصفت الجيش العراقي في ٢ مايو (مايس) ١٩٤١م، تبعه قيام كورنواليس بإلقاء منشور على أهالي بغداد، هاجم فيه حكومة الكيلاني وضباط الجيش العراقي، واتهمهم فيه بالتحالف مع المحور ضد بريطانيا واصفاً إياهم بأنهم "باعوا أنفسهم إلى

١- F.O. 371/27543, From Cairo To London, 26, 4, 1941.

٢- جفري ورنر: العراق وسوريا، ص ص١٧٣، ١٨٣.

٣- ونستون تشرشل: المذكرات، جـ١، ص٥١٢.

٤- أديث، أيف: العراق، جـ١، ص ص١٨٢، ١٨٨.

الألمان و الطليان لقاء قدر من المال"، مما يناقض معاهدة التحالف العراقية - البريطانية، وأدى إلى اضطرار بريطانيا إلى التدخل العسكري في العراق[١].

وأوضح أيدن وجهة النظر البريطانية تجاه العراق في مجلس العموم في ٧ مايو، بأن بريطانيا هي التي ساعدت على منح الاستقلال للعراق، وأنها تبحث لتنفيذ حقوقها التي تخولها لها المعاهدة-معاهدة ١٩٣٠م- وأكد تمسكه بتنفيذ المعاهدة، وجعل من ذلك مبرراً لمهاجمة العراق عسكرياً [٢].

وقد اصدر تشرشل تعليماته بضرب القوات العراقية في الحبانية، وقررت لجنة الدفاع البريطاني تخويل قيادة الشرق الأوسط مسئولية الحرب في العراق، فبدأت الهجمات المتتالية على المواقع والمدن العراقية وعلى خطوط المواصلات والإمداد، وعلى قواعد العراق الجوية في بغداد والموصل، وعلى معسكر الرشيد[٣]. وكان ذلك بداية لحرب استمرت طوال شهر مايو.

وفي ٧ مايو ١٩٤١م/١٣٦٠هـ وصل البصرة الجنرال كوينان قادماً من الهند، ليشغل منصب القائد العام للقوات البريطانية في البصرة، مزوداً بتعليمات أوكلنك: للسيطرة على العراق، وقيادة حملة عسكرية للدفاع ضد أي هجوم ألماني محتمل من سورية [٤].

وفي محاولة للسعي لإيقاف العمليات البريطانية العسكرية في العراق والخوف من تحول العراق إلى منطقة نفوذ للمحور، قامت كل من تركيا والسعودية ومصر بمبادرات للوساطة إلا أنها فشلت في الوصول إلى تسوية، فيما تواصلت التعزيزات البريطانية في العراق، ورفض تشرشل مطالب العراق بأن تعترف بريطانيا بحكومة الدفاع الوطني، وأن تسحب القوات البريطانية من العراق إلى شرق الأردن[٥].

فيما واصلت الحكومة العراقية اتصالها بدول المحور على الرغم من أن المخابرات البريطانية كانت قد عرفت سر الشفرة التي تكتب بها تلغرافات جبرايللي من بغداد إلى حكومته، وتركزت المحادثات طوال شهر إبريل على المساعدات التي يمكن أن يقدمها المحور للعراق وخاصة

١- السيد عبد الرزاق الحسني: تأريخ الوزارات العراقية، جـ٥، ص ص٢٦٠، ٢٦٢.

٢- سيتون وليمز: بريطانيا والدول العربية، ص ٤٥.

٣- محمود الدرة: الحرب العراقية - البريطانية، ص٢٧٢.

٤- وليد الأعظمي: انتفاضة رشيد الكيلاني، ص١٠٤.

٥- ناجي شوكت: سيره وذكريات، جـ٢، ص ص٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥.

المساعدة الحربية، سواء عن طريق اتصال الكيلاني بجبرايللي، وما نتج عن زيارة عثمان حداد لبرلين وروما في فبراير وإبريل ١٩٤١م[١].

وقد ساهم جبرايللي في توضيح أسباب الانقلاب السياسي في العراق وظروفه واتجاهاته لتشانو، وأكد على أن قيام المقاومة المسلحة العراقية بالسيطرة على العراق سيواجه من بريطانيا برد فعل عسكري قوي[٢].

اتصلت الحكومة الإيطالية بالعراقيين لمعرفة ما يحتاجونه من مساعدات لأسلحة وإمدادات عسكرية وتموينية في مقاومتهم المسلحة ضد بريطانيا[٣]. وأبلغ الدوتشي ألمانيا عن استعداد بلاده من حيث المبدأ تقديم المعونة التي يطلبها العراق ولكنه يرى أن على الألمان أن يقوموا بالدعم العسكري المطلوب للعراق فقامت الحكومة الألمانية بدراسة لمشروع إرسال إعانات عسكرية للعراق[٤].

وقد اعتمدت الحكومة العراقية في مطالبها للمساعدة العسكرية والمالية من دول المحور على المذكرة التي تلقاها الكيلاني في ١٠ أبريل عن طريق جبرايللي من الحكومتين الألمانية والإيطالية تعلن فيها عن عطفهما على حركة الكيلاني الوطنية، وتنصحانه بالمقاومة المسلحة ضد بريطانيا، متى ما توفرت فرص النجاح، ووعدته بإرسال الأسلحة والذخائر والأموال إلى العراق[٥].

جاء طلب الحكومة العراقية لطلب المساعدة المالية من دول المحور عن طريق القرض، وأن يكون بلا فائدة، ويسدد بأقساط سنوية حسب اقتدار الحكومة المالي[٦]. ويؤكد ذلك حرص الحكومة العراقية أن توضح بأن تقديم دول المحور المساعدة المالية للعراق لا يعني التدخل في الشؤون الداخلية للعراق أو المساس بسيادته الوطنية.

١- لو كاز هيزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص١٩٥.

٢- D.D.I. Nona Serie, Volume VI, IL Ministro A Baghdad, Gabbrielli, Al Ministro Degli Esteri, Baghdad, 4 April, 1941, N: 853.

٣- D.D.I. Nona Serie, Volume VI, IL Capo DI Gabinetto ANFUSO, Al Ministro A Baghdad, Gabbrielli, Roma, 12 April 1947, N: 897.

٤- D.D.I. Nona Serie, Volume VI, L'AMB as Ciatore A Berlino, Al-fieri, Al-Ministero Delig Esteri, Berlino, 17 April 1941 N: 921.

٥- D.D.I. Nona Serie, Volume VI, L'AM Basctiatore ABerlino, Al-feiri, Al-Ministero Degli Esteri, Baerlino, 10 April, 1941, N: 889.

٦- مذكرات علي محمود الشيخ علي: تحقيق د. محمد حسين الزبيدي، (بغداد: دار واسط، ١٩٨٥م)، ص٩٢.

ومنذ أواخر أبريل تكررت نداءات الكيلاني لكي تأخذ دول المحور موقفاً صريحاً تجاه تقديم المساعدة الحربية للعراق[١]. وفي ٢٣ أبريل جرت محادثات ضمت الكيلاني والمفتي وجبرايللي في بغداد استعرضا فيها الأوضاع السياسية والعسكرية في العراق وعبرا عن قلقهما لعدم تلقيهما المساعدة من قوات المحور الجوية، وطلب الكيلاني الدعم من قبل طيران المحور وذلك لشدة حرج الظروف السياسية والعسكرية التي تمر بها العراق وناشدهم إرسال ضابط إيطالي برتبة عالية من بعثة الهدنة في سورية ليرسم الخطط لتحرك مشترك، وحث على تقوية الدعاية من قبل إذاعتي برلين وباري[٢].

وبذلك أصبح العراقيون في مطالبهم من دول المحور يطالبون بالتدخل المباشر لمساعدتهم الحربية من حيث الأسلحة والمعدات إلى جانب مشاركتهم في النضال بمساعدة جوية وعسكرية ضد بريطانيا. ولم يكتفوا بالتصريحات والدعاية السياسية من قبل دول المحور. وفيما اندلعت الحرب البريطانية في العراق (مايو – مايس)، قُطعت العلاقات الدبلوماسية بين العراق وبريطانيا، فطلبت الحكومة العراقية من الحكومة الألمانية إرسال الوزير المفوض غروبا إلى العراق في إطار حرصها على إعادة العلاقات الدبلوماسية، وطلبت مساعدات عسكرية فورية نتيجة لبدء العمليات العسكرية بين القوات البريطانية والعراقية في الحبانية[٣].

وتقدمت الحكومة العراقية بقائمة مفصلة بمطالب العراق المالية والحربية في حالة حربها مع بريطانيا إلى جبرايللي في ٢٨ أبريل ١٩٤١م، واقترح الكيلاني إمكانية الاستعانة بطيران المحور لضرب القوات البريطانية في الخليج وقاعدتي الحبانية والشعيبة، وفيما كانت الخطط العسكرية الألمانية متجهة آنذاك نحو روسيا، في الوقت الذي كانت فيه تدرس مشكلة تزويد العراق بالأسلحة تم العدوان البريطاني على العراق في مايو.

١- D.D.I. Nona Serie, Volume VI, IL Ministro A Baghdad, Gabbrielli, Al Ministro Degli Esteri, Baghdad, 21 April 1941, N: 959.

٢- D.D.I. Nona Series, Volume VI, IL Ministro A Baghdad, Gabbreielli, Al-Ministro Degli Esteri, Baghdad, 23 April, 1941, N: 969.

٣- D.D.I. Nona Serie,Volume VII, IL Ministro A Baghdad, Gabbrielli, Al Ministro Degli Esteri, Caino, Baghdad, 24 April, 1941, N: 3 .

فقرر هتلر في ٣ مايو الموفقة على مقترحات روبنتروب وزير الخارجية الألمانية بمد العراق بالمساعدة الحربية وإرسال غروبا إلى بغداد، ونقل بعض الطائرات إلى العراق بشرط توفر الوقود الكافي لها، وتقرر أن تحول الأسلحة إلى العراق من مخازن لجنة الهدنة الإيطالية في سورية، فكانت سوريه مرتكزاً للمساعدات الألمانية للعراق القادمة من جزيرة كريت و رودس(١).

وقد وافقت حكومة فيشي على طلب الحكومة الألمانية بتقديم المساعدات إلى العراق، وجاءت اتصالات الحكومتين الإيطالية والألمانية بالفرنسيين منفردة وطلب كل منهما بعدم تبليغ الطرف الأخر بمطالبهم. إلا أن الحكومة الفرنسية قامت بإخبار الألمان بطلب الإيطاليين وعبرت عن كرهها الاستجابة لمطالبهم، "لأنها تجد أن ظهور القوة الجوية الإيطالية في سورية أمر غير مرغوب فيه."، فمارس الألمان ضغطاً على الفرنسيين لمنح الإيطاليين تسهيلات جوية مماثلة لما منحته للألمان(٢).

ولتحقيق تفاهم أكبر حول الحرب في العراق والمساعدة التي سيقدمها الفرنسيون في سوريه وشمالي أفريقيا للألمان والإيطاليين، قام روبنتروب بزيارة روما وقابل موسوليني في قصر البندقية بحضور تشانو في ١٣مايو، وتناولت مساعدة الحكومتين للعراق، وما يشكله ذلك من فائدة للمحور بفتح جبهة جديدة ضد بريطانيا في الوقت الذي تستمر فيه العمليات الحربية في شمال أفريقيا(٣). فاتجهت الحكومة الألمانية والإيطالية لتحقيق أغراضها السياسية والعسكرية في العراق من خلال مساعدة حكومة الكيلاني ضد بريطانيا.

وقد جاءت هذه المساعدات الألمانية والإيطالية للقوات العراقية نتيجة لجهود الكيلاني والمفتي في التواصل مع جبرايللي وجهود ناجي شوكت في مهمته للاتصال بالسفير الألماني فون بابن في أنقرة(٤).

١- لوكاز هيزويز: ألمانيا الهتلرية والشرق العربي، ص ص١٩٦، ٢٠٢، ٢٠٣.

٢- جفري ورنر: العراق وسوريا، ص١٩٨.

٣- Galeazzo Ciano Diario 1937-1943, P. 511.

٤- ناجي شوكت: سيره وذكريات، جـ٢، ص٤٧١.

وصل غروبا بغداد في ١٠ مايو ١٩٤١م/١٣٦٠هـ عن طريق حلب فالموصل، وبعودته عادت الاتصالات الدبلوماسية العراقية الألمانية، إلى جانب تواصل الدعم الألماني العسكري الجوي ضد القوات البريطانية في العراق واتخذت من الموصل مقراً للقيادة الألمانية في الأراضي العراقية، فوصلتها أسراب المقاتلات الألمانية لمساندة القوات العراقية، ولوحظ افتقار العراق لوسائل الدفاع الجوي، مما أدى إلى تفوق القوات الجوية البريطانية(١).

وكانت مشاركة الإيطاليين الحربية في العراق ضرورية لتحقيق مطامع إيطاليا في المنطقة، ولحرصها على عدم تفرد ألمانيا بالمساعدة، فعمدت إلى اتخاذ إجراءات تضمن إرسال مقاتلات إيطالية مع أسلحة وذخيرة إلى العراق(٢).

وفي ١٥ مايو هبطت في مطار الموصل ثلاث طائرات مقاتلة إيطالية من طراز سافويا، قادمة من كركوك حيث يرابط السرب الإيطالي، وقد نشأ عن ذلك تعقيدات سياسية استوجبت من الألمان تحديد نشاط الطائرات الإيطالية إلى أقل ما يمكن(٣). مما أثر على ما يمكن أن تقدمه المقاتلات الإيطالية والألمانية من مساعدة مشتركة للقوات العراقية.

ويرجع التركيز العراقي على طلب المساعدة الجوية من القوات الإيطالية والألمانية، بسبب تدمير القوة الجوية العراقية الضعيفة، والتي أُخرجت من المعركة خلال الأسبوع الأول من الحرب نتيجة للقصف الجوي البريطاني عليها(٤).

وعلى الرغم من وصول هذه المساعدات على شكل دفعات من قبل ألمانيا وإيطاليا طوال شهر مايو وتركز في نهايته، إلا أن هذه الطائرات كانت قديمه و لم تتوفر فيها معدات العمل في الجو الحار(٥). و لم تكن من العشرين* طائرة الألمانية التي وصلت إلى ٢٤ مايو إلا ستة أو سبعة مناسبة للقتال وعانت من صعوبات تقنية ومنها ندرة وقود

١- محمود الدره: الحرب العراقية – البريطانية، ص ص٣٧٢، ٣٨٤.

٢- D.D.I. Nona Serie, Volume VII, IL Ministro A Baghdad, Gabbrielli, Al Ministro Degli Esteri, Caino, Baghdad, 14 Maggio, 1941, N: 103.

٣- محمود الدره: الحرب العراقية – البريطانية، ص٣٨٦.

٤- وليد الأعظمي: انتفاضة رشيد الكيلاني، ص١٠٩.

٥- محمود الدره: الحرب العراقية – البريطانية، ص٣٨٥.

* اختلف حول عدد الطائرات الألمانية المشاركة.

الطائرات التي ستزود الطائرات الألمانية والإيطالية للقيام بالعمليات الحربية ضد القـوات البريطانية[١].

وذلك لعدم وجود مصفاة للبترول الخاصة بالطائرات، حيث كان العراق يستورد بعض حاجة القوة الجوية العراقية من عبادان بإيران، وكان ذلك في مجمله مـن سياسـة الشركات البريطانية الاستعمارية تجاه العراق، مما أثر على عدم استطاعة العـراق تمويـل الطائرات الألمانية والإيطالية بالوقود[٢].

بالإضافة على تعرض هذه الطائرات إلى قصف من القوات العراقية عـن طريـق الخطأ اعتقاداً منها أنها طائرات بريطانية، إلى جانب عـدم تنفيـذ الطـائرات الألمانيـة والإيطالية هجوم منظم على القوات البريطانية بشكل يؤثر على تقدمهم نحو بغـداد [٣]. فساهم ذلك على التأثير على مجريات الحرب بشكل كبير.

وعلى الرغم من قوة الأثر المعنوي لوجود الطائرات الإيطالية والألمانية لمسـاعدة القوات العراقية على الحكومة والشعب والجنود العراقيين[٤]. إلا أن هـذه المسـاعدات وصفها الكيلاني آسفاً بأنها كانت "سريعة وضئيلة"، وأخبر جبرايللي "بأنه كان يتوقع من إيطاليا وألمانيا مساعدة أكثر من هذه"[٥].

وكانت إيطاليا قد اتخذت من كركوك مقراً للطيران الإيطالي تحت القيـادة الألمانيـة وبعثت بطائرات مقاتلة إيطالية من طراز سافويا يوم ١٩مارس و٢٦مايو، وفي ٢٨مايو هبطت في الموصل بصورة مفاجئه ١١ طائرة مقاتله من طراز: (فيات فللو- س أر ٤٢ ,C:R 42) مع طائرة نقل من طراز سافويا، تمكنت من شن هجومين جويين على القوات البريطانية يـومي ٢٩ و ٣٠ مايو[٦].

١- D.D.I. Nona Serie, Volume VII, IL Ministro A Baghdad Gabbrielli, Al Ministro Degli Esteri, Ciano, Baghdad 24 Maggio, 1941, N: 163.

٢- إسماعيل ياغي: حركة رشيد عالي الكيلاني، ص٢٣٧.

٣- لو كاز هيزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص٢٢٦.

٤- وليد الأعظمي: انتفاضة رشيد الكيلاني، ص١٠٩.

٥- D.D.I. Nona Series, Volume VII, IL Ministro A Baghdad Gabbrielli, Al Ministro Degli Esteri, Ciano Baghdad, 28 Maggio, 1941, N: 171.

٦- PlayFair: The Mediterranean and Middle East, Vol. II P. 196. & Renzo De Felice: Mussolini l'alleato 1940_1943, P.232.

وعلى الرغم من أن المقاتلات الإيطالية قدمت بعض المساعدة للقوات العراقية إلا أنها لم تكن مُرضية للعراقيين، ووصفت بأنها كشفت ضعف السلاح الإيطالي، كذلك لم تكن مرضيه للحكومة الإيطالية. حيث وصف تشانو أنباء مغادرة القوات الإيطالية العراق في ٣٠ مايو بأنها أنباء سيئة، وأكد على "فقدان الاستعداد في قوة إيطاليا الجوية" وبأن تصريحات موسوليني الخاصة "بأن الطائرات الإيطالية على استعداد لمساعدة العراق كانت مجرد كلمات جوفاء". كما أرجع تشانو السبب إلى انهيار معنويات الطيارين الإيطاليين الذين هُزموا في معارك شرق أفريقيا الجوية على أيدي الطيارين البريطانيين[١].

وعلى الصعيد الدعائي، قدمت الدعاية الألمانية والإيطالية الدعم الدعائي المعنوي للعراقيين من خلال بياناتها في إذاعتي راديو برلين وروما، ومن خلال الصحافة الألمانية والإيطالية التي قدمت عرضاً بارزاً للأعمال الحربية في العراق، وحملت صفحاتها الأولى خرائط وتقارير تصف معارك العراقيين خلال الحرب وتصفهم بالمنتصرين، وأبرزت تعاطف ألمانيا وإيطاليا مع الشعب العراقي[٢].

وعلى الرغم من تردد ألمانيا في دعمها العسكري للعراق في بداية الحرب، إلا أن المعونات الحربية الجوية الألمانية للعراق قد تواترت منذ صدور أوامر هتلر في ٣ مايو. وتوج ذلك في الاتفاق الفرنسي- الألماني النهائي فيما عُرف ببروتوكولات باريس، في ٢٣ مايو التزمت فيه حكومة فيشي فيما يتصل بسورية والعراق على:

١. تحويل ٣/٤ المواد الحربية المخزونة في سورية إلى العراق.
٢. الموافقة على نزول الطائرات الألمانية والإيطالية وتزيدها بالوقود، وأن توضع تحت تصرف سلاح الطيران الألماني قاعدة خاصة في حلب.
٣. أن تسمح باستعمال الموانى والطرق والسكك الحديدية لعمليات لنقل في العراق.
٤. أن تدرب في سوريا جنوداً عراقيين مسلحين بأسلحة فرنسية.

١- Galaezzo Ciano Diario1937-1943, P. 518.

٢- ثورة العراق التحررية سنة ١٩٤١م برقيات صحيفة نيويورك تايمس الأمريكية New York Times, VoL-XC، ترجمة وتقديم وتعليق، أ.د. عبد الجبار الياسري، أ.د. نوري العاني، (بغداد: بيت الحكمة، ١٩٩٨م)، ص ص٣٤، ٣٥.

٥. أن توفر للقيادة العليا للقوات المسلحة الألمانية كل المعلومات الخاصة بقـوة بريطانيـا وخططها في الشرق الأوسط، مما يتوفر لدى المخابرات الفرنسية.

٦. أن تدافع عن سورية ولبنان بكل ما يمكنها من قوة*.

٧. في مقابل موافقة القيادة العليا للقوات المسلحة الألمانية على تعزيز القوات الفرنسية المرابطة في سوريه خارج نطاق الحدود التي وضعتها اتفاقية الهدنة وتضمنت إعطاء الفرنسيين ربع المواد الحربية المخزونة في سورية، وبذلك تضمنت البرتوكـولات التعاون الفرنسي— الألماني في سورية ولبنان والتعاون في أفريقيا (تونس)[١].

وبينما تزايدت المساعدات العسكرية والمالية الألمانية للعـراق. ارتبطـت هـذه المساعدات بتطور عمليات المحور العسكري في المتوسط للسيطرة على جزيـرة كريـت والعمليات الحربية في شمال أفريقيا، على الرغم من انهماك القيـادة العليـا الألمانيـة في التحضير لعملية بار باروسا في الاتحاد السوفيتي. فأصدر هتلر أوامره في ٢٣ مايو للقيادة العليا للقوات المسلحة في برلين (رقم٣٠)** لمساعدة العراق عسكرياً. وصـف فيهـا حركة التحرير العربي في الشرق الأوسط بأنها "حليفنا الطبيعي ضد بريطانيا العظمـى"، ولهذا فإن "للثورة في العراق له أهمية خاصة، لأنها ستمتد إلى ما وراء حدود العراق، وتعم القوى المعادية لبريطانيا في الشرق الأوسـط، وتعرقل خطوط المواصـلات البريطانيـة، وتعيد كلا من القوات البريطانية ومجال الملاحة البريطانية على حساب ميـادين الحـرب الأخرى"، لهذا قررت "حفز التطورات في الشرق الأوسط وتوسيعها، وذلـك بتقـديم المساعدة للعراق، أما الإمكانيات والشكل الذي يتم به تحطيم وضع البريطانيين بصـورة نهائية بين البحر المتوسط والخليج (العربي) استناداً إلى هجوم ضد قناة السـويس، فـأمر سيجري حسمه بعد عملية برباروسا."[٢].

---

* كان قد بدأ ضمنياً تنفيذ الاتفاق منذ ٥ مايو، إلا أنه لم يكتمل نهائياً إلا في ٢٣ مايو.

١- لو كاز هيزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق والعربي، ص ص٢١٥، ٢١٦.

** انظر الملحق الثاني، ص ٥١٣.

٢- لوكاز هيزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص٢٢١. & Playfair: The Mediterranean and Middle East, Vol II, P. 195.

وقد جاء أمر هتلر بإرسال بعثه عسكرية ألمانية إلى العراق بقيادة الجنرال فيلمي Felmy تكون من أهم مهامها تقديم المشورة والمعونة للقوات المسلحة العراقية * إلى جانب إرسال قوة طيران محدودة العدد ونقل الأسلحة من سورية على أساس بروتوكولات باريس، ووجه أمر الدعاية في الشرق الأوسط على أساس: (أن انتصار المحور يحقق لبلاد الشرق الأوسط التحرر من نير الإنجليز ويكفل لها حق تقرير المصير، لذلك كان واجب كل من يُقدر الحرية أن ينضم إلى الجهة المعادية لإنجلترا ...)، وفيما يخص اشتراك إيطاليا في المساعدة على العراق خصها هتلر بمادة واحدة من أمره جاء فيه ما يلي:

"يكون التعامل معها على أساس التعليمات المذكورة – السابقة – وستبذل الجهود لوضع هذه القوات بأمره رئيس البعثة العسكرية الألمانية"[١].

ويلاحظ بأن أوامر هتلر هذه جاءت متأخرة جداً، حيث عجزت القيادة العراقية عن إحراز أي نصرٍ وتقدم على جبهات القتال مع القوات البريطانية، التي تعززت بقوات الشرق الأوسط من فلسطين وقوات من الجيش العربي بقيادة غلوب من شرق الأردن[٢]، وأصبحت بغداد مهددة بالسقوط في أيدي القوات البريطانية. فدعا الكيلاني إلى اجتماع حضرة القادة العسكريون الأربعة، ووكيل رئيس الأركان، وبعض الوزراء الموجودين في بغداد والمفتي في ٢٨ مايو، وقام صلاح الدين الصباغ باستعراض الأوضاع العسكرية وتراجع القوات العراقية بسبب نفاذ السلاح والذخائر، وتكاثر القوات البريطانية التي انضمت إليها قوات من فلسطين وشرق الأردن. وقرروا:

إعلان بغداد مدينة مفتوحة وتشكيل "لجنة الأمن الداخلي" لإدارة المدينة وتأمين الهدوء فيها لتجنبيها معركة تؤدي إلى قصفها ودمارها، وتم الاتفاق على نقل الحكومة إلى الموصل وكركوك ومواصلة القتال من هناك. إلا أن توارد معلومات كاذبة بوصول القوات البريطانية على مشارف بغداد في ٢٩ – ٣٠ مايو جعلت العقداء والكيلاني والمفتي والشريف شرف

---

* أمر هتلر بأن يضع أعضاء البعثة العسكرية شارات عراقية، وأن يحملها أفراد قوة الطيران الألمانية، وأن تُصبغ الطائرات الألمانية بالألوان العراقية حتى تظهر هذه البعثة بمظهر التطوع لا قوة محاربة.

١- محمود الدره: الحرب العراقية – البريطانية، ص ص٢٧٤، ٢٧٥.

٢- مذكرات غلوب باشا، ص٢٣٠.

يتصرفون بيأس فاتجهوا إلى الحدود الإيرانية ومنها إلى طهـران بـدلاً مـن الانسـحاب إلى الشمال[١]. كما أُتفق عليه.

أما غروبا فقد وصل الموصل في ٣٠ مايو حسب اتفاقه مع الكيلاني لمواصلة المقاومـة، إلا أنه عرف بمغادرة العقداء والكيلاني إلى طهران فيم جاءته الأخبار من القيـادة العسـكرية الألمانية في أثينا بوجوب سحب جميع القوات الألمانية من العراق إلى الموصل لتنظيم القتـال في الشمال، إلا أن هروب القيادة العراقية وانهيار المقاومة في بغداد جعله يغادر مـع القيـادات العسكرية والطائرات الألمانية إلى حلب في ٣١مايو رغم طلب القوات العراقيـة في الموصـل مساعدتها في استمرار المقاومة، إلا أن الألمان فضلوا مغادرة العراق إلى سورية[٢]. كما غادر الطيارون الإيطاليون كركوك على عجل[٣].

وكان من المفترض أن يغادر المفوض جبرايللي إلى الموصل مع قادة العراق، وأن تنقـل المفوضية إليها وأن يقوم جبرايللي بإحراق الأرشيف السري الإيطالي، وتم ذلـك ليغـادر إلى طهران مع الكيلاني والمفتي[٤].

وقد وصف ربينتروب نهاية الحكم الوطني في العراق بأنه انهيار سريع، شكل نجاحاً هاماً لخصوم النازية والفاشية في كل مكان[٥]. ويرجع تقصير ألمانيا عن إعطاء مسـاعدة حقيقة للعراق بسبب نظرته إلى الحركة الوطنية العربية كأداة لخدمة أغراضها العسـكرية وليس كحليف على قدم المساواة، واستخدمتها أداة للدعاية ضد النفـوذ البريطـاني في المنطقة للتأثير على مجريات الحرب[٦].

وفي اللقاء الذي جمع قادتي القوات العامة الإيطالية الجنـرال كافـاليرو Cavallero والألماني الفيلدمارشال كاتيل Keitel بتاريخ ٢ يونيو ١٩٤١ م، لمناقشة قضايا الحـرب في المتوسط وسورية والعراق خلصا إلى أن أسباب انهيار الحركة العراقية: هو مهاجمة الحكومـة العراقية للبريطانيين في وقت مبكر جداً، وأن الدعم لم يكن جاهزاً وعلى الرغم مـن قـرار

١- السيد عبد الرزاق الحسني: تأريخ الوزارات العراقية، جـ٥، ص ص٢٨٣، ٢٨٤.

٢- لوكاز هيزويز: ألمانيا الهتلرية و المشرق العربي، ص٢٢٨.

٣- محمود الدرة: الحرب العراقية – البريطانية، ص٣٩٠.

٤- D.D.I. Nona Serie, Volume VII, IL Ministro A Baghdad Gabbrielli, AL Ministro Degli Esteri Ciano, Baghdad, 30 Maggio 1941, No: 185.

٥- لوكاز هيزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص٢٢٩.

٦- صلاح العقاد: العرب والحرب العالمية الثانية، ص٨٢.

الحكومتين الألمانية والإيطالية لتقديم المساعدة الفعالة الممكنة، إلا أن ذلك لم يتم بسبب الانهيار السريع في معنويات العراقيين وعزيمتهم على المقاومة، ولوجود ضغوطات لنقل القوات والأسلحة والتجهيزات العسكرية[١].

فيما أكد الوزير الإيطالي في طهران بيتر يوشي Petrucci لحكومته بأن أسباب الانهيار العسكري في العراق يُعزَى إلى "الإحباط المعنوي وفقدان الأمل في الحصول على مساعدات من المحور لمنع الهزيمة ودمار البلاد." وخاصة الطائرات التي انتظر العراقيون أن يكون لها دور كبير في التأثير على الحرب بينهم وبين البريطانيين، وفشل الكيلاني في تحطيم المعارضة الداخلية التي وصفها: بأنها "أقوى وأكثر خبرة في استغلال نقص المساعدة من قبل دول المحور للكيلاني" مما أدى في رأيه إلى إحباط معنوي للجيش فغادر جنرالاته إلى طهران أعقبها مغادرة القوه السياسية في الوقت الذي كان فيه الكيلاني واثقاً بأن المساعدات من قبل دول المحور ستصل في الوقت المناسب[٢].

رغم ردود الأفعال الحماسية العراقية والعربية تجاه حركة الكيلاني وتأييد الشعوب العربي لها خاصة في سورية ولبنان وشرق الأردن ومصر*، إلا أنها انهارت خلال شهر من بدء الحرب وذلك بسبب بعض الظروف الدولية التي أدت إلى تحقيق بريطانيا النصر مستغلة ضعف إمكانيات الجيش العراقي والذي ساهمت فيه بشكل مؤكد، وتصميمها على الإطاحة بحكومة الكيلاني فاستخدمت قواتها البرية والجوية بقوة وحسم لتحطيم القوة العسكرية العراقية، مستغلة ضعف المساعدات لدول المحور لحكومة الكيلاني[٣].

وكتب تشرشل عقب هزيمة العراق: "لقد أضاع هتلر الفرصة في الحصول على جائزة كبيرة كان باستطاعته الحصول عليها بثمن أقل، كان من الممكن أن يهدد بريطانيا ويسيطر على العراق وسورية وإيران والهند ويؤثر في مساره الحرب ونفوذ بريطانيا في الشرق الأوسط"[٤]. إذ لو

١- D.D.I. Nona Serie, Volume VII, Colloquio Del Distato Maggiore Generale, Cavallero, Con IL Capo DI Stato Maggiore Della Werhrmacht, Keitel, Brennero, 2 Giugno 1941, N: 201.

٢- D.D.I. Nona Serie, Volume VII, IL Ministro A Teheran, Petrucci, Al Ministro Degli Esteri, Ciano, Teheran, 5 Giugno, 1941, N: 211.

* تطوع الكثير من العرب من سوريه وفلسطين ولبنان لنصرة الشعب العراقي، وقام الفريق عزيز المصري في مصر والطياران العسكريان: عبد المنعم رؤوف وحسين ذو الفقار بمغامرة جريئة للالتحاق بالجيش العراقي بطائرة مصرية عسكرية، إلا أن الطائرة اصطدمت بحاجز فلم تواصل الطيران، وأعلن حزب مصر الفتاة بقيادة أحمد حسين تأييده لشعب العراق في كفاحه المسلح ضد العدوان البريطاني.

٣- محمود الدره: الحرب العراقية – البريطانية، ص٤٠٢.

٤- ونستون تشرشل: المذكرات، جـ١، ص ٥١٣.

خسرت بريطانيا لتمكن الألمان على تعزيز قوة العراق والهيمنة على نفط العراق وإيران، وإغلاق خطوط المواصلات الجنوبية للاتحاد السوفيتي، وتهديد منطقة الليفانت (سورية ولبنان وفلسطين) من الشرق[١].

ويرجع بعضهم أسباب الانهيار السريع إلى عدة اعتبارات متعلقة بظروف النخبة الوطنية التي حكمت العراق، فيما شُهد لها بالرغبة الصادقة في إنقاذ بلدها والأقطار العربية المجاورة كسورية ولبنان وفلسطين من النفوذ البريطاني إلا أنه ظهر في أداء قيادتها عدة تغيرات أهمها: الارتباك الذي أصاب قيادتها بعد اندلاع الحرب سواء قيادتها السياسية أو الحربية حيث ظهرت قرارات متضاربة وغير منسقة و لم تُحسن إدارة المعارك الحربية[٢].

بالإضافة إلى استنادها إلى مساعدات عسكرية خارجية لم تكن على قدر الآمال المعقودة عليها، بالإضافة إلى عدم استثمارها المعارضة العربية خاصة في فلسطين لفتح جبهات تشتت تواجد القوات البريطانية في المنطقة، أضف إلى ذلك ضعفها العسكري الذي لم يتناسب مع الرغبة الصادقة في التخلص من الهيمنة البريطانية على أراضيها[٣].

وأكد علي محمود الشيخ علي في مذكراته بأن: الحركة العراقية هي حركة وطنية للتحرر من النفوذ البريطاني و لم تكن نتيجة لاتفاق بين زعمائها وبرلين، وبرر ضعف المساعدات الحربية للمحور بأن الحركة العراقية كانت مفاجئة لهم فلم يتسع لهم الوقت لاتخاذ التدابير اللازمة لتقديم مساعدة قوية لهم[٤]. وهو ما سبق أن ذكره تشانو و ربنتروب وذلك ينفي عن الحركة بأنها وليدة مطالبة المحور وليس حركة وطنية. ووصفت بأنها امتداد لثورة العراق في عام ١٩٢٠م/١٣٣٩هـ ضد الاحتلال البريطاني، وحافزاً للعمل على التخلص من الاستعمار إلى قيام ثورة يوليو ١٩٥٨م/١٣٧٨هـ[٥].

بانهيار حركة الكيلاني، دخل العراق مرحلة سياسية جديدة أحكمت فيها بريطانيا سيطرتها على البلاد عن طريق سفارتها في بغداد وتدفقت جيوشها بأعداد كبيرة عليها، وسخرت إمكانيات العراق الاقتصادية و الاستراتيجية لخدمة أغراضها الاستعمارية [٦]. واستمرت

١- Longrigg , Iraq 1900 to 1950 , P. 297.

٢- محمود الدره: الحرب العراقية البريطانية، ص ص٢٢٥، ٢٤١، ٣٢٩، مذكرات علي محمود الشيخ علي: ص ص٦٤، ٨٣.

٣- PlayFair, The Mediterranean and Middle East ,Vol, I, P. 195.

٤- مذكرات علي محمود الشيخ علي: ص٣٩٩.

٥- ناجي شوكت: سيره وذكريات، جـ٢، ص ص٤٩٣، ٤٩٤.

٦- إسماعيل باغي: حركة رشيد عالي الكيلاني، ص٢٨٦.

انتصارها على العراق لتحقيق ضربات حربية سريعة، فاحتلت قواتها سورية ولبنان في يونيو، وتعاونت مع الاتحاد السوفيتي لاحتلال إيران في أغسطس ١٩٤١م/١٣٦٠هـ[١].

أما في العراق، فقد تولت "لجنة الأمن الداخلي" مسؤولية المفاوضة مع السفارة البريطانية لعقد هدنة مع الجيش البريطاني، في ٣١ مايو من أهم شروطها: إنهاء القتال بين الجيشين وأمر اعتقال جميع الأعداء الألمان أو الإيطاليين. وعاد إلى بغداد الوصي عبد الإله، يرافقه نوري السعيد في ١ يونيو ١٩٤١م، وتدافعت القوات البريطانية في الوصول إلى العراق[٢]. الذي اصبح تحت الاحتلال البريطاني.

وقد وافقت الحكومة العراقية برئاسة المدفعي على إقامة القوات البريطانية في أي مكان في العراق أثناء فترة الحرب وتم طرد المفوضية الإيطالية من العراق، وتم اتخاذ إجراءات قوية ضد المتعاطفين مع المحور وأنصار الكيلاني في الجيش العراقي، وبدأت بريطانيا تنظم دعاية مضادة للمحور مع قسم الكيلاني بأنه "سيعود من إيران بعد فترة وجيزة مع جيش ألماني."[٣].

وفي ٨ يونيو ١٩٤١م، قرر مجلس الوزراء العراقي قطع العلاقات الدبلوماسية بين العراق وإيطاليا تنفيذاً للمادة الرابعة من مواد الهدنة بين الجيش البريطاني والعراق في ٣٠ مايو، وتم تسفير الهيئة الدبلوماسية الإيطالية، وقُبض على الرعايا الإيطاليين الصالحين للخدمة العسكرية، كما أرغم الملحق العسكري الياباني في بغداد على مغادرة العراق فوراً، لأن الوصي عبد الإله اعتبره شخصاً غير مرغوب فيه[٤].

وقامت حكومة نوري السعيد* في أكتوبر ١٩٤١م بمهمة تنفيذ المعاهدة العراقية– البريطانية لا سيما تحضيرات بريطانيا الدفاعية والمواصلات في أثناء الحرب، وتصفية الجيش العراقي من العناصر الوطنية، التي كما وصفها تؤيد المحور، والقيام بإجراءات

١- السيد عبد الرزاق الحسني: تأريخ ا لوزارات العراقية، جـ٦، ص ٤١.

٢- نفس المرجع، جـ٥، ص ص٢٨٥، ٢٩٠.

٣- Foreign Office Annual Reports from Arabia, Vol, 3, E-2596/204/93, Sir K. Cornwallis to Mr. Eden, Baghdad, 8 March 1942, No. 55, P. 188.

٤- السيد عبد الرزاق الحسني: تأريخ الوزارات العراقية، جـ٦، ص ٢٦.

* لم يشارك السعيد في الحكومات العراقية بعد القضاء على حركة الكيلاني، وعمل سفيراً لبلاده في القاهرة حتى ترأس الحكومة العراقية في أكتوبر ١٩٤١م.

قضائية ضد رشيد الكيلاني وحكومته الذين التجأوا إلى إيران ، وكثفت الحكومة جهودها من أجل جلبهم إلى العراق، فتمكن المفتي والكيلاني وصلاح الدين الصباغ من الذهاب إلى تركيا بينما ألقت القوات البريطانية القبض على الباقين وأرسلتهم إلى دوربان في جنوب أفريقيا ليحتجزوا هناك [١].

إلى أن أصدرت محكمة عسكرية في بغداد في ٦ يناير ١٩٤٢م/١٣٦١هـ حكماً غيابياً بالإعدام على الكيلاني وصلاح الدين الصباغ ويونس السبعاوي، وعلي محمود الشيخ علي وأمين زكي* والعقداء الأربعة، وصدرت على الباقين أحكاماً مختلفة، ونفذ حكم الإعدام شنقاً في ٥ مايو ١٩٤٢م على فهمي سعيد ومحمود سليمان ويونس السبعاوي، ونفذ في ١٦ أغسطس ١٩٤٤م/١٣٦٤هـ على كامل شبيب، أما الصباغ الذي قضى في تركيا ٣ سنوات فقد سُلم إلى السلطات العراقية فنفذ فيه الحكم في ١٦ أكتوبر ١٩٤٥م/١٣٦٥هـ [٢].

وقد وقفت السلطات البريطانية وراء تنفيذ سياسة قاسية ومتشددة تجاه من شارك في حركة مايو ١٩٤١م/١٣٦٠هـ بغية إصابة التيار القومي العربي المناهض للنفوذ البريطاني بضربات موجعة للحد من مطالبه في التحرر والاستقلال، ولإثبات قوة نفوذها في المنطقة، وعدم السماح لأي قوة أخرى بمنافستها[٣]. إلا أن هذه الأحداث زادت من نقمة الشعب العراقي والعربي تجاه السيطرة البريطانية، وأنبأت الحرب بظهور قوة الولايات المتحدة الأمريكية حليف بريطانيا في الحرب العالمية الثانية.

قرر مجلس الوزراء العراقي إعلان الحرب بناء على صدور الإرادة الملكية بشأن إعلان حالة الحرب بين دولة العراق ودول المحور الثلاث ابتداء من ١٦ — ١٧ يناير ١٩٤٣م، وسلم وزير الخارجية العراقي مذكرتي إعلان الحرب لتبليغهما إلى الحكومتين الإيطالية واليابانية إلى معالي الوزير المفوض التركي، بينما سلمت مذكرة إعلان الحرب

١- مذكرات علي محمود الشيخ علي: ص ص ١٢٨، ١٣١، ١٥٢.

* خفف الحكم ضدهما في ٤ مايو إلى الحبس.

٢- السيد عبد الرزاق الحسني: تأريخ الوزارات العراقية، جـ٦، ص ص ٦٩، ٧٧، ٢٥٨.

٣- Foreign Office Annual Reports from Arabia, Vol: 3, E-2596/204/93, OP. Cit. No. 55.

على ألمانيا إلى القنصل السويسري بصفتهما ممثلي حكومات المحور في العراق، وبررت الخارجية العراقية إعلان الحرب بسبب تدخل دول المحور في شؤون العراق الداخلية وتحريض الحكومة العراقية على التمرد، واستخدام الدعاية الكاذبة ضد العائلة المالكة العراقية وأشاعتها الكراهية والفرقة بين الشعب العراقي. وبناءً على ذلك تقدم العراق بطلب الانضمام إلى تصريح الأمم المتحدة في ١٨ يناير ١٩٤٣م[١]. ثم الانضمام إلى ميثاق الأمم المتحدة في ١٩٤٥م[٢]. فكان العراق أول دولة عربية مؤهلة لحضور مؤتمر سان فرانسيسكو.

ومنذ دخول العراق الحرب، تم التنسيق بين الحكومة العراقية والسلطات البريطانية ليقدم العراق كافة جهوده لتنفيذ نص المادة الرابعة من معاهدة التحالف العراقية — البريطانية لعام ١٩٣٠م/١٣٤٩هـ، وتقديم تسهيلات ومساعدات للبريطانيين في أثناء الحرب منها حماية القوات البريطانية في العراق وتحمل جميع التكاليف لتجهيز المواد الحربية الضخمة التي نقلت إلى روسيا، ووضع جميع منشآت الدولة من تيلفون وبرق ومواصلات (بريه وجوية وبحرية) في خدمة السلطات العسكرية، ووضعت لهم الأسبقية في ذلك على احتياجات المواطنين العراقيين، كذلك عملت على زيادة الإنتاج الزراعي في العراق وتصديرها ووضعها في متناول المجهود الحربي للحلفاء واستمر ذلك إلى نهاية الحرب حيث أصبح العراق قاعدة للجيوش البريطانية والحلفاء في الليفانت ولبنان وفلسطين (الحوض الشرقي للبحر المتوسط) وإيران، وكان خطاً أساسياً لتموين روسيا في حربها ضد هتلر، وربط الاقتصاد العراقي بمركز تموين الشرق الأوسط في القاهرة، بالإضافة إلى كونه خطاً دفاعياً أمام احتمال هجوم قوات المحور من الصحراء الغربية و القفقاس على الرغم من أنه ظل بعيداً عن جبهة القتال[٣].

١- السيد عبد الرزاق الحسني: تأريخ الوزارات العراقية، جـ٦، ص ص١١٠، ١١٣، ٢٦٠.

٢- محمود منسي: الشرق العربي المعاصر، ص ١١٨.

٣- السيد عبد الرزاق الحسني: تأريخ الوزارات العراقية، جـ٦، ص ص١٨٥، ١٩١، Lougrigg, Iraq 1900 to 1950, P. 318.

فتسبب ذلك في معاناة الشعب العراقي وتعرضه لأزمة اقتصادية مزمنة أثـرت في حياة جميع طبقات الشعب العراقي وخاصة الفقيرة والتي تشكل الغالبية العظمى من أبناء الشعب العراقي[١].

وعلى الرغم من نجاح السلطات البريطانية والحكومية العراقية من تصفية وسجن بعض قادة حركة مايو ١٩٤١م، إلا أن أبرز زعمائها سعوا إلى استكمال مناهضتهم للنفوذ البريطاني في ظروف جديدة خارج العراق. فقد أصدر الكيلاني بياناً باسم الحكومة العراقية أذيع من مذياع روما وبرلين في أوائل يونيو ١٩٤١م يوضح فيه للشعب العراقي حقيقة الموقف والتطورات التي رافقته وأدت إلى تركه العراق، وأعلن استئناف الجهاد في سبيل تحقيق الأماني القومية[٢].

كما سعوا إلى التعاون مع حكومات المحور بعد انتقالهم إلى إيران، حيث اتصلوا هناك بالوزيرين المفوضين الألماني والإيطالي ووجهوا لوماً شديداً إلى الحكومتين الألمانية والإيطالية بسبب قلة المساعدات العسكرية، لمساندة القوات العراقية في حربها ضد القوات البريطانية، وصرح الكيلاني بأن المعونة الألمانية والإيطالية لم تأتِ في الوقت المناسب ولم تكن كافية، وما أن بلغ ذلك المسؤولين الألمان حتى أو عزوا إلى سفيرهم في طهران بتهدئة خواطر المسؤولين العراقيين اللاجئين في إيران وأن يبرر لهم موقف ألمانيا من أحداث العراق بأن نزاعهم مع بريطانيا كان مفاجأة لهم، في ظل انشغالهم لاحتلال جزيرة كريت، وأن الدعم الألماني العسكري والمالي تأخر في الوصول إلى العراق بسبب التطورات العسكرية في العراق، وأكد دعم ألمانيا لنضال العرب من أجل الحرية والاستقلال[٣].

وفي ظل طلب الحكومة الإيرانية من اللاجئين العراقيين عدم ممارسة أي نشاط سياسي في إيران قد يحرج الحكومة مع بريطانيا، وتدهور الأوضاع السياسية بسبب هجوم ألمانيا على الاتحاد السوفيتي وبسبب هجوم القوات البريطانية واحتلالها لسورية

١- العراق في التاريخ: ص٧٠٤.

٢- خيري العمري: يونس السبعاوي، ط٣، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦م)، ص١٠٣.

٣- علي محافظة: موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ص٣٨٠.

ولبنان في يوليو ١٩٤١م، وأخيراً تعرض إيران للهجوم من القوات البريطانية والسوفيتية، أصبح وضع اللاجئين العراقيين حرجاً في إيران[١].

فنشطت الحكومتان الألمانية والإيطالية لدعوة الكيلاني والمفتي لمغادرة إيران والسفر إلى برلين وروما عن طريق تركيا[٢]. فتولت ألمانيا عملية تأمين سفر الكيلاني إلى برلين وإخراجه من تركيا في طائرة ألمانية في ٢١ نوفمبر ١٩٤١م[٣]. بينما تولت إيطاليا عملية تأمين سفر المفتي إلى روما عن طريق تركيا بمساعدة المخابرات الإيطالية* في أكتوبر١٩٤١م[٤]. قبيل مغادرة البعثة الدبلوماسية الإيطالية طهران.

وفيما تواصلت رغبة الكيلاني والمحور للوصول إلى تحقيق المطالب العربية في ظل استحالة تواجدهم في إيران أو رجوعهم إلى العراق برز تنافس دبلوماسي لكلتا دولتي المحور لكسب الكيلاني والمفتي إليهما لتحقيق أهدافها السياسية والحربية في ظل تطورات الحرب الأخيرة. قام هتلر بالزحف باتجاه الاتحاد السوفيتي وخطط للزحف منه نحو القفقاس عبر إيران إلى البلاد العربية، فيما تقوم القوات الإيطالية بمساعدة قواته بمهمة الحرب في البحر المتوسط وشمالي أفريقيا، وحدد ذلك في أمره رقم (٣٢) الصادر في ١١ يونيو ١٩٤١م فيما يتعلق بمهمة الجيش الألماني في خريف سنة ١٩٤١م وشتاء عام ٤١ – ١٩٤٢م: مواصلة الحرب ضد إنجلترا في المتوسط والشرق الأدنى، وذلك بالاستيلاء على طبرق، وشن هجوم على قناة السويس من الغرب، وحشد قوات كبيرة في بلغاريا لا كراه تركيا على الاستسلام أو الانحياز لدولتي المحور، والتقدم عبر تركيا وسوريه وفلسطين نحو قناة السويس من الشرق، والزحف من القفقاس (القوقاز) عبر إيران إلى العراق، واستغلال حركة التحرير العربية لتحقيق هذه الأهداف.

أما خطة يوليو والتي وضعتها هيئة الأركان العامة الألمانية فنصت على الانتهاء من عملية برباروسا في خريف عام ١٩٤١م، والبدء بالهجوم على إيران في شتاء ٤١-١٩٤٢م،

١- مذكرات علي محمود الشيخ علي: ص ١٢٨.

٢- D.D.I. Nona Series, Volume VII, IL Ministro Degli Esteri, Ciano, AL Ministro A Teheran, Petrucci, Roma, 19 Luglio 1941, N: 404.

٣- لوكاز هيزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص٢٧٦.

* ارتدى المفتي ملابس خادم وزير إيطاليا المفوض، ورافقه الوزير إلى تركيا ومن ثم توجه إلى روما بمساعدة ممثلي إيطاليا الدبلوماسيين.

٤- D.D.I. Nona Serie Volume VII, IL Ministro Degli Esteri, Ciano, Al Ministro A Tehehran, Petrucci, Roma, 27 Agosto 1941, N: 515.

والزحف منها إلى سورية والعراق عبر تركيا. وفي أغسطس ١٩٤١ م، وضُعت خطة تضمنت تعزيز قوات المحور في شمالي أفريقيا، بقصد الاستيلاء على طبرق تمهيداً للهجوم على مصر، والاستيلاء على جبل طارق بالتعاون مع أسبانيا، إلا أن مجابهة القوات البريطانية بمساعدة أمريكا لهجوم قوات المحور في شمال أفريقيا، وكذلك نجاحها في احتلال إيران في أغسطس ١٩٤١م وصمود روسيا أمام هجمات هتلر، اضطر هتلر إلى تأجيل خططه العسكرية الخاصة بالمشرق العربي وأصدر تعليماته برقم (٣٨) في ١٢ ديسمبر إلى تنشيط جبهة القتال في شمال أفريقيا[١].

فعكست تطورات الحرب ظلالها على علاقة الحكومتين الألمانية والإيطالية بالكيلاني والمفتي اللذين سعيا خلال تواجدهما في برلين وروما إلى التباحث مع حكومتي المحور حول مستقبل البلاد العربية وطبيعة التعاون بينهم، وبينما نظرت حكومتي المحور إلى ما يمكن أن يقدماه ومؤيديهما من مساعدة لتحقيق انتصار على القوات البريطانية في جبهات القتال في شمالي المتوسط والعراق وبلاد الشام خاصة في مجال الدعاية ضد بريطانيا في أثناء الحرب، وضمنت وعودها اختيار الوقت المناسب لاستقلال البلاد العربية عند سيطرة دول المحور على البلاد العربية وتخليصها من النفوذ البريطاني والفرنسي[٢].

وقد سعى المفتي والكيلاني للحصول على تصريح إيطالي – ألماني مشترك يتناول تأييد دولتي المحور للاستقلال العربي والوحدة العربية، إلا أن موسوليني لم يوافق على تصريح يتضمن عبارة "الاستقلال التام للبلاد العربية" ووافق على صيغة تتضمن تحرر بلاد عربية في الشرق الأدنى (تتضمن العرق وسورية ولبنان وفلسطين وشرق الأردن). وذلك للمحافظة على مطامع الاستعمار الإيطالي في شمال أفريقيا ومصر[٣]. ...

بينما اقترح ربنتروب تشكيل مجلس قيادة عربي يكون مقره في روما ويكون له مكتب في برلين، وتم الاتفاق بين الحكومتين الإيطالية والألمانية على صيغة مشتركة للتصريح في ٢٢ نوفمبر ١٩٤١م وافقت عليه الحكومتين[٤].

١- لوكاز هيرزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص ص٢٦٣، ٢٦٦.

٢- على محافظة: موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ص٣٨٧.

٣- D.D.I. Nona Serie Volume VII, IL Ministro Degli Esteri, Ciano, ALL' Ambassiatore A Berlino, Al-fieri, Roma, 15 Novembre, 1941, N. 755.

٤- D.D.I. Nona Serie Volume VII, L A Masciatore A Berlino, Al Ministro Degli Esteri, Ciano, Berlino, 20 Novembre 1941, N: 768.

إلا أن هتلر قرر إيقاف التصريح لعدة دوافع يتلخص أهمها: خشية ألمانيا من التأثير السلبي للتصريح على كل من حكومتي تركيا و فيشي، ومحاولة لتجنب قيام تسابق بين دول المحور وبريطانيا لكسب ود العرب مما يُخلق متاعب جديدة للألمان والإيطاليين، بالإضافة إلى فشل الألمان في حملتهم ضد السوفيت وتقهقر قواتهم في الصحراء الغربية أمام القوات البريطانية(١).

سعى الكيلاني لدى دولتي المحور لأخذ اعترافاً به رئيساً لوزراء العراق في المنفي، وإلى إبرام اتفاقية اقتصادية وثقافية معهما، إلا أن الحكومة الألمانية اعترضت لأنها بذلك تنتهج ما قامت به بريطانيا في الاعتراف بحكومات المنفي*(٢). وقد تم الاعتراف سراً بالكيلاني رئيساً لوزراء العراق في رسالة رسمية سرية سلمت له من الحكومة الألمانية في٢٢ ديسمبر ١٩٤١م/١٣٦٠هـ(٣).

كان الكيلاني قد حصل في تركيا على تفويض موثق من أعضاء حكومته السابقة والموالين لهم بحق التفاوض باسمهم مع حكومة ألمانيا للحصول على اعتراف رسمي بكونه رئيس وزراء العراق، والحصول على تصريح رسمي من الحكومتين الإيطالية والألمانية بتأييد استقلال ووحدة البلاد العربية الواقعة تحت النفوذ الأجنبي واستقلال فلسطين، بعد انتهاء الحرب(٤).

وفي مطلع عام ١٩٤٢م أبدى الألمان اهتماماً جديداً بالقضية العربية بسبب الانتصارات التي حققها اليابانيون في جنوب شرق أسيا واقترابهم من حدود الهند وبالتالي إلى البلاد العربية، فساند اليابانيون الإيطاليين في إعطاء تصريح مشترك للعرب(٥).

ووضعت اللجنة التي شكلتها وزارة الخارجية الألمانية برئاسة الوزير المفوض غروبا، ترتيبات سياسية للزحف الألماني المقبل في المنطقة العربية، وتعليماتها للسياسية التي ستتبع بعد احتلال الأقطار العربية، واقترحت تشكيل حكومة عراقية برئاسة الكيلاني وحكومة سورية

١- D.D.I. Nona Serie Volume VII, L' A masciatore A Berlino, Alfeiri, Al Ministro Degli Esteri, Ciano, Berlino, I Dicembre 1941, N: 799.

* كانت ألمانيا تسخر من اعتراف بريطانيا بحكومات في المنفي للبلدان الخاضعة للاحتلال الألماني (لبولندا وهولندا ويوغوسلافيا).

٢- لوكاز هيزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص٢٩١.

٣- صفحات من حياة د. محمد حسن سلمان: (بيروت: الدار العربية لموسوعات، ١٩٨٥ م)، ص١٣٨.

٤- إسماعيل ياغي: حركة رشيد عالي الكيلاني، ص٢٩٩.

٥- لوكاز هيزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص٢٩٤.

برئاسة المفتي* وتنظيم جيش عربي تحت إمرة الجنرال فيلمي، روعي فيها إعطاء إيطاليا الأولوية السياسية في البلاد العربية، بينما تعطي ألمانيا الأولوية العسكرية ومشاركة اليابان في المسالة العربية [١].

وأمام العقبات الألمانية والإيطالية سافر المفتي والكيلاني إلى روما في منتصف فبراير ١٩٤٢م لعرض مطالبهما، وإصدار تصريح من المحور حول المستقبل السياسي للبلاد العربية وإبرام معاهدة تعاون بين العراق ودولتي المحور[٢]. وقابلا موسوليني وملك إيطاليا فيكتور عمانويل Victor Emmanual، إلا أن هذه الجهود فشلت في إقناع موسوليني وتشانو بمطالبهما. بسبب اعتقادهما بأن ذلك يجب ألا يتم إلا عندما تقترب قوات المحور من العراق[٣]. وبذلك تتفق الحكومتان الألمانية والإيطالية على ألا يصدر أي وعد رسمي إلا بعد تحقيق النصر وتتضح مصالحها الاستعمارية في العالم العربي بعد نهاية الحرب.

استمرت المحادثات بين الكيلاني و تشانو حول مشروع اتفاق، فتم الاتفاق في نهاية مارس على أن يكون ذلك على شكل خطابات يتقدم بها الكيلاني إلى الحكومتين الإيطالية والألمانية، وتقوم الحكومتان بالرد رسمياً على خطابه، وقد وافقت الحكومة الألمانية على الانضمام لتبادل هذه الرسائل بشكل سري[٤]. وتولى الوزير فتيتي التنسيق بين وزارة الخارجية الإيطالي والكيلاني، بينما تولى بسمارك التنسيق بينه وبين وزارة الخارجية الألمانية [٥]، لوضع مسودة للرسائل[٦].

وقد تعهد الكيلاني في ٣١ مارس ١٩٤١م في رسالة سرية للحكومتين باسم الحكومة العراقية على مشاركة الشعب العراقي بكل إمكانياته العسكرية والمعنوية في الحرب ضد

---

* ضمت البلاد العربية العراق والسعودية واليمن ومصر دول مستقلة، وتكون دولة سورية الكبرى من سورية لبنان وفلسطين وشرق الأردن، وقيام اتحاد فدرالي بين العراق وسورية، وقيام رابطة بين جميع الدول العربية.

١- علي محافظة: موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ص٣٩٣.

٢- A.S.M.E. Roma, Affair Politici, Italia. Busta, N: 81, Fasc 2, Progetto Di Petto Con I Paesi Arabi, 10 Febbraio, 1942.
(مشروع معاهدة و برتوكول بين العراق و دولتي المحور.)

٣- إسماعيل ياغي: حركة رشيد الكيلاني، ص٣٠٥.

٤- D.D.I. Nona Serie Volume VIII, IL Capo Dell' Ufficio III Della Direzione Generale Degli Affari D' Europa E Del Mediterraneo, Guarnaschelli, Al Ministro Degli Esteri, Ciano, Roma, 21 Marzo, 1942, N: 385.

٥- A.S.M.E. Roma, Affari Politic, Italia, Busta, N:81, Fasc 2, 24 Febbraio 1942.
الرسائل المتبادلة بين تشانو و الكيلاني، و التي قدمها الكيلاني إلى الوزير فتيتي و الأمير بسمارك بتاريخ ٢٤-٣-١٩٤٢م باللغات الثلاث الإيطالية و الألمانية و العربية.

٦- D.D.I. Nona Serie, Volume VIII, IL Capo Dell' Ufficio III Della Direzione Generale Degli Affairi D' Europa E Del Mediterraneo, Guarnaschelli, Al Ministro Degli Esteri, Ciano, Roma, 25 Marzo, 1942, N: 397.

بريطانيا حتى يتحقق النصر، وتعهد بإلغاء كل المعاهدات والمزايا والتنازلات التي كانت تربط العراق ببريطانيا وحلفائها، على أن تعترف دول المحور مقابل ذلك بالاستقلال الكامل والسيادة التامة للعراق، وأن تتعاون دول المحور معه ومع الشعب العراقي لتحرير العراق من السيادة البريطانية، وأن تمد الحكومتان العراق بالمساعدة الحربية [١].

وقد أدى اختلاف اتصالات الحكومتين الألمانية والإيطالية بالكيلاني والمحور إلى ظهور خلاف وتنافس بين المفتي والكيلاني في برلين وروما. وقد اختلف الكثيرون حول أسباب الخلاف من شخصية وسياسة بسبب قوة زعامتهما وطموحهما نحو السلطة، وطبيعة علاقتهما بهتلر وموسوليني، حيث اجتمع كلاهما للتحدث بالمطالب العربية من استقلال ووحدة مع حكومتي المحور، وتميز الكيلاني في مطالبه بشأن العراق والبلاد العربية بأنه رئيس حكومة في المنفي[٢].

أذكى الخلاف طبيعة علاقتهما بالمحور والدور الذي قام به خصومهما في إذكاء الخلاف، فانقسم اللاجئون السياسيون من العرب في دولتي المحور وتركيا إلى فريقين يؤيد كل منهما المفتي والآخر الكيلاني، مما انعكس على عدم توحيد قيادة الجهود العربية تجاه رأي ومطالب عربية موحدة في مفاوضاتها مع حكومتي المحور[٣].

استغلتها كل من الحكومتين الألمانية والإيطالية لتبرير مطامعهما وتنافسهما في عدم إعطاء تصريح رسمي للعرب واستغلال الزعيمين العربيين ومن ورائهما غالبية الشعب العربي في تحقيق أغراضهما الدعائية والسياسية والحربية فيما تبقى من سنوات الحرب دون التزام رسمي نحوهما.

وقد تابعت المفوضيات الرسولية للفاتيكان في برلين، المفاوضات بين المفتي وحكومتي المحور لضمان وحدة الأماكن المقدسة وحمايتها، وأكد الفاتيكان على ثقته بأن دولتي

١- A.S.M.A.E. Roma, Affari Politic, Italia, Busta, N: 81.

الرسائل المتبادلة بين تشانو و الكيلاني .&

D.D.I. Nona Serie, Volume VIII, Scambio Di lettere Tra Il Conte Ciano E Rashid Ali El Gailani, Roma, 31 Marzo 1942, N: 414.

٢- ناجي شوكت: سيره وذكريات، جـ ٢، ص٥٠٢.

٣- صفحات من حياة د. محمد سلمان: ص ١٣٤، الأسيرة رقم ٩٣، مذكرات مديحة السلمان زوجة الشهيد محمود سلمان، إعداد و صياغة: شاكر علي التكريتي، (بغداد: دار واسط للنشر، ١٩٩٠م)، ص٢٢١.

المحور ستضمنان عبر المفاوضات وحدة الأماكن المقدسة في فلسطين[١]. مما أكد حرص الفاتيكان على حماية الأماكن المقدسة المسيحية، واتخذت من ذلك وسيلة يدل على حقها لتدخل في المفاوضات.

ولتحافظ دول المحور على علاقتها الجيدة مع الكيلاني والمفتي ولمثابرة كلاهما تجاه تحقيق مطالبه تم الاتفاق على أن يقدم كل منهما رسالتين سريتين متشابهتين إلى وزيري الخارجية روبنتروب و تشانو على أن يتلقى كلاً منهما إجابتين منفصلتين، وقد توجت هذه الجهود بتقديم حكومتا المحور تصريحها لهما بصيغته النهائية على شكل رسالتين موجهتين من روبنتروب و تشانو في ٢٨ أبريل ١٩٤٢، جاء في رسالة تشانو: "أن الحكومة الإيطالية تقدر كل التقدير ثقة الشعب العربي بدول المحور وأهدافها واستعدادها للمشاركة في الكفاح ضد العدو المشترك حتى يتم النصر النهائي، وأنها تدرك تماماً ما أوضحتموه من الأهداف القومية للأقطار العربية في الشرق الأدنى التي تقاسي الآلام تحت نير الاضطهاد البريطاني في الوقت الحاضر، ولذا فإنني أتشرف بأن أؤكد لكم، باتفاق مع الحكومة الألمانية، إن استقلال وحرية البلاد العربية المضطهدة الآن تحت الحكم البريطاني، هما أيضاً هدف من أهداف الحكومة الألمانية: وبناء على ذلك فإن ألمانيا مستعدة لتقديم كل ما تستطيعه من مساعدات للأقطار العربية في الشرق الأدنى الرازحة الآن تحت نير الاضطهاد البريطاني وإن تعترف بسيادتها واستقلالها، وتوافق على وحدتها إذا كان مرغوباً فيها لمن يعنيهم الأمر، وعلى القضاء على الوطن القومي اليهودي في فلسطين.". وتم الاتفاق في نفس الخطاب على أن يبقى ذلك سراً مكتوماً إلى أن ينص قرار مشترك أخر[٢]. مما أفقده قيمته الإعلامية على الصعيد العربي، حيث كان غالبية الشعب العربي في انتظار تصريح يساند حقهم في الحرية والاستقلال، ويلاحظ بأن دول المحور لم تعلق

١- A.S.M.A.E. Roma, Affari politici, Italia, Busta, N: 84, Fasc 4, N: 487, IL Capo Del Servizio Politico, Al Ministero Degli Affari Esteri, Rom, 16 Novembre1941, XX.

٢- A.S.M.A.E. Roma, Affari Politic, Italia, Busta, N: 81, Fasc 2.

نص الرسائل والتصريح الإيطالي في ٢٨ -٤- ١٩٤٢م. &

D.D.I. Nona Serie, Volume VIII, Scambio Di lettere Tra Il Conte Ciano, IL Gran Mufti D1 Palestina E Radhis Ali El-Gailani, Roma, 28 Aprile 1942, N: 488.

أهمية كبيرة لهذا التصريح فأشار إليه تشانو "بمسألة البلاد العربية والهند الحـــرة" [١]. ممـــا يؤكد بأن هذا التصريح صدر لتهدئة الكيلاني والمفتي ومساعديهم إلى أن تتضـــح نتيجـــة الحرب التي بلغت مرحلتها الحاسمة في مصر والمتوسط وبالتالي يتضح أطماعهما في الـــبلاد العربية بعد انتصار المحور.

وقد سعى موسوليني إلى إقناع هتلر بإصدار تصريح عن دولـــتي المحـــور يؤكـــد المستقبل الإيطالي في البلاد العربية بعد النصر النهائي، في سالزبورغ Salzburg بألمانيـــا في أواخر أبريل وأوائل مايو ١٩٤٢م/١٣٦١هـــ[٢].

وقد ألح اليابانيون في مطالبة ألمانيا باتخاذ قرار بشـــأن إعـــلان تصـــريح مشـــترك للمحور، حيث كانت اليابان تود أن يكون لها رأي فيما يتعلق بالقرارات الـــتي تتخـــذ بصدد الشؤون العربية في مقابل موافقتها على اشتراك الشـــريكين المحـــورين الآخـــرين — ألمانيا وإيطاليا — في القرارات المتعلقة بالهند[٣]. وكانت قد أبلغت عن الرسائل السرية بين المفتي و الكيلاني وألمانيا وإيطاليا[٤]. وسعى موسوليني لمساندة اليابان رغبة منـــه في تحقيق توازن بين قوة إيطاليا وألمانيا[٥].

خاصة مع عدم تحقيق القوات الإيطالية كسباً في الحرب مما أدى إلى تولي الألمـــان القيادة والإمدادات بشكل كبير في العمليات العسكرية في المتوسط، فأصـــبحت إيطاليـــا الشريك الضعيف في الحرب، إلا أن هتلر عارض هذه الفكرة[٦]. وما لبثت العمليـــات العسكرية في الشرق الأقصى أن تبدلت نتائجها إلى صالح الحلفاء.

١- Galaezzo Ciano Diario, P. 616.

٢- D.D.I. Nona Serie. Volume VIII. Colloquio Del Capo Del Governo, Mussolini, Con IL Cancelliere Del Reich, Hitler, Berchtesgaden, 30 Aprile, 1942 N: 495.

٣- لوكاز هيزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص٢٩٤. &

* D.D.I. Nona Serie, Volume VIII, L' Ambasciatore A Tokio, Indelli Al Ministro Degli Esteri, Ciano, Tokio, 7 Maggio 1942, N: 520.

٤- D.D.I.Nona Series Volume VIII, IL Ministro Degli Esteri, Ciano, All' Ambasciatore A Tokio, Indelli, Roma, 4 Maggio, 1942, N: 509.

٥- لوكاز هيزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص ٢٩٤.

٦-على محافظة: موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ص٤٦٤.

وقد بلغ الخلاف بين المفتي و الكيلاني أشده منذ يونيو ١٩٤٢م مما أثر على علاقتهما بالمحور[١]. فحاولت الحكومتين الألمانية والإيطالية المصالحة وإبعاد الخلاف بعيداً عن الأضرار بمصالحهما فأبعدت غروباً الذي حُمل نشاطه السلبي مع علاقات ألمانيا وإيطاليا بالمفتي عن الشؤون العربية[٢].

وسعت الحكومتان الألمانية والإيطالية إلى استغلال وفاء الكيلاني والمفتي للقضايا العربية ومطالبهما في الاستقلال والوحدة إلى استخدامهما للدعاية ضد بريطانيا مع دخول العمليات العسكرية في مصر مرحلة حاسمة، لرغبتهما في احتلال مصر بعد أن فشلت ألمانيا في تحقيق أي انتصار على المحور السوفيتي، وأصبحت منطقة المتوسط هي الفيصل في تحقيق النصر في الحرب. ومع تصاعد التنافس بين الكيلاني والمفتي لتحقيق مكاسب سياسية من دولتي المحور، لم يكتف الألمان والطليان بما يمكن أن يقدموه على صعيد الدعاية في شمال أفريقيا فقط وإنما على الصعيد الحربي فقد سعت دولتا المحور بحذر إلى إنشاء فرقة عربية مدربة للقتال مع جيوش المحور منذ يونيو ١٩٤١م/١٣٦٠هـ واختلفت الحكومتان الألمانية والإيطالية حول عدد هذه الفرقة وقيادتها وشعاراتها ومسماها والمكان الذي يمكن أن تشارك فيه في أثناء الحرب[٣].

وعبثاً حاول الكيلاني والمفتي تحويل هذه الفرقة إلى جيش عربي مقاتل دون جدوى في أثناء مفاوضتهم مع الحكومتين الألمانية والإيطالية[٤]. وذلك لخشية ألمانيا وإيطاليا من النتائج السياسية والعسكرية السلبية التي يمكن أن تترتب على ذلك. فظهر التنافس الألماني والإيطالي جلياً فيمن يتولى هذا الجيش، وبقت كافة المطالب المتعلقة به حبراً على ورق. إلى جانب أن معظم المتطوعين العرب كانوا يعارضون الأطماع الاستعمارية الإيطالية في البلاد العربية[٥]. رغم أنه جرت محاولات لمشاركة هذه المفرزة في

١- D.D.I. Nona Serie, Volume IX, IL Capo Di Gabinetto, Lanza D' Ajeta, All Ambasciatore A Berlino, Alfieri Roma, 25 Agosto, 1942, N: 70.

٢- D.D.I. Nona Series Volume IX, IL Ministro Degli Esteri, Ciano, All' Ambasciatore A Berlino, Alfieri, Roma, 5 Gennaio 1943, N: 463.

٣- صفات من حياة د. محمد حسن سلمان، ص ص١٦٠، ١٧٣، ١٧٥.

٤- D.D.I. Nona Serie, Volume VII, IL Ministro Degli Esteri, Ciano, All'Ambasciatore A Berlino, Alfieri, Roma, 18 Maggio, 1942, N: 549.

٥- علي محافظة: موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ص٤٠٤.

العمليات الحربية في تونس أواخر عام ١٩٤٢م وبداية ١٩٤٣م/١٣٦١-١٣٦٢هـ[١].

وفي ٢٤ فبراير ١٩٤٣م أذاعت الحكومة العراقية بيانين دعت فيهما العراقيين الموجودين في بلاد المحور أن يعودوا إلى بلادهم خلال شهرين من تاريخ البيان، والامتناع عن التعامل مع دول المحور الثلاث: ألمانيا وإيطاليا واليابان، إلا أن هذين البيانين لم يجدا صدًى لدى اللاجئين العراقيين في دول المحور[٢].

وبعد تراجع قوات المحور خلال عام ١٩٤٣م لم تعد القضية العربية لها الأولوية عند الحكومتين الألمانية الإيطالية*، ومع اقتراب نهاية الحرب العالمية الثانية، واستسلام ألمانيا. غادرها الكيلاني والمفتي إلى سويسرا، فدخلها المفتي وحاول الإقامة في برن إلا أن السلطات رفضت فحاول العبور إلى الحدود الفرنسية، وألقى القبض عليه، إلا أنه هرب في مايو ١٩٤٦م/١٣٦٦هـ عند احتمال محاكمته كمجرم حرب إلى القاهرة في ضيافة الملك فاروق[٣]. أما الكيلاني فقد رفضت السلطات السويدية دخوله إلى أراضيها فذهب إلى بلجيكا ففرنسا في يوليو ١٩٤٥م/١٣٦٥هـ وهرب من مرسيليا إلى بيروت، ومنها إلى دمشق[٤]. فالرياض** سراً حيث منحه الملك عبد العزيز آل سعود حق اللجوء السياسي[٥]. وباستسلام إيطاليا وألمانيا انتهت الحرب العالمية الثانية بانتصار الحلفاء، ففقد أنصار المحور المساندة التي ترجوها ضد الاستعمار البريطاني في البلاد العربية. ومهد ذلك لتغييرات سياسية كبرى في السياسة العالمية والعربية.

وعلى الرغم من خسارة الكيلاني ومؤيديه الحرب مع بريطانيا في مايو ١٩٤١م/١٣٦٠هـ، واستمرار نضاله مع المفتي مع الحكومتين الألمانية والإيطالية إلى

١- D.D.I. Nona Serie. Volume IX. IL Console Generale A Tunisi. Silimbani. Al Ministro Degli Esteri. Ciano. Tunisi. 9 Decembre 1942. N: 389.

٢- السيد عبد الرزاق الحسني: تأريخ الوزارات العراقية، جـ٦، ص ١١٨.

* استسلمت إيطاليا للحلفاء دون قيد ولا شرط في ٨ أكتوبر ١٩٤٣م.

٣- مذكرات الحاج محمد أمين الحسيني، ص ص٢٤٢، ٢٤٣، ٢٦٠.

٤- فاضل حسين، وأخرون: تاريخ العراق المعاصر، ص١٤٤.

** بقي فيها إلى ١٩٥٤م حيث غادرها إلى مصر، وعند قيام ثورة يولية ١٩٥٨م في العراق غادر الكيلاني إلى بغداد، إلا أنه سجن ٣ سنوات بتهمة القيام بانقلاب ضد عبد الكريم قاسم، أفرج عنه في يوليه ١٩٦١ م، فغادرها إلى بيروت ثم القاهرة ثم عاد إلى العراق، وأخيراً بيروت حتى توفي في ٢٨ أغسطس ١٩٦٥م ودفن في بغداد.

٥- السيد عبد الرزاق الحسني: تأريخ الوزارات العراقية، جـ٦، ص ٢٥٨.

خسارتهما في الحرب، إلا أن حركة مايو ١٩٤١م عبرت عن درجة كراهية الشعب والجيش العراقي للبريطانيين وعملائهم في العراق، واعتبرها كثيرون رمزاً للتحدي العراقي لبريطانيا حيث وقف الشعب العراقي خلف حكومة الكيلاني. وقد وصف كورنوا ليس حركة مايو في خطابه إلى أيدن عشية رحيله من بغداد بتاريخ ٣٠ مارس١٩٤٥ م بعد انتهاء أربع سنوات قضاها في العراق بقوله: "أن الشعب والجيش العراقي كان يكرههم ويكره وجودهم وسياساتهم ليس في العراق فحسب بل في فلسطين والأقطار العربية الأخرى."[١].

وقامت وزارة الخارجية العراقية بإصدار "كتاب أبيض" عن التطورات التي أدت إلى الاعتداء البريطاني على العراق في الحركة التحررية التي قامت في مارس ١٩٤١م كُلف به الدكتور مجيد خدوري ووضح كل من العقيدين صلاح الدين الصباغ ومحمد فهمي سعيد ووزير الاقتصاد محمد يونس السبعاوي، ومفتي فلسطين الحاج محمد أمين الحسيني بعض الملاحظات حول الكتاب، وتضمن: التزامات العراق وبريطانيا، والأسباب المباشرة للاعتداء البريطاني، ونصوص لما جاء في المخابرات الرسمية بين وزارة الخارجية العراقية والسفارات البريطانية حول تطور الأحداث وقيام القوات البريطانية بشن حرب على العراق، وأخيراً نتائج تدخل الإنجليز في شؤون العراق الداخلية، وخلص الكتاب إلى توضيح موقف العراق من البريطانيين وعلاقتهم بالألمان والإيطاليين، وبأن البريطانيين هم البادئون بالاعتداء[٢].

وقد أغرق بعض الكتاب والمؤرخين الغربيين في محاولات الدس والتشويه، فوصفوا المعارضة العسكرية والحركة الكيلانية بأنها كانت مؤامرة دبرها النازيون الألمان والفاشيون الإيطاليون ضد الديمقراطية، وأطلق على هذه الحركة مسمى الثورة وانقلاب وانتفاضة.

إلا أنها كانت نتيجة طبيعية للسياسة الاستعمارية التي انتهجتها بريطانيا مع العراق، فقامت هذه الحركة لتحرر العراق من السيطرة الاستعمارية وتحقيق الاستقلال. وتمازجت

١- Foreign Office Annual Reports from Arabia, Volume 3,{E-2431/195/93}Sir k Cornwallis to Mr. Eden No.134, Bagdad 30th March, 1945.

٢-السيد عبد الرزاق الحسني: تأريخ الوزارات العراقية، جـ٦، ص ص٣١٩، ٣٥٠.

هذه المطالب مع المطالب العربية لاستقلال ووحدة البلاد العربية سواء في بغداد أو في برلين أو روما. ولم يكن تعاونهم مع المحور إلا لتحقيق هذه الأهداف، ويقول الدكتور أنيس الصائغ في هذا الصدد: "من الخطأ ومن الظلم: أن نرمي بالخيانة كل من تعاون مع الإنجليز والألمان أو مع غيرهم، من رجالات الحركة الوطنية في الخمسين سنة الأولى من هذا القرن. فإن بعضهم قد اعتقدوا، ولعله كان مخلصاً في اعتقاده، بأن لا أمل أن ينالوا حقوقهم إلا في التعاون مع دولة من دول أوربا الكبرى."[١]. فكانت الحركة رغم أخطائها نضالاً ضد الاستعمار امتد أثرها إلى مرحلة لاحقة من تاريخ العراق الحديث.

بلاد الشام:

سورية ولبنان:-

أوقفت فرنسا قبل الحرب العالمية الثانية الدستور وحلت البرلمان في سورية ولبنان، وباشرت فيها الأحكام العرفية[٢]. وفي يونيو ١٩٤٠م/١٣٥٩هـ استسلمت فرنسا للقوات الألمانية، وهاجمت إيطاليا التي أعلنت الحرب الحدود الفرنسية المتاخمة لأراضيها، وكان ذلك إيذاناً بتهديد المستعمرات الفرنسية. ولم تشمل معاهدة الهدنة بين حكومة إيطاليا وحكومة "فيشي" الفرنسية الموالية للألمان عقب سقوط فرنسا منطقة سورية ولبنان*، وإنما بقت سيطرتها في يد حكومة فيشي[٣]. وأعلنت القوات الفرنسية في سورية ولبنان ولاءها لحكومة المارشال بيتان Petain في فيشي Vichy [٤].

وقد واصل شارل ديغول Chales de Gaulle نضاله بعد سقوط فرنسا ضد النازية والفاشية على رأس حكومة في المنفي وهي "حكومة فرنسا الحرة" وقرر النضال ضد حكومة فيشي وانتقل إلى لندن ووجه نداء إلى الفرنسيين في ١٨ يونيو ١٩٤٠م، داعياً الفرنسيين إلى نبذ الهدنة واستمرار القتال بجانب بريطانيا[٥]. وسعى إلى المحافظة

١-فاضل حسين: دور الجيش العراقي في حكومة الدفاع الوطني والحرب مع بريطانيا عام ١٩٤١م، ص ص٢٧٨، ٢٨١.

٢-فيليب خوري: سورية والانتداب الفرنسي، ص٦٤٧.

* انظر ص ٢٠٨.

٣- جرانت و تمبرلي: أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين، جـ٢، ص٤٦٠.

٤-علي محافظة: موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ص١٦.

٥-الجنرال ديغول: مذكرات الحرب، النفير، جـ١، ص ص٨١، ١١٣، ٤٠٩.

على ما سماها إمبراطورية فرنسا، فسعى حسب ظروف الحرب إلى المحافظة على المحميات والمستعمرات الفرنسية[١].

وكان لسوريا ولبنان أهمية كبرى من الوجهة الحربية الاستراتيجية لبريطانيا. إذ كانت دولتا المحور تهددان مصر من جهة حدودها الغربية وكانت بريطانيا تستمد البترول عبر الأنابيب من آبار الموصل وكركوك في العراق إلى ميناء طرابلس بلبنان وحيفا بفلسطين، فأعلنت في يوليو ١٩٤٠م بأنها "لن تسمح بأن يستخدم أعداؤها (الألمان والإيطاليون) المشرق وسيلة للهجوم على قواعدها الاستراتيجية في قناة السويس وخليج فارس"[٢]. وأعلنت أنها "ستتخذ الإجراءات العسكرية إذا ما هددت مصالحها في المنطقة التي تعتبر نفسها مسؤولة عن الدفاع عنها". وقامت بفرض حصار بحري على ساحل بلاد المشرق على البحر المتوسط. وأقفلت الحدود بين سوريا ولبنان من جهة والأقطار العربية المحيطة بها الخاضعة للنفوذ البريطاني (العراق – فلسطين – الأردن)[٣]. فيما كانت جيوش الإيطاليين ثم الألمان تواصل زحفها في البلقان واليونان ثم كريت، في الوقت الذي اتصلت فيه بحكومة فيشي في سورية ولبنان ليسروا لها استخدام طرق مواصلاتها وقواعدها الجوية لبسط سيطرتها على الشرق الأوسط[٤].

وقد أثر الحصار البحري البريطاني على ساحل البحر المتوسط الشرقي على الحالة الاقتصادية في سورية ولبنان، وبدأت الحكومة البريطانية تفكر في غزو سورية لوقف نمو نفوذ المحور في بلاد الشام والعراق بمساعدة حكومة فرنسا الحرة، واستبعدت الاستعانة بتركيا حتى لا تثير شكوك ومخاوف العرب[٥]. وأخذت تنتظر الظروف المناسبة لانشغالها بالحرب في مصر وأوروبا.

١-بول بالطا – كلودين ريللو: سياسة فرنسا في البلاد العربية، ترجمة: كامل فاعور، نخلة فريفر، (بيروت: دار القدس، (د. ت))، ص٢٧.

٢- Playfair. The Mediterranean and Middle East. Vol II. P. 199.

٣-صلاح العقاد: العرب والحرب العالمية الثانية، ص٩٥.

٤-محمد رفعت: التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة، ص ١٦٨.

٥- F.O. 406/78. [E 2200/2170/89] No. 312 Viscount Halifax to Sir Knatchdull - Hugession (Angora), Forgien Office. June. 29. 1940.

ومما زاد الأوضاع توتراً مجيء لجان الهدنة التابعة للمحور إلى سورية في سبتمبر ١٩٤٠م، وكان هدفها هو التحقق من الإفراج عن رعايا الألمان و الطليان الذين اعتقلوا عند قيام الحرب، وكذلك رفع إجراءات الحراسة التي اتخذت ضدهم، وكان على تلك اللجان أن تتحقق من أن حكومة فيشي لا تتخذ من المستعمرات قاعدة لزيادة قواتهما العسكرية فوق ما تسمح به الهدنة. فوصلت سورية بعثة عسكرية إيطالية ومفتش ألماني، نظرت إليها بريطانيا كأعداء لها في المنقطة. هدفهم تحريض الأهالي ضدها ليس في سورية ولبنان فقط بل في فلسطين والعراق أيضاً(١).

وشكك المفوض البريطاني في فلسطين في الدور الذي يمكن أن يحققه الإيطاليون عبر لجنة الهدنة في سوريه، وحذر من الدور الذي يمكن أن تتبناه إيطاليا في سوريه في الوقت الحاضر(٢).

وبينما كانت ألمانيا الطرف الرئيسي في لجنة الهدنة في فرنسا، تركت برلين التمثيل في لجنة الهدنة في سورية ولبنان لإيطاليا تأكيداً أن لا مصالح لها في الأقطار العربية، واكتفت بالإشراف على اللجنة(٣).

وقد وصلت لجنة إيطالية إلى بيروت في نهاية أغسطس ١٩٤٠م واتخذتها مقراً للإشراف على تنفيذ اتفاقية الهدنة ولمراقبة حياد جيش الشرق الفرنسي، وعملت هذه اللجنة بالاتصال بالسوريين اللبنانيين على أمل أن تحل مستقبلاً محل الفرنسيين(٤). إلا أنها لم تحقق نجاحاً كبيراً بسبب كره السوريين واللبنانيين لسياستها الاستعمارية في ليبيا، مما حدا بألمانيا إلى إرسال مندوبين للإشراف على عمل اللجنة، وحققوا نجاحاً في اتصالاتهم بالقوى الوطنية لعدم إعلانهم عن مطامعهم في البلاد العربية. مما أثار السيد غاردنر Mr.Gardener القنصل العام البريطاني في دمشق والسيد هافارد Mr.Havard

---

١-صلاح العقاد: العرب والحرب العالمية الثانية، ص٩٦.

٢- F.O. 371/24563, E. 2719, from Mr. Downie, Colonail Office, to Mr. Crosthwaite, 2nd October, 1940.

٣- علي عبد المنعم شعيب: الصراع الإيطالي — الفرنسي على بلاد الشام ١٨٦٠_١٩٤١م، ص١٤٠.

٤-زهير الشلق: من أوراق الانتداب، جـ١، ص٢١٦.

القنصل العام البريطاني في بيروت اللذين كانا يراقبان تحركات الإيطاليين والألمان بقلق شديد[١].

وقد سعت الكتلة الوطنية السورية واللبنانية إلى الحصول على الاستقلال من حكومة جنرال دنتي G. Dentz الذي عينته حكومة فيشي بعد سقوط فرنسا مفوضاً سامياً وقائداً عاماً في نوفمبر ١٩٤٠م[٢]. وبرز شكري القوتلي آنذاك لقيادة حركة الاستقلال الوطني في سورية[٣]. ورياض الصلح في بيروت ووحدا جهودهما ضد الاستعمار الفرنسي، كما عمل جميل مردم بك ولطفي الحفار وسعد الله الجابري* في العراق لمساندة الحركة الوطنية السورية واللبنانية ، حيث شاركوا العراقيين والفلسطينيين الاتصال بالمحور لتحقيق استقلال وتحرير البلاد العربية الخاضعة للنفوذ البريطاني والفرنسي[٤]. حيث كان استقلال سورية ولبنان على رأس المطالب العربية التي قدمها عثمان حداد في رحلته الأولى والثانية لبرلين وروما، ومطالب المفتي والكيلاني في مباحثاتهما مع حكومتي ألمانيا وإيطاليا** في بغداد وبرلين وروما.

وقد اتخذ الجنرال دنتز إجراءات إدارية في سورية، أدت إلى مجابهة القوى الوطنية في سورية ولبنان أوائل عام ١٩٤١م/١٣٦٠هـ، فقامت المظاهرات والإضرابات وعمت المدن السورية واللبنانية واستمر ذلك أواخر فبراير إلى أبريل مصحوباً بالعنف والقمع الفرنسي حتى وافق المندوب السامي الفرنسي القيام ببعض الإصلاحات السياسية والإدارية[٥].

وصرح الجنرال دنتز للسوريين: بأن "استقلال سورية يبقى الغاية التي يتطلع إليها السوريون وأن فرنسا ما تأخرت عن المضي في تحقيق هذه الغاية."[٦]. فعمل شكري

١- سلمي مردم بك: أوراق جميل مردم بك، ص١٢٢.

٢- فيليب خوري: سوريا والانتداب الفرنسي، ص ٦٣٥.

٣- زهير الشلق: من أوراق الانتداب، ص ٢١٩.

* ذهبوا إلى العراق بعد أن اتهموا من الفرنسيين بالتواطؤ في مقتل عبد الرحمن الشهبندر.

٤- سلمي مردم بك: أوراق جميل مردم بك، ص١٣١.

** انظر ص ص ٢٥٠، ٢٥٩، ٢٩٢.

٥- فيليب خوري: سوريا والانتداب الفرنسي، ص ص٦٥٣، ٦٥٤.

٦-سلمي مردم بك: أوراق جميل مردم بك، ص١٤٠.

القوتلي على إعادة الهدوء إلى المدن السورية، وتسلم خالد العظم السلطة في ١٥ أبريل ١٩٤١م[١].

وعندما انسحبت فرنسا من عصبة الأمم في شهر أبريل، مما ينال من شرعية الانتداب الفرنسي على سورية الذي أقرته العصبة، فقدم الوطنيون مذكرة في مايو طالبوا فيها بالعودة إلى الوضع الدستوري، وقدم القوتلي من سوريا وفارس الخوري من لبنان مذكرة للمفوض السامي تناولا فيها هذا الانسحاب وأن فرنسا بذلك قد حلت نفسها من جميع الالتزامات و لم يعد هناك أي مبرر لبقائها في سورية، و لم يعد لها أي شرعية تتيح لها الاستمرار في منع السوريين من ممارسة حقوقهم في السيادة[٢]. إلا أن حكومة فيشي اعتبرت أن هذا الانسحاب لا يُلزمها بمغادرة مستعمراتها.

أدى تغير الموقف السياسي في سوريا إلى صالح دول المحور منذ سقوط فرنسا، إلى ازدياد نشاط الألمان في سورية في إطار خطط ألمانيا السياسية إزاء البلدان العربية، وتهديدهم للنفوذ البريطاني في شرق البحر المتوسط، وكشفت المعلومات الأولية عن كره الشعوب العربية للإيطاليين وإلى تزايد نشاط البريطانيين والديجولين في سورية ولبنان، فأرسل فون ربنتروب أوتوفون هنتج Otto Von Henting وزيراً مفوضاً في دمشق لتحقيق عدة أهداف أهمها: تزويد الحكومة الألمانية بالمعلومات السياسية والعسكرية في سورية والبلاد المجاورة لها لتشكيل سياسة ألمانية إزاء البلاد العربية، وإحاطة حكومة ألمانيا بإمكانيات العلاقات الاقتصادية ووضع المؤسسات الثقافية الألمانية في سورية، وموقف البريطانيين السياسي والعسكري في المنطقة ومدى تهديدهم لسورية ولبنان والعراق، وإمكانيات سورية الدفاعية ضد أي غزو محتمل، وقد جاء تقرير هنتج مؤكداً على ما تشكله سورية ولبنان من أهمية للسياسة الألمانية ضد بريطانيا، وأكد على عجز اللجنة الإيطالية للإشراف على الهدنة في سورية ولبنان، ومدى أهمية إشراف الألمان على اللجنة الإيطالية لعدم ترحيب العرب بهم نتيجة لسياستهم الاستعمارية في ليبيا، وأن المنطقة تشجع للقيام

١-مذكرات خالد العظم: ط ٣، (بيروت: الدار المتحدة للنشر، ٢٠٠٣م) جـ١، ص٢١٠.

٢-سلمي مردم بك: أوراق جميل مردم بك، ص١٤٢.

بالدعاية للمحور منتهزة عدم رضا العرب في سورية ولبنان عن سياسة حكومة فيشي وفرنسا الحرة ورغبتهم في الاستقلال(١).

وقد عارضت السلطات الفرنسية في سورية وجود هنتج، لأن سياسة فيشي هي المحافظة على الإمبراطورية ضد الأطماع الألمانية والبريطانية معاً، لذلك طلبت إبعاد هنتج عن البلاد، فاستجابت ألمانيا لهذا الطلب بعد شهرين من تعيينه(٢). بعد أن تمكن من تحقيق معظم أهدافه.

وقد شهد أوائل ١٩٤١م/١٣٦٠هـ تزايد نشاط الألمان السياسي والدعائي في البلاد العربية، وتقرر توسيع نطاق الدعاية الألمانية فيها من خلال إذاعتي برلين وروما، والصحافة العربية في سورية، واشتركت مع الإيطاليين تحت ستار الإشراف على الهدنة في سورية ولبنان على التدخل في الشؤون الداخلية لسوريا مع حكومة فيشي واتصلت بالزعماء الوطنيين السوريين دون أن تثير تركيا التي كان لها مطامع في شمال الأراضي السورية والعراقية*(٣)، وذلك حتى تحافظ على حيادها في الحرب.

وقد أظهر السوريون تأييدهم لحكومة رشيد عالي الكيلاني في العراق، فتحدث الجنرال دنتز عنه في تقريره إلى حكومته في فيشي فقال: "إن أحداث العراق أثارت في سورية ولبنان هياجاً شديداً، وإن القضية العراقية تبدو وكأنها قضية كل العرب، وأن الكفاح الذي يقوم به العراق يعتبر تمهيداً لتحرر كل العرب"(٤).

ورأى الحلفاء بأن سورية شكلت منذ أواخر ١٩٤٠م /١٣٥٩هـ أهمية كبرى في خطط المحور تجاه البلقان – اليونان وكريت – والعراق، فإذا ما هوجمت تركيا أو دخلت الحرب بشكل ما، فستصبح سورية ذات أهمية حيوية كرابطة وصل بين الأتراك والبريطانيين في فلسطين ومصر وسيصبح من الضروري على الحلفاء السيطرة عليها(٥).

١- لوكاز هيرزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص ص١٥٥، ١٥٦.

٢- صلاح العقاد: العرب و الحرب العالمية الثانية، ص ٩٦.

* في منطقة حلب والجزيرة في سورية، ومنطقة الموصل في العراق.

٣- لو كاز هيرزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص ص ١٦٩، ١٧٦، ١٧٩.

٤- سلمي مردم بك: أوراق جميل مردم بك ص١٤٣.

٥- جفري ورنر: العراق وسورية، ص ١٤٩.

وكان لسورية دور كبير في مد العراق بالمساعدات العسكرية من دول المحور في حربهم ضد البريطانيين*، أثر محادثات بين ألمانيا وإيطاليا وحكومة فيشي والجنرال دانتـز، عرفـت ببروتوكولات باريس لوضع محاور التعاون الفرنسي- الألماني في أفريقيا وسورية ولبنـان، و لم ينفذ من هذه البروتوكولات سوى ما هو متصل بسورية ولبنان فقط(١).

فنقلت الأسلحة من سورية إلى العراق بالقطار عن طريـق دمشـق وحلـب إلى الموصل عبر الأراضي التركية واتخذ الألمان من حلب مقراً لهم في سورية، ووضعت قاعدة جوية خاصة في حلب تحت تصرف سلاح الجوي الألماني وُسمح لهم باسـتعمال المـواني والطرق والسكك الحديدية في سورية لعمليات النقل إلى العراق(٢).

ولمحاولة تخفيف ضغط مساعدة الطيران الألماني للقوات العراقية في أثناء الحـرب. قامت الطائرات البريطانية في ١٥ مايو ١٩٤١م بضرب القواعد الجوية السورية في حلب وتدمر والرياق، إلا أنها لم يكن لها تأثير مُرضٍ للبريطانيين لمحدودية الإمـدادات الألمانيـة للعراق(٣). وإن كانت هذه الغارات الجوية قد خلفت بعض الأضرار المادية والبشرية(٤).

وعند فشل حركة الكيلاني، انسحبت الطائرات الألمانية مع غروبا وأفـراد البعثـة العسكرية الألمانية إلى حلب، ثم إلى أثينا في ٢ يونيو ١٩٤١م، تحسباً لهجوم بريطاني على سورية ولبنان، وسعى المفوض الألماني رودلف ران لنقل جميع الرعايا الألمـان إلى حلـب تمهيداً لمغادرتهم الأراضي السورية في ٩ يونيو فيما غادر معظم الإيطاليين الذين شـاركوا في عمليات العراق مطار حلب في ١١ يونيو ١٩٤١م. وفي تلك الأثناء كانت الحشـود العسكرية البريطانية على الحدود السورية واللبنانية الجنوبية تستعد للهجوم(٥).

وفي إطار نشاط حكومة ديغول للحفاظ على المستعمرات في أفريقيـا وسـورية ولبنان واستعادتها من حكومة فيشي، عين الجنرال كاتر و G. Catroux مندوباً لفرنسـا الحرة في القاهرة، وسعوا إلى جانب البريطانيين للاستيلاء على سورية ولبنان منذ مـارس

* لمزيد من التفصيل أنظر ص ٢٨٠.

١- لوكاز هيرزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص ٢١٦.

٢- على محافظة: موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية. ص ص٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٨.

٣- جفري ورنر: العراق وسورية، ص٢٣٨، زهير الشلق، من أوراق الانتداب، ص ص٢٢٤، ٢٣٠.

٤- ميشيل كرستيان دافية: المسألة السورية المزدوجة، ص١٥٨.

٥- على محافظة: موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ص ص٣٨٣، ٤٦٢.

١٩٤١م، وكتب ديغول في مذكراته في أبريل ١٩٤١م "سنذهب إلى سورية عاجلاً أم أجلاً، طالما تتوفر لنا الفرصة ...، وتسمح لنا الأحداث بذلك."(١).

ووضعت خطة للحملة البريطانية- الفرنسية لتحقيق ذلك في ٢٥ أبريل، إلا أن كثرة أعباء القيادة البريطانية في الشرق الأوسط وتعدد جبهاتها جعلت الجنرال ويفل G. Wavell يرفض فتح جبهة أخرى للحرب في سورية ولبنان* إلا أن تشرشل لم يرحب بتحذيرات ويفل في موضوع سورية، التي جاءت مشابهة لتحذيراته السابقة حول العراق، ولذلك أعطى تشرشل أوامره لمنع الألمان من الحصول على موطئ قدم لهم في سورية، أو أن تستخدم نقطة انطلاق لهيمنة جوية في العراق وإيران(٢).

أيده في ذلك بعض إدارات الأركان العامة للإمبراطورية في لندن، حيث اعتقدوا أن موقف بريطانيا سيصبح حرجاً جداً لو تمكن المحور بموافقة فيشي أو بدونها، تثبيت أقدامه في سورية، عازلاً بذلك تركيا ومهدداً دفاعات قناة السويس من الخلف، بينما خشى ويفل وبعض ممثلي الحكومة البريطانية في البلاد العربية من نتائج أي هزة في سورية، واعتقدوا بأن غزو ألمانيا أو إيطاليا لسورية إنما هو اقل خطراً من تحرك السكان المحليين ضد الفرنسيين والبريطانيين وستؤدي إلى فوضى قد تعم الأقطار المجاورة(٣).

وتعمدت بعض الجهات في لندن وفي دوائر فرنسا الحرة المبالغة في أنباء التسلل الألماني في بلاد الشام والعراق، وفي المساعدات التي قدمتها حكومة فيشي لحركة الكيلاني حتى تقنع السلطات العسكرية البريطانية بالحملة، إلا أن تطور أحداث المنطقة أدى إلى تنسيق الجهود البريطانية والفرنسية المشتركة وإلى توجيه حملة في أوائل يونيو إلى سورية ولبنان**. وأصبحت سورية محاطة بالقوات البريطانية من الجنوب والشرق(٤). مما يرسخ الهيمنة البريطانية على المنطقة.

١-الجنرال ديغول: مذكرات الحرب، جـ١، ص ص١٨١، ٤٢٧.

* كانت القوات البريطانية تقاتل في شمال أفريقيا على الحدود بين مصر وليبيا ، وفي شرق أفريقيا وفي العراق، وفي اليونان.

٢-ونستون تشرشل: المذكرات، جـ١، ص ص٥١١، ٥١٣.

٣-ميشيل كرستيان دافيه: المسالة السورية المزدوجة، ص ٣٦.

** بسبب انسحاب القوات البريطانية من كريت، وتمكن القوات من إنهاء حركة الكيلاني.

٤-صلاح العقاد، العرب والحرب العالمية الثانية، ص١٠١.

وعلى الرغم من أن الفرنسيين لم يكونوا يحبذون إشراك البريطانيين في الاستيلاء على سورية ولبنان، إلا أنهم لم يملكوا إلا أن يقبلوا بهذه المشاركة في ظل عدم مقدرتهم الحربية لتنفيذ ذلك، وليضمنوا عدم نية بريطانيا إخراج فرنسا من المنطقة، فيما سعت بريطانيا إلى تبديد شكوك ديغول فيما يتعلق بالطموحات البريطانية في سورية ولبنان، وخوفاً من فشل الفرنسيين إذا ما قاموا بهذا الهجوم وحدهم[١]. في إطار سياستها لحماية نفوذها السياسي والعسكري من تهديد المحور.

وتقرر بدء الاجتياح الانجلو- فرنسي لغزو سورية ولبنان في ٨ يونيو ١٩٤١م، بعد أسبوع من القضاء على حركة الكيلاني، وسعت الحكومتان البريطانية والفرنسية قبيل ذلك بأسبوعين إلى كسب العرب في سورية ولبنان إلى جانبهما، فأصدر كاترو بياناً باسم فرنسا الحرة وزعيمها ديغول، وفيها وعد بإنهاء الانتداب وضمان الحرية والسيادة لأهالي سورية ولبنان، الذين يحق لهم إقامة دولة منفصلة أو دولة متحدة، وأشار إلى عقد معاهدة تكفل الاستقلال والسيادة وتوضح العلاقات المتبادلة بين حكومة فرنسا الحرة وسورية ولبنان [٢]. وأوضح أن هدف هذه القوات هو "مطاردة قوات هتلر في سورية ومنع المشرق من أن يصبح قاعدة لعمليات هجوم العدو ضد البريطانيين أو ضدنا"[٣].

وفوضت الحكومة البريطانية سيرمايلز لامبسون Sir. M.Lampson سفير بريطانيا في القاهرة، في اتخاذ القرار في الأمور السياسية المتصلة بسورية، فأعلن لامبسون ضمان الحكومة البريطانية للاستقلال الذي أصدره كاترو نيابة عن ديغول[٤].

وصرح وزير خارجية بريطانيا انتوني أيدن في ٢٩ مايو في خطابه بمقر عمدة لندن بدعمه لأمال السوريين بالاستقلال جاء فيه: "تأكيد على العطف الكبير الذي تكنه حكومته لتطلعات السوريين إلى الاستقلال." ووجه خطابه لكل العرب بوعد الحكومة البريطانية "بتقديم كافة المساعدات لتحقيق أماني العرب في تحقيق وحدتهم*."[٥]. هدفت هذه

١-سلمى مردم بك: أوراق جميل مردم بك، ص١٥٢.

٢- Kamal Salibi, The Modern History of Lebanon, P. 185.

٣-جفري ورنر: العراق وسورية، ص٢٤٨.

٤-مذكرات اللورد كيللرن: ص ص٢٠٧، ٢٠٨.

* اعتُبر خطاب إيدن أول بيان رسمي بريطاني تجاه الأماني العربي، عقبه تصريحه الثاني في ٢٤ فبراير ١٩٤٣م.

٥- Cab. 95. I, Mr. Eden Speech at The Mansion House on Thursday. May 29th, 1941.

التصريحات إلى تطمين أهل سورية ولبنان إلى نيات الحكومتين البريطانية وفرنسا الحرة تجاههم، حتى تضمن عدم وجود أي مقاومة داخلية للاحتلال المشترك وتبقى الحرب بينهم وبين قوات حكومة فيشي بقيادة الجنرال دنتز بعيداً عن تدخل المحور[١].

وفي مقابل ذلك طلب رادولف ران رئيس البعثة الألمانية في سورية من حكومته إصدار بيان مؤيد لاستقلال العرب وإلغاء الانتداب الفرنسي على سورية ولبنان، وبعد مشاورات بين وزراء الخارجية والألمانية وحكومة فيشي، رفضت حكومة فيشي ذلك، فتراجعت ألمانيا عن مطالبها[٢].

بدأ العمل منذ أواخر مايو للتحضيرات العسكرية لغزو سورية من الجانب البريطاني وحكومة فرنسا الحرة، حيث شهدت هذه الفترة سوء الموقف العسكري للحلفاء في جزيرة كريت التي اعتبرها البريطانيون والفرنسيون مفتاح الشرق الأوسط لتسقط بيد الألمان، واشتداد المواجهة العسكرية في شمال أفريقيا على الحدود المصرية – الليبية، فيما تقترب القوات البريطانية في إعادة سيطرتها على العراق[٣].

فيما خشي الأتراك التورط في حرب مع فرنسا وألمانيا بمشاركتهم البريطانيين احتلال سورية ولبنان وأعلنوا عدم رغبتهم في اجتياح سورية من جهة الشمال تجاه حلب – رغم أطماعها السياسية فيها – فيما أعدوا جيوشهم تحسباً على الحدود التركية السورية [٤].

وقد وضع ويفل خطة لغزو سورية وأعطاها الاسم الرمزي (اكسبورتر Exporter) لتكون تحت قيادة الجنرال ما يتلند ويلسن General Maitland Wilson القائد العام للقوات البريطانية في اليونان على أن تبدأ العمليات العسكرية خلال الأسبوع الأول من شهر يونيو ، وقد وافقت لجنة الدفاع عن الإمبراطورية البريطانية على مقترحات ويفل بعد دراستها في ٢٧ مايو ١٩٤١م/١٣٦٠هـ [٥].

ترتكز الخطة على محورين للقوات العسكرية المشتركة لغزو سورية،المحور الأول: لقوات فرنسا الحرة (قوات فرنسية وجنود سنغاليين ومن المستعمرات الفرنسية) وقوات

١-فيليب خوري: سورية والانتداب الفرنسي، ص٦٥٦.

٢-على محافظة: موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ص٣٧٤.

٣-ميشيل كرستيان دافية: المسألة السورية المزدوجة، ص١٤٤.

٤-سلمى مردم بك: أوراق جميل مردم بك، ص١٥٣.

٥-جفري ورنر: العراق وسورية، ص٢٤٢.

هندية وبريطانية تتحرك من الحدود الفلسطينية الأردنية باتجاه دمشق،أما المحور الثاني: من الفرقة الأسترالية مدعومة بالأسطول البحري تتقدم من الساحل تجاه بيروت[١]. وكان على البريطانيين والفرنسيين تجاوز الخلافات بينهما ومنع التداخلات العسكرية والسياسية لتنفيذ هذه العملية لإنهاء التهديد الألماني – الإيطالي ولإعادة الاستقرار في المنطقة وحماية المصالح البريطانية فيه ولتحقق فرنسا الحرة سيطرتها على ما تعتبره مستعمرتها في سورية ولبنان من حكومة فيشي الموالية للألمان.

وقد سعى الجنرال دنتز Dentz إلى تعزيز القوات الفرنسية في سورية ولبنان وطلب من حكومته في فرنسا دعم الدفاعات الجوية في الشرق منذ يناير ١٩٤١م ، وقام بعمل تحصينات على الساحل وعلى امتداد الحدود السورية – اللبنانية، وعزز تسلح القوات الفرنسية قدر الإمكان خاصة بعد رفع قيود التخزين عن الأسلحة الموضوعة تحت إشراف لجنة الهدنة الإيطالية، وحصل على موافقة القيادة الألمانية على تعويض قوات الشرق بديل عن الأسلحة المرسلة إلى العراق من دبابات وبطاريات مضادة للطائرات ومدافع للدبابات[٢]. وقد وصفت هذه التعزيزات بالمتواضعة أمام ما يمكن أن تواجهه من قوات الحلفاء.

وعلى الصعيد السياسي ساءت العلاقات بين بريطانيا وحكومة فيشي وأغلق قناصل بريطانيا مكاتبهم في كل من بيروت ودمشق، وفي ٢٤مايو طُرد موظفو القنصلية الفرنسية في فلسطين، وفي ٢٨ مايو أغلقت الحدود الفلسطينية – السورية، وتوقف الخط الحديدي بين الأردن وفلسطين الذي يمر عبر الأراضي السورية، فيما توالت الحشود العسكرية للقوات البريطانية والفرنسية في ٢٨ مايو على الحدود الفلسطينية السورية [٣].

وأدى سقوط بغداد بيد القوات البريطانية وسيطرة الألمان على كريت في ٣١ مايو ١٩٤١م، وانسحاب البعثة الألمانية والإيطالية إلى سورية بوجود قوات ألمانية على الأراضي السورية واتخاذ ذلك حجة لتبرير غزو سورية إلى حرص الحكومة الألمانية

١–ميشيل كرستيان دافية: المسألة السورية المزدوجة، ص١٤٦.
٢– نفس المرجع، ص ص١٥٥، ١٥٧.
٣– نفس المرجع، ص ص١٦٩، ١٧٩.

والفرنسية إلى طلب الإجلاء الفوري لجميع الألمان والإيطاليين من حلب في سورية لتجنب إعطاء البريطانيين الحجة لمهاجمة سورية[١].

فحرص الفرنسيون على إبلاغ قنصل الولايات المتحدة الأمريكية في بيروت بجلاء الألمان عن سورية، وأعلمته رغبتها بإعلام السلطات البريطانية في القدس والقاهرة بذلك. في محاولة لتفادي الهجوم البريطاني الفرنسي[٢].

وفي ٨ يونيو عبرت قوات الحلفاء الحدود السورية واللبنانية على ثلاثة محاور هي: محور الساحل، ومحور مرجعيون، ومحور درعا[٣].

ونشرت الحكومة البريطانية بياناً تبرر فيه تدخلها في سورية جاء فيه:

"رغم الإنذار الذي وجهته حكومة صاحب الجلالة يوم الأول من يونيو عام ١٩٤٠م، والذي أعلنت فيه بأنها لن تسمح بأن تكون سورية ولبنان عرضة للاحتلال قبل قوات أجنبية أو أن تستخدما كقاعدة للعدوان، فإن حكومة فيشي مثابرة على سياسة التعاون مع قوى المحور قد وضعت القواعد الجوية السورية تحت تصرف ألمانية. ولا يمكن أن ينتظر أحد من حكومة صاحب الجلالة أن تتحمل مثل هذه التصرفات التي تتناقض بوقاحة مع التصريحات الأخيرة للمارشال بيتان التي قال فيها أن الشرف يمنع فرنسة من القيام بأي عمل معاد لحليفتها السابقة. لهذه الأسباب دخلت قوات فرنسا الحرة تساندها القوات البريطانية إلى سورية صباح هذا اليوم."[٤]

وجاء رد المارشال بيتان والأميرال دارلان عن طريق سفير الولايات المتحدة الأمريكية لإيصاله إلى الحكومة البريطانية نظراً لانقطاع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانية:

"تود وزارة الخارجية الفرنسية لفت نظر الولايات المتحدة الأمريكية إلى حقيقة عدم وجود أي تعاون فرنسي ألماني في سورية، أما العتاد الجوي والعناصر الألمانية التي

١-أكرم زعيتر: من أجل أمتي، جـ٢، ص٤٠.

٢-ميشيل كرستيان دافية: المسألة السورية المزدوجة، ص١٨٢.

٣-حسن البعيني: دروز سوريه ولبنان، ص ٣١٤.

٤-ميشيل كرستيان دافية: المسألة السورية المزدوجة، ص١٩٤.

جاءت إلى سوريه خلال أحداث العراق فقد سحبت بكاملها عدا طـائرتين أو ثلاثـة معطلة وحوالي عشرة رجال.

وأن الحكومة الفرنسية مصممة على الدفاع عن مناطقها وممتلكاتها بكافة الوسائل والإمكانيات المتوفرة لديها، إذا ما تعرضت لأي هجوم..."[١].

وفيما اعتمدت حكومة فيشي للدفاع عن سورية على القوات الموجـودة فيهـا وحاولت إرسال بعض التعزيزات إليها عن طريق البحر المتوسط، رأى الألمان بأن القوات الفرنسية في سورية قادرة على مقاومة احتلال قوات فرنسا الحرة والقـوات البريطانيـة للأراضي السورية واللبنانية[٢].

وقد رغب الألمان بمساعدة قوات الجنرال دنتز خـلال القتـال، علـى أن نـوع المساعدة التي اقتُرحت من قبل الجنرال دي جورجي G. De Giorgis رئيس لجنة الهدنـة الإيطالية في سورية هو الدعم الجوي، واقترح على حكومته مهاجمة القوة الجوية الإيطالية للقوات البريطانية في فلسطين[٣]. إلا أن الجنرال دنتز اشترط عدم اسـتخدام الأراضـي السورية، حتى لا تثير القوات الفرنسية – البريطانية وتعطي انطباع عن تعاون عسـكري بين الألمان والطليان وقوات فيشي في سوريه، ويؤدي إلى ردود فعل عسكرية عنيفة ضـد القوات الفرنسية في سورية ولبنان[٤].

وتوضح المحادثات التي دارت بين الجنرال دنتز وحكومة فيشي الفرنسـية ولجنـة الهدنة والحكومة الألمانية والإيطالية، تردد الجنرال دنتز في منح القوة الجويـة الألمانيـة في كريت حق استخدام القواعد الجوية السورية للدفاع عن سـورية ولبنـان[٥]. فكـان التدخل الجوي الألماني في رأي دنتز ضرورياً عند الحاجة إلى دعم وتدخل خارجي بسبب ضعف الموقف الدفاعي الفرنسي في سورية لافتقاره للعتـاد والـدعم أمـام الهجمـات

١- ميشيل كرستيان دافية: المسألة السورية المزدوجة، ص١٩٦.

٢- نفس المرجع، ص ص٢٠٣، ٢٠٥.

٣- جفري ورنر: العراق وسورية، ص٢٥١.

٤- ميشيل كرستان دافيه: المسألة السورية المزدوجة، ص٢٠٦.

٥- D.D.I . Nona Serie, Volume VII, IL Delegato A Damasco Della Commissione Italiana DI A Rmistizio Con La Francia, Castelleni, Al Ministro Degli Esteri, Ciano, Beirut, 19 Giugno, 1943, N: 274.

البريطانية والفرنسية، وأصبحت مهمة جيش سورية هي المقاومة والصمود أمام هذه الهجمات، وقد قامت طائرات الشتوكا الألمانية من كريت وهاجمت السفن البريطانية تجاه الساحل السوري، وهاجمت في غارة جوية أخرى القاعدة البحرية البريطانية في حيفا في فلسطين، في حين اتصل الجنرال دنتز بـ رادولف ران Von Rohn رئيس البعثة الألمانية الموجودة في سورية محاولاً شن هجوم دعائي معاكس على الدعاية البريطانية، بين عرب المنطقة بتفوقها على القوات الفرنسية، في حين توالت الاتصالات بين ألمانيا وفرنسا وإيطاليا لإرسال إمدادات عسكرية إلى جبهة القتال في سورية ولبنان. فيما تهاوت الدفاعات الفرنسية و لم تصلها التعزيزات لانتقال القوات الإيطالية – الألمانية في معاركها في ليبيا مع القوات البريطانية وتحضير الهجوم الألماني على روسيا[١].

وكان لفشل القوات البريطانية في عمليتها العسكرية في ليبيا (باتل آكس Battleaxe) أمام المحور، أن كثفت من هجماتها على الجبهة السورية وتدخلت القوات البريطانية من جهة العراق لمساندة القوات البريطانية – الفرنسية ونجحت في دخول دمشق في ٢١ يونيو ١٩٤١م/١٣٦٠هـ[٢].

وجاءت محاولة المحور الأخيرة من جاك بونوا – ميشان* لإيصال تعزيزات عسكرية إلى القوات الفرنسية في سورية عبر تركيا، فوصلها في ٢٤ يونيو في مهمة خاصة لإقناع الحكومة التركية لمرور مواد حربية عبر أراضيها، إلا أنه فشل في الحصول على الموافقة في ٢يوليو في ظل عدم رغبة الحكومة الفرنسية التنازل لتركيا عن منطقة الجزيرة وحلب كما تطلب تركيا[٣]. ووصف بونواميشان في زيارته لحلب سوء الأوضاع التي يحارب فيها جيش الشرق قوات الحلفاء، في حين كان الألمان يكثفون جهودهم العسكرية تجاه الجبهة الروسية، فقل اهتمامهم بإيصال الإمدادات إلى سورية[٤]. فيما فشلت حكومة فيشي في إرسال تعزيزات حربية لإمداد قواها في الشرق.

١-ميشيل كرستيان دافيه: المسألة السورية المزدوجة، ص ص٢١٦، ٢١٨، ٢١٩.

٢- Playfair, the Mediterranean and Middle East Vol. II, P .215.

* عين جاك بونوا ميشان في ٩ يونيو ١٩٤١م وزير دولة لشؤون العلاقات الفرنسية الألمانية.

٣-جفري ورنر: العراق وسورية، ص ص٢٦١، ٢٦٢.

٤-ميشيل كرستيان دافيه: المسألة السورية المزدوجة، ص٢٤٧.

وفي الجبهة الداخلية حرص الألمان قبل غزو القوات البريطانية الفرنسية لسورية ولبنان على كسب ود حكومة فيشي، وعدم تشجيع الوطنيين السوريين على خلق أي متاعب لإدارة فيشي للتفرغ للدفاع عن سورية ولبنان، لذلك طلب المفتي أمين الحسيني من الزعيم الوطني السوري شكري القوتلي في أواخر مايو ١٩٤١م أن يمتنع ورفاقه عن أي نشاط سياسي معاد لإدارة فيشي "حتى لا يتاح للجهود البريطانية و الديغولية في سورية أن تحقق أهدافها"[١].

وتقديم المساعدة للألمان والإيطاليين لتزويد الفلسطينيين بالأسلحة للإعداد لثورة في فلسطين ضد البريطانيين[٢]. فيما أكد شكري القوتلي في لقائه بممثل دمشق للجنة الهدنة الإيطالية كاستليني على أهمية إدلاء دول المحور من جديد بتصريح لصالح استقلالية الدول العربية في مقابل مساعدة العرب للمحور ضد بريطانيا وفرنسا الحرة[٣].

تلقى السوريون واللبنانيون وعود الفرنسيين لهم بالاستقلال، وضمان بريطانيا هذا الوعد قبل دخول جيوش الحلفاء سورية بترقب وانتظار ما بين الأمل بصدق هذه الوعود لنيل الاستقلال وما بين رافض لكل الإغراءات السياسية والمادية لقبول احتلال آخر لبلادهم وإنما دعوا إلى الدفاع عن بلادهم ومقاتلة فرنسا وبريطانيا معاً من أجل الحرية والوحدة والاستقلال[٤].

وقد حاول البريطانيون والفرنسيون الاتصال بالوطنيين السوريين للحصول على دعمهم ضد حكومة فيشي والمحور قبل وبعد اجتياح قواهم لسورية ولبنان أمثال شكري القوتلي ومردم بك، إلا أن الكتلة الوطنية تمسكت بالاستقلال والسيادة في أراضيها مما يتعارض مع رغبة الجنرال ديغول والجنرال كاترو في إعادة سيطرة فرنسا الحرة على مستعمراتها، وإعادة الوضع السياسي لعهده السابق إثر نجاحهم في إعادة احتلال سورية ولبنان[٥].

١-علي محافظة: موقف فرنسا وألمانيا من الوحدة العربية، ص٣٨١.

٢-لوكاز هيرزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص٢٤٥.

٣- D.D.I. Nona Serie. Volume VII. IL Delegato A Damasco Della Commissione Italiana Armistizio Con La Francia. Castelleni, Al Ministro Degli Esteri, Ciano, Damasco, 27 Maggio, 1941, N: 167.

٤- محمود عبيدات: الدور الأردني في النضال العربي السوري، ص٥٣٨.

٥- سلمى مردم بك: أوراق جميل مردم بك، ص ص ١٥٨، ١٦١، ١٦٩.

فلم يشارك السوريون واللبنانيون في العمليات الحربية التي دارت على أرضهم بين الحلفاء وقوات الشرق الفيشيه إلا من كانوا ضباطاً أو جنوداً في الجيوش المقاتلة[١]، فبينما بقي بعض الضباط السوريين واللبنانيين على ولائهم لقادتهم في القوات الفرنسية، شهدت فترة الحرب فرار الكثير من الجنود السوريين واللبنانيين بكامل أسلحتهم وعتادهم من وحداتهم بتخطيط وتنظيم الضباط اللبنانيين والسوريين تعبيراً عن رفضهم الاشتراك في هذه الحرب التي تتواجه فيها جيوش دول أجنبية على أرض وطنهم[٢].

وتعرضت الأراضي السورية واللبنانية بمدنها وقراها لعنف القتال باعتبارها ساحة الحرب، فيما فاوض موفد من الاستخبارات البريطانية سلطان باشا الأطرش على حياد جبل العرب وعدم تصدي الدروز لقوات الحلفاء مقابل عدم دخول هذه القوات إلى سورية منه[٣].

وقد شاركت قوات الجيش الأردني (قوة البادية) القوات البريطانية حملتها على سورية بهدف إنقاذها من مطامع المحور، ولمقاتلة القوات الفرنسية الفيشية لتحرير الأراضي السورية واللبنانية، ولمناصرة حلفائهم البريطانيين الذين توالت تصريحاتهم لضمان استقلال سورية ولبنان، واستطاعت هذه القوات المرافقة للقوات البريطانية من تحقيق عدة انتصارات على الجيش الفرنسي في تدمر ودير الزور وحوران[٤]. حتى تمكن الحلفاء من إعادة احتلال سورية.

وفي إطار سياسة ألمانيا لتمكين جيش الشرق من مقاومة غزو الحلفاء لسورية ولبنان، اعتمد الألمان على المقاومة العربية* لصد هذا الهجوم دون أن يعني ذلك إثارة حكومة فيشي تجاههم، واستعانوا بفوزي القاوقجي – العائد آنذاك من العراق بعد مناصرته والوطنيين العرب للحركة العراقية لعام ١٩٤١م/١٣٦٠هـ ضد بريطانيا –

١- حسن البعيني: دروز سورية ولبنان، ص٣١٥.

٢- ميشيل كريستان دافية: المسألة السورية المزدوجة، ص٢٣٣.

٣- حسن البعيني: دروز سورية ولبنان، ص٣١٤.

٤- Playfair , The Mediterranean and Middle East, Vol II, P. 216.

محمود عبيدات: الدور الأردني في النضال العربي السوري، ص ص٥٤٣ ، ٥٤٥.

* أطلق عليها هيرزويز حرب عصابات، بينما وصفها أكرم زعيتر بالمقاومة غير المنتظمة.

بموافقة السلطات الفرنسية لإنشاء وحدات مقاتلة عربية بقيادته، وتحول بمساعدة الألمان بالسلاح والمال إلى مناصرة الفيشيين بعد إعلانهم إلغاء حكم الإعدام الصادر بحقه بعد أن كان مناوئاً للنفوذ الفرنسي والبريطاني في سورية ولبنان وفلسطين والعراق، قاد القاوقجي المتطوعين السوريين والعرب في مقاومة القوات البريطانية في شمال وشرق سورية المتجهة من الأردن والعراق باتجاه تدمر(١). وقد طالب فوزي الألمان عن طريق ران بالاعتماد عليه في استئناف ما انقطع من مفاوضات مع المحور في بغداد لعقد معاهدة معهم تؤمن للعرب حقوقهم وتضمن استقلالهم، في الوقت الذي كان فيه الألمان يركزون على مجهوده في مقاومة القوات البريطانية(٢)، إلا أنه ما لبث أن أصيب بجراح خطيرة في ٢٤ يونيو نقل على أثرها إلى حلب ومنها إلى أثينا ثم إلى ألمانيا للعلاج(٣).

ولرغبة الألمان في استمرار دعم المقاومة ضد الحلفاء، اتصلوا بـ عارف عبد الرازق، الذي عمل على مقاومة المرحلة الأخيرة من الغزو على سورية، بعد إصابة القاوقجي، واضطر أمام تقدم القوات البريطانية باتجاه حلب إلى دخول الحدود التركية مع عدد من المتطوعين العرب(٤)، كما غادرها بعض الوطنيين السوريين براً وجواً باتجاه تركيا ومنها إلى أثينا وبرلين وروما(٥).

وكان شكري القوتلي زعيم الكتلة الوطنية ممن غادر سورية قبل سيطرة البريطانيين والفرنسيين الأحرار عليها(٦). وقد اعتبره البريطانيون والفرنسيون من مناصري المحور لاتصالاته بدبلوماسيي المحور في سورية والعراق والعلاقة الوطيدة التي تربطه بالمفتي. وفي سبتمبر ١٩٤٢م/١٣٦١هـ عاد القوتلي إلى سورية لتزعم الكتلة الوطنية بعد أن أبعد عن نفسه بمساعدة الملك عبد العزيز آل سعود كونه أداة لدول المحور في سورية كما يتهمه البريطانيون والفرنسيون إلى كونه وطنياً وقائداً سورياً، فدعمه

١- لوكازهيزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص ص٢٤٥، ٢٤٦.

٢- أكرم زعيتر: من أجل أمتي، جـ٢، ص٥٧.

٣- ميشيل كرستيان دافيه: المسألة السورية المزدوجة، ص٢٤٥.

٤- لوكازهيزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص٢٤٦.

٥- أكرم زعيتر: من أجل أمتي، جـ٢، ص٦٩.

٦- جفري ورنر: العراق وسورية، ص٢٦٥.

البريطانيون لدى الجنرال كاترو لتهدئة الأوضاع السياسية في سورية واستكمال الجهود الوطنية للحصول على الاستقلال[١]. فجاء تعاون المقاومة العربية في سورية ولبنان مع المحور في إطار نضالهم في سبيل الحرية والاستقلال فيما رغب الألمان في الاستفادة منهم لمساعدة حكومة فيشي لمحاربة الحلفاء دون إعطاء أي التزام سياسي تجاههم، فكان الوطنيون السوريون واللبنانيون مطمعاً لكل من المحور والحلفاء كلاً حسب مصالحه دون النظر إلى حقيقة حقوقهم ومطالبهم.

وعسكرياً وأمام فشل قوات الشرق بقيادة الجنرال دنتز أمام هجمات قوات الحلفاء على سورية ولبنان، تلقى الجنرال في ٧ يوليو تفويضاً ببدء الاتصالات مع السلطات البريطانية المحلية بهدف "إيقاف القتال" وتم ذلك عن طريق قنصل الولايات المتحدة الأمريكية في بيروت، الذي نقلها إلى القيادة البريطانية، وقد حرصت الحكومتان الألمانية والفرنسية على إبلاغ دنتز تجنب منح أية تنازلات يمكن أن تؤدي بالاعتراف بالديغوليين (فرنسا الحرة) كعنصر عسكري وسياسي، لذلك تمت المفاوضات عن طريق بريطانيا، وتم الاتفاق في ١٢ يوليو على وقف إطلاق النار، وبدأت المباحثات في عكا*[٢].

وفي ١١ يوليو غادر أعضاء البعثة الألمانية والإيطالية سورية إلى تركيا بالقطار، إثر إعلان نهاية الحرب في سورية، وحاول الجنرال دي جورجي رئيس لجنة الهدنة الإيطالية الحصول على موافقة الجنرال دنتز على تدمير مصفاة طرابلس، وخطوط أنابيب النفط والخطوط الحديدية – أي كافة الأهداف العسكرية التي قد تساعد البريطانيين في متابعة القتال – إلا أن الجنرال دنتز رفض ذلك رفضاً قاطعاً مبرراً بأن ذلك سوف يوقف وصول النفط فقط في مدينة طرابلس ولن يؤدي إلى نتائج حاسمة، واعتبر بأن الحرب انتهت وأنه يفاوض لوقف القتال[٣].

١- فيليب خوري: سورية والانتداب الفرنسي، ص ص٦٦٠، ٦٦١.

* ترأس الجنرال ويلسون وفد الحلفاء والجنرال كاترو مثل فرنسا الحرة، والجنرال دو فرديهاك **Verdihac** من جانب القوات الفرنسية.

٢- ميشيل كرستيان دافيه: المسألة السورية المزدوجة، ص ص٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٨.

٣- نفس المرجع ، ص٢٧٠.

وبذلك تهاوت أطماع الإيطاليين بالحلول مكان فرنسا في سورية ولبنان، وانهارت محاولة المحور اتخاذ سورية ولبنان موطناً لمهاجمة قوات الحلفاء في الشرق الأوسط[١].

ورأى تشرشل أن نجاح الحملة البريطانية — الفرنسية على سورية ستؤدي إلى تحسين أوضاع بريطانيا الاستراتيجية في الشرق الأوسط أمام تهديدات المحور لقناة السويس وخليج البصرة والهند، وإتاحة الفرصة لمجابهة قوات المحور في المتوسط وشمال أفريقيا[٢].

فيما سعى الوطنيون السوريون مع نهاية العمليات العسكرية للحلفاء في سورية ولبنان إلى تأكيد حقهما في الاستقلال، والاستجابة لوعود الحلفاء بمنحهم الاستقلال، أعلن مجموعة من الضباط اللبنانيين العاملين في القوات الفرنسية بياناً بالانسحاب من القتال في ٢٦ يوليو ١٩٤١م في سبيل تحقيق الاستقلال تحت حكم حكومة وطنية مستقلة[٣].

وبعد نجاح المباحثات بين البريطانيين والجنرال دنتز دخل الجنرال ويلسن يرافقه الجنرال كاترو إلى بيروت لتسلم مقر المندوب السامي، بينما تمركزت القوات البريطانية في أنحاء سورية، وغادر دنتز وقواته سورية ولبنان في ٤ سبتمبر[٤].

وقد رفض الجنرال ديغول انفراد بريطانيا باتفاق عكا التي تمنحهم السيطرة على سورية ولبنان دون فرنسا الحرة، وتوصل الطرفان إلى اتفاق القاهرة مع أوليفر ليلتون Lytteton الوزير البريطاني في القاهرة لتفسير اتفاق عكا في أغسطس ١٩٤١م/١٣٦٠هـ بالتعاون بين السلطات العسكرية البريطانية والفرنسية في الشرق[٥].

ونتج عن ذلك حكم مزدوج بريطاني وفرنسي لسورية ولبنان، ذا هيمنة عسكرية بريطانية، وفي إطار التنافس البريطاني مع حكومة فرنسا الحرة وتضارب المصالح بينهما

١- Playfair, The Mediterranean and Middle East, Vol II, P. 222.

٢- ونستون تشرشل: المذكرات ، جـ١، ص٥١٤.

٣- محمود عبيدات: الدور الأردني في النضال العربي السوري، ص٥٤١.

٤- ميشيل كرستيان دافيه: المسألة السورية المزدوجة، ص ص٢٩١، ٣٢٤.

٥- الجنرال ديغول: مذكرات ديغول، النفير، جـ١، ص ص٢٥٨، ٢٦٥.

وإن اتفقا على إبقاء هيمنة سلطة الاستعمار في سورية ولبنان، وعمد البريطانيون إلى دعم استقلال سورية ولبنان أمام نفوذ فرنسا الحرة، وأعلن تشرشل في مجلس العموم البريطاني في ٩ سبتمبر ١٩٤١م، بأفضلية فرنسا في الشرق لباقي الدول الأوروبية وحثها على منح سورية ولبنان استقلالهما[١].

وفي محاولة من حكومة ديغول المحافظة على وعودها والتخلص من ما اعتبرته تدخلات بريطانية في سورية ولبنان الهدف منها كما رأته فرنسا إنهاء الوجود الفرنسي، والوقوف أمام مطالب الكتلة الوطنية التي تزعمها شكري القوتلي بالمظاهرات والاضطرابات أعلنت حكومة فرنسا الحرة وحليفتها بريطانيا العظمى استقلالاً منقوصاً في ٢٧ سبتمبر ١٩٤١م وتعيين الشيخ محمد تاج الدين الحسيني رئيساً للجمهورية السورية[٢]. وفي ٢٦ نوفمبر أعلن استقلال لبنان وتعيين السيد الفرد نقاش رئيساً للحكومة اللبنانية [٣]. فيما ظل الجنرال كاترو يمارس سيادة فرنسا كمفوض عام في (المشرق) سورية ولبنان ، واتجه البريطانيون والفرنسيون باختلاف توجهاتهما السياسية لمواجهة قوات المحور في شمال أفريقيا بمساعدة القوات الأمريكية[٤] .

وباحتلال القوات البريطانية والفرنسية سورية ولبنان وبداية الحكم المزدوج لهما فيها، فقد المحور فرصة استخدام سورية ضد البريطانيين، نتيجة لانشغالهم في حملة رومل في شمال أفريقيا والجهة ضد روسيا، واعتقدوا بأنهم إذا ما نجحوا في روسيا فسوف يهاجمون البريطانيين في العراق وسورية وصولاً إلى قناة السويس، فيما واصلوا اتصالاتهم ودعاياتهم السياسية في برلين وَرَوما مع الوطنيين العرب وفي مقدمتهم المفتي والكيلاني لمساندة استقلال البلاد العربية التي تسعى للتخلص من الاستعمار البريطاني والفرنسي[٥].

وشارك الوطنيون السوريون إخوانهم العراقيين والفلسطينيين اتصالهم بالمحور للحصول على تصريح علني أو معاهدة باستقلال البلاد العربية ووحدتها بوجود مصلحة

١- ميشيل كرستيان دافيه: المسألة السورية المزدوجة، ص ص ٢٩١، ٣٤٥.

٢- الجنرال ديغول: مذكرات الحرب. النفير. جـ١، ص٣١٣، حسن الحكيم: الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية، ص٣٧٦.

٣- ملحم قربان: تاريخ لبنان السياسي الحديث، جـ١، ص٢١٦.

٤- ميشيل كرستيان دافيه: المسألة السورية المزدوجة، ص٣٣٣ .

٥- لوكاز هيزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص ص٢٥٤، ٢٩٩ .

مشتركة وعداء مشترك ضد البريطانيين والفرنسيين الأحرار، إلا أن تردد الألمان بإعطاء العرب تصريحاً علنياً أو معاهدة تضمن دعم المحور لاستقلالهم نتيجة لحرصهم على مصالح حلفائهم الإيطاليين في الدول العربية، وتجنبهم إغضاب حكومة فيشي التي ضمنوا مصالحها في سورية ولبنان بموجب اتفاقية بعد دخولها فرنسا، جعلهم يتشككون في حقيقة موقف الألمان من مطالبهم في إطار سياستها داخل المحور(١).

وساهم الأمير عادل أرسلان في المساعي العربية مع المحور قبل احتلال الحلفاء لسورية وبعده، إلا أنه كثيراً ما انتقد موقف الألمان تجاه القضايا العربية، ومنها انتقاده لممثل ألمانيا في سورية رودلف ران، واتهمه بالتأثر بآراء السلطة الفرنسية المعادية للحركة الوطنية قبل الاحتلال(٢).

وبعد الاحتلال كان من الوطنيين* الذين غادروا إلى اسطنبول واجتمعوا بالمفتي والكيلاني لاستكمال الاتصالات بالألمان والإيطاليين لعقد معاهدة تحالف، وقد امتنع عن الذهاب معهما إلى برلين وروما للتفاوض بسبب عدم ثقته بأن المعاهدة جاهزة، كما قيل، ولا تحتاج إلا إلى مذاكرة مختصرة وتوقيع وظل يأمل مع ممن بقوا من وطنيين في تركيا بنجاح المفتي و الكيلاني في تحقيق مطالب العرب في إطار سعيهم في الاستفادة من تناقض مصالح الدول الكبرى لتحرير واستقلال ووحدة البلاد العربية(٣).

وكانت سورية ولبنان ضمن البلاد العربية والتي طالب باستقلالها ووحدتها المفتي والكيلاني خلال محادثاتهما مع هتلر وموسوليني في روما وبرلين، في جميع المشروعات التي قدمت لإصدار تصريح أو معاهدة بين دول المحور والعرب لعام ١٩٤٢م/١٣٦١هـ، وقد ساند فوزي القاوقجي هذه المطالب في أثناء تواجد في برلين**(٤). فيما استمرت الكتلة الوطنية في سورية ولبنان في مطالبهما للحكومة

١- حسن البعيني: دور دروز سورية، ص٣٠٩.

٢- لوكاز هيرزويز: ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي، ص٢٤٧.

* غادر إليها العديد من الوطنيين العرب كأكرم زعيتر وعادل العظمة ومحمد عزه دروزه وحسن سلامة.. وغيرهم.

٣- مذكرات الأمير عادل أرسلان: جـ١، ص ص٣٣٧، ٣٨٠.

** بقي القاوقجي في ألمانيا حتى ١٩٤٤ عندما وقع أسيراً بيد القوات الروسية، ثم أطلق سراحه والتجئ إلى فرنسه ثم مصر عام ١٩٤٧م، وفي ١٩٤٨م قاد جيش الإنقاذ في الحرب العربية الإسرائيلية.

٤- مذكرات الأمير عادل أرسلان: جـ١، ص ص٣٤٦، أكرم زعيتر: من أجل أمتي، جـ٢، ص ص١٠٦، ١٤٣، ١٥١، ٢١٢، ٢٥٩.

الفرنسية بالاستقلال التام[١]. حتى نهاية الحرب العالمية الثانية. وفي ٢٦ فبراير ١٩٤٥م/١٣٦٥هـ أعلنت سورية الحرب على المحور[٢].

إمارة شرق الأردن:

ساند الأمير عبد الله ابن الحسين والحكومة الأردنية بريطانيا في الحرب العالمية الثانية، وكان واثقاً من انتصار بريطانيا في هذه الحرب، وراوده الأمل في أن تمنح بريطانيا بلاده الاستقلال بعد انتهاء الحرب، وأرسل برقية إلى الملك جورج السادس في نفس يوم إعلان بريطانيا الحرب على ألمانيا في ٣ سبتمبر ١٩٣٩م/١٣٥٨هـ:

جاء فيها: "صاحب الجلالة الملك جورج السادس — لندن.

بعين الروح الذي اشترك بها والدي مع جلالة الملك جورج الخامس في الحرب العمومية السابقة، هكذا أيضاً اليوم أنا وشعبي نقف بثبات بجانبكم، وبالاستفادة من هذه الفرصة أعلن تأييدي وإسنادي لقضيتكم العادلة، وأتقدم لجلالتكم بولائي وشعوري في هذه الساعة الفاصلة."

وفي ١٦ سبتمبر ١٩٣٩م، أرسل الملك جورج السادس رده:

صاحب السمو الأمير عبد الله بن الحسين — عمان.

"لقد تلقيت بتقدير عميق رسالة سموكم التي أعربتم فيها عن الولاء والمعاضدة في هذا الوقت العصيب. وأنني أدرك تماماً بأن تقاليد الصداقة للشعب البريطاني والوفاء للمثل العليا التي تناضل دونها الإمبراطورية البريطانية، إنما هي تقاليد بيت سموكم، وأنني أؤكد لسموكم والشعب الأردني أن بريطانيا ستلبث أبداً أمينة لهذه المثل العليا".

وقد عرض الأمير عبد الله على الحكومة البريطانية وضع جميع موارد بلاده تحت تصرف مجهودها الحربي، إلا أنها أكدت "بأن الحرب ستكون قاصرة على أوروبا ولن تمتد معاركها إلى الشرق، وأنه لا حاجة إلى مساعدة شرق الأردن"[٣].

١- وليد المعلم: سورية، ص٢٩.

٢- محمود منسي: الشرق العربي المعاصر، ص٢٢٥.

٣- منيب الماضي وسليمان موسى: تاريخ الأردن في القرن العشرين، ص ص٣٧٢، ٣٧٣.

واتخذت الحكومة الأردنية، إبان الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩م عدة تدابير أمنية مشددة، فأعلنت العمل بقانون الدفاع عن شرق الأردن اعتباراً من ٢٩ أغسطس ١٩٣٩م، وأصدرت سبعة أنظمة دفاع عن شرق الأردن، ظلت البلاد تحكم بموجبها طول فترة الحرب، كما اشتدت الرقابة على الحريات العامة والمطبوعات، وذلك إيفاء لالتزامات الإمارة نحو الدولة المنتدبة، ولتأمين سلامة الدفاع عن أراضيها، وأُعلن في ١٦ سبتمبر ١٩٣٩م الحرب على ألمانيا(١).

ومنذ سقوط فرنسا في يونيو ١٩٤٠م/١٣٥٩هـ بدأ الخطر يتهدد الأردن، حيث إن النفوذ الفرنسي في سورية ولبنان انتقل ولاؤه لحكومة فيشي الموالية للألمان وأصبح بالتالي معادياً للنفوذ البريطاني في فلسطين وشرق الأردن والعراق، فطلب الأمير عبد الله من المندوب السامي البريطاني السيد هارولد ماك مايكل Mac Michael أن يكون للأردن دور فعلي مشارك لبريطانيا في الحرب ولصد خطر المحور عن شرق الأردن، إلا أن المعتمد السامي أبلغه بعدم حاجة بريطانيا لهذه المساعدة في الوقت الحالي(٢).

وعندما اجتمع انتوني أيدن وزير خارجية بريطانيا وبرفقته الجنرال ويفل بالأمير عبد الله بن الحسين في عمان، وبحثا الموقف العام في الشرق الأوسط، وفي هذا اللقاء كرر الأمير عبد الله عرضه بوضع جميع إمكانيات شرق الأردن تحت تصرف بريطانيا في معركتها الكبرى، وتحدد في هذا الاجتماع مطالب بريطانيا من الإمارة لحماية النفوذ البريطاني في الأردن وفلسطين، وكذلك أهمية موقع الأردن في حماية شمال البحر الأحمر وقناة السويس. ودورها في درء خطر القوات الفرنسية على الحدود الأردنية السورية التي تمتد حوالي ٢٥٠ ميلاً. وطالب الجنرال ويفل الاهتمام بالجيش ومضاعفة قوة الجيش الأردني، ووعد بأن يمدها الجيش البريطاني بالسلاح والعتاد. وعرض الأمير عبد الله أن تشترك قوات البادية في معارك الصحراء، غير أن القيادة العليا البريطانية طلبت إرسال

١- علي محافظة: تاريخ الأردن المعاصر. ص٨٩.

٢- F.O. 406.78. E2503/2503/65. Sir H. Macmichael to Lord LLoyed. Jerusalem. July 14, 1940, No: 287 & Lord LLoyed to Amir Abdullah. August 23, 1940.

سرية عسكرية لحراسة أحد المطارات الكبرى في فلسطين، وكانت هذه السرية تمثل طليعة المجهود الحربي الأردني في الحرب العالمية الثانية[١].

ونتيجة للتهديدات التي تعرضت لها الإمارة في أواخر ١٩٤٠م على الحدود الأردنية – السورية، وتوتر الأوضاع في العراق، اهتمت بريطانيا بزيادة التحصينات الدفاعية في الأردن خاصة مع حدودها الشمالية، وتوسع الجيش الأردني وازدادت قوات قوة البادية، وأصدرت الحكومة الأردنية قانوناً في ١٦ ديسمبر ١٩٤٠م نص على جواز استخدام الجيش العربي لمقاصد عسكرية داخل الأردن وخارجه، وكان ذلك توطئه لاستخدام الجيش العربي خارج حدود شرق الأردن[٢].

فكان الجيش الأردني هو الجيش العربي الوحيد الذي ساهم في المجهود الحربي للحلفاء وخاض المعارك التي دارت في منطقة الشرق الأوسط، ولذلك اهتمت القيادة البريطانية بإيفاد مجموعة من الضباط الإنجليز إلى الأردن وأصبحوا مع الفريق غلوب يشكلون قوة الاستعمار العسكري البريطاني في الأردن: لاش، وتولى قيادة البادية بدلاً من غلوب الذي تسلم قيادة الجيش. بل، وهو من الضباط الذين عملوا في فلسطين وتسلم الكتيبة الأولى الآلية. تيرفن، التحق بالجيش العربي عام ١٩٤٢م قادماً من شرطة فلسطين. برودهيرست، تسلم كافة الشؤون الإدارية في الجيش الأردني، بالإضافة إلى عدد من الضباط، فأصبحت الخدمة في الجيش الأردني امتداداً للخدمة في الجيش البريطاني، وتولى الضباط الإنجليز معظم المراكز القيادية[٣].

وتتلخص مساهمة القوات الأردنية في الحرب العالمية الثانية في أربعة اتجاهات:-

١ – حماية المعسكرات والمخازن البريطانية وطرق المواصلات في فلسطين:- حيث طلب المندوب السامي البريطاني من الأمير عبد الله في ديسمبر ١٩٤٠م إرسال جنود

١- منيب الماضي وسليمان موسى: تاريخ الأردن في القرن العشرين، ص٣٧٤.

٢- نفس المرجع، ص ص٣٧٥، ٣٧٧.

٣- محمود عبيدات: الدور الأردني في النضال العربي السوري، ص٥٤٢.

أردنيين لحراسة الأبنية والمنشآت العسكرية البريطانية في فلسطين، فأرسلت القوة العسكرية اللازمة لتنفيذ هذه المهمة وبقيت هناك إلى نهاية الحرب[١].

٢- الاشتراك مع القوات البريطانية للقضاء على حركة الكيلاني في مايو١٩٤١م:-

أصبحت الأردن ملجأ الأمير عبد الإله الوصي على عرش العراق وبعض أفراد حكومته مع بدء الحرب التي قامت بها القوات البريطانية للقضاء على حركة الكيلاني في العراق، وشاركت القوات الأردنية إلى جانب القوات البريطانية المُرسلة من فلسطين في هذه الحرب. بناءً على اقتراح الفريق غلوب بالاستعانة بقوات البادية الأردنية، بعد أن طلبت منه القوات البريطانية في فلسطين مرافقة قواتها لكونه ضباطاً سياسياً له خبرة سابقة في العراق، وليستطيع الاتصال بالعشائر الموالية للوصي على عرش العراق[٢].

وتحركت قوة البادية إلى محطة الرويشد على الحدود الأردنية- العراقية واستطاعت السيطرة على الرطبة والحبانية، كذلك اشتركوا في القتال الدائر حول بغداد، إلى جانب حراستهم للسكة الحديدية بين الموصل وبغداد، وفي ١ يونيو ١٩٤١م/١٣٦٠هـ استأذن الفيلق العربي للعودة إلى الأردن[٣]. بعد أن تمكن من مساعدة القوات البريطانية في تحقيق هدفها. وتلقى الأمير عبد الله بن الحسين رسالة شكر وتقدير من قائد الجيش البريطاني والمندوب السامي مكمايكل والجنرال ولسون القائد العام للقوات البريطانية في ١ يونيو ١٩٤١م على مشاركة قوة البادية في العراق ونجاحها في مهمتها[٤].

والجدير ذكره بأن قوة الحدود الأردنية وبعض أفراد قوة البادية رفضوا الاشتراك في الحملة البريطانية على العراق بل وهددوا بإطلاق النار على ضباطهم الإنجليز إن لم يسمحوا لهم بالعودة[٥]. لأنهم لا يريدون إطلاق النار على العراقيين ودخول العراق

١- علي محافظة: تاريخ الأردن المعاصر ، ص٩٧.

٢- مينب الماضي وسليمان موسى: تاريخ الأردن القرن العشرين، ص٣٧٧.

٣- مذكرات غلوب باشا: حياتي في الشرق العربي، ص ص٢٣١، ٢٣٤.

٤- منيب الماضي وسلميان موسى: تاريخ الأردن القرن العشرين، ص٣٧٨.

٥- إسماعيل ياغي: حركةرشيد عالي الكيلاني، ص٢٤٧.

محتلين فيما العديد من السوريين واللبنانيين والفلسطينيين والأردنيين يتطوعون للحرب مع حكومة الكيلاني ضد بريطانيا [١].

وأعلن بعض ضباطها بأن "العقود التي وقعها أفراد قوة الحدود الأردنية عند دخولهم في صفوفها لم تنص على أن يشاركوا في عمليات عسكرية خارج حدود الأردن." ويُذكر بأن بعض شيوخ العشائر الأردنية طلبوا من أبناء عشائرهم عدم المشاركة في حرب إلى جانب البريطانيين ضد العراقيين[٢]. بينما اتهمهم البريطانيون بأنهم يؤيدون المحور ضدهم.

٣- المشاركة مع القوات البريطانية في الحملة البريطانية الفرنسية على سورية:-

استعان البريطانيون بالقوات الأردنية في حملتهم على سورية في ٨ يونيو ١٩٤١م أيضاً، وذلك لإخراج الألمان والإيطاليين من الأراضي السورية وخوفاً من تعرض سورية ولبنان والأردن وفلسطين للاحتلال من قبل قوات المحور بعد نجاحهم في احتلال اليونان[٣].

فشاركت القوات الأردنية في الهجوم على سورية ولبنان وذلك بطابع الإنقاذ والتحرير الذي اتسمت به كلمة الأمير عبد الله لقواته في مدينة المفرق، وهم متجهون إلى سورية، وتحركت القوات الأردنية من الرويشد على الحدود الأردنية- العراقية للانضمام إلى القوات البريطانية الزاحفة من العراق، واستطاعت قوة البادية الأردنية* من تحقيق عدة انتصارات على قوات فيشي الفرنسية في تدمر والسبع بيار والسخنة ودير الزور، وكذلك شاركوا في معارك حوران. وقد تم استقبالهم بالترحيب من قبل السوريين، وأرسل الجنرال ولسون خطاب تقدير للدور الذي قامت به القوات الأردنية إلى الأمير عبد الله، وبعد تمكن الحلفاء من إعادة احتلال سورية ولبنان صدرت لهم

١- سلمان التكريتي: الوصي عبد الإله بن علي، ص٥١.

٢- محمود عبيدات: الدور الأردني في النضال العربي السوري، ص٥٣٦.

٣- Glubb. Britainan and The Arabs, P. 251.

* إلى جانب متطوعين من رجال القبائل الأردنية من قبيلة الحويطات وقبيلة بني صخر.

الأوامر من لندن بالانسحاب من سورية إلى الأردن[١]. بعد أن زال احتمال هجوم قوات المحور على الساحل الشرقي للبحر المتوسط.

٤- حماية خطوط المواصلات البريطانية في الشرق الأوسط:- سعى الأمير عبد الله إلى إشراك الجيش الأردني في العمليات الحربية في صحراء ليبيا في أثناء زحف روميل إلى العلمين. وتحرك الجيش العربي إلى سيناء للاشتراك في الحرب وتحركت فصيلتان إحداهما انضمت إلى الجيش البريطاني لمواجهة قوات روميل والثانية انضمت إلى القوات البريطانية العاملة في الصحراء الغربية وراء خطوط الألمان[٢]. وكانت مهمتها وضع المواد التموينية للقوات البريطانية خلف خطوط القوات الألمانية، حيث تقطع هذه القوات المسافة من القدس إلى مصر فالسودان ثم غرباً إلى شمال تشاد حيث توجد قوة بريطانية في واحة الكفره[٣].

وطلب غلوب مشاركة الفيلق العربي القتال في إيطاليا بعد انتهاء العمليات الحربية في شمال أفريقيا إلا أن الحكومة البريطانية رأت بأن دوره أهم في حماية خطوط المواصلات البريطانية في الشرق الأوسط[٤].

وطلبت الحكومة البريطانية من الحكومة الأردنية إرسال كتيبة من القوات الأردنية لإخضاع بعض القبائل الثائرة، في أثناء العمليات العسكرية البريطانية في إيران، وتمكن جزء من هذه القوات الدخول إلى إيران بعد أن رفضت الحكومة الإيرانية دخولها إلى أراضيها[٥]. فكان ذلك مساهمة منه لمساندة القوات البريطانية هناك.

١- منيب الماضي وسليمان موسى: تاريخ الأردن في القرن العشرين، ص ص٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١. &

Mary C. Wilson ,King Abduallah, Britan and The Making of Jordan, (Cambridge: Cambridge University Press,1987), P. 134.

٢- مذكرات غلوب باشا: حياتي في المشرق العربي، ص٢٣٩.

٣- محمود عبيدات: الدور الأردني في النضال العربي السوري، حاشية ٥٢، ص٥٥٨.

٤-مذكرات غلوب باشا: حياتي في المشرق العربي، ص٢٣٩.

٥- J.b. Glubb, Britian and The Arabs, P. 260.

وقد ضاعفت مساهمة الجيش العربي في الحملات العسكرية في العراق وسورية من خبرته الحربية، وساعدت على نموه، فأصبح قوة عسكرية مؤهلة شُهد لها من جهة بريطانيا[١].

قدمت القوات العسكرية في الأردن خدمات مساندة للحكومة البريطانية في حماية خطوط مواصلاتها في الشرق الأوسط، حيث وضحت الأهمية الاستراتيجية للأردن لبريطانيا أثناء الحرب، حيث تملك قوات عسكرية تزيد عن حاجتها وحاجة الأمن فيها، وهذا ما مكن بريطانيا من استخدام تلك القوات خارج حدود الأردن سواء عن طريق مشاركتها في ميادين القتال[٢]. أو استخدامها لحماية خطوط المواصلات الهامة الممتدة من العراق إلى الأردن إلى فلسطين، فأصبحت القوات العربية مسؤولة عن سلامة خط المواصلات من حيفا إلى بغداد المستخدم لنقل المعدات العسكرية[٣]، وأيضاً حراسة خط أنابيب البترول الممتد من كركوك إلى حيفا ويمر في شرق الأردن[٤]، وحراسة ميناء حيفا ومستودعات السلاح والذخيرة، والمطارات، ومعسكرات التموين، وبذلك تحمي خطوط المواصلات البريطانية التي تربط مصالحها السياسية والعسكرية في أوروبا فالساحل الشرقي للمتوسط ففلسطين والأردن وسوريا والعراق بإيران وروسيا[٥].

ولتحقق إمارة شرق الأردن مهمتها لحماية خطوط المواصلات الهامة لظروف الحرب، وقعت الأردن ثلاثة اتفاقيات مع بريطانيا في ١٩ يوليو ١٩٤١م/١٣٦٠هـ، الأول: إضافي لمعاهدة ١٩٢٨م/١٣٤٧هـ يسمح للأردن بإنشاء قوات عسكرية وبذلك رفعت بريطانيا القيود التي نصت عليها معاهدة ١٩٢٨م بهذا الشأن، الثاني: يتعلق بتعدين الزيت، منح بريطانيا السيطرة على جميع العمليات المتعلقة بالنفط – تحت بند يتبع الأردن نصيحة بريطانيا- داخل شرق الأردن، والثالث: منحت فيه بريطانيا حكومة الأردن

١- مذكرات غلوب باشا: حياتي في المشرق العربي، ص٢٤٠.

٢- كامل محمود خله: التطور السياسي لشرق الأردن، ص٢١٣.

٣- Lenczowski, The Middle East in World Affairs, P. 304.

٤- كامل محمود خله: التطور السياسي لشرق الأردن، ص٢١٥.

٥- مذكرات غلوب باشا: حياتي في المشرق العربي، ص٢٣٨.

صيانة طريق حيفا – بغداد الذي أنشأته الحكومة البريطانية لتسهيل المواصلات بين جيوشها في الشرق[١].

وكانت منطقة شرق الأردن من المناطق التي طالب القوميين العرب منحها الاستقلال والحرية خلال اتصالاتهم بالحكومتين الألمانية والإيطالية فترة الحرب العالمية الثانية، ورفض عدد من الأردنيين المعارضين التحالف مع البريطانيين في أثناء الحرب وقيام القوات العربية الأردنية بمساندة القوات البريطانية في محاربة العراق وإعادة احتلال سورية ولبنان وتقديم الحماية والأمن للمواصلات البريطانية إلى القوميين العرب، واتصلوا بالمحور أملاً في التخلص من السيطرة البريطانية على الأردن منتقدين سياسة حكومة الأردن المناصرة لبريطانيا سياسياً وعسكرياً[٢].

وفي أثناء الحرب لم يعانِ شرق الأردن كغيره من أقطار الشرق الأوسط من آثار الحرب الاقتصادية ، فالحرب أثرت على قلة بعض الأصناف الغذائية كالسكر والكاز، وارتفعت أسعارها، إلا أن بريطانيا ساهمت بإنفاق أموال طائلة لإنشاء التحصينات على الحدود الأردنية – السورية، واستخدمت الأيدي العاملة الأردنية، فازدهرت التجارة وتدفق رأس المال. وعندما انتهت الحرب في أوروبا واستسلم الألمان تلقى الأمير عبد الله من قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط باجيت رسالة شكر وامتنان للخدمات التي قدمتها شرق الأردن والجيش العربي للحكومة البريطانية طوال فترة الحرب، وذلك في ٨ مايو ١٩٤٥م/١٣٦٥هـ[٣].

قامت الحكومة الأردنية في إطار ما قدمته إمارة شرق الأردن من خدمات وإمكانيات وضعتها تحت تصرف حليفتهم بريطانيا ضد المحور بمساعدة القوات العربية في العراق وسورية ومعركة العلمين إلى جانب خدمات الأمن والحراسة [٤]، بتقديم مذكرة إلى المعتمد البريطاني مكمايكل في ٦ يناير ١٩٤٢م/١٣٦١هـ تضمنت المطالب بمنح

١- منيب الماضي وسليمان موسى: تاريخ الأردن في القرن العشرين، ص٣٨١.

٢- علي محافظة: تاريخ الأردن المعاصر، ص٨٩.

٣- منيب الماضي وسليمان موسى: تاريخ الأردن في القرن العشرين، ص ص٣٩٩، ٤٠١.

٤- سيتون وليمز: بريطانيا والدول العربية ، ص١٧٨.

شرق الأردن استقلاله التام، تبعها خطاب شخصي من الأمير عبد الله تأكيداً منه على ما جاء في مذكرة حكومته، إلا أن المعتمد السامي ماطل في إجابته للمطلب الأردني[١].

فواصلت الحكومة الأردنية مساعيها لتحقيق الاستقلال فبعث بمذكرة مباشرة في ٤ نوفمبر ١٩٤٣م/١٣٦٣هـ إلى الحكومة البريطانية طالبوا فيها باستقلال شرق الأردن استقلالاً تاماً أسوة بما حصلت عليه سورية ولبنان، إلا أن الحكومة البريطانية لم تجب على هذه المذكرة، فتبعتها مذكرة جديدة من الحكومة الأردنية عبرت فيها عن ألمها من عدم رد الحكومة البريطانية على مذكرتيها السابقتين[٢]، مما اضطر الحكومة البريطانية إلى الرد على المذكرة في ١٦ يونيو ١٩٤٤م/١٣٦٤هـ تضمنت وعداً باستقلال البلاد وإبرام معاهدة تحالف معها، واعتذر المعتمد البريطاني عن تأخر الرد بسبب الانهماك في شؤون الحرب[٣].

وفي الوقت الذي انضمت فيه الأردن إلى جامعة الدول العربية، تقدمت بمذكرة في ٢٧ يونيو ١٩٤٥م/١٣٦٥هـ للحكومة البريطانية أشارت فيها إلى انتهاء الحرب، وأن الوقت قد حان لكي تبر بريطانيا بوعدها وتمنح الأردن استقلالها، و لم تحصل الأردن على استقلالها الكامل إلا في مارس ١٩٤٦م/١٣٦٦هـ[٤]، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، ووقوفه الكامل مع بريطانيا ضد دول المحور.

فلسطين :

في الوقت الذي نشبت فيه الحرب العالمية الثانية، شهدت فلسطين تغييرات سياسية وعسكرية وإنسانية كثيرة تصاعدت منذ ثورة ١٩٣٦م/١٣٥٥هـ عاني خلالها الشعب الفلسطيني بطش وظلم الانتداب العسكري والاستيطان اليهودي، ومنذ ١٩٣٩م/١٣٥٨هـ توقفت الثورة الفلسطينية نتيجة لعدم وجود قيادة عسكرية

١- Cab. 95. I, H. Macmichael, Jerasalem, 27th January , 1942. No. 264.

٢- منيب الماضي وسليمان موسى: تاريخ الأردن في القرن العشرين، ص ص٣٨٩، ٣٩٢.

٣- الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين: ص١٨٥.

٤- منيب الماضي وسليمان موسى: تاريخ الأردن في القرن العشرين، ص ص٣٩٤، ٤٠٣.

واحدة، وقيادة سياسية واعية ومباشرة، والإرهاق من القتال، وقسوة القيادة العسكرية والمخابرات البريطانية، والضغط البريطاني المتواصل، بالإضافة إلى معاناة المجاهدين الفلسطينيين العجز في الأسلحة والذخائر، واعتقال وإعدام الكثير من قياديي الحركة الوطنية، فخرج العديد من القيادات الفلسطينية لمواصلة الكفاح خارج فلسطين ومنهم المفتي محمد أمين الحسيني[١].

وتحولت فلسطين منذ عام ١٩٣٩م إلى قاعدة عسكرية بريطانية، لمواجهة الظروف العسكرية للحرب العالمية الثانية وآثارها على المنطقة، وبدأت دعوة البريطانيين للعرب الوقوف إلى جانب الحلفاء في الحرب، ورفض الفلسطينيون التطوع في الجيش البريطاني، وإن رأى فريق من الفلسطينيين أن تطوع العرب في الجيش البريطاني هو الخطوة الأولى لإنشاء جيش قوي يدافع عن فلسطين في المستقبل[٢].

ومنذ عام ١٩٤٠م/١٣٥٩هـ اهتمت بريطانيا بتقوية قواها في فلسطين، في إطار سياستها الاستراتيجية لحماية مواصلاتها في البحر المتوسط والشرق الأوسط من خطر هجوم المحور[٣]. وفرضت رقابة صارمة على الصحف العربية الفلسطينية لمنع نشر أي تعاطف مع دولتي المحور ضد بريطانيا[٤].

كانت سياسة بريطانيا الاستعمارية في فلسطين ومساندتها إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين والسماح للهجرة وبناء المستوطنات أهم مرتكزات الدعاية التي اهتم بها المحور لاستقطاب العرب والحركة الوطنية الفلسطينية إليه، حيث أعلنت دولتا المحور ألمانيا وإيطاليا أنها تحارب الاستعمار في البلاد العربية وتؤيد أماني العرب في الاستقلال والوحدة، ونشطت هذه الدعاية في مؤازرة ثورة ١٩٣٦م في فلسطين، ووُصفت العلاقات بين المحور والحركة العربية بأنها لم تكن عقدية بقدر ما كانت عاطفية[٥].

١- كامل محمود خله: فلسطين والانتداب البريطاني، ص٤٧٩.

٢- محمود منسي: الشرق العربي المعاصر، ص٣٧٠.

٣- ونستون تشرشل: المذكرات، جـ١، ص٥١١.

٤- عبد الرحمن عبد الغني: ألمانيا النازية وفلسطين، ص٢٧٧.

٥- أنيس صايغ: الهاشميون وقضية فلسطين، ص ص١٨٢، ١٨٤.

وارتبطت هذه الدعاية بالمفتي محمد أمين الحسيني الذي اعتقد بأن التعاون مع دولتي المحور وتحديداً ألمانيا، سيؤدي إلى ضمان تحقيق المصالح العربية والفلسطينية(١)، أمام احتمال انتصارها في الحرب. وأرسل عثمان كمال حداد سكرتيره الخاص لمفاوضة دولتي المحور ألمانيا وإيطاليا عام ١٩٤٠م، ولمعرفة سياسة دولتي المحور نحو البلاد العربية(٢)، وطلب المفتي مساندتهم للفلسطينيين وإمدادهم بالأسلحة والذخيرة لإشعال الثورة في فلسطين ضد بريطانيا، ورحبت الحكومة الإيطالية بزيارة حداد في أكتوبر ١٩٤٠م، وبدأت تدرس إمكانيات احتمال إرسال أسلحة إلى فلسطين عن طريق الغواصات وغيرها(٣). إلى جانب إمكانية تقديم مساعدات مالية له(٤). لتنظيم ثورة وللقيام بعمليات مسلحة ضد معسكرات الجيش البريطاني ومرافقه الحيوية في فلسطين(٥).

وعندما تغير الموقف السياسي في نهاية ١٩٤٠م وازداد الاهتمام الألماني – الإيطالي بالشرق الأوسط جاءت زيارة حداد الثانية* إلى برلين فبراير ١٩٤١م/١٣٦٠هـ بعرض المطالب العربية للاستقلال والوحدة وإمكانية القيام بعرقلة خطوط المواصلات البريطانية في العراق وسورية وفلسطين(٦)، فيما ازدادت الأوضاع السياسية والعسكرية سوءاً بين الحكومة العراقية والبريطانية، ومشاركة المفتي حكومة الكيلاني مطالبها باستقلال البلاد العربية وتأكيد وحدتها في مراسلاتها مع الحكومة الإيطالية، حيث كان المفتي مقيماً في بغداد آنذاك ومشاركاً في أحداثه السياسية**.

وترصدت بريطانيا محاولات المحور خاصة الإيطالية تأسيس عصابات –كما جاء في التقرير – لخلق متاعب والقيام بالتخريب ضد مصالح البريطانيين في فلسطين

١- عبد الرحمن عبد الغني: ألمانيا النازية و فلسطين، ص ٢٧٤.

٢- مذكرات الحاج محمد أمين الحسيني، ص٧٤.

٣- D.D.I. Nona Serie, Volume VI, IL Generale Addetto AL Comando Supremo, Armeilini, AL Ministro Deli Esteri, Ciano, Roma, 16 Novembre 1940, N: 115.

٤- D.D.I. Nona Serie, Volume VI, IL Ministro A Bagdad, Gabbrilli, AL Ministro Degli Esteri, Ciano, Bagdad, 26 Gennaio, 1941, N: 496.

٥- عبد الرحمن عبد الغني: ألمانيا النازية و فلسطين، ص٢٧٥.

* انظر ص ٢٦١.

٦- D.D.I. Nona Serie, Volume VI, IL Direttore General Degli Affari D' Europa E Del Mediterraneo, Buti, AL Ministro A Bagdad, Gabbrilli, Roma, 10 Febbraio 1941, N: 561.

** لمزيد من التفصيل انظر ص ص ٢٤٨، ٢٥١، ٢٦١.

والعراق(١). بينما تابعت سفارتها في بغداد اتصالات المفتي مع المحور للتحرك ضد المصالح البريطانية في فلسطين والعراق(٢).

وقد شمل التعاون الفلسطيني مع المحور القيام بأعمال النسف والتخريب للمرافق الحيوية والعسكرية البريطانية وخطوط المواصلات ونقل البترول في حيفا- بغداد- الموصل، بينما شهدت الاتصالات الإيطالية بالمفتي في أواخر مايو ١٩٤١م تحضيرات للقيام بانتفاضة عامة في فلسطين ضد البريطانيين(٣)، إلا أن تقدير المفتي لأهمية حرب العراق ضد بريطانيا جعلته يقرر عدم إرسال أسلحة وذخيرة إلى فلسطين، وألا يألو جهداً لإمداد العراق بكل مساعدة ، وطلب من المحور إرسال قوات جوية إلى العراق بدلاً من فلسطين لحرج الموقف العسكري فيها(٤). فيما أكد على القبائل العربية في فلسطين محاربة القوات البريطانية هناك(٥).

إلا أن نشاط المقاومة الفلسطينية آنذاك اقتصر على أعمال فردية استهدفت تخريب المنشآت البريطانية في فلسطين، بينما شاركت القوات البريطانية في فلسطين الحرب ضد العراق، ولم تشهد فلسطين قيام ثورة في مايو ١٩٤١م كما كان متوقعاً(٦).

فالأوضاع في فلسطين لم تكن مهيأة لنشوب ثورة من جديد وذلك لظروف فلسطين التي خرجت من ثورة استمرت من ١٩٣٦-١٩٣٩م/١٣٥٥-١٣٥٨هـ منهوكة القوى، تعاني من نتائج الثورة الاقتصادية والاجتماعية، كذلك من آثار الحرب العالمية الثانية على شعب فلسطين، بالإضافة إلى الفراغ السياسي الذي تركه خروج معظم قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية من فلسطين في أثناء الحرب العالمية الثانية والذي

١- F.O. 406/78. E- 2604/2 I07/65. No: 348. Mr Gardener to Viscount Halifax. Damascus. September 5. 1940. No: 38.

٢- F.O. 406/78. E- 2604/2 I07/65. No: 350. Sir B. Newton to Viscount Halifax. Bagdad. September 9. 1940. No. 454.

٣- D.D.I. Nona Serie. Volume VII. IL Ministro Degli Esteri,Ciano AL Ministor A Bagdad. Gabbrilli. Roma. 23 Maggio 1941. N: 158.

٤- D.D.I. Nona Serie. Volume VII, IL Ministro A Bagdad. Gabbrilli.AL Ministro Degli Esteri, Ciano, Bagdad, 24 Maggio 1941. N: 163.

٥- D.D.I. Nona Serie, Volume VII, IL Ministro A Bagdad, Gabbrilli, AL Ministor Degli Esteri, Ciano, Bagdad, 28 Maggio 1941, N: 169.

٦- علي محافظة: موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، ص٣٨١.

عملت بريطانيا على استمراره طوال فترة الحرب، وكسب المحور تعاطف الـرأي العـام العربي الفلسطيني إلا أن ظروفه لم تساعده للقيام بالثورة[١]، وجاء فشل حركة الكـيلاني في العراق ونجاح بريطانيا في احتلال سورية ولبنان لِيُنهي التوقعات في مسـاعدة المحـور العرب في مطالبه بالاستقلال والوحدة، وإن ظل الأمل بعودته بعد انتصاره على روسـيا، وعلى البريطانيين في مصر والمتوسط.

وعندما غادر المفتي العراق إلى إيران، تعقبته السلطات البريطانية وأعلن المارشـال ويفل القائد العام للقوات البريطانية بعد دخوله طهران عن جائزة لمن "يدل أو يقـبض" على المفتي محمد أمين الحسيني "حياً أو ميتاً"، فخرج إلى تركيـا، وتكلفـت الحكومـة الإيطالية بإيصاله إلى إيطاليا، وهناك قام باستئناف المباحثات مع دولتي المحـور لتحقيـق المطالب العربية لاستقلال البلاد العربية وفلسطين[٢].

وفيما وقف الفلسطينيون موقفاً سلبياً حيادياً تجاه بريطانيـا و لم يقبلـوا المحاربـة إلى جانبها في الحرب لعدم إيجادهم ما يبرر لأن يدينوا لها بالولاء[٣]، التقت المصالح البريطانية والمصالح الصهيونية في فلسطين فكان قسم كبير من السياسيين البريطانيين وفي مقدمتـهم تشرشل يؤمنون بقدرة الصهاينة على الاضطلاع بدور دفاعي عن فلسطين يخفف العبء عن القوات البريطانية، أما الصهاينة فقد وجدوا بأن الفرصة سانحة لتجنيـد اليهـود في فلسطين في وحدات عسكرية ليساعدها ذلك على تكون نواة لجيش يهـودي يمكـن أن يقف في وجه المقاومة العربية عندما يبدأون تحقيق حلمهم في تكوين دولة يهودية[٤].

فساند وجود ونستون تشرشل على رأس الحكومة البريطانية مطالب الصهيونية في فلسطين في أثناء الحرب العالمية الثانية، وحين عرض حاييم وايزمن Weizmann مسـاعدة اليهود للقوات البريطانية في الدفاع عن فلسـطين في حربها ضد المحور، أيـد تشرشـل ذلك[٥]. وبدأ تجنيد مجموعة المتطوعين اليهود لأداء خدمات عامة في الجيش البريطـاني

١- عبد الرحمن عبد الغني: ألمانيا النازية وفلسطين، ص٢٧٦.

٢- مذكرات الحاج محمد أمين الحسيني: ص ص٨٨، ٩٤.

٣- جورج كيرك: موجز تاريخ الشرق الأوسط، ص٣١٧.

٤- محمود منسي: الشرق العربي المعاصر، ص٣٧١.

٥- مذكرات وايزمان: ترجمة محمد الشهابي. ط٢، (د.ن)، ص١٦٤.

بعد الاتفاق مع وايزمن[١]. وتم الاتفاق بين قيادة الشرق الأوسط البريطانية وبين الهاغاناة على التعاون في العمليات السرية تحسباً لوقوع غزو ألماني – إيطالي على فلسطين[٢].

فاستعانت السلطات البريطانية في فلسطين باليهود في ورش الجيش البريطاني ومطاراته وثكناته، وفي الوظائف الرئيسية والفنية وحراسة العنابر والمستودعات، ودربت الألوف من اليهود وسلحتهم، وأشركتهم في العمليات الحربية[٣]، إلا أنهم تحولوا مع العصابات الصهيونية إلى القيام بنشاطات إرهابية في أثناء الحرب ضد البريطانيين وعرب فلسطين[٤].

وفي أول لقاء بين موسوليني والمفتي بعد وصوله روما، في قصر فينيسيا، رحب موسوليني بالمفتي في إيطاليا، وفي اللقاء بسط المفتي مطالب العرب الرئيسية وهي الاستقلال الكامل والسيادة التامة في جميع أقطارهم وإنقاذ الفلسطينيين من المؤامرة الاستعمارية اليهودية، وإلغاء الوطن القومي اليهودي فيها، وقال المفتي لموسوليني "إن مقاومتنا للوطن القومي اليهودي لم تكن بحافز من التعصب الديني بل كانت دفاعا عن كياننا، وذوداً عن بلادنا، وان العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في الأقطار العربية هي علاقات وثيقة بين مواطنين متحدين متعاونين" وأجاب موسوليني قائلا "إني اعلم هذا واعلم الكثير من أحوالكم ولاسيما دينكم...إن مطالبكم جديرة بالاحترام والتحقيق وان إيطاليا مستعدة أن تعترف بذلك وتساعد على تحقيق استقلال الأقطار العربية، أما الوطن القومي اليهودي فلكم كل الحق في مقاومته ونحن معكم في ذلك، فاليهود في إيطاليا لا يزيد عددهم على ستة وأربعين ألفا من ستة وأربعين مليون إيطالي، أي واحد في الألف من مجموع الأمة الإيطالية التي منحتهم كل الحقوق وساوتهم بأفرادها، ولكنهم رغم ذلك ليسوا موالين لها، فكل واحد منهم جاسوس عليها وداعيه ضدنا، وموال لأعدائنا، فهم طابور خامس في بلادنا، ولذلك فان موقفنا منهم سيكون مثل موقفهم منا...إننا نعتبركم أصدقاء لدول المحور في هذه الحرب التي سيكون لنتيجتها اثر كبير على

١- F.O. 371/24569, E-2466 G, War Cabinet, Recruitment of Jewish Units for General Service in British Army, 8th October, 1940.

٢- محمود منسي: الشرق العربي المعاصر، ص٣٧٢.

٣- صالح مسعود بويصير: جهاد الشعب الفلسطيني خلال نصف قرن، (القاهرة: دار بويصير، ١٩٦٩م)، ص٢٩٠.

٤- محمود منسي: الشرق العربي المعاصر، ص٣٧٤.

مستقبلنا ومستقبلكم أيضا، ولذلك فإننا نرغب في أن يقوم التعاون بيننا وبينكم على أساس الإخلاص والثقة،ومن اجل هذا التعاون أرحب بكم"[١]. فكان هذا الحديث بداية للمباحثات السياسية للمفتي مع دول المحور لتحقيق المطالب العربية والفلسطينية.

و سعى المفتي في مباحثاته السياسية في برلين وروما مع هتلر وموسوليني لعرض المطالب العربية وخططه السياسية والعسكرية والتنظيمية التي تتلخص في الحصول على:

١- بيان من دولتي المحور تتعهد فيه الدولتان بموجبه بالاعتراف باستقلال البلاد العربية.

٢- إقامة فرقة عربية من العرب الراغبين في الانضمام إليها من أسرى الحرب العرب.

٣- فتح مكاتب رسمية لتوجيه النشاط السياسي، وشارك الحسيني في حملات المحور الدعائية والإعلامية، إلا أن المحور هدف من اتصالاته بالكيلاني والمفتي وغيرهما من القوميين العرب استخدامهم أداة في قيادة وتوجيه الدعاية والإعلام لسياسة دولتي المحور والموجهة إلى العالم العربي قبل كل شيء، وحينما تكثفت جهود المفتي والكيلاني نحو دولتي المحور لتحقيق أهدافهم العربية لم تستطع الحكومة الإيطالية التخلص من نياهتا الاستعمارية التقليدية الذي يسيطر على خطواهم السياسية والحربية ووقفت أمام أي تصريح يتناول "إقامة اتحاد عربي كامل أو تام " من عبارة استقلال البلاد والدول العربية[٢].

فيما واصل الألمان تقييد أي وعد بنجاح حملتهم في روسيا وشمال أفريقيا ووصولهم إلى البلاد العربية، وفي ٢٨ أبريل ١٩٤٢م/١٣٦١هـ نجحت مباحثات المفتي والكيلاني في إصدار دولتي المحور رسمياً وسرياً باستقلال البلاد العربية وإلغاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين[٣].

وعندما ظهر الخلاف* بين المفتي و الكيلاني، اتُّهم المفتي من جانب أنصار الكيلاني لدى السلطات الألمانية بالولاء لإيطاليا، التقى المفتي في ٢٧ يونيو ١٩٤٢م بالهر اتيل الوزير المفوض في وزارة الخارجية الألمانية للرد على هذه التهمة وأوضح بأنه "عربي لا ينظر إلا إلى مصالح العرب، وأنه من المضحك أن يزعم أحد بأنه موال لإيطاليا." وقال أيضاً: "إن أوساط القوميين العرب لا تنظر إلى إيطاليا بالثقة التي تنظر بها إلى ألمانيا .. ومن المخجل أن يتهم باللعب

١- مذكرات الحاج محمد أمين الحسيني: ص ص٩٦، ٩٥.

٢- عبد الرحمن عبد الغني: ألمانيا النازية وفلسطين، ص ص٣٢٢، ٣٢٧.

٣- مذكرات الحاج محمد أمين الحسيني: ص ص١١٥، ٤٨٨. &
D.D.I. Nona Serie, Volume VIII, Scambio Di Lettere Tra IL Conte Ciano, IL Gran Mufti Di Palestina E Rashid Ali'EL Gailani, Roma, 28 Aprile, 1942, N: 488.

بالورقة الإيطاليـــة لأن هذه اللعبة غبية جداً"، واتهم المفـــتي الهـــر غروبـــا بتلفيـــق هـــذه الشائعات[١].

ويظهر ذلك التنافس الألماني- الإيطالي على التقرب من القوميين العرب، ومحاولة إثارة الخلاف بينهما في ظل عدم رغبتهما في تلبية مطالبهم التي يستمرون في طلبهما والإلحاح عليها طوال هذه الفترة.

وفي سبتمبر ١٩٤٢م قدم المفتي مذكرة إلى موسوليني عبر فيها عن رغبته السفر إلى شمال أفريقيا (مصر- تونس) لتعميق العمل السياسي هناك، وأبدى رغبة في الحصول على اعتـــراف إيطاليا ناطقاً بلسان الحركة القومية العربية، وأن يتم ذلك قبل سفره[٢]، وجاء رد الحكومـــة الإيطالية على لسان وزير خارجيتها تشانو بالاعتراف به رئيساً لحزب الأمة العربيـــة وممـــثلاً لنضال الأقطار العربية في الشرق الأدنى، وطلبت وزارة الخارجية الألمانية والإيطالية أمام نفـــي الكيلاني وغروبا ذلك، سؤال اللاجئين العرب في تركيا حول أقوال المفتي، وجاء الرد مؤكداً بأن المفتي ناطق بلسان الحركة القومية العربية وهو ما يؤكد أقوال المفتي. وفيما واصل الحسيني مباحثاته مع المحور وساهم في نصرة مسلمي البلقان، و الهند، ونصرة المغرب العربي[٣]، إلا أن تغير مجرى الحرب إلى مصلحة الحلفاء في مطلع عام ١٩٤٣م/١٣٦٢هـــ فقد كلاً من الحسيني والكيلاني كل أهمية على الصعيد العملي في المشرق العربي لدى المحور[٤].

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية عاد الحسيني لمواصلة الكفاح ومقاومة السياسة البريطانية والوجود الصهيوني الذي أصبح أقوى مما كان عليه في بداية الحرب في فلســـطين[٥]، فيمـــا تحولت الصهيونية إثر انتصار الحلفاء في العلمين وانتهاء تهديد المحور للمنطقة إلى الحصول على مساندة الولايات المتحدة الأمريكية بدلاً من بريطانيا لإقامة دولة يهوديـــة في فلســـطين[٦]. لزيادة ثقل الولايات المتحدة الأمريكية السياسي والاقتصادي العالمي.

---

* انظر ص ص ٢٩٧، ٣٠٠.

١-علي محافظة: العلاقات الألمانية – الفلسطينية ١٨٤١-١٩٤٥م، ص٢٦٤.

٢- D.D.I. Nona Serie, Volume IX, IL Direttore General DegLi Affari D'Europa E Ded Mediterraneo, Vitetti, AL Ministro Degli Esteri, Ciano, Roma, 11 Settembre 1942, N, 118.

٣-علي محافظة: العلاقات الألمانية – الفلسطينية ١٨٤١-١٩٤٥م، ص٢٦٦، ٢٨٥.

٤-عبد الرحمن عبد الغني: ألمانيا النازية وفلسطين، ص٣٧١.

٥- مذكرات الحاج محمد أمين الحسيني: ص٢٦٨.

٦-صلاح العقاد: العرب والحرب العالمية الثانية، ص١٣٢.